

سلسلة تفسير القرآن الكريم



التفسير المنهجي

المجلدُ الخامسُ

مِنْ سُورَةِ يوسُفَ - نِهايَةِ سُورَةِ الإسْراءِ



تأليف
أ. د. أحمد شكري

لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

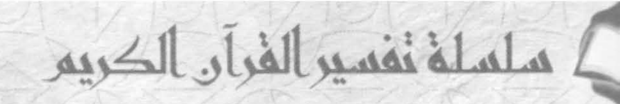
منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/







المجَلَّدُ الخامِسُ

مِنْ سُورَةِ يوسُفَ - نِهايَةِ سُورَةِ الإسْراءِ

تأليف

الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com



الطبعة الأولى

2005

رقم الإجازة: 2386 /10/ 2005
رقم الإيداع: 2378 /10/ 2005
التصنيف الدولي: 2-440-08-9957



الْجُــزْءُ الأَوَّلُ

مِنْ سُورَةِ يوسُفَ - نِهايَةِ سُورَةِ الحِجْرِ

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبِّينا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربِهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّورِ ، ويَهديَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّم القرآنِ ومُدَارَستِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجِحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوَايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إِمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تَخريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَبَّلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرسُ الأوَّلُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَة :

سورَةُ يوسُفَ إِحْدى السُّوَرِ المَكِّيَةِ الَّتي تَناوَلَتْ قَصَصَ الأَنْبِياءِ ، وَقَدْ أُفْرِدَتِ السُّورَةُ كُلُّها لِذِكْرِ قِصَّةِ يُوسف عَلَيْهِ السَّلامُ وَما لاقاهُ مِنْ أَنْواعِ البَلاءِ والمِحَنِ ، فَصَبَرَ وَتَرَفَّعَ عَنِ المَعاصي ، حتَّى نَجّاه اللهُ تَعالى مِنَ الضِّيقِ ومَكَّنَ لَهُ فِي الأَرْضِ ، وفي هَذهِ القِصَّةِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ ، وَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

آلر : تُقْرَأُ : ألف لام را ، وهِيَ جُمْلَةِ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ في أوائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ لِلدَّلالَةِ على إِعْجازِ القُرْآنِ .

نَقُصُّ عَلَيْكَ : نُبَيِّنُ لَكَ . رَأَيْتُ : أي في المَنام .

يَجْتَبيكَ : يَصْطَفيكَ . تَأْويلِ الأَحاديثِ : تَعْبيرِ الرُّؤْيا .



التفسيرُ :

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ ﴾ .

تَبْدَأُ هذهِ السّورَةُ الكَريمَةُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف لام را) ، وَوُجودُ هَذهِ الأَحْرُفِ في أَوائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ إنَّما هُوَ لِلتَّنْبيهِ على إعْجازِ القُرْآنِ فَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ مِثْلِ هَذهِ الحُروفِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ الإِتْيانَ بِمِثْلِهِ .

﴿تِلْكَ﴾ اسْمُ إشارةٍ إلى الآياتِ ، والمُرادُ بها آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ ، ومِنْها آياتُ هذهِ السُّورَةِ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّ هَذهِ الآياتِ هِيَ آياتُ الكِتابِ الواضِحِ الظَّاهِرِ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ أنْزَلَ القُرْآنَ على نَبِيِّه مُحمَّدٍ ﷺ بلُغَةِ العَرَبِ فَهُوَ قُرْآنٌ عَربيٌّ لِكَيْ تَعْقِلوا مَعانِيَهُ وَتفْهَموا أَلْفاظَهُ وتَنْتَفِعوا بِهِدايَتِهِ ، ولِتُدْرِكوا أنَّهُ كلامُ اللهِ تعالى وَلَيْسَ مِنْ كَلامِ البَشَرِ .

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعالى عَنْ نَفْسِهِ مُخاطِباً نَبِيَّهُ ﷺ : نَحْنُ نَرْوي لَكَ أيُّها النَّبِيُّ في هَذهِ السّورَةِ وفي غَيْرِها أَحْسَنَ القَصَصِ وأَصْدَقَهُ وأَنْفَعَهُ ، وَذَلِكَ عَنْ طَريقِ الوَحْيِ وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ إيحائِهِ إلَيْكَ غَيْرَ عالِمٍ بِهِ .

وإنَّما كانَ قَصَصُ القُرْآنِ أحْسنَ هذهِ القَصَصِ لاشْتِمالِهِ على أصْدَقِ الأَخْبارِ وأبْلَغِ الأَساليبِ وأجْمَعِها لِلْحِكَمِ والعِبَرِ ، وَمِنْ أحْسنِ هذهِ القَصَصِ ما قَصَّهُ اللهُ تَعالى في هَذهِ السُّورَةِ ، عَنْ نَبيِّ اللهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وذَلِكَ لِكَثْرَةِ ما فيها مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ ، ولِتَجاوُزِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ إخْوَتِهِ وَعَفْوِهِ عَنْهُمْ ، ولِحُسْنِ مآلِ مُعْظَمِ مَنْ ذُكِرَ في القِصَّةِ ، واخْتِتامِها خاتِمَةً طَيِّبَةً باجْتِماعِ الشَّمْلِ والْتِقاءِ الأَحِبَّةِ .

بَعْدَ هذا التَّقْديمِ بَدَأَتِ الآياتُ الكَريمَةُ بالْحَديثِ عَنْ قِصَّةِ يُوسفَ عَلَيْهِ السلامُ ، قالَ تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾ .

أي : اذْكرْ حينَ قالَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأبيهِ يَعْقوبَ بنِ إسْحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، يا أبي إنِّي رَأيْتُ في مَنامي الشَّمْسَ والقَمَرَ وأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً مِنْ كَواكِبِ السَّماءِ ساجِدينَ لي .

وأفْرَدَ الشَّمْسَ والقَمَرَ بالذِّكْرِ ولَمْ يَجْعَلْهُما مِنَ الكَواكِبِ رَفْعاً لِشَأْنِهِما وتَبْييناً لِمزِيَتِهِما على سائِرِ الكَواكِبِ .

﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْياهُ ، أدْرَكَ أنها بُشْرى لِيوسُفَ ، وأنَّهُ سيكونُ لَهُ شَأْنٌ عَظيمٌ ، وأنَّ أُسْرَتَهُ سَيكونونَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يُعَظِّمُهُ ، وَلِفَرْطِ حُبِّهِ لَهُ وحِرْصِهِ عَلَيْهِ أَوْصاهُ ألاَّ يُخْبرَ إخْوَتَهُ برُؤْياهُ حَتَّى لا يَحْتالوا عَلَيْهِ بِمَكيدةٍ ومُؤامَرَةٍ يُحَرِّضُهُمْ عَلَيْها الشَّيْطانُ ، فإنَّ الشَيْطانَ عَدوٌّ بَيِّنُ العَداوَةِ للإنْسانِ حَريصٌ على التَّفْريقِ بَيْنَ النَّاسِ وإشْعالِ نارِ العَداوةِ والفِتْنَةِ والاخْتِلافِ بَيْنَهُمْ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أكْمَلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُخاطِباً ابْنَهُ قائِلاً : وَكَما أنَّ اللهَ تعالى أراكَ الرُّؤْيا الحَسَنَةَ فإنَّهُ سَيَخْتارُكَ ويَصْطَفيكَ لأُمورٍ عَظيمةٍ في قادِمِ الأيامِ ، ويَهبُكَ عِلْماً في تَعْبيرِ الرُّؤَى بِصِدْقٍ وَصَوابٍ ، ويَجْعَلُكَ مِنْ جُمْلةِ أَنْبيائِهِ المُخْتارينَ لِتَبْليغِ الدَّعْوَةِ كما اخْتارَ لِهذهِ المُهِمَّةِ مِنْ قَبْلُ أَبَوَيْكَ : إبْراهيمَ وإسْحاقَ عَلَيْهما السَّلامُ ، وهُما جَدّهُ وأبو جَدِّهِ ، فَهُوَ مِنْ سُلالَةِ أَنْبياءَ كِرامٍ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ قولُه ﷺ : « الكريمُ ابنُ الكَريمِ ابنِ الكريمِ ابنُ الكَريمِ : يُوسفُ بنُ يَعْقوبَ بنُ إسْحاقَ بنُ إبْراهيمَ »[1] واللهُ سُبْحانَهُ عَليمٌ بِمَنْ يَصْطَفيهِمْ لِحَمْلِ رِسالَتِهِ وَبِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِنِعْمَتِهِ ، حَكيمٌ في تَدْبيرِهِ لِخَلْقِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَصَصُ القُرْآنِ أَحْسَنُ القَصَصِ لِما تَحْويهِ مِنْ عِبَرٍ وَفَوائِدَ .

٢ـ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها المُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ بُشْرى عاجلةٌ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ تَعْبيرِ الرُّؤْيا الصّالِحَةِ ، وأنَّها تَتَحقَّقُ وَلَوْ بَعْدَ سَنواتٍ طويلةٍ .

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، رقم الحديث ٣١٣٨ .

٤ـ جَوازُ إِخْفاءِ بَعْضِ النِّعمِ خَوْفاً مِنَ الحَسَدِ والكَيْدِ .

٥ـ مَشْروعِيَةُ التَّحْذيرِ مِمَّنْ يُخْشَى إيذاؤُهُ .



أجبْ عَنِ الأسئلة الآتيةِ :

١ـ ما سَبَبُ افْتِتاح عَدَدٍ مِنَ السُّوَرِ بالحُروفِ المُقَطَّعةِ ؟

٢ـ لِماذا أنْزَلَ اللهُ تَعالى القُرْآنَ باللُّغَةِ العَربيَّةِ ؟

٣ـ لماذا كانَ القَصَصُ القُرْآنِيُّ أَحْسَنَ القَصَصِ ؟

٤ـ بماذا أَوَّلَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْيا ابْنِهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ لِماذا طَلَبَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ ابْنِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ لا يَقُصَّ رُؤْياهُ على إخْوَتِهِ ؟

٦ـ بماذا بَشَّرَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ ابْنَهُ يُوسُفَ ؟



عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : الرُّؤْيا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبعينَ جُزْءاً مِنَ النُّبوَّةِ[١] . وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَبْقى بَعْدي مِنَ النُّبوَّةِ شيْءٌ إلاَّ المُبَشِّراتُ ، قالوا يا رَسولَ اللهِ وَما المُبَشِّراتُ ؟ قالَ : الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَراها الرَّجُلُ أَوْ تَرَى لَهُ[٢] .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير ، رقم الحديث ٦٤٦٨ ، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا ، رقم الحديث ٤٢٠١ .
(٢) رواه أحمد في المسند برقم ٢٣٨٢٩ .

الدَّرسُ الثَّاني

سُورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّاني

۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عُصْبَةٌ	: جَماعَةٌ .
اطْرَحوهُ أرْضاً	: أَلْقوهُ في أَرْضٍ بَعيدةٍ .
يَخْلُ لكُمْ وَجْهُ أبيكُمْ	: يُقْبِلُ عَلَيْكُمْ ولا يَلْتَفِتُ إلى غَيْرِكُمْ .
غَيابَتِ الجُبِّ	: ظُلْمَةُ البِئْرِ .
السَّيارةِ	: المُسافِرينَ .
يَرْتَعْ	: يَتَنَعَّمْ بالأَكْلِ والشُّرْبِ الهَنيْءِ .

التَّفسيرُ :

في هذِهِ الآياتِ الكَريمةِ تَفْصيلُ عَدَدٍ مِنَ أَحْداثِ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، حَيْثُ تآمَرَ إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ وَخَطَّطوا لإِبْعادِهِ عَنْ أبيهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

لَقَدْ كانَ فيما حَصَلَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ وإِخْوَتِهِ عِبَرٌ وعِظاتٌ عَظيمَةٌ ، لِكُلِّ مَنْ سَأَلَ عَنْ قِصَّتِهِمْ بِقَصْدِ الانْتِفاعِ مِنْها ومَعْرِفَةِ ما فيها مِنْ مَواعِظَ وحِكَمٍ وأَحْكامٍ .

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فيما بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَتَشاوَرونَ لِلْخَلاصِ مِنْهُ : إِنَّ أَبانا يُحِبُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخاهُ بِنْيامينَ أَكْثَرَ مِنَّا مَعَ أَنَّنا جَماعةٌ مِنَ الرِّجالِ الأَقْوياءِ ، وَعِنْدَنا قُدْرَةٌ على خِدْمَتِهِ ومَنْفَعَتِهِ أَكْثَرَ مِنْهُما ، إِنَّ هذا خَطأٌ ظاهِرٌ مِنْ أَبينا ، إِذْ فَضَّلَ ابْنَيْهِ يُوسفَ عَلَيْهِ السلامُ وأَخاهُ عَلَيْنا .

وكانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخوهُ بنيامينُ أخوينِ مِنْ أُمٍّ ، وكانَ البَقِيَّةُ إِخْوَةً لَهُما مِنْ أُمٍّ أُخْرَى ، ولَمْ يَذْكُرِ الإِخْوَةُ اسْمَ أخي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، لِلإِشْعارِ بأَنَّ مَحَبَّةَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ إِنَّما هِيَ لأَنَّهُ شَقيقُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أي أَخوهُ مِنْ أُمِّهِ وأَبيهِ ، ولِذا كان حَسَدُهُمْ لِيوسُفَ أَشَدَّ ، وكانَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُفَضِّلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سائِرِ إِخْوَتِهِ لِما يَراهُ فيهِ مِنَ الخِصالِ الحَميدةِ . ولَمَّا قَصَّ يُوسفَ عَلَيْهِ رُؤْياهُ ازْدادتْ مَحبَّتُهُ لَهُ .

ومَيْلُ قَلْبِ الأبِ لأَحَدِ أَوْلادِهِ أَمْرٌ لا يَمْلِكُ الرَّجُلُ السَّيْطَرَةَ عَلَيْهِ ، وهُوَ لَيْسَ مِمَّا يُؤاخَذُ عليْهِ ، إذا عَدَلَ بَيْنَ أَبْنائِهِ بالسَّوِيَّةِ في الأُمورِ المادِيَّةِ .

﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

اقْتَرَحَ بَعْضُهُم قَتْلَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْ إِلقاءَهُ في أَرْضٍ بَعيدةٍ مَجْهولَةٍ لا يَسْتَطيعُ العَوْدَةَ مِنْها ، لِتَخْلُصَ لَهُم مَحبَّةُ أَبيهِمْ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ لِغَيْرِهِمْ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتوبوا إلى اللهِ مِمَّا فَعَلوا بِأَخيهِمْ ، وَيُصْبِحوا صالِحينَ حيثُ لم يَبْقَ ما يَحْمِلُهُم على الذَّنْبِ والإِثْمِ .

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

قالَ أَحَدُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ناصِحاً لَهُم : لا تَقْتُلوا أخانا فإِنَّ القَتْلَ جَريمةٌ عَظيمَةٌ ، بَلْ أَلْقوهُ في بِئْرٍ مُظْلِمَةٍ تَقَعُ بِجوارِ طَريقِ المُسافِرينَ ، لِيَنْتَشِلَهُ بَعْضُهُمْ وَيَذْهَبَ بِهِ إِلى ناحِيَةٍ بَعيدةٍ فَتَسْتَريحونَ مِنْهُ ، إِنْ كُنْتُمْ مُصِرِّينَ على إِبْعادِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ أبيكُمْ ، وكانَ هذا الرَّأْيُ مَقْبولاً عِنْدَهُمْ فاتَّفَقوا عَلَيْهِ ، وبَدؤوا يَحتالونَ على أَبيهِمْ لإِخْراجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ لِتَنْفيذِ مُؤامَراتِهِم .

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

قالَ إخوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ مُحاولينَ إِقْناعَهُ باصْطِحاب يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ لِلْخُروجِ إلى المَراعي : (يا أبانا) بَدؤوا بالنِّداءِ لاسْتِمالَةِ قَلْبِهِ وتَحْريكِ عاطِفَتِهِ نَحْوَهُم ، لِماذا لا تَأْتَمِنُّنا على أخينا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وتَخافُ مِنَّا عَلَيْهِ وَنَحْنُ إخْوَتُهُ نُحِبُّ الخَيْرَ لَهُ ونُعامِلُهُ بِغايَةِ الشَّفَقَةِ والوُدِّ ، وَيَظْهَرُ أَنَّ إخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانوا يُحاوِلون قَبْلَ ذَلِكَ اصْطِحابَهُ مَعَهُمْ ، وكانَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَرْفُضُ ذَلِكَ ، وَلِذا اجْتَهَدوا في مُحاوَلَةِ إِقْناعِهِ بالمُوافَقَةِ على طَلَبِهِمْ .

﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

أَرْسِلْهُ مَعَنا غداً إلى المَراعي لِيَتَمَتَّعَ بالأَكْلِ الطَّيِّبِ ويَلْعَبَ مَعَنا ، وإِنَّا لَحَريصونَ على المُحافَظَةِ عَلَيْهِ وَدَفْعِ الأَذى عَنْهُ .

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

قالَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبْنائِهِ رَدّاً على إِلْحاحِهِمْ في طَلَبِهِمْ ذَهابَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ ، إِنَّني لأَشْعُرُ بالحُزْنِ إذا ذَهَبْتُم بِهِ بَعيداً عَنِّي ، وأَخْشى إذا أَخَذْتُموهُ مَعَكُمْ أَنْ يأْكُلَهُ الذِّئْبُ وأنْتُمْ مُنْشَغِلونَ عَنْهُ بِشُؤونِ أَنْفُسِكُمْ وبِالرَّعْيِ واللَّعِبِ .

﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ واللهِ لَئِنْ أَكَلَ الذِّئْبُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ مَعَنا ونَحْنُ جَماعَةٌ قَوِيَّةٌ إِنَّا إذاً في هذِهِ الحالَةِ لَخاسِرونَ خَسارَةً عَظيمَةً تُذْهِبُ هَيْبَتَنا وَسُمْعَتَنا بَيْنَ قَوْمِنا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُقوعُ العَداءِ بَيْنَ أَبْناءِ الضَّرائِرِ قَديمٌ .

٢ـ كان إِسْرائيلُ (يَعْقوبُ) عَلَيْهِ السَّلامُ وبنوهُ يَعْمَلونَ بالرَّعْيِ والصَّيْدِ .

٣ـ إِظْهارُ تَفْضيلِ أَحَدِ الأَبْناءِ يُؤَدِّي إلى العَداوةِ بَيْنَهُمْ .

٤ـ الحَسَدُ سَببٌ لِلْكَثيرِ مِنَ المَشاكِلِ بَيْنَ النَّاسِ .

٥ـ لُجوءُ الإنْسانِ إلى الحيلةِ لِتَنْفيذِ قَصْدِهِ وهَدَفِهِ ، مَشْروعٌ إنْ كانَ القَصْدُ نَبيلاً ، ومَذْمومٌ إنْ كانَ القَصْدُ سَيِّئاً وخَبيثاً .

٦ـ تَعَدُّدُ الزَّوجاتِ كانَ مَوْجوداً في الشَّرائِعِ السَّابِقَةِ .



أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على ماذا تآمَرَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ فيما بَيْنَهُم ؟

٢ـ لماذا كانَ يَعْقوبُ عَليْهِ السَّلامُ يُفَضِّلُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سائِرِ أَبْنائِهِ ؟

٣ـ لِماذا أَرادَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إبْعادَهُ عَنْ أَبيهِمْ ؟

٤ـ ماذا قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ وَهُمْ يَطْلُبونَ مِنْهُ المُوافَقَةَ على خُروجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُم ؟

٥ـ بماذا رَدَّ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ على تَخوُّفِ أَبيهِمْ عَلَيْهِ الذِّئْبِ ؟

٦ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أـ آياتٌ لِلسَّائِلينَ .

ب ـ ونَحْنُ عُصْبَةٌ .

ج ـ اطْرَحوهُ أَرْضاً .

د ـ غَيابَتِ الجُبِّ .

هـ ـ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ .

نَشاطٌ :

- اكتُبْ في دَفْتَرِكَ خُطورَةَ إِقْدامِ المُسْلِمِ على المَعْصِيَةِ بِنِيَّةِ أَنَّه سَيتوبُ مِنْها .

* * *

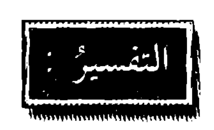
الدَّرسُ الثَّالِثُ

سُورَةُ يوسُفَ - القِسْمُ الثَّالِثُ

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وأجْمَعوا	عَزَموا وَصَمَّموا .
غَيابَةِ الجُبِّ	ظُلْمَةُ البِئْرِ .
وَأَوْحَيْنا إِليْهِ	أَعْلَمْناهُ بِطَريقٍ خَفِيٍّ .
عِشاءً	أَولَ اللّيلِ .
نَسْتَبِقْ	نَتَسابَقُ .
بِمُؤْمِنٍ لَنا	بِمُصَدِّقٍ لَنا .
سَوَّلَتْ	زَيَّنَتْ وَحَسَّنَتْ .
وارِدَهُمْ	مَنْ يَسْبِقُهُمْ لِيَسْتَقِيَ لَهُمُ الماءَ مِنَ البِئْرِ .
فَأَدْلَى دَلْوَهُ	أَرْسَلَها في البِئْرِ لِيَمْلأَها .
أَسَرّوهُ	أَخْفَوْهُ بَيْنَ البَضائِعِ .
شَرَوْهُ	باعوهُ .
بِثَمَنٍ بَخْسٍ	بِثَمَنٍ ناقِصٍ قَليلٍ .



التفسير :

بَعْدَ أَنْ وافقَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على خُروجِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إِخْوَتِهِ ، انْطَلَقوا بِهِ وَهُمْ عازِمونَ على تَنْفيذِ مُؤامَرَتِهِمْ ، وبَيَّنَ اللهُ تَعالى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

فَلَمَّا أَخَذَ الإِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُمْ وَمَضوْا بِهِ بَعيداً وهُمْ عازِمونَ على تَنْفيذِ ما اتَّفَقوا عَلَيْهِ ، أَلْقَوْهُ في البِئْرِ بَعدَ أَنْ نَزَعوا عَنْهُ قَميصَهُ ، وفي هذهِ اللحظاتِ المُفْزِعَةِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْحى اللهُ تَعالى إِلَيْهِ : إِنَّكَ سَتُخْبِرُ إِخْوَتَكَ بما فَعلوهُ بِكَ في الوَقْتِ الَّذي يَشاؤُهُ اللهُ ، وهُمْ لا يَعْلَمونَ أَنَّكَ يُوسُفُ حينَ تُخْبِرُهُمْ بِمُؤامَرَتِهِمْ ، لاعْتِقادِهِمْ أَنَّكَ قَدْ هَلَكْتَ ، وفي هذا الوَحْيِ تَطْمينٌ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وتَبْشيرٌ لَهُ بالنَّجاةِ مِمَّا هُوَ فيهِ .

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ بَعْدَ أَنْ حَلَّ الظلامُ يتظاهَرونَ بالبُكاءِ والحُزْنِ على أخيهِمْ ، واختاروا الرَّجوعَ في اللَّيْلِ لِئَلا يَظْهَرَ كَذِبُهُمْ ، وَلَوْ جاءوا في النَّهارِ لَظَهَرَ التَّكَلُّفُ والاصْطِناعُ على وجُوهِهِمْ .

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِمْ : يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَتَسابَقُ في العَدْوِ أَوْ في رَمْيِ السِّهامِ ، وَتَرَكْنا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَ حَوائِجِنا الَّتي أَخَذْناها مَعَنا لِيَحْرُسَها ويَحْفَظَها لَنا ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَتَلَهُ وأَكَلَهُ وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ شيئاً ، وما أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنا فيما أَخْبَرْناكَ بهِ مِنْ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ أَخانا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتَّى وَلَوْ كُنَّا صادِقينَ في ذَلِكَ ، لِسوءِ ظَنِّكَ بِنا وَشِدَّةِ حُبِّكَ لَهُ .

بَلْ أضافوا أَمْراً آخَرَ :

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ أَحْضَروا قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ لَطَّخوهُ بِدَمٍ كاذِبٍ ؛ أي لَيْسَ دَمَ يُوسُفَ ، لِيوهِمُوا

أباهُمْ أَنَّ هذا هُوَ دَمُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَوَصْفُ الدَّمِ بأنَّهُ كَذِبٌ أي بالمَصْدَرِ لِلْمُبالغَةِ : كأنَّهُ نَفْسُ الكَذِبِ ، إلاَّ أنَّ هذهِ الحِيلَةَ لَمْ تَنْطَلِ على يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَلَقَدْ أدْرَكَ مِنْ قَسَماتِ وُجوهِهِمْ ، وَعَدمِ تَمَزُّقِ القَميصِ ، وَمِنْ شُعورِهِ الدَّاخِلِيِّ أنَّهُمْ كاذِبونَ وأنَّهُمْ قَدْ دَبَّروا مَكيدةً لأخيهِمْ ، فَقالَ لَهُم : لَيْسَ الأمْرُ كَما زَعَمْتُم مِنْ أَنَّ الذِّئْبَ أكَلَ يُوسُف ، وإنَّما زَيَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكمُ التَّخَلُّصَ مِنْ أَخيكُمْ وإبْعادَهُ عنِّي ، وسَأَصْبِرُ على ذَلِكَ صَبْراً لا أَشْكو فيهِ الأَمْرَ إلاَّ للهِ ، ولا أَرْجُوا الفَرَجَ إلاَّ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتعانُ بهِ لإظْهارِ حَقيقةِ ما تَزعُمونَ .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

انتَقَلتِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ ما حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ أَلْقاهُ إخْوتُهُ في البئْرِ ، فَقَدْ مَرَّتْ بجوارِ البئْرِ قافِلَةٌ مِنَ المُسافِرينَ ، فأرْسَلوا مَنْ يَبْحَثُ لَهُمْ عَنِ الماءِ ، فَوَجَدَ البئْرَ ، فَأَرسَلَ دَلْوَهُ فيهِ فَتَعلَّقَ بهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فظَنَّ الواردُ أَنَّ الدَّلْوَ امْتَلأتْ ماءً فَأَخْرَجَها ، فَلَمَّا رَأى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَرِحَ بهِ وَسُرَّ سُروراً عَظيماً ، وأخْفاهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ في بِضاعَتِهِمْ حتَّى لا يَدَّعيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ، ولا يَطْلُبُهُ أَحَدٌ مِنَ السُّكَّانِ المُجاوِرينَ لِلْجُبِّ ، وحَمَلوهُ مَعَهُمْ إلى مِصْرَ لِيَبيعوهُ كَما يَبيعونَ أيَّ بِضاعَةٍ ، واللهُ أَعْلَمُ بما يَعْمَلونَ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ ما فَعَلَهُ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ويَعْلَمُ ما فَعَلَتْهُ السَّيَّارَةُ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿يا بُشْرَى﴾ ، دِلالَةٌ على عَظيمِ سُرورِ الواردِ حِينَ رَأى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامَ فَنادَى على البِشارَةِ كَأَنَّها شَخْصٌ عاقِلٌ يَسْتَحِقُّ النِّداءَ ، فَقَدْ حانَ وَقْتُ إقْبالِ البُشْرَى لِما حَصَلَ .

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

باعَ المُسافِرونَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِثَمَنٍ قَليلٍ تافِهٍ ، لا يَتَجاوَزُ دَراهِمَ مَعْدُودَةً ، وفي وَصْفِ الدَّراهِمِ بأنَّها (مَعْدودةٌ) ما يُشيرُ إلى قِلَّتِها ، وكانوا غَيْرَ راغِبينَ في بَقاءِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَهُم ، بَلْ سارعوا إلى التَّخلُّصِ مِنْه وَلَوْ بِثَمنٍ قَليلٍ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يُطالِبُهُمْ بِهِ ، فَباعُوهُ عِنْدَ أَوَّلِ فُرْصَةٍ أُتيحَتْ لَهُمْ ، وكانَ ذَلِكَ في مِصْرَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَدْ يَكونُ وَحْيُ اللهِ لِيوسُفَ رُؤْيا مَنامية ، لأنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامَ كانَ صَبِيّاً آنَذاكَ .

٢ـ إذا جاءَكَ الخَصْمُ يَبْكي فلا تُصَدِّقْهُ حَتَّى يُقَدِّمَ دَليلَ صِدْقِهِ ، فَقَدْ جاءَ إخْوَةُ يوسُفَ أباهُمْ عِشاءً يبْكونَ .

٣ـ رِعايةُ اللهِ تَعالى لِعَبْدِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ إذ بَشَّرَهُ وَهُوَ في الشِّدَّةِ والضِّيقِ بالفَرَجِ والنَّجاةِ .

٤ـ الاسْتِدلالُ على الأمْرِ بالأَماراتِ والعَلاماتِ ، فَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ يَعقوبُ على كَذِبِ أَبْنائِهِ أَنَّ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ سَليماً غَيْرَ مُمَزَّقٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا تعمَّدَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الرُّجوعَ عِشاءً ؟

٢ـ بِماذا حاولَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَغْطِيَةَ جَريمَتِهِمْ ؟

٣ـ ما الَّذي دعا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِعَدَمِ تَصْديقِ أَبْنائِهِ في دَعوى أَكْلِ الذِّئْبِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الَّذي حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ إخْوَتُهُ في البِئْرِ ؟

٥ـ لِماذا باعَ السَّيَّارَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ؟

نَشاطٌ :

ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ بِلُغَةٍ سَليمةٍ أَحداثَ المَشْهَدِ الأَوَّلِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ مِنَ الرُّؤْيا حَتَّى بَيْعِهِ في مِصْرَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَكْرِمي مَثْواهُ : أَحْسِني الاعْتِناءَ بِهِ .

مَكَنّا لِيوسُفَ : جَعَلْنا لَهُ مَكانةً وَمَنْزِلَةً .

غالِبٌ على أَمْرِهِ : قادِرٌ على ما يَشاءُ .

بَلَغَ أَشُدَّهُ : مُنْتَهى قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ .

حُكْماً : حِكْمَةً .

راوَدَتْهُ : طَلَبَتْ مِنْهُ مُواقَعَتَها .

هَيْتَ لَكْ : أَقْبِلْ .

مَعاذَ اللهِ : أَسْتَجيرُ باللهِ ، وأَلْجَأُ إِلَيْهِ .

هَمَّتْ بِهِ : عَزَمَتْ على تَمْكينِهِ مِنْ نَفْسِها لِيُواقِعَها .

لَوْلا : حَرفُ امْتِناعٍ لِوُجودٍ ، يُفيدُ أَنَّ الهَمَّ لَمْ يَقَعْ مِنْ طَرَفِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرُؤْيَتِهِ بُرْهانَ ربِّهِ .

بُرْهانَ رَبِّهِ : أَمْرٌ عَظيمٌ أَراهُ اللهُ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لا نَعْلَمُ ما هُوَ .

المُخْلَصينَ : الَّذينَ اخْتارَهُمُ اللهُ ، وأَخْلَصَهُمْ لَهُ .



تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ أَنَّ المُقامَ اسْتَقَرَّ بِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في مِصْرَ ، وفي بَيْتِ عَزيزِ مِصْرَ وَهُوَ أَحَدُ وِزراءِ الدَّوْلَةِ ، وما تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ فِتَنٍ ومِحَنٍ قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

لَقَدْ باعَ المُسافِرونَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، واشْتَراهُ مِنْهُم رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، هُوَ العزيزُ ؛ أيْ وَزيرُ المَلِكِ ، وَلَقَدْ أَوْصى امْرَأَتَهُ أَنْ تُحْسِنَ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَنْ تَعْتَنِيَ بِهِ وتُكْرِمَهُ غايةَ الإِكْرامِ ، وقالَ لَها : لَعلَّنا نَنْتَفِعُ مِنْهُ في قَضاءِ مَصالِحِنا أَوْ نَتَّخِذَهُ لَنا وَلَداً ، وإِنَّما قالَ ذَلِكَ لِما رَآهُ في يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ مَظاهِرِ النَجابَةِ والرُّشْدِ ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَرَغِبَ في تَبَنِّي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

وهُنا يُخْبِرُ سُبحانَهُ أَنَّه كما أَنْقَذَ يُوسُفَ مِنْ مُؤامَرَةِ إِخْوَتِهِ وَمِنَ الجُبِّ ، جَعَلَ لَهُ مَكانةً عَظيمةً في أَرْضِ مِصْرَ ، حيثُ أَدَّى إِكْرامُ العزيزِ لَهُ إلى اشْتِهارِهِ كَما أَدَّى حُسْنُ خُلُقِهِ ونُبْلُ صِفاتِهِ إلى تَوْثيقِ مَكانَتِهِ ، زِدْ على ذَلِكَ ما عَلَّمَهُ اللهُ تعالى مِنْ تَعْبيرِ الرُّؤْيا ، وإذا أَرادَ اللهُ تَعالى شَيئاً غَلَبَ مُرادُهُ ، وحَصَلَ أَمْرُهُ لا يَمْنَعُه مانِعٌ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ ذَلِكَ ، ولَوْ عَلِموا لَتَوكَّلوا على اللهِ حَقَّ التوكُّلِ واسْتَجابوا لأَمْرِهِ ولَمْ يَعْصوهُ وَلَمْ يَخْرُجوا عَنْ طاعَتِهِ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ومِنْ مَظاهِرِ إِنْعامِ اللهِ تَعالى على يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّه حينَ بَلَغَ مُنْتَهى شِدَّتِهِ وقُوَّتِهِ ، بِكَمالِ عَقْلِهِ واسْتِواءِ جِسْمِهِ آتاهُ اللهُ تعالى الحِكْمَةَ والنُبوَّةَ والفِقْهَ في الدِّينِ والفَهْمَ السَّليمَ لِتَفْسيرِ الأَحْلامِ ، والإِدْراكَ الواسِعَ لأُمورِ الدِّينِ والدُّنْيا ، ومِثْلُ هذا الجزاءِ الحَسَنِ والعطاءِ الكريمِ ، يَجْزي اللهُ بِهِ الَّذينَ يَتحلَّوْنَ بِصِفَةِ الإِحْسانِ فَمَنْ أَحْسَنَ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ أَحْسَنَ اللهُ تعالى إليهِ .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

في هَذِهِ الآيَةِ الكريمةِ إِخْبارٌ عمَّا فَعلَتْهُ امْرَأةُ العَزيزِ ، فَقَدْ كانتْ تَرى رَجاحَةَ عَقْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وفَضْلَهُ وحِكْمَتَهُ ، وعَظيمَ جَمالِهِ ، وحُسْنَ مَظْهَرِهِ ، فَطلَبَتْ مِنْهُ في رِفْقٍ وَلينٍ ومُخادَعَةٍ أَنْ يُخالِطَها مُخالَطَةَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ ، بَعْدَ أَنِ احْتاطَتْ لإِنْجاحِ مُرادِها بِإحْكامِ إغْلاقِ الأَبْوابِ ، كما يُفيدُهُ التَّشديدُ في (غَلَّقَتْ) وصَرَّحَتْ بِمُرادِها مِنْهُ بِقَوْلِها : (هَيْتَ لَكَ) أَيْ ها أنا ذا مُهَيَّأَةٌ لَكَ فَأَسْرِعْ في الإِقْبالِ عَلَيَّ ، وهذا التَّصَرُّفُ مِنَ امْرَأَةِ العَزيزِ خُروجٌ عَنِ المَأْلوفِ مِنْ تَصَرُّفاتِ النِّساءِ ، ودَليلٌ على عَظيمِ تَعلُّقِها بِهِ ورَغْبَتِها فيه وحُبِّها لَهُ .

وفي تَعْبيرِ الآيةِ عَنْها بأَنَّها (الَّتي هُوَ في بَيْتِها) مِنْ دُونِ ذِكْرِ اسْمِها سِتْرٌ لَها وابْتِعادٌ عَنِ التَّشْهيرِ بِها ، ولَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّهُ ما دامَ في بَيْتِها فَسوفَ يُسارِعُ لِتَلْبِيَةِ رَغْبَتِها لَكِنَّهُ سارعَ عَلَيْهِ السلامُ دونَ تَرَدُّدٍ ولا تَلَعْثُمٍ ، كما يُشيرُ إلى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى : (قالَ مَعاذَ اللهِ) إلى اسْتِنْكارِ ما طَلَبَتْهُ مِنْهُ ، واللُّجوءِ إلى اللهِ تَعالى والاعْتِصامِ بِهِ أَنْ يُبْعِدَهُ عَمَّا تَدْعوهُ إِلَيْهِ ، ومُرادُهُ بِقَوْلِهِ (إِنَّهُ رَبِّي) أَيْ صاحِبُ المَنْزِلِ الّذي أَنْزَلَهُ في دارِهِ وأَحْسَنَ إليهِ فلا يَجوزُ لَهُ خِيانَتُهُ في أَهْلِهِ .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

الهَمُّ : المقارَبَةُ مِنَ الفِعْلِ دونَ الدُّخولِ فيهِ ، ولَقَدْ هَمَّتِ امْرَأَةُ العَزيزِ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تُريدُ الفاحِشَةَ والزِّنى ، أَمَّا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَلَمْ يَهِمَّ بِها بِسوءٍ لأَنَّهُ رَأى بُرْهانَ ربِّهِ ولا نَدْري ماهِيَّةَ البُرْهانِ الَّذي رَآهُ ، ولكنَّهُ شاهَدَ أَمْراً أَراهُ اللهُ إِيَّاهُ فَعَصَمَهُ بِهِ مِنَ الفاحِشَةِ ، وكانَ هذا التَّثْبيتُ مِنَ اللهِ تَعالى لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَعْصِمَهُ مِنَ الوُقوعِ في السُّوءِ والمَكْروهِ ، وإِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ عِبادِ اللهِ الَّذينَ أَخْلَصَهُمْ سُبْحانَهُ لِطاعَتِهِ وَعَصَمَهُمْ مِنْ عِصْيانِهِ ، وَفي هذا البَيانِ الإلهيِّ نَفْيُ حُصولِ الهَمِّ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلام ، فَقَدِ امْتَنَع الهَمُّ لِوُجودِ البُرْهانِ ، واللهُ تعالى أَعْلَمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ يُيَسِّرُ اللهُ تَعالى لِلصَّالحينَ مِنْ عِبادِهِ أُمورَهُمْ ، وَيُسَخِّرُ لِتَحْقيقِ ذَلِكَ مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ .

٢ ـ يَجْزي اللهُ تَعالى على الإحْسانِ إِحْساناً أَعْظَمَ وأَفْضَلَ .

٣ ـ شِدَّةُ التَّعَلُّقِ بالشَّيْءِ يُخْرِجُ المَرءَ عَنْ طَوْرِهِ ، ويَجْعَلُهُ يَتَصرَّفُ تَصرُّفاً مُنْدَفِعاً مُتَهوِّراً لا تُحْمَدُ عُقْباهُ .

٤ـ تَذَكُّرُ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى المَرءِ يُبْعِدُهُ عَنِ الوُقوعِ في المَعْصِيَةِ .

٥ـ الاعْتِصامُ باللهِ تعالى واللُّجوءُ إليهِ في الكُروبِ والمَواقِفِ العَصيبَةِ يُنْجي المُسْلِمَ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ .

٦ـ خُطورةُ الاخْتِلاطِ وأَنَّهُ يُؤَدّي إلى عَواقِبَ وَخيمَةٍ وَهُوَ مَرْتَعٌ خِصْبٌ لِحبائِلِ الشَّيْطانِ وكَيْدِ النِّساءِ .

٧ـ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قُدْوَةٌ لِلشَّبابِ المُؤْمِنِ في التَّرَفُّعِ عَنِ الفاحِشَةِ .

٨ـ خيانَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ صِفَةٌ ذَميمةٌ لا يُقْدِمُ عَلَيْها إلاَّ الجاهِلونَ .



أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا طَلَبَ عَزيزُ مِصْرَ مِنَ امْرَأتِهِ إِكْرامَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ عَدَدٌ مِنَ النِّعَمِ الَّتي أَنْعَمَ اللهُ تَعالى بِها على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ . اذْكُرْ هذهِ النِّعَمَ .

٣ـ ما السَّبَبُ الَّذي دَعا امْرَأَةَ العَزيزِ إلى طَلَبِ الفاحِشَةِ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما الأُمورُ الَّتي فَعَلَتْها امْرَأَةُ العَزيزِ تَمْهيداً لِفِعْلِ الفاحِشَةِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ بماذا رَدَّ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ على طَلَبِ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٦ـ بَيِّنْ معنى ما يلي :

أـ ولِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْويلِ الأَحاديثِ .

ب ـ آتَيْناهُ حُكْماً وعِلْماً .

ج ـ وهَمَّ بِها لَوْلا أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ .

د ـ إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُخْلَصينَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ بِدايَةِ حَياةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ويُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بُيوتِ أَهْلِ الحُكْمِ في مِصْرَ .

٢ـ تَتَبَّعِ الأَقْوالَ الَّتي وَرَدتْ في بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِير عَنْ مَعنى هَمِّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بامْرأَةِ العَزيزِ ، وَعَنْ بُرْهانِ رَبِّه ، وَفَنِّدْ هَذِهِ الأَقْوالَ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْتَبَقا البابَ : تَسابقا لِلْوُصولِ إلى البابِ .

قَدَّتْ قَميصَهُ : شَقَّتْهُ .

ألْفيا : وَجَدا .

سَيِّدَها : زَوْجَها .

مِنْ دُبُرْ : مِنْ خَلْفٍ .

مِنْ قُبُلٍ : مِنْ أَمامٍ .

كَيْدَكُنَّ : مَكْرَكُنَّ وخِداعَكُنَّ .

التفسيرُ :

في آياتِ هَذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَمَّا حَصَلَ مَعَ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ راوَدَتْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَثُبوتُ بَراءَتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ مِنَ اتِّهامٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ امْتَنَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا طَلَبَتْهُ مِنْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ وَتَذَكَّرَ فَضْلَ اللهِ تعالى عَلَيْهِ ، اتَّجه نَحْوَ الباب مُسْرِعاً يُريدُ الخُروجَ والابْتِعادَ عَنْ هذا المَكانِ الَّذي تُريدُ امْرَأَةُ العَزيزِ مِنْهُ فِعْلَ الفاحِشَةِ فِيهِ ، وأَسْرَعَتْ هِيَ خَلْفَهُ تُريدُ مَنْعَهُ مِنَ الخُروجِ وحَمْلَهُ على الاسْتِجابَةِ لِطَلَبِها ، وشَقَّتْ قَميصَهُ مِنَ الخَلْفِ وهِيَ تُحاوِلُ جَذْبَهُ وإيقافَهُ ، وحينَ وَصَلا إلى الباب وفَتَحَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَجَدا زَوْجَها عِنْدَ الباب ، فبادرَتِ المَرْأَةُ عِنْدَما فُوجِئَتْ بِزَوْجِها إلى اتِّهام يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَلْبِ الحقيقةِ وطَلَبَتْ مِنْ زَوْجِها أَنْ يُعاقِبَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذي أَرادَ السُّوءَ بِأَهْلِهِ وَعِرْضِهِ ، بالسِّجْنِ أَوِ العَذابِ الأَليمِ . أَرادَتْ بِهذا أَنْ تُبْعِدَ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِها ، وأَنْ تُبَيِّنَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قُدْرَتَها على سِجْنِهِ أَوْ تَعْذيبِهِ لَعَلَّهُ يَسْتَجيبُ لِرَغْبَتِها مُضْطَرّاً بَعْدَ أَنْ رَفَضَ الاسْتِجابَةَ لَها مُخْتاراً .

وفي الآيَةِ الكَريمةِ إفْرادُ لَفْظِ (الباب) بَعْدَ جَمْعِهِ في قوله (وَغلَّقَتِ الأبوابَ) لأَنَّ المُحْتاطَ يُغْلِقُ جَميعَ الأَبْوابِ ، والهارِبُ يَلْجَأُ إلى بابٍ واحِدٍ ، وَقِيلَ المُرادُ بالبابِ هُنا : البابُ الخارجيُّ ، وفي الآيَةِ الكَريمَةِ التعبيرُ عَنِ الزَّوْجِ بالسَّيِّدِ إشارةً إلى قَوامَةِ الزَّوْجِ على المَرْأَةِ ، وأُضِيفَ اللَّفْظُ إليْها (سَيِّدَها) دُونَ إضافَتِهِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوْ إلَيْهِما مَعاً تَكْريماً لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ورَفْعاً لِشَأْنِهِ وتَبْييناً لِحُرِّيَتِهِ الكامِلَةِ وأَنَّهُ لَيْسَ عَبْداً مَمْلوكاً يُباعُ ويُشْتَرى .

وعَبَّرَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ عَنْ نَفْسِها بأَنَّها أَهْلُ العَزيزِ لاسْتِثارَتِهِ ، وإيقاظِ حَمِيَّتِهِ ، كَما عَبَّرَتْ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بـ (مَن) لِتَهْويلِ الأَمْرِ ، وفي هَذا الكلامِ الصَّادِرِ مِنَ امْرَأةِ العَزيزِ دَليلٌ على عَظيمِ مَكْرِها ودَهائِها .

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

سارَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى نَفْيِ هَذِهِ التُّهْمَةِ عَنْ نَفْسِه ، وَتَبْيينِ ما حَصَلَ ، وأَنَّها هِيَ الَّتي راوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وأَغْرَتْهُ بارْتِكابِ ما لا يَليقُ مَعَها وأَنَّهُ امْتَنَعَ عَنْ ذَلِكَ . وفي مِثْلِ هذه الحالَةِ الَّتي يَخْتَلِفُ فيها كَلامُ الخَصْمَيْنِ يَحْتاجُ الأَمْرُ إلى تَفكْيرٍ ورَوِيَّةٍ ومُشاوَرَةٍ ، وَهُنا تَتَدخَّلَ عِنايةُ اللهِ بِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَدْ تَكَلَّمَ رَجُلٌ حَكيمٌ مِنْ أَهْلِ المَرْأَةِ مُرْشِداً إلى دَليلٍ قاطع يَرْفَعُ الخِلافَ ويَحُلُّ الإِشْكالَ ، وَهُوَ النَّظَرُ في الشَّقِّ الّذي حَصَلَ في قَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فإذا كانَ الشَّقُّ في القَميصِ مِنْ أمامٍ فَهِي صادِقَةٌ في دَعْواها وأَنَّها تكونُ تُدافِعُ عَنْ نَفْسِها وهُوَ مُنْدَفِعٌ نَحْوَها ، وهُو في هذه الحالةِ مِنَ الكاذِبينَ في دَعْواهُ .

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وإنْ كانَ هذا الشَّقُّ مِنْ جهَةِ الظَّهْرِ فَهُوَ صادِقٌ وهِيَ كاذِبَةٌ ، لأنَّ هذا الشَّقَّ يُؤْذِنُ بأنَّها تَبِعَتْهُ وجَذَبَتْ ثَوْبَهُ مِنَ الخَلْفِ لِتَمْنَعَهُ مِنَ الهَرَبِ .

وسُمِّيَ هَذا الرَّجُلُ شاهِداً لأنَّ ما دَعا إليْهِ مِنَ الاحْتِكام إلى القَرينَةِ القاطِعَةِ يُشْبِهُ الشَّهادَةَ في الوُصولِ إلى الحُكْمِ العادِلِ ، وكَوْنُ هذا الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِها ، فهذا أَوْجَبُ لِلْحُجَّةِ عَلَيْها ، وأَنْفى للتُّهْمَةِ عَنْهُ ، وَلذِا فإنَّهُ قَدَّمَ في كَلامِهِ ما يُؤَدِّي إلى بَراءَةِ امْرَأَةِ العَزيزِ على ما يُؤَدِّي إلى اتِّهامِها .

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فلَمَّا رَأى هَذا الشَّاهدُ قميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ شُقَّ مِنَ الخَلْفِ قالَ مُخاطِباً زَوْجَةَ العزيزِ : إنَّ كلامَكِ في تَوْجيهِ الاتِّهامِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الكَيْدِ الَّذي تَقومُ بهِ النِّساءُ نَحْوَ الرِّجالِ ، وإنَّ كَيْدَ النِّساءِ ومَكْرَهُنَّ عَظيمٌ ، لأنَّ كَثيراً مِنَ الرِّجال لا يَفْطَنونَ إلى مَراميهِ .

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ثُمَّ وَجَّهَ كَلامَهُ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا حَصَلَ ويَكْتُمَهُ ولا يَتحدَّثَ فيهِ ، خَوْفاً مِنَ الفَضيحةِ بِذُيوعِ الكَلام ، ووَجَّهَ كلامَهُ إلى امْرَأَتِهِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ مِمَّا وَقَعَ مِنها مِنْ مُحاوَلَةِ الإيقاع بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ثُمَّ اتِّهامِهِ بما هُوَ بَريءٌ مِنْهُ ، فإنَّ هذا الفِعْلَ مِنْها جَعَلَها مِنْ جُمْلَةِ الخاطِئينَ الَّذينَ يَتعمَّدونَ ارْتِكابَ الذُّنوبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ الاحْتِكامُ إلى القَرائِنِ والمُرَجِّحاتِ عِنْدَ فَقْدِ الشُّهودِ يُوصِلُ إلى الحُكْمِ العادِلِ .

٢ ـ مَشْروعيةُ الدِّفاعِ عَنِ النَّفْسِ أمامَ الاتِّهامِ الباطِلِ .

٣ ـ اسْتِحْبابُ السَّتْرِ على المُسيءِ وكَراهةُ إشاعَةِ الذُّنوبِ بَيْنَ النَّاسِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ ما السَّبَبُ الّذي دَعا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى الهُروبِ مِنَ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٢ ـ لماذا قَدَّتِ امْرَأَةُ العَزيزِ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ ـ كَيْفَ واجَهَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ المَوْقِفَ المُحْرِجَ حينَ أَلْفَيا سَيِّدَها لَدى البابِ ؟

٤ ـ ما خُلاصَةُ ما قالَهُ الشَّاهِدُ ؟ وما وَجْهُ الصِّحَّةِ فيهِ ؟

٥ ـ لِماذا قَدَّمَ الشَّاهِدُ ذِكْرَ ما يَتعلَّقُ بِبراءَةِ المَرْأَةِ مِنَ التُّهْمَةِ ؟

٦ ـ ما وَجْهُ تَسميةِ هذا الرَّجُلِ الحَكيمِ شاهِداً ؟

٧ ـ ما الحُكْمُ الَّذي أَصْدَرَهُ العَزيزُ في هَذِهِ القَضَّيةِ ؟

٨ ـ كَيْفَ نَجَّى اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ هَذهِ التُّهَمِ السَّيِّئَةِ ؟

نَشاطٌ :

ـ ما السِّلاحُ الَّذي تَلْجأُ إليهِ المَرْأَةُ إذا تَضايَقَتْ ؟ اكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَتاها	: عَبْدَها والمَقْصودُ به هُنا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ .
شَغفَها حُبّاً	: أحاطَ حُبُّهُ بِقَلْبِها وتَمكَّنَ فيهِ .
بِمَكْرِهِنَّ	: ذَمِّهِنَّ لَها .
وأعْتَدَتْ لَهُنَ مُتَكَا	: هيَّأَتْ لَهُنَّ ما يَتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنْ أَوْسِدَةٍ ومِخَدّاتٍ .
أكْبَرْنَهُ	: دُهِشْنَ مِنْ عَظيم جَمالهِ .
قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ	: جَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ .
حاشَ للهِ	: تَنْزيهاً للهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .
فاسْتَعْصَمَ	: فامْتَنَعَ .
الصَّاغِرينَ	: المُهانِينَ .
أَصْبُ إلَيْهِنَّ	: أميلُ إلى إجابَتِهِنَّ .



التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ حِكايَةُ ما حَصَلَ بَعْدَ انْتِشارِ الخَبَرِ ، وَما فَعَلَتْهُ امْرَأَةُ العَزيزِ بِنساءِ المَدينَةِ ، ومَوْقِفُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

انْتَشَرَ خَبَرُ زَوْجَةِ العَزيزِ وأَصْبَحَ حَديثَ نِساءِ الطَّبَقَةِ العالِيَةِ وأَخَذَتْ مَجْموعَةٌ مِنْ نِساءِ مَدينَةِ مِصْرَ يَتَحَدَّثْنَ فيما بَيْنَهُنَّ عمَّا حَصَلَ ، بَعْدَ أَنْ تَناقَلَتِ الأَلْسِنَةُ مُراوَدَةَ امرأةِ العزيزِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ نَفْسِهِ ، وانْتَقَدْنَ فِعْلَ امْرَأَةِ العَزيزِ صاحِبَةِ المَكانَةِ العالِيَةِ الَّتي تَصرَّفَتْ هذا التَّصرُّفَ غَيْرَ اللائِقِ بِها ، ونَزَلَتْ إلى مُسْتَوى خادِمِها تَعْرِضُ نَفْسَها عَلَيْهِ ، لابُدَّ وَأَنْ حُبَّها لَهُ قَدِ امْتَلَكَ قَلْبَها وَسَيْطَرَ عَلَيْهِ وأحاطَ بِشِغافِهِ مِمَّا جَعَلَها تُراوِدُهُ عَنْ نَفْسِها ، وقَرَّرْنَ أَنَّ امْرَأَةَ العَزيزِ وَقَعَتْ في خَطأٍ فادِحٍ ظاهِرٍ .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

لَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ بِما قالَهُ هَؤلاءِ النِّسْوَةُ في شَأْنِها دبَّرَتْ لَهُنَّ مَكيدةً وَجَمَعَتْهُنَّ عِنْدَها لِيَرَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَعْذُرْنَها في حُبِّها لَهُ ، فَدَعَتْهُنَّ وَهَيَّأَتْ لَهُنَّ في مَجْلِسِ الطَّعامِ ما يَتَّكِئْنَ عَلَيْهِ مِنْ وسائِدَ وَنَحْوِها ، وأَعْطَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً لِتَقْطَعَ بِها ما تأْكُلُه مِنْ لَحْمٍ وفاكِهَةٍ وَغَيْرِهِ ، وفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَهُنَّ مُنْشَغِلاتٌ بِتَناوُلِ الطَّعامِ وَتَقْطيعِهِ أَمَرَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَبْرُزَ لَهُنَّ ، وكانَ لِهذِهِ المُفاجَأَةِ وَقْعُها الكَبيرُ على نُفوسِهِنَّ ، حَيْثُ دُهِشْنَ لِجمالِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَحُسْنِ هَيْئَتِهِ حتَّى إنَّهُنَّ جَرَحْنَ أَيْدَيَهُنَّ بالسَّكاكينِ مِنْ دونِ أَنْ يَقْصُدْنَ ذَلِكَ لِشدَّةِ الدَّهْشَةِ والمُفاجأَةِ ، فقالتْ لَهُنَّ لَقَدْ حَصَلَ مِنْكُنَّ هذا لِرُؤْيَتِهِ لِمَرَّةٍ واحِدَةٍ فَكَيْفَ بِمَنْ تَعيشُ مَعَهُ ، وقُلْنَ في دَهْشَةٍ وتَعَجُّبٍ : سُبْحانَ اللهِ ، هذا الَّذي نَراهُ لَيْسَ بَشَراً بَلْ هُوَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ ، يَقْصُدْنَ بِذَلكَ أَنَّهُ في أَعْلى درجاتِ الحُسْنِ والجَمالِ .

وفي الآيَةِ الكَريمَةِ التَّعبيرُ عَنْ كَلامِ النُّسْوَةِ بالمَكْرِ لِشَبَهِهِ بِهِ ، ولأَنَّهُنَّ قَصَدْنَ مَعْرِفَةَ تَفاصِيلِ ما حَدَثَ ، وَسِرَّ ما تَمَّ .

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَتِ امرأةُ العزيزِ كلامَ النِّسْوَةِ وَرَأَتْ ما أَصابَهُنَّ مِنْ دَهْشَةٍ عِنْدَ رُؤْيَتِهِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالتْ لَهُنَّ : هذا الَّذي وَجَّهْتُنَّ إليَّ اللَّومَ في حُبِّي لَهُ ، أما وَقَدْ حَصَلَ ما حَصَلَ مِنْ دَهْشَةٍ وَجَرْحِ أَيْديكُنَّ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ فإنِّي معْذورةٌ فيما حَدَثَ مِنِّي مَعَهُ ، وإنِّي قَدْ حاوَلْتُ مَعَهُ بِشَتَّى الوَسائِلِ والمُغْرياتِ فامْتَنَعَ عَنِّي وأَبى مُطاوَعَتي ، وإنَّه إنْ لَمْ يُطِعْني فيما أُريدُ مِنْهُ فإنِّي سآمُرُ بسِجْنِه عُقوبَةً لَهُ ، لِيَكونَ مِنَ الأَذِلاَّءِ المُهانِينَ ، وَفي كَلامِها هذا دَليلٌ على ثِقَتِها مِنْ قُدْرَتِها على فِعْلِ ذَلِكَ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ تَهْديدَ امْرَأَةِ العَزيزِ وإصْرارَها على ما تُريدُ خَشِيَ على نَفْسِهِ مِنَ الوُقوعِ في حَبائلِها ، فقالَ مُناجياً رَبَّهُ : يا ربُّ إنَّ السجنَ الَّذي تُهَدِّدُني بهِ امْرَأَةُ العزيزِ أحبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعونَني إلَيْهِ هؤلاءِ النِّسْوَةُ مِنَ ارْتِكابِ الفاحِشَةِ ، وإنْ لَمْ تَصْرِفْ عَنِّي يا ربُّ كَيْدَهُنَّ ، وَمُحاوَلَتَهُنَّ إيقاعي في حَبائِلِهِنَّ بِتَثْبيتي على ما أنا عَلَيْهِ أَمِلْ إلى جانِبِهِنَّ ، وأكونُ بذلكَ مِنَ السُّفَهاءِ الَّذين يَتَّبِعونَ شَهواتِهِمْ ويَرْتَكِبونَ القبائحَ والمُنْكَراتِ .

وفي إسْنادِ الدَّعْوَةِ إلى النِّسْوَةِ في الآيةِ دَليلٌ على أنَّهُنَّ دَعَوْنَهُ لِطاعَتِها وخَوَّفْنَهُ مِنْ عِصيانِ أَمْرِها ، وأَنَّهُنَّ وافَقْنَها على ما تُريدُ مِنْهُ ، وفي قولِهِ : (وإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ . .) إشارةٌ إلى الضَّعْفِ البَشَرِيِّ أمامَ المُغْرياتِ .

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِدُعاءِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَدَفَعَ عَنْهُ كَيْدَ هَؤلاءِ النِّسْوَةِ ، وَثَبَّتَهُ على مَوْقِفِهِ الرَّافِضِ لإغْرائِهِنَّ وعَصَمَهُ مِنَ الفاحِشَةِ ، إنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ السَّميعُ لِدُعاءِ الدَّاعينَ والعَليمُ بأحوالِ القُلوبِ والعِبادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيانُ طَبيعةِ النَّاسِ في تَتَبُّعِ الأَخْبارِ والرَّغْبَةِ في مَعْرِفَةِ الأَسْرارِ .

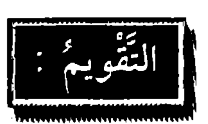
٢ـ عِظَمُ دَهاءِ بَعْضِ النِّساءِ وَمَكْرِهِنَّ فامْرَأَةُ العَزيزِ أَعَدَّتْ حِيلةً ماكِرَةً للنِّسْوَةِ لِتَقْنِعَهُنَّ بِصِحَّةِ ما فَعَلَتْ .

٣ـ ضَعْفُ الإنسانِ قَدْ يَجرُّهُ لارتكابِ المَعاصِي والمُحَرَّماتِ إنْ لَمْ يَلْجَأ إلى اللهِ ويَسْتَعِنْ بِهِ على العِصْمَةِ والثَّباتِ .

٤ـ اللهُ تَعالى يَسْتَجيبُ لِلدُّعاءِ الصَّادِقِ المُخْلِصِ مِنْ عِبادِهِ الصَّالِحينَ .

٥ـ قُلوبُ العبادِ بَيْنَ يَدي اللهِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ صَرَفَ كَيْدَ النِّسْوَةِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأنْ أدْخَلَ في نُفوسِهِنَّ اليَأْسَ مِنَ اسْتِجابَتِهِ لَهُنَّ .

٦ـ الثَّباتُ أَمامَ المِحَنِ والفِتَنِ والمُغْرِياتِ مِنْ عَلاماتِ الصَّلاحِ والخَيْرِ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ ماذا قالَ النِّسْوَةُ عَنِ امْرَأَةِ العَزيزِ ؟

٢ـ ما المَكِيدةُ الَّتي دبَّرَتْها امْرَأةُ العَزيزِ لإِقْناعِ النِّسْوَةِ كَيْ يَعْذُرْنَها ؟

٣ـ لِماذا قَطَّعَتِ النِّسْوَةُ أَيْدِيَهُنَّ ؟

٤ـ ماذا قالَتِ النِّسْوَةُ عِنْدَما رَأَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ بماذا هَدَّدتِ امْرَأةُ العَزيزِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ وما مَوْقِفُهُ مِنْ هَذا التَّهْديدِ ؟

٦ـ بِماذا دَعا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ ؟ وَهَلِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لَهُ ؟ أَيِّدْ إجابَتَك بِدَليلٍ .

٧ـ بَيِّنْ مَعنى كُلِّ ما يَلي :

أـ قَدْ شَغَفَها حُبّاً .

ب ـ وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً .

ج ـ حاشَ لله .

د ـ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شريفاً يُبَيِّنُ فيه رَسُولُ اللهِ ﷺ جَمالَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ اذْكُرِ الحَديثَ الشَّريفَ الَّذي يُبَيِّنُ أَجْرَ من دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالَ فَقالَ إنِّي أخافُ الله .

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَدا : ظَهَرَ .

الآياتِ : العلاماتِ الدَّالَّةِ على بَراءَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

حينٍ : مُدَّةٍ غَيْرِ مُحَدَّدَةٍ .

أعْصِرُ خَمْرا : أعصِرُ عِنَباً يُصْنَعُ مِنْهُ الخَمْرُ .

مِلّةَ : دِينَ .

التفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ ما تَعَرَّض لَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ظُلْمٍ وإدْخالِهِ السِّجْنَ ، وبَعْضَ ما حَصَلَ مَعَهُ فيهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

لَمَّا انْتَشَرَ خَبَرُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَشاعَ بَيْنَ النَّاسِ ، ظَهَرَ لِلْعَزيزِ وَحاشِيَتِهِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَقيناً بَراءَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِمَّا اتُّهِمَ بِهِ مِنْ خِلالِ الأَدِلَّةِ المُتَعَدِّدَةِ والبَراهِينِ القاطِعَةِ ، أَنْ يَسْجنوهُ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، حتَّى يَنْقَطِعَ حَديثُ النَّاسِ عَنْ هذا الأَمْرِ ، وَيَبْدُو لِلنَّاسِ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُوَ المُخْطِئُ ، وَهَذا القَرارُ كانَ بِتَأْثِيرٍ وَإيعازٍ مِنَ امْرأةِ العَزيزِ الَّتي هَدَّدَتْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ بالسِّجْنِ إنِ اسْتَمَرَّ في رَفْضِ الانْصِياعِ لأَمْرِها وإغْرائِها .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أُدْخِلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ السِّجْنَ ، ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتيانِ مِنْ خَدَمِ المَلِكِ ، وَرَأى كُلٌّ مِنْهُما في نَوْمِهِ حُلْماً ، فَلجأ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيخْبِرَهُما بِتَأويلِ ما رَأيا ، فَقالَ أَحَدُهُما : إنَّه رَأى في مَنامِهِ أَنَّهُ يَعْصِرُ عِنَباً لِيتحوَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ إلى خَمْرٍ ، وَقالَ الآخَرُ إنَّهُ رَأى في مَنامِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِهِ خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، وَطَلبا مِنْ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُخْبِرَ كُلاً مِنْهما بِتَأْويلِ حُلْمِهِ ، لأَنَّهُما يَريانِهِ مِنَ الّذينَ يُحْسِنونَ تَأْويلَ الأَحْلامِ ، وَمِنَ الَّذينَ يُحْسِنونَ إلى غَيْرِهِمْ بِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ والتَّخْفيفِ عَنْهُمْ .

ويَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِما لِيوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ (إنَّا نَراكَ مِنَ المُحْسِنينَ) أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يُحْسِنُ إلى مَنْ مَعَه في السِّجْنِ ويُعينُهمْ على ما يُريدونَ ، وأَنَّهُ كانَ يُخْبِرُهُمْ بِتَأْويلِ رُؤاهُمْ .

﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَهُما يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَأويلِ رُؤياهُما مَهَّدَ لِذلكَ بِأَنْ عَرَّفَهُما بِدينِهِ وَبِنَفْسِهِ وَدَعاهُما إلى تَوْحيدِ اللهِ تعالى وَعِبادَتِهِ ، وهذا شَأْنُ الأنبياءِ الكِرامِ والدُّعاةِ المُصْلِحينَ يَغْتَنِمونَ كُلَّ فُرْصَةٍ لِدَعْوَةِ الآخرينَ وَتَعْريفِهِمْ بالحَقِّ والهُدَى ، فَقالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُما : إنَّ رَبِّي عَلَّمَني أَشْياءَ تَفوقُ ما عِنْدَ الآخَرينَ ، فأَنا أُعَلِّمُكُما بِتَفاصيلِ الطَّعامِ الَّذي سَيَأْتِيكُما قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَيْكُما ، وَقَدْ عَلَّمَني رَبِّي هذا العِلْمَ ، فَلَسْتُ بِكاهِنٍ ولا مُدَّعٍ لِعِلْمِ الغَيْبِ ، وَقَدْ عَلَّمَني رَبِّي ذَلِكَ لأنَّني تَرَكْتُ دِينَ المُشْرِكين باللهِ ، الكافرينَ بالآخِرَةِ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالبَعْثِ ولا بالحِسابِ ، والمُرادُ بِتَرْكِهِ دِينَ الباطِلِ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ أَصْلاً ، كما يُؤَكِّدُ ذَلِكَ الآيَةُ التَّالِيَةُ ، وفي هَذهِ الآيَةِ الكَريمةِ تَبيينُ ما كانَ عَلَيْهِ العزيزُ وقَوْمُهُ مِنْ شِرْكٍ باللهِ دينٌ باطِلٌ ، وَلَمْ يُواجِهْهُما يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِبُطْلانِ دِينِهِما مُباشَرَةً لِيَسْتَميلَهُما إليْهِ .

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ عَلَيْهِ السَّلامُ بُطْلانَ دينِ الشِّرْكِ وأنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ، بَيَّنَ لَهُما الدِّينَ الحَقَّ الَّذي اتَّبَعَهُ ، وَهُوَ مِلَّةُ آبائِهِ الكِرام المُوَحِّدينَ للهِ تَعالى والمُوقِنينَ بالآخِرَةِ : إبراهيمَ وإسْحاقَ ويعقوبَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وسَمَّاهُمْ آباءَ لأنَّ الأجْدادَ آباءٌ ، وبَدَأ بأقْدَمِهِمْ لأنَّهُ أَصْلُ هَذهِ المِلَّةِ وتَلَقَّاها عَنْهُ أبناؤُهُ ، وسمَّاهُمْ لِيُبَيِّنَ لِرَفيقيهِ في السِّجْنِ أنَّهُ مِنْ سُلالَةٍ كَريمةٍ كُلُّها أنبياءُ ، ولمَّا كانَ الحالُ كَذلكَ ، فإنَّهُ لا يَصِحُ لنا أنْ نُشْرِكَ باللهِ تعالى أيَّ شَيْءٍ فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ نُبُوَّةٍ ، وهذا الَّذي نَحْنُ فيهِ مِنْ إخْلاصِ العِبادَةِ للهِ تَعالى وتَوْحيدِهِ كائِنٌ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْنا وعلى غَيْرِنا مِمَّنْ هَداهُمُ اللهُ للإيمانِ الحَقِّ ، فَنَحْنُ نَشْكُرُ اللهَ تعالى على نِعَمِهِ ، ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرونَ ، ولا يَتَّجِهونَ إليْهِ بالعِبادَةِ والطَّاعةِ .

وَبِهذا نَرى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ مَهَّدَ الكَلامَ لِتَعْبيرِ الرُّؤْيا بِبَيانِ فَضْلِهِ ومَنْزِلَتِهِ ونَسَبِهِ ودينِهِ ، وأَنَّهُ على الدِّينِ الحَقِّ وأنَّ ما عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ بالتَّأْويلِ إنَّما هُوَ مِنْ تَعْليمِ اللهِ لَهُ ، فَهُوَ حَقٌّ لا مِرْيَةَ فيهِ . وكانَ هَذا الكَلامُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَمْهيداً أَيْضاً لِدَعْوَتِهِما إلى تَوْحيدِ اللهِ تعالى والإيمانِ بهِ كما سيأتي في الآياتِ التَّاليةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دُخولُ السِّجْنِ ليسَ دليلاً على الانْحِرافِ والفَسادِ فَقَدْ دَخَلَهُ النَّبيُّ الكَريمُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ اغْتِنامُ كُلِّ مُناسَبَةٍ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى .

٣ـ إسْنادُ الفَضْلِ والخَيْرِ إلى اللهِ تَعالى ، فَهُوَ مَصْدَرُ كُلِّ خَيْرٍ وفَضْلٍ .

٤ـ وُجوبُ التَّبَرُّؤِ مِنَ الشِّرْكِ ، وإظْهارِ الدِّينِ الحَقِّ .

٥ـ تَعريفُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ وما يَتَميَّزُ بهِ لِينالَ ثِقَةَ الآخَرينَ مَشْروعٌ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا قَرَّرَ العَزيزُ سَجْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ماذا رَأى كُلٌّ مِنَ المَسْجونَيْنِ في مَنامِهِما ؟

٣ـ ما المَنْهَجُ الَّذي اتَّبَعَهُ يُوسُفُ عَليْهِ السَّلامُ في دَعْوَةِ الفَتَيَيْنِ ؟

٤ـ اذكُرْ دَليلاً مِنْ آياتِ الدَّرْسِ على كُلٍّ مِمَّا يلي :

أـ يَدْخُلُ إلى السِّجْنِ مَظْلومونَ .

ب ـ كانَ يُوسفُ عَليْهِ السَّلامُ يُحْسِن إلى مَنْ مَعَهُ في السِّجْنِ .

ج ـ يَجوزُ تَسْمِيَةُ الجَدِّ أباً .

د ـ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ لا يَعْبدونَ اللهَ ، ولا يَشْكُرونَ نِعَمَهُ .

هـ ـ يَجوزُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ باعْتِبارِ ما يَصيرُ إليهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ خُطورَةَ الذَّهابِ إلى مَنْ يَدَّعي عِلْمَ الغَيْبِ وتَصْديقِهِ .

* * *

الدرس الثامن

سُورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَأَربابٌ مُتفرِّقونَ : آلِهَةٌ مُتعدِّدونَ .
سُلطانٌ : حُجَّةٌ وبُرْهانٌ .
القَيِّمُ : المُسْتَقيمُ .
تَسْتَفْتِيانِ : تَطْلُبانِ الفَتْوى .
بِضْعَ سِنينَ : ما بَيْنَ ثَلاثِ سِنينَ إلى تِسْعِ سِنينَ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَتِمَّةُ إجابَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على سُؤالِ الفَتَيَيْنِ وتأويلُهُ رُؤْياهُما .
قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ عرَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ صاحِبَيْهِ في السِّجْنِ بِنَفْسِهِ وبِدينِهِ ، وبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُما أَنَّ مَعْرِفَةَ

تأويلِ الرُّؤيا بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ لأَنَّهُ مُتَّبِعٌ لِلدِّينِ الحَقِّ ، تَوَجَّهَ إِلَيْهِما بالسُّؤالِ الدَّالِّ على فَسادِ كُلِّ عَقيدةٍ تُنافي التَّوْحيدَ ، فقالَ لَهُما : يا صاحِبَيَّ ورَفيقَيَّ في السِّجْنِ : أَخْبِراني أَعِبادَةُ مَجْموعةٍ مِنَ الأَرْبابِ المُتَعَدِّدَةِ ، المُتَفرِّقَةِ في رَغباتِها وأَهوائِها وَصِفاتِها أَفْضلُ أَمْ عِبادَةُ اللهِ الواحِدِ في ذاتِهِ وَصِفاتِهِ ، القَهارِ لِكُلِّ مَنْ غالَبَهُ ونازَعَهُ ؟ وقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ كلامِهِ نِداءَهُما ووَصَفَهُما بالصُّحْبَةِ لِيَتحبَّبَ إليْهِما وَيَسْتَجْلِبَ اسْتِئْناسَهُما وانْتِباهَهُما ، ويَبْدو مِنَ الآيةِ أَنَّ النَّاسَ في ذَلِكَ الزَّمَنِ كانوا يَعْبدونَ آلِهَةً مُتعدِّدَةً .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هنا بَدَأَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَبْيينِ بُطْلانِ عِبادَةِ هَذهِ الآلِهَةِ ، فَهِي مُجَرَّدُ أَشياءَ سُمِّيَتْ آلِهَةً وَلَيْسَتْ كَذلكَ في الحقيقةِ ، فَهِيَ لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها ولا لِغَيْرِها نَفْعاً ولا ضَرّاً ، فَضْلاً عَنْ أَنْ تَرْزُقَ غَيْرَها أَوْ أَنْ تَتَصرَّفَ بالإِحياءِ أو الإِماتَةِ ، أَطْلَقْتُمْ عَلَيْها أَسْماءَ الآلِهَةِ أَنتُمْ وآباؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ ، ولا حُجَّةَ لَكُمْ مِنَ اللهِ تَشْهَدُ ، بِأُلوهِيَّتِها ، وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ بُرْهانٌ على وُجوبِ عِبادَتِها ، ولَيْسَ لَها أَيُّ قُدْرَةٍ على التَّصَرُّفِ في شُؤونِ الكَوْنِ والخَلْقِ ، (إِنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ) وَحْدَهُ ، فَهُو سُبْحانَهُ المُتَفرِّدُ بالحُكْمِ في هذا الكَوْنِ بما يَشاءُ ، فالحُكْمُ لَهُ وَحْدَهُ فَهُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وصاحِبُ الأَمْرِ والنَّهْيِ في خَلْقِهِ ، ولِذا أَمَرَ عِبادَهُ أَنْ يُخْلِصوا لَهُ العِبادَةَ ، وأَنْ يُفْرِدوهُ بالتَّعْظيمِ والطَّاعَةِ ، وهذا الَّذي أَمَرَ اللهُ بِهِ هُو الدِّينُ الحَقُّ المُستقيمُ ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ هَذهِ الحَقيقةَ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وَضَلالِهِمْ ، وعِبادَتِهِمْ لِغَيْرِ اللهِ .

وَفي النَّصِّ في الآيَةِ الكَريمةِ على الآباءِ قَطْعٌ لِحُجَّةِ المُخاطَبينَ حتَّى لا يَقولوا : وَجَدْنا آباءَنا على هذا الدِّينِ ونَحْنُ لَهُمْ مُتَّبِعونَ ، فَبَيَّنَ لَهُم ضَلالَ آبائِهِمْ وَعَدمَ صِحَّةِ الاقتداءِ بِهِمْ .

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

بَدَأَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبَيِّنُ لِلسَّائِلَيْنِ تأويلَ رُؤْياهُما فَقال لَهُما : يا صاحِبيِّ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما ، وهو السَّاقي فإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ ويَسْقي سَيِّدَهُ وَهُوُ المَلِكُ ، خَمْراً ، وأَمَّا الآخَرُ وَهُوَ الخَبَّازُ وصاحِبُ الطَّعام ، فإِنَّهُ سَيُقْتَلُ ثُمَّ يُصْلَبُ ويُتْرَكُ حتَّى تَأْكُلَ الطَيْرُ مِنْ رأْسِهِ ، ويُلاحَظُ أَنَّ يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يُعيِّنْ لَهُما مَنِ الَّذي سَيَخْرُجُ وَمَنِ الَّذي سَيُقْتَلُ تلطُّفاً مِنْهُ في العِبارَةِ ، ولِعَدَمِ مُواجَهَةِ صاحِبِ المَصيرِ السَّيىءِ بِما يَسوؤُهُ ، وإِنْ كانَ يُفْهَمُ مِنْ كلامِهِ مَنِ المَقْصودُ بِكُلِّ حالةٍ تَبعاً لِرُؤْيا كُلٍّ مِنْهُما .

وبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُما تَأْويلَ رُؤْياهُما أَكَّدَ لَهُما ثِقَتَهُ بما قالَ وانْتِهاءَ حَديثِهِ مَعَهُما قائِلاً لَهُما : تَمَّ

التَّأْويلُ الصَّحيحُ لِما سَأَلْتُماني إيَّاه وطَلَبْتُما مِني تَبْيينَهُ وإيضاحَهُ .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ .

وقالَ يُوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلْفَتى الَّذي اعْتَقَدَ أَنَّه سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ ويَنْجو مِنَ القَتْلِ وَهُو ساقي المَلِك : اذْكُرْني عِنْدَ سَيِّدكَ المَلِكِ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ ، وتَذَكَّرْ أَنْ تُبَيِّنَ لَهُ حَقيقةَ حالي وشَأْني ، وما وَقَعَ عليَّ مِنْ ظُلْمٍ ، إلاَّ أَنَّ السَّاقي بَعْدَ أَنْ خَرَج مِنَ السِّجْنِ وعادَ إلى عَمَلِهِ عِنْدَ المَلِكِ أَنْساهُ الشَّيطانُ أَمْرَ يُوسفَ عليْهِ السَّلامُ ، وَلَمْ يَتذَكَرْ أَنْ يُبيِّنَ حالَهُ لِلْمَلِكِ لانْشِغالِه بِعَمَلِه وَلِفَرَحِه بِخُروجِه مِنَ السِّجْنِ ، وكانَ نتيجةَ ذَلكَ النسيانَ أَنْ بَقِي يُوسُفُ عَلَيْهِ السلامُ في السِّجْنِ مَظْلوماً عدداً مِنَ السّنينَ ، اللهُ أَعْلَمُ بِمِقْدارِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على الدَّاعي اتِّباعُ شَتَّى الأساليبِ لِمُحاوَلَةِ الإقْناعِ بِدَعْوَتِهِ ، وإقامةُ الدَّليلِ على بُطْلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ .

٢ـ التَّلَطُّفُ في إعلامِ مَنْ يَسْتَقْبِلُ أَمْراً سَيِّئاً وعَدَمُ مُواجَهتِهِ بِهِ رِفْقاً بحالِه .

٣ـ جَوازُ الاسْتِعانَةِ بالآخَرينَ لِقَضاءِ المَصالِحِ ، خاصةً في حالِ تَبيينِ حُصولِ الظُّلْمِ .

٤ـ لِلشَّيْطانِ دَوْرٌ كَبيرٌ في إبْعادِ النَّاسِ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ بوسائِلَ مُتعدِّدَةٍ مِنْها النِّسْيانُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ أَقامَ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِصاحِبَيْهِ الدَّليلَ على بُطلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ ؟

٢ـ ما سِماتُ الدِّين القَيِّمِ الَّتي ذَكَرها يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ ما تأويلُ رُؤيا صاحِبيْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ لِماذا لَمْ يُعَيِّنْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ تأويلَ رُؤيا كُلِّ واحدٍ مِنْهُما لَهُ مُباشَرَةً ؟

٥ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الفَتى الَّذي نَجا وَخَرَجَ مِنَ السِّجْنِ ؟

٦ـ لماذا نَسِيَ الفَتى ما طلَبَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ ؟

٧ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ صاحِبَي السِّجْنِ .

ب ـ أأَرْبابٌ مُتَفرِّقونَ .

ج ـ سَمَّيْتموها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ .

د ـ إنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ .

هـ ـ قُضِيَ الأَمْرُ الّذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ .

و ـ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ .

ز ـ فَلَبِثَ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنينَ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عِجافٍ : هَزيلاتٍ ، جَمْعُ عَجْفاءَ .

أَفْتوني في رُؤْيايَ : بيِّنوا تأْويلَها لي .

تَعْبُرونَ : تعْلَمونَ تأْويلَ الرُّؤْيا .

أَضْغاثُ : أَخْلاطُ .

وادَّكَرَ : وتذَكَّرَ .

بَعْدَ أُمَّةٍ : بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ .

التفسيرُ :

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى بَيانِ رُؤْيا أُخرى وهِيَ رُؤْيا المِلكِ الَّتي لَمْ تَسْتَطِعْ حاشِيَتُهُ تأْويلَها ، ولَجأوا إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُعَبِّرَها لَهُم ، قالَ اللهُ تعالى مُبيِّناً ذلِكَ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ .

ما زالَ السِّياقُ الكريمُ في الحديثِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ في مِحْنَةِ السِّجْنِ ، ولَمَّا اقْتَرَبَ وَقْتُ الفَرَجِ رَأى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيا أَفزَعَتْهُ ، فأَخْبَرَ بها رِجالَ حاشِيَتِهِ ومَنْ حَوْلَهُ مِنَ الكَهَنَةِ والحُكماءِ والأُمَراءِ ، وقالَ لَهُمْ : إنِّي رَأَيْتُ في المَنام سَبْعَ بَقَراتٍ قَدِ امْتَلأْنَ لَحْماً وشَحْماً ، يَأْكُلُ هذهِ البَقَراتِ السِّمانَ سبعُ بَقَراتٍ أُخرى مُهازيلُ ضِعافٌ ، ورأَيْتُ في مَنامي سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ قَدِ امْتَلأَتْ حَبّاً وبِجوارِها سَبْعُ سُنْبلاتٍ يابِساتٍ قَدْ ذَهَبَتْ نَضارَتُها وخُضْرَتُها ، يا أيُّها الأَشْرافُ والعُلَماءُ بَيِّنوا لي تأويلَ هذه الرُّؤْيا وبَيِّنوا لي ما تَدُلُّ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ تَأْويلَها وتَسْتَطيعونَ تَفْسيرَها لي .

﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾

قالَ الملأُ لِلْمَلِك : ما رأَيْتَهُ أيُّها المَلِكُ في مَنامِكَ ما هُوَ إلاَّ أَحْلامٌ ومَناماتٌ ، ولَيْسَتْ مِنَ الرُّؤْيا الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ وتَبينَ ، وَنَحْنُ لَسْنا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِتَأويلِ تَخاليطِ الأَحْلامِ ، وإِنَّما يُمْكِنُنا تَأْويلُ الرُّؤى الصَّادِقَةِ .

فَهُمْ بِهذا القَوْلِ اعْتَذَروا مِنْ عَدَمِ إمْكانِهِمْ تَأويلَ رُؤْيا المَلِكِ ، لأَنَّها في نَظَرِهِمْ مِنَ الأَحْلامِ المُخْتَلِطَةِ الَّتي لا تُعَبَّرُ ولا تُفَسَّرُ ، وَلَعَلَّهُمْ عَلِموا ما تَنْطَوي عَلَيْهِ هَذهِ الرُّؤْيا مِنْ أُمورٍ سَيِّئَةٍ فَلَمْ يَرْغَبوا بِمواجَهَةِ المَلِكِ بها ، على طَريقَةِ رِجالِ الحاشِيَةِ في إظْهارِ ما يَسُرُّ الحاكِمَ وإخفاءِ ما يُزْعِجُهُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ عَجزَتْ حاشِيَةُ المَلِكِ عَنْ تأويلِ الرُّؤْيا ، تَذَكَّرَ السَّاقي ما كانَ مِنْ شَأْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وقُدْرَتَهُ البارِعَةَ على تأويلِ الأَحْلامِ ، وكانَ قَدْ نَسِيَ أَمْرَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وما أَوْصاهُ بِهِ مِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ المَلِكِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، فَقالَ السَّاقي : أنا أُخْبِرُكُمْ بِتَأويلِ هذهِ الرُّؤْيا الَّتي خَفِيَ تأْويلُها عَلَيْكُمْ فابْعَثوني إلى مَنْ يَستطيعُ تأويلَها .

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

طَلَبَ السَّاقي إرْسالَهُ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَرْسلوهُ إليْهِ فَجاءَهُ فَقالَ لَهُ : يا يُوسُفُ يا أَيُّها الصِّدِّيقُ ، المَوْصُوفُ بالصِّدْقِ في جَميعِ أَحْوالِهِ ، بَيِّنْ لَنا تَأْويلَ الرُّؤْيا الَّتي رَآها المَلِكُ ، والَّتي عَجزَ الناسُ عَنْ تأويلِها ، وَهِيَ أَنَّ المَلِكَ رَأى في مَنامِهِ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ ، ورَأى سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ يابساتٍ ، وأعادَ السَّاقي الرُّؤْيا بِتفاصِيلِها كما ذَكَرَتِ

الآيةُ ، لأنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ العِلْمُ بِها ، ولِلْمُحافَظَةِ على دِقَّةِ المَعْلومَةِ وَنَقْلِ الرُّؤْيا كَما هِيَ دُونَ نَقْصٍ أَوْ زِيادَةٍ .

(لَعَلّي أَرْجِعُ إلى الناسِ لَعلّهُمْ يَعْلَمونَ) أيْ لِكَيْ أَرْجِعَ بِتَأْويلِ هذهِ الرُّؤْيا إلى المَلِكِ وَمَنْ بِيَدِهِمْ الأَمْرُ وإلى حاشِيَتِهِ الَّذين عَجِزوا عَنْ تَأْويلِها ، فيَعْلَمونَ مَكانَتَكَ وبَراعَتَكَ في تَفْسيرِ الأَحْلامِ ويَعْلَمون تَفْسيرَ هذه الرُّؤْيا .

واسْتَخْدَم السَّاقي (لَعَلَّ) الدَّالَّةَ على الرَّجاءِ لأنَّهُ لَمَّا رَأى عَجْزَ الحُكَماءِ والكَهَنَةِ عَنْ تأْويلِ هذه الرُّؤْيا ، خَشِيَ أَنْ يَعْجَزَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَيْضاً عَنْ تَأْويلِها ، كَما طلَبَ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تأويلَ الرُّؤْيا بِضَميرِ الجَمْعِ (أَفْتِنا) لِيُبيِّنَ لَهُ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيا لَيْسَتْ لَهُ بَلْ لِغَيْرِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ حُصولِ الرُّؤْيا الصَّادِقَةِ مِنَ الكافِرِ .

٢ـ تَدْبيرُ اللهِ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَرى المَلِكَ رُؤيا أَعادَتِ احْتِياجَ المَلِكِ وشَعْبِهِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٣ـ قَدْ يَتَذكَّرُ الإِنْسانُ أَمْراً أَوْ شَيْئاً مُهمّاً بِسَببِ حادِثَةٍ تُذَكِّرُهُ بِهِ .

٤ـ جَوازُ وَصْفِ الإنْسانِ بما هُو فيه مِنْ غَيْرِ مُبالَغَةٍ ، كالصّدّيقِ والعالِمِ .

٥ـ وُجوبُ تَحَرِّي الدِّقَّةِ في نَقْلِ المَعْلوماتِ دُونَ زِيادَةٍ فيها ولا نَقْصٍ مِنْها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا رَأى المَلِكُ في مَنامِهِ ؟

٢ـ بماذا أَجابَ رِجالُ الحاشِيَةِ والعُلَماءُ المَلِكَ في مَعنى رُؤياهُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَذكُّرِ السَّاقي لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ لماذا أُعيدَتْ تَفاصِيلُ الرُّؤْيا مَرَّةً أُخْرى في الآيةِ السَّادِسَةِ والأَرْبعينَ مَعَ ذِكْرِها في الآية الثَّالِثَةِ والأَرْبَعينَ ؟

٥ـ لماذا اسْتَخْدَمَ السَّاقي (لَعَلَّ) الَّتي هِيَ مِنْ أفعالِ الرَّجاءِ ؟

٦ـ ما الأَمْرُ الغَريبُ في رُؤيا المَلِكِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى ما يَلي :

أـ جَوازُ حُصولِ الرُّؤْيا الصَّادِقَةِ لِلْكافِرِ .

ب ـ قَدْ يَعْجَزُ الإِنْسانُ عَنْ حَلِّ أَمْرٍ يَتعلَّقُ باخْتِصاصِهِ وَعَمَلِهِ .

ج ـ يَتذَكَّرُ الإنسانُ أَشياءَ مُعَيَّنَةً عِنْدَ حُصولِ حادثٍ ما .

د ـ وجوبُ نَقْلِ المَعْلومَةِ بالدِّقَّةِ .

تَعَلَّمْ :

ـ أَصْلُ (ادَّكَرَ) : اذْتَكَرَ بِوَزْنِ افْتَعَلَ ، مِنَ الذِّكْرِ ، قُلِبَتْ فيهِ التَّاءُ دالاً ، وَقُلِبَتِ الذَّالُ دالاً وأُدْغِمَتْ في الدَّالِ فأَصْبَحَتْ : ادَّكَرَ .

* * *

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبْعَ سِنينَ دَأَبا : سَبْعَ سِنينَ مُتتالِيَةً .

فَذَروهُ : فاتْرُكوهُ .

تُحْصِنونَ : تَدَّخِرونَ .

يُغاثُ النَّاسُ : يُغيثُهُمْ رَبُّهُمْ بالأَمْطارِ فَتَخْصِبُ أَراضيهِمْ .

يَعْصِرونَ : يَعْصِرونَ الثِّمارَ لاسْتِخراجِ زَيْتِها وَشَرابِها .

ما خَطْبُكُنَّ : ما شَأنُكُنَّ .

حَصْحَصَ الحَقُّ : ظَهَرَ بَعْدَ خَفائِهِ .

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ عَنْ تأْويلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرُؤْيا المَلِك وما تَبِعَ ذَلِكَ مِنْ ثُبوتِ بَراءَتِهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾

بَعْدَ أَنْ قَصَّ السَّاقي على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ رُؤْيا المَلِكِ شَرَعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في تأْويلِها ، وَلَمْ يَطْلُبْ أَجْراً أَوْ مُكافَأَةً على ذَلِكَ ، كَما لَمْ يَطْلُبْ إخْبارَ المَلكِ بِحالِهِ فَقالَ : إنَّكُمْ سَتَزْرَعُونَ أَرْضَكُمْ في السِّنينِ السَّبْعِ القادِمَةِ زِراعَةً مُسْتَمِرَّةً كعادَتِكُمْ ، فَما حَصَدْتُمْ مِنْهُ فاتْرُكوهُ في سُنبُلِهِ لِئَلاَّ يَفْسُدَ وَيَتْلَفَ بِسَبَبِ السُّوسِ وَغَيْرِهِ ، وَلا تَسْتَعْمِلوا مِنْ هذا الحَبِّ إلاَّ شَيْئاً قليلاً ، وَهُوَ المِقْدارُ الَّذي تَحْتاجونَ إِلَيْهِ فِي مأْكَلِكُمْ .

وفي هذا الكَلام إِرْشادٌ لَهُمْ أَنْ يَقْتَصِدوا في اسْتِهْلاَكِهِمُ القَمْحَ إلى أَقْصى حَدٍّ مُمْكِنٍ لِما في ذَلِكَ مِنَ المَصْلَحَةِ ، وإِرْشادٌ لِوَسيلَةِ حِفْظِ القَمْحِ مِنْ أَنْ يأْكُلَهُ السُّوسُ والحَشَراتُ وَذَلِكَ بِإبقائِهِ في سُنْبُلِهِ .

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾

ثُمَّ يَأْتي مِنْ بَعْدِ تِلْكَ السّنينِ السَّبْعِ المُثْمِراتِ سَبْعُ سِنينَ صِعابٌ ، لِما فِيهِنَّ مِنَ القَحْطِ والجَدْبِ ، تَأْكُلونَ فيها كُلَّ ما ادَّخَرْتُموهُ في السَّنواتِ السَّبْعِ المُتَقَدِّمَةِ ، إلاَّ مِقْداراً يَسيراً ، وهُوَ ما أَبْقَيْتُموهُ وادَّخَرْتُموهُ لِتَزْرعوهُ في أَرْضِكُمْ .

وبِهذا يَكونُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ المُرادَ بالبَقَراتِ السِّمانِ وبالسُّنْبلاتِ الخُضْرِ السّنونَ السَّبْعُ الخِصْبَةُ ، وأَنَّ المُرادَ بِالبَقَراتِ العِجافِ وبالسُّنْبُلاتِ اليابِساتِ السِّنونَ السَّبعُ المُجْدِبَةُ الَّتي تَأْتي بَعْدَها ، وأَنَّ المُرادَ بِأَكْلِ البَقَراتِ العِجافِ لِلْبَقَراتِ السِّمانِ إفْناءُ ما ادَّخَروهُ مِنْ قُوتٍ خِلالَ هذهِ السَّنَواتِ المُجْدِبَةِ إِلاَّ ما يُبْقونَهُ لِيَزْرَعوهُ ، كَما اسْتَدلَّ على تَخْصيصِ زِراعَةِ القَمْحِ بالسُّنْبُلاتِ .

وتُشيرُ الآيَةُ الكَريمةُ إلى أَنَّ أَفْضَلَ طَريقَةٍ لِحِفْظِ القَمْحِ مُدَّةً طويلةً بَعيداً عَنِ التَّلَفِ والآفاتِ مُحْتَفِظاً بِمُحْتوياتِهِ الغِذائيَّةِ كامِلَةً هي إبقاؤُهُ في سَنابِلِهِ ، وهذِهِ المَعْلومَةُ لَمْ يُتَوصَّلْ إليْها إِلاّ حَديثاً ، فَسُبْحانَ مُنْزِلِ الكتابِ ، العَليمِ بِكُلِّ شَيءٍ .

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَعْبيرِ الرُّؤْيا ، بَلْ أَضافَ إلى ذَلِكَ التَّبْشيرَ بِحُصولِ الغَوْثِ والفَرَجِ

بَعْدَ السَّنواتِ السَّبْعِ المُجْدِبَةِ حتَّى يَعُمَّ الرَّخاءُ بَعْدَ الضِّيقِ ، وتَخْضَرَّ الأَرْضُ بَعْدَ جَفافِها ، وَتُخْرِجُ خَيْراتِها بِصورَةٍ كَثيفَةٍ حتَّى إنَّهُمْ يَعْصُرونَ مِنَ الثِّمارِ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْصَرَ كالزَّيْتونِ والسِّمْسمِ والعِنبِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ .

وهذهِ الزِّيادَةُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إشارَةٌ إلى أَنَّ عِلْمَهُ بِتَأْويلِ الرُّؤى إنَّما هُوَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ لَهُ ، وأَنَّ العِلْمَ الَّذي عِنْدَهُ يَفوقُ ما عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ عامَّةِ الناسِ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ المَلِكُ تَأْويلَ رُؤْياهُ طَلَبَ مِنْ رِجالِهِ أَنْ يُحْضِروا لَهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَراهُ ويَسْمعَ مِنْهُ ، فلمَّا جاءَ رسولُ المَلِكِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخْبَرَهُ بِرَغْبَةِ المَلِكِ لِقاءَهُ ، طَلَبَ مِنْ هذا الرَّسولِ أَنْ يَرْجِعَ إلى سَيِّدِهِ المَلِكِ ، وأَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَأْنِ النِّسْوَةِ اللّاتِي حَضَرْنَ وَليمَةَ امْرَأَةِ العزيزِ وَجَرحْنَ أَيْدِيَهُنَّ في تِلْكَ الوليمةِ ، وهذا يَعْني الاستماعَ إلى شَهادَتِهِنَّ ، فإنَّهُنَّ سَمِعْنَ امْرَأَةَ العزيزِ وَهِيَ تَقُولُ (ولَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) ، وَفَتْحَ مَلفِّ القَضيةِ مِنْ جديدٍ .

واكْتَفى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِوَصْفِ النِّسْوَةِ بأَنَّهُنَّ (اللّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) دُونَ وَصْفِهِنَّ بالكَيْدِ والمَكْرِ تَرَفُّعاً مِنْهُ عَنْ ذِكْرِهِنَّ بما يَسوءُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُنَّ امْرَأَةَ العَزيزِ احْتِرازاً مِنْ مَكْرِها وَوَفاءً لِزَوْجِها ، كما اكْتَفى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ بالإشارةِ إلى كَيْدِهِنَّ بالإجْمالِ مَعَ تَفْويضِ العِلْمِ بِهِ إلى اللهِ تَعالى فَقالَ : (إنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عليمٌ) .

وكانَ هَذا المَوْقِفُ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِرَفْضِ الخُروجِ مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تَظْهَرَ بَراءَتُهُ حِكْمةً عَظيمةً مِنْهُ ، فَلَوْ خَرَجَ فَوْراً لحاوَلَ الحاقِدونَ تَشْويهَ صُورَتِهِ ولَمْزَهُ بما حَصَلَ واتِّهامَهُ بما هُوَ بَريءٌ مِنْهُ ، وَقَدِ امْتَدَحَ رسولُ اللهِ ﷺ صَبْرَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ وأَناتَهُ وعُلُوَّ هِمَّتِهِ فقالَ : « لَوْ لَبِثْتُ في السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدّاعي » .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

جَمَعَ المَلِكُ النِّسْوَةَ وامْرَأَةَ العَزيزِ وسَأَلَهُنَّ عَنْ شَأْنِهِنَّ حِينَ حاوَلْنَ إغراءَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ورَغَّبْنَهُ بِطاعَةِ امْرَأَةِ العَزيزِ ، فَقُلْنَ : مَعاذَ اللهِ أَنْ يَكونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أرادَ سُوءاً أَوِ اقْتَرَفَ مَعْصِيةً ، وَما عَلِمْنا مِنْهُ إلاَّ التَّرَفُّعَ عَنِ السُّوءِ .

أَمَّا امْرَأَةُ العَزيزِ فَقَدْ بادَرَتْ إلى الاعْتِرافِ بما حَصَلَ مِنْها ، وأَعْلَنَتْ ظُهور الحَقِّ وانْكِشافَهُ بَعْدَ أَنْ كانَ خافِيا ، وبَراءَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَصِدْقَهُ في نَفْي التُّهْمَةِ عَنْ نَفْسِهِ .

وَبِهذا الاعْتِرافِ مِنَ امْرَأةِ العَزيزِ وَمِنَ النِّسْوَةِ ثَبَتَتْ بَراءَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَطْعاً مِمَّا اتُّهِمَ بِهِ وأُدْخِلَ بِسَببِهِ السِّجْنَ .

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ .

هذا مِنْ كلامِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَقَّبَ بهِ على اعْتِرافِ زَوْجَةِ العَزيزِ قائِلاً : هذا الّذي أرَدْتُ ظُهورَهُ وبَيانَهُ لِيَعْلَمَ زَوْجُها الّذي أَحْسَنَ إِليَّ وأَكْرَمَني في دارِهِ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ في زَوْجَتِهِ ، وَهُوَ غائِبٌ ، فاللهُ لا يُوفِّقُ الخائِنينَ في كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ .

﴿ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وَيُواصِلُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَلامَهُ فيقولُ : إنِّي لا أُبَرِّئُ نَفْسي وَلاَ أُنَزِّهُها فالنَّفْسُ البَشَرِيَّةُ تَأْمُرُ صاحِبَها بالسُّوءِ مِراراً وتَكراراً إلا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَصْحابِ النُّفوسِ الطَّاهِرَةِ الطَّيِّبَةِ ، إنَّ رَبِّي كَثيرُ الرَّحْمَةِ والغُفْرانِ لِعِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَعْضُ النَّاسِ أُعطُوا العِلْمَ بِتَأْويلِ الرُّؤى ، وأَصْدقُهُمْ في ذَلِكَ الأَنبياءُ .

٢ـ لِلْعِلْمِ بما يُطْلِعُ اللهُ عَلَيْهِ عِبادَهُ مِنَ الغَيْبِ فَوائِدُ جَمَّةٌ ، فَعِلمُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بما أَطْلَعَ عَلَيْهِ المَلِكَ جَعَلَهُ يُخَطِّطُ لِمُواجَهَةِ القَحْطِ الآتي .

٣ـ الحِرْصُ على تَبْرِئَةِ المَرْءِ نَفْسَهُ مِمَّا يَرْميهِ بِهِ أَهْلُ السُّوءِ .

٤ـ إِكْرامُ اللهِ لأَنْبيائِهِ مِما يُعْلي مَكانَتَهُم ويَكْشِفُ عَنْهُمُ السُّوءَ ويُمَكِّنُ لَهُمْ في الأَرْضِ .

٥ـ الإشارَةُ إلى أَنَّ حِفْظَ القَمْحِ مُدَّةً طويلَةً إنَّما يَكونُ بِإِبْقائِهِ في سُنْبُلِهِ ، وَهذِه حقيقَةٌ عِلْمِيَّةٌ ذَكَرَتْها الآيَةُ قَبْلَ اكْتِشافِها بِقُرونٍ .

٦ـ إفادَةُ السَّائِلِ بأَكْثَرَ مِمَّا سَأَلَ عَنْهُ .

٧ـ فَضيلَةُ الحِلْمِ والأَناةِ ، وَعَدَمُ التَسَرُّعِ في الأُمورِ .

٨ـ فَضيلَةُ الاعْتِرافِ بالذَّنْبِ ، وقَوْلِ الحَقِّ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا فَسَّرَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ رؤيا المَلِكِ ؟

٢ـ لِماذا أَمَرَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بإبقاءِ القَمْحِ في سُنْبُلِهِ ؟

٣ـ ماذا أضافَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى تَأْويلِ الرُّؤيا ؟ ولِماذا ؟

٤ـ لِماذا رَفَضَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ الخُروجَ مِنَ السِّجْنِ ؟

٥ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ رَسولِ المَلِكِ أنْ يُبَلِّغَهُ ؟

٦ـ ماذا قالَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ في مَجْلِسِ المَلِكِ ؟



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما تَفْهَمُ مِنْ حَديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ الواردِ في نِهايةِ تَفْسيرِ الآيةِ (٥٠) .

٢ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ أَحْداثَ المَشْهدِ الثَّاني مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حتَّى خُروجِهِ مِنَ السِّجْنِ .

* * *

الدَّرسُ الحادي عشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي عشَرَ

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسي : أَجْعلْهُ مُسْتَشاراً خاصّاً لِي .

مَكينٌ : ذُو مَكانَةٍ عالِيَةٍ .

يَتبوَّأُ مِنْها : يَنْزِلُ وَيَحِلُّ حَيْثُ يَشاءُ .

وَهُمْ لَهُ مُنْكِرونَ : لا يَعْرِفُونَهُ .

جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ : أَعْطاهُمْ ما جاؤوا لأَجْلِهِ مِنَ الطَّعامِ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أنِ اعْتَرَفَتِ امْرَأَةُ العَزيزِ بما صَدَرَ عَنْها وأَقَرَّتْ بِخَطَئِها تَغَيَّرَ مَجْرى الأحداثِ ، وانْتَقَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السِّجْنِ إلى تَوَلِّي خَزائِنِ مِصْرَ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

لَمَّا ظَهَرَتْ لِلْمَلِكِ بَراءَةُ يُوسُفَ وعِفَّتُهُ ، كما ظَهَرَتْ لَهُ قُدْرَتُهُ في تَأْويلِ الرُّؤَى ، وقُدْرَتُهُ على

التَّخْطيطِ لِمُواجَهَةِ الصِّعابِ الَّتي تُحيطُ بالأُمَّةِ ، طَلَبَ أَنْ يُحْضِروا لَهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السِّجْنِ ، لِيكونَ مُسْتَشاراً خاصّاً بهِ يُعينُهُ على تَصْريفِ أُمورِ الحُكْمِ وَتَسْييرِها . ويُلْحَظُ ما في هذه الآيةِ الكريمةِ مِنْ زِيادَةٍ على الآيةِ السَّابِقَةِ الَّتي طَلَبَ فيها المَلِكُ إِحْضارَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ هُنا يُريدُ اسْتِخْلاصَهُ لِنَفْسِهِ ، بَعْد أَنَّ ثَبَتَتْ لَهُ أَمانَتُهُ وَصَبْرُهُ وعِفَّتُهُ وسُمُوُّهُ . واسْتَجابَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِطَلَبِ المَلِكِ بَعْدَ أَنْ تَيَقَّنَ مِنْ ثُبوتِ بَراءَتِه ، وَحَضَرَ إلى المَلِكِ ودارَ بَيْنَهُما حَديثٌ ازْدادَتْ مِنْ خِلالِهِ ثِقَةُ المَلِكِ بِهِ ، وإِعْجابُهُ وتَقْديرُهُ لَهُ ، وأَبْلَغَهُ بِتَقْريبِهِ إليْهِ وأَنَّهُ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَيكونُ صاحِبَ كَلِمَةٍ نافِذَةٍ ومَكانَةٍ عالِيَةٍ ومُؤْتَمناً على كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ .

طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ المَلِكِ أَنْ يَكونَ مَسْؤولاً ومُتَصَرِّفاً في خَزائِنِ مِصْرَ ، يَتَوَلَّى إدارَتَها وسِياسَةَ أُمورِها ، وذَلِكَ لِما كانَ يَعْلَمُهُ مِنْ حاجَةِ البِلادِ إلى حُسْنِ إدارَةِ هَذا الجانِبِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ السَّنواتُ السَّبْعُ العِجافُ ، وأَكَّدَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَقْدِرَتَهُ على القِيامِ بهذا الأَمْرِ بِقَوْلِهِ (إنِّي حَفيظٌ) لَها مِنَ التَّبْذيرِ فَلا أَصْرِفُها في غَيْرِ مَصارِفِها (عَليمٌ) بِوَجْهِ التَّصَرُّفِ فيها .

وَلا تَعارُضَ بَيْنَ طَلَبِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ الوِلايَةَ هُنا ، وما وَرَدَ في الحَديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّهْيِ عَنْ طَلَبِ الوِلايَةِ بِقَوْلِهِ لِعَبْدِ الرَّحمنِ بن سَمُرَةَ : « يا عَبْدَ الرَّحْمنِ بن سَمُرَةَ لا تَسأَلِ الإِمارَةَ ، فإِنَّكَ إنْ أُوتيتَها عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إليْها ، وإِنْ أُوتيتَها مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْها »[1] . فإِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِعِلْمِهِ بِمَقْدِرَتِهِ على القِيامِ بالأَمْرِ ، وَعَدمِ قُدْرَةِ غَيْرِهِ على ذَلِكَ ، فَلَمْ يَطْلُبِ الوِلايَةَ لِذاتِها أَوْ تَحْصيلِ شَرَفٍ بِها ، بَلْ لِلْقِيامِ بِمُتَطَلَّباتِ الإِمارَةِ وإِمْضاءِ أَحْكامِ اللهِ تَعالى والعَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ .

وكما أَنْعَمْنا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ المِحَنِ السَّابِقَةِ ، جَعَلْنا لَهُ مَكانَةً وَسُلْطَةً في الأَرْضِ ، وَهَيَّأْنا لَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ بَيْنَ المَنازِلِ والأَماكِنِ كَما يَشاءُ ، دُونَ أَنْ يَمْنَعَهُ مانِعٌ بَعْدَ أَنْ كانَ سَجيناً مَحْصوراً في مَكانٍ ضَيِّقٍ ، وذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى وَفَضْلِهِ وإِنْعامِهِ ، فإِنَّهُ سُبْحانَهُ يُوفي المُحْسِنينَ أَجْرَهُمْ على إِحْسانِهِمْ وَيُضاعِفُهُ لَهُمْ ولا يُضيعُ شَيْئاً مِنْ أَجْرِهِمْ ، ويُعَجِّلُ لَهُمْ جانِباً مِنْ ذَلِكَ في الدُّنْيا .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان والنذور ، رقم الحديث ٦١٣٢ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، رقم الحديث ٣١٢٠ .

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وَلَثوابُ الآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا حَيْثُ يَجْزيهِمْ سُبْحانَهُ بالنَّعيمِ الدَّائمِ ، والخُلودِ المُقيمِ ، وَذلِكَ لِلَّذينَ آمَنوا وَصَدَّقوا بِوَحْدانِيةِ اللهِ واتَّقَوْا الشِّرْكَ والمُحَرَّماتِ .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

تَحَقَّقَتْ رُؤْيا مَلِكِ مِصْرَ وأَدارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أُمورَ النَّاسِ في سَنواتِ الخِصْبِ السَّبْعِ أَحْسَنَ إدارةٍ ، حَتَّى إذا دَخَلَتِ السَّنَواتُ العِجافُ كانَ مُحْتاطاً لَها مُطْمَئِناً لِوُجودِ الطَّعامِ في خَزائِنِهِ بما يَكْفي ، وَعَمَّ القَحْطُ البِلادَ المُجاوِرَةَ ، وحَضَرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ يَطْلُبونَ الطَّعامَ لِما أَصابَهُمْ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ ، فَدَخَلُوا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَطْلُبوا مِنْهُ ما يُريدونَ فَعَرَفَهُمْ ، أَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفوه لِطُولِ المُدَّةِ الَّتي فارَقَهُم فيها ، ولأَنَّهُ فارَقَهُم وهُوَ صَغيرٌ وَقَدْ تَغَيَّرتِ الآنَ مَلامِحُهُ ، ولِظَنِّهِمْ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، ولِتَغَيُّرِ الحالِ الَّتي فارَقُهم فيها عَنِ الحالِ الَّتي هُوَ الآنَ عَلَيْها .

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

أَكْرَمَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ وِفادَةَ إِخْوَتِهِ وعامَلَهُمْ مُعامَلَةً طَيِّبَةً وَزَوَّدَهُمْ بما يَحْتاجونَ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ وَزادٍ لِسَفَرِهِمْ ، وأَعْطاهُمْ ما جاؤُوا لأَجْلِهِ مِنْ قَمْحٍ وَحُبوبٍ ، ودارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم حديثٌ أَعْلَموهُ مِنْ خِلالِهِ أَنَّهُمْ أَبناءُ نَبِيٍّ ، وأَنَّ لَهُم أَخاً مِنْ أَبيهِمْ وهُو بِنيامينَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، فَطَلَبَ مِنْهُم إِحْضارَ أَخيهِمْ هذا مَعَهُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ حَتَّى يَتَأَكَّد مِنْ صِدْقِ كلامِهِمْ ، وحَتَّى يُعْطِيَهُ حَقَّهُ مِنَ الطَّعامِ ، بَعْدَ أَنْ يَراهُ ويَطْمَئِنَّ إلى وُجودِهِ ، وقالَ لَهُمْ : لَعَلَّكُم عَرَفْتُمْ كَيْفَ أَنّي أُعْطِي الكَيْلَ وافِياً لَكُمْ وَلِكُلِّ النَّاسِ بالعَدْلِ ، وأَنّي أَفْضَلُ المُكْرِمينَ لِضُيوفِهِ .

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

فإِنْ لَمْ تَأْتُوا مَعَكَمْ بِأَخيكُمْ مِنْ أَبيكُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ فلا طَعامَ لَكُمْ عِنْدي أَبيعُهُ لَكُمْ ، ولا تَدْخُلوا بِلادي مَرَّةً أُخْرى .

فَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَحْتاجُونَ إلى الطَّعامِ مَرَّةً أُخْرى ، وأَنَّهُمْ سَيأْتُونَهُ ، وَذلِكَ لِطُولِ مُدَّةِ القَحْطِ وَلِعَدمِ كِفايَةِ ما أَخَذوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .



تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ حُسْنُ الحَديثِ والحِكْمَةُ فيهِ بابٌ مِنْ أبوابِ الخَيْرِ والوُصولِ إلى المُرادِ .

٢ـ جَوازُ طَلَبِ تَوَلّي الإمارَةِ مِمَّنْ آنَسَ في نَفْسِهِ القُدْرَةَ على ذَلِكَ دُونَ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ .

٣ـ حُسْنُ عاقِبَةِ الإحْسانِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٤ـ اسْتِعْمالُ التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ لِحَمْلِ المُخاطَبِ على فِعْلِ الشَّيْءِ المُرادِ .



أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا زادَ المَلِكُ على عِبارَتِهِ في طَلَبِ إحْضارِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قولَهُ (أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسي) ؟

٢ـ ماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ المَلِكِ ؟

٣ـ بماذا أَكَّدَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ طَلَبَهُ الوِلايةَ على خَزائِنِ مِصْرَ ؟

٤ـ لماذا ذَهَبَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ ؟

٥ـ كَيْفَ عَرَفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إخْوَتَهُ ؟ وَلِماذا لَمْ يَتَعَرَّفوا هُمْ عَلَيْهِ ؟

٦ـ ما الأُسْلوبُ الّذي اتَّبَعَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إخْوَتِهِ لِيُحْضِروا مَعَهُمْ أَخاهُ بِنيامينَ في المَرَّةِ القادِمَةِ ؟

٧ـ كَيْفَ عَرَفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ إخْوَتَهُ سَيعودونَ إليْهِ مَرَّةً أُخْرَى ؟

* * *

الدرس الثاني عشر

سورة يوسف ـ القسم الثاني عشر

قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

معاني المُفْرَدات :

سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ : سَنَحْتالُ على أَبيهِ وَنُفاوِضُهُ .

لِفِتْيانِهِ : لِخَدَمِهِ .

بِضاعَتَهُم : ثَمَنَ ما اشْتَرَوْهُ مِنْ طَعام .

رِحالِهِمْ : أَوْعِيَتِهِمُ الّتي فيها الطَّعامُ .

ما نَبْغي : ما نَطْلُبُ مِنَ الإِحْسانِ بَعْدَ ذَلِكَ .

ونَميرُ أَهْلَنا : نَجْلِبُ لَهُمُ الطَّعامَ .

التفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ مَشْهَدُ الإِخْوَةِ وَهُمْ يَتَحاوَرونَ مَعَ أَبيهِمْ ويَطْلُبونَ مِنْهُ إِرْسالَ أَخيهِمْ بِنيامينَ مَعَهُمْ إِلى مِصْرَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إِخْوَتِهِ أَنْ يُحْضِروا مَعَهُم أَخاهُمْ مِنْ أَبيهِمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ قالوا لَهُ : سَنَطْلُبُ حُضورَهُ مَعَنا مِنْ أَبيهِ بِرِفْقٍ وَلينٍ وَسَنَحْتالُ بِما نَسْتَطيعُ لإِقْناعِهِ بذلكَ ، وأَكَّدوا عَزْمَهُم على ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ (وإِنَّا لَفاعِلونَ) أَيْ سَنَجْتَهِدُ في ذَلِكَ دُونَ كَلَلٍ ولا مَلَلٍ ، وهذا التَّأْكيدُ مِنْهُم يَدُلُّ على شُعورِهِمْ بِصُعوبَةِ إِقْناعِ أبيهِمْ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ بنيامينَ .

﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ .

وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عائِدينَ إلى أبيهِمْ ، أَمَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ خَدَمَهُ أَنْ يَضَعوا لإِخْوَتِهِ الأَثْمانَ الَّتي دَفَعوها مُقابِلَ ما أَخَذوهُ مِنْ طَعامٍ في أَوْعِيَتِهِمْ دُونَ أَنْ يَشْعروا ، وأرادَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بذلكَ حَمْلَ إِخْوَتِهِ عَلَى الرُّجوعِ إليهِ مَرَّةً أُخْرى وَبِرِفْقَتِهِمْ أَخوهُ الشَّقيقُ بنيامينُ ، حَيْثُ إِنَّهُمْ لَنْ يَكْتَشِفوا وُجودَ الأثمانِ في أَمْتِعَتِهِمْ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَعودوا إلى دِيارِهِمْ ، ولأَنَّهُمْ لا يَقْبَلونَ على أَنْفُسِهِمْ أَخْذَ الطَّعامِ دُونَ أَداءِ ثَمَنِهِ .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

انْطَلَقَ الإِخْوَةُ عائِدينَ إلى بِلادِهِمْ ، ولمَّا وَصَلوا سارَعوا إلى إِخْبارِ أبيهِمْ بِما حَصَلَ مَعَهُم ، وأَنَّ عَزيزَ مِصْرَ سَيَمْنَعُ عَنْهُمُ الطَّعامَ والكَيْلَ في المُسْتَقْبَلِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أخوهُمْ بنيامينُ في رِفْقَتِهِمْ ، فَهُمْ مُضْطَرّونَ لأَخْذِهِ مَعَهُم لِيُوفوا بِعَهْدِهِم مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلِيَتَمكَّنوا مِنْ جَلْبِ الطَّعامِ مِنْ عِنْدِهِ ، وتَعَهَّدوا لأَبيهِمْ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ حِفْظاً تامّاً مِنْ أَنْ يُصيبَهُ أَيُّ مَكْروهٍ أَوْ سُوءٍ .

﴿ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُجيباً لأَبْنائِهِ : لَمْ يَحْدُثْ مِنْكُمْ ما يَقْتَضي الاطْمِئْنانَ على وُعودِكُمْ ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ وَعَدْتُموني مِنْ قَبْلُ بالمُحافَظَةِ عَلى أَخيكُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلَمْ تَفُوا بِوَعْدِكُم وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الذِّئْبَ أَكَلَهُ ، فَهَلْ تُريدونَ أَنْ أَأْتَمِنَكُمْ عَلى بنيامينَ كَما ائْتَمَنْتُكُمْ على أَخيكُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ فكانتِ النَّتيجةُ الَّتي تَعْرِفونَها ، فَأَنا لا أَثِقُ بِوُعودِكُمْ بَعْدَ ما حَصَلَ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وإِنَّما أَثِقُ بِحِفْظِ اللهِ وَرِعايَتِهِ ، فاللهُ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَمِنْ سِواكُمْ حافِظاً ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمينَ ، وَلِذا فإِنِّي أُفَوِّضُ أَمْرَ حِفْظِهِ إلى اللهِ سُبْحانَهُ فَهُوَ لَنْ يُضَيِّعَهُ .

وَسَيَرُدُّهُ لِي سالِماً ، هذا الكلامُ مِنْ يَعقوبَ تَوكُّلٌ على اللهِ وتَسْليمٌ لَهُ ولأَمْرِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ الأَبْناءُ إلى مُوافَقَةِ أبيهِمْ على إرْسالِ بِنيامينَ مَعَهُمْ إلى مِصْرَ في المَرَّةِ القادِمَةِ ، اتَّجهوا إلى مَتاعِهِمْ ، لِيُفَرِّغوا ما فيهِ مِنْ زادٍ وَطعامٍ ، وَفوجِئوا بأَثْمانِ هذا الطَّعامِ مَوْجودةً في أَوْعِيَتِهِمْ ، فَقالوا لأَبيهِمْ وَقَدْ أصابَتْهُمُ الدَّهْشَةُ : يا أَبانا ماذا نَطْلُبُ مِنَ الإحسانِ والكَرَمِ أَكْثَرَ مِنْ هذا الَّذي فَعَلَهُ عَزيزُ مِصْرَ ؟ لَقَدْ أَعْطانا الطَّعامَ وَرَدَّ عَلَيْنا ثَمَنَهُ دونَ أَنْ يُعْلِمَنا بِذلكَ ، ونَحْنُ سَنَشْتَري بهذا المالِ الطَّعامَ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَنَصْطَحِبُ مَعَنا أَخانا وَنَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ ، ونَحْصُلُ بِسَبَبِ وُجودِ أَخينا مَعَنا على حِمْلِ بَعيرٍ زائِدٍ ، فإنَّ عَزيزَ مِصْرَ يُعْطي مِنَ الطَّعامِ على عَدَدِ مَنْ يَأْتيهِ ، وإنَّ الزَّادَ الَّذي أَتَيْنا بِهِ مَعَنا شِيءٌ يَسيرٌ ، ولا يَكْفينا إلاَّ مُدَّةً مَحْدودةً ، وَيَجِبُ أَنْ نَعودَ إليهِ مَرَّةً أُخْرى لِنُحْضِرَ طَعاماً آخَرَ .

وَبِهذا يَكونُ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ ذَكَروا أَكْثَرَ مِنْ أَمْرٍ يَسْتَدْعي ذَهابَ أَخيهِمْ بِنيامينَ مَعَهُمْ ، وتَعَهَّدوا مَرَّةً أُخْرى بالمُحافَظَةِ عَلَيْهِ وإعادَتِهِ مَعَهُمْ سالِماً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ العَلاقَةُ بَيْنَ بِلادِ الشَّامِ وَمِصْرَ كانَتْ مَوْجودَةً مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ .

٢ـ كانَ القَمْحُ سِلْعَةً تِجارِيَّةً يَحتاجُ النَّاسُ إِلَيْها في مُخْتَلَفِ البِلادِ .

٣ـ قَناعَةُ المَرْءِ بالأَمْرِ تَجْعَلُهُ أَكْثَرَ رَغْبَةً في إِقْناعِ الآخَرينَ بِهِ .

٤ـ اتِّباعُ الوَسائِلِ المُتَعَدِّدَةِ لِلتَّأْثيرِ في الآخَرينَ ما دامَتْ هذه الوَسائِلُ مَشْروعَةً .

٥ـ تَجْرِبَةُ الإنْسانِ في أَمْرٍ ما تُؤَدِّي إلى الحُكْمِ المُسْبَقِ عَلَيْهِ في مَرَّةٍ قادِمَةٍ .

٦ـ يَقينُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَتَوَكُّلُهُ على اللهِ وَتَسْليمُهُ الأَمْرَ لَهُ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أجابَ الإخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدما طَلَبَ مِنْهُم إحْضار بِنيامينَ مَعَهُمْ في المَرَّةِ القادِمَةِ ؟

٢ـ ماذا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَحْمِلَ إخْوَتَهُ على العَوْدَةِ إليْهِ مَرَّةً أُخْرى ؟

٣ـ بيِّنِ الوَسائِلَ الَّتي حاوَلَ فيها إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إقْناعَ أَبيهِمْ بإرسالِ أَخيهِمْ مَعَهُمْ .

٤ـ بِماذا أجابَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ على طَلَبِهِمْ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ قالوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ .

ب ـ لَعَلَّهُم يَرْجِعونَ .

ج ـ مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ .

د ـ ما نَبْغي .

هـ ـ وَنَميرُ أَهْلَنا .

و ـ وَنَزْدادُ كَيْلَ بَعيرٍ .

ز ـ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسيرٌ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عشَرَ

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- حَتَّى تُؤْتونِ مَوْثِقاً : حَتَّى تُعطوني عَهْداً مُؤَكَّداً بالقَسَمِ باللهِ .
- يُحاطَ بِكُمْ : تَهْلِكوا جَميعاً .
- وكيلٌ : مُطَّلِعٌ .
- آوى إلَيْهِ أخاهُ : ضَمَّهُ إلَيْهِ .
- فَلا تَبْتَئِسْ : فلا تَأْسَفْ ولا تَحْزَنْ .

التفسيرُ :

في آياتِ هذا الدَّرْسِ ذِكْرٌ لِعَزْمِ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على الرَّحيلِ إليهِ مَرَّةً أُخْرى وَقَدْ أَعْطَوْا لأَبيهِمْ أَغْلَظَ المَواثيقِ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ بِنيامينَ ، وفيها وَصِيَّةُ أبيهِمْ بالاحْتِراسِ والانْتِباهِ كَيْلا يُصيبَهُمْ مَكْروهٌ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبْنائِهِ : لَنْ أُرْسِلَ بنيامينَ مَعَكُمْ كما طَلَبْتُم حتَّى تُقْسِموا لي باللهِ عَهْداً مُؤَكَّداً على أَنَّكُمْ سَتعودونَ بِهِ مَعَكُمْ ، إلاَّ إذا هلَكْتُمْ جَميعاً أَوْ غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ بأَمْرٍ فَوْقَ طاقَتِكُمْ .

فَأَقْسَمَ أَبْناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ على ما أَرادَ وأَعْطَوْهُ العُهودَ والمَواثيقَ أَنْ يُحافِظوا على أَخيهِمْ ، فَقالَ لَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ ذَلِكَ : تَذَكَّروا أَنَّ اللهَ تَعالى مُطَّلِعٌ ورَقيبٌ على كَلامِكُمْ وحالِكُمْ ، فَأَوْفوا بِما الْتَزَمْتُمْ بِهِ ولا تُنْقِضوهُ فَتعرِّضوا أَنْفُسَكُمْ لِعقابِ اللهِ تَعالى .

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وَأَوْصى يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ إذا وَصَلوا مِصْرَ أَنْ لا يدْخُلوا المَدينةَ مِنْ بابٍ واحِدٍ بلْ أَنْ يَتفرَّقوا على الأَبْوابِ ، وَذَلِكَ خَوْفاً عَلَيْهِمْ مِنْ الحَسَدِ ، وَمِنْ أَيِّ إيذاءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِضَ لَهُمْ ، فَقَد كانوا أَحَدَ عَشَرَ أخاً ذَوي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ تَسْتَرْعي الانْتِباهَ ، وَلَعَلَّهُمْ تَجمَّلوا في هَذِهِ المَرَّةِ مِنَ السَّابِقَةِ لِما عَلِموا مِنْ مَكانَتِهِمْ عِنْدَ العَزيزِ .

ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ هذهِ الوَصِيَّةَ وهذا التَّصرُّفَ ، وَهُوَ التَّفَرُّقُ على الأَبْوابِ ، لا يَرُدُّ القَدْرَ ، ولَكنَّهُ أَخْذٌ بالأَسْبابِ المُعينَةِ على قَضاءِ المَصالِحِ ، وما الحُكْمُ إلاَّ للهِ وَحْدَهُ لا يُشارِكُهُ فيهِ أَحَدٌ ، ولا رادَّ لِقضائِهِ إذا وَقَعَ . عَلَيْهِ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ كانَ تَوكُّلُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ يَنْبَغي أَنْ يتوكَّلَ كُلُّ مُريدٍ لِلتَّوكُّلِ الحَقِّ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّ الأَبْناءَ الْتَزموا وَصِيَّةَ أَبيهِمْ ، ودَخلوا مِنَ الأَبْوابِ المُتَعَدِّدَةِ ، وإنَّ هذا التَّصرُّفَ مِنْهُم لا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنْ قَدَرِ اللهِ تَعالى مِنْ شَيءٍ ، فَما أَرادَ اللهُ تعالى حُصولَهُ لابُدَّ وأَنْ يَحْصُلَ مَهْما احْتالَ الإِنْسانُ وحاولَ ، ولو أَرادَ اللهُ تعالى وُقوعَ أَمْرٍ بِهم لَوَقَعَ سَواءٌ بَقوا مُجْتَمِعينَ أَوْ دَخلوا مُتَفرِّقينَ ، إلاَّ أَنَّ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ رَغِبَ لَهُم في أَنْ يأْخُذوا بِأَسْبابِ السَّلامةِ مَعَ شَديدِ حُبِّهِ لَهُم وَحِرْصِهِ عَلَيْهِم ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذا لا يَرُدُّ قَدَرَ اللهِ ، فَهُو ذو عِلْمٍ عَظيمٍ لما عَلَّمَهُ اللهُ تعالى إيَّاهُ ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ وَهُمْ غَيْرُ المُؤْمِنينَ لا يَعْلَمونَ أَنَّ الأَخْذَ بالأَسْبابِ لا يَتنافَى مَعَ التَّوَكُّلِ على اللهِ ، وأَنَّ الحَذَرَ لا يُنْجي مِنَ القَدَرِ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وحِينَ دَخَلَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَيْهِ أَكْرَمَ وِفادَتَهُمْ وأحْسَنَ ضِيافَتَهُمْ ، واخْتَلى بأَخيهِ بِنيامينَ دُونَ شُعورِ الباقينَ ، فعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ وأَخْبَرَهُ بما فَعَلَهُ الإِخْوَةُ بهِ وما حَصَلَ مَعَهُ ، وأوْصاهُ أَنْ لا يَغْتَمَّ لِذلكَ ، وأَنْ لا يُطْلِعَهُمْ على ما أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ ، وأَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَيُدبِّرُ أَمْرَ بقائِهِ عِنْدَهُ وإحْضارَ والِدِهِ بَعْدَ ذَلِكَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ أَخْذِ العَهْدِ المُؤَكَّدِ في الأُمورِ الهامَّةِ وَلَوْ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ .

٢ـ الحَذَرُ مِنَ العَيْنِ والحَسَدِ وَكَيْدِ الآخَرينَ ، واتِّخاذُ الأَسْبابِ المُعينةِ على دَفْعِ ذَلِكَ .

٣ـ اليَقينُ بأَنَّ الحَذَرَ لا يُنْجي مِنَ القَدَرِ ، وأَنَّ الأَخْذَ بالأَسْبابِ لا يُنافي التَّوَكُّلَ .

٤ـ مَشْروعيةُ كِتْمانِ ما يُخَطِّطُ لَهُ المَرْءُ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ إنفاذِهِ وإتْمامِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا اشْتَرَطَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على أبْنائِهِ حتَّى يُرْسِلَ مَعَهُمْ أخاهُمْ بِنيامينَ ؟

٢ـ بماذا أَوْصَى يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبْناءَهُ ؟

٣ـ ما فائِدَةُ دُخولِ الإِخْوَةِ مِنْ أبوابٍ مُتفرِّقَةٍ بَدَلاً مِنَ الدُّخولِ مِنْ بابٍ واحِدٍ ؟

٤ـ ماذا فَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ أخيهِ بِنيامينَ ؟ وبِماذا أَوْصاهُ ؟

نَشاطٌ :

ـ مِنْ أَرْكانِ الإيمانِ ، الإيمانُ بالقَدَرِ ، اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ على ذَلِكَ .

الدَّرسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السِّقايَةَ	: إناءٌ لِلشُّرْبِ وَيُتَّخَذُ لِلْكَيْلِ .
رَحْلِ أخيهِ	: أَثاثِهِ ومتاعِهِ .
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ	: نادى مُنادٍ .
العيرُ	: القافِلَةُ .
صُواعَ	: الصّاعَ الَّذي يُكالُ بِهِ الحُبوبُ .
زعيمٌ	: كَفيلٌ وَضامِنٌ .
كِدْنا لِيُوسُفَ	: دَبَّرنا وهَيَّأْنا لَهُ .
دِينِ المَلِكِ	: حُكْمِهِ وقانونِهِ .



التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمَةِ ذِكرٌ لِلتَّدْبيرِ الَّذي دبَّرَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيُبْقِيَ أخاهُ عِنْدَهُ تَمْهيداً لإتْمامِ ما يَقْصُدُهُ مِنْ جَمْعِ العائِلَةِ كُلِّها عِنْدَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ عرَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أخاهُ على نَفْسِهِ وأَوْصاهُ بِكِتْمانِ ذَلِكَ عَنْ باقي إِخْوَتِهِ ، تَمَّ تَجْهيزُ القافِلَةِ بما يَحْتاجونَ إليْهِ مِنْ طَعامٍ وَزادٍ لِلطَّريقِ وَلوازِمَ لِلسَّفَرِ ، وفي أَثْناء ذَلِكَ أَمَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِتْيانَهُ أَنْ يُخْفوا الإناءَ الَّذي كانَ يَكيلُ بِهِ في مَتاعِ أخيهِ الصَّغيرِ بنيامينَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِمْ أحَدٌ ، ثُمَّ نادى مُنادٍ على إِخْوةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُمْ يَتَجَهَّزونَ لِلرَّحيلِ : يا أَصْحابَ القافِلَةِ تَوقَّفوا ولا تُغادِروا فَأَنْتُمْ مُتَّهمونَ بالسَّرِقَةِ ، وَوَقَعَ هذا النِّداءُ على نُفوسِهِمْ مَوْقِعاً عَظيماً ، فَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مُتَوقَّعٍ أَبَداً ، وَهُمْ يَعْلَمونَ يَقيناً أَنَّهُمْ لَمْ يَسْرِقوا ، ولِذا بادَروا بالسُّؤالِ :

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ أَقْبَلوا عَلى مَنْ يُنادونَهُمْ ويَتَّهِمونَهُمْ بالسَّرِقَةِ : ماذا ضاعَ مِنْكُمْ حتَّى اتَّهَمْتُمونا بالسَّرِقَةِ ؟

﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

قالوا لَهُمْ : نَفْقِدُ الصَّاعَ الَّذي نَكيلُ بِهِ ، وَهُوَ الَّذي سَبَقَ تَسْمِيَتُهُ السِّقايَةَ ، ولابُدَّ أَنهُ كان نَفيساً ثَميناً حتَّى يَهْتَمَّ بِهِ هذا الاهْتِمامَ ، ويُتَّهَمَ القَوْمُ بِسَرِقَتِهِ بَعْدَ ضَياعِهِ ، هذا وَقَدْ وَعدوهُمْ بِجائِزَةٍ لِمَنْ يَأْتي بهذا الصَّاعِ مِنْ تلقاءِ نَفْسِهِ دُونَ تَفْتيشٍ وَبَحْثٍ ، وهِيَ حِمْلُ بَعيرٍ مِنَ الطَّعامِ ، وَطَمْأَنَهُمُ المُنادِي بِأَنَّهُ ضامِنٌ وَكَفيلٌ بِتَحْقيقِ هذا الوَعْدِ .

وإِنَّما قالَ هذا الكلامَ لِيَحُثَّهُمْ على البَحْثِ عَنِ الصُّواعِ في أَمْتِعَتِهِم ، فَقَدْ يَكونُ قَدْ بَقِيَ فِيها سَهْواً دونَ قَصْدٍ ، إلاَّ أَنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانوا في غايَةِ الأطمِئْنانِ إلى بَراءَتِهِمْ ، ولِذا لَمْ يَبْحَثوا في مَتاعِهِمْ بَلْ سارَعوا إلى نَفْيِ التُّهْمَةِ عَنْهُم .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلمُنادي وَمَنْ مَعَهُ الّذينَ اتَّهمَوهُمْ بالسَّرِقَةِ : واللهِ قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ حالِنا

وعَلِمْتُمْ مِنْ سُلوكِنا أنَّا ما جِئْنا إلى بِلادِكُمْ لِنُفْسِدَ فيها وَنَرْتَكِبَ مِنَ الأعْمالِ ما لا يَليقُ ، وما كُنَّا لِنَسْرِقَ شَيْئاً مِنْكُم وَقَدْ أكْرَمْتُمونا وأحْسَنْتُمْ إليْنا .

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

قالَ المُنادي ومَنْ مَعَهُ مِنَ الفِتْيَةِ لإخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ : إذاً فَما جزاءُ وعِقابُ مَنْ فَعَلَ هذا الفِعْلَ ، وَهُوَ سَرِقَةُ صُواعِ المَلِكِ في دِينِكُمْ وشَرِيعَتِكُمْ ، إنْ وَجَدناهُ في مَتاعِ أحَدِكُمْ وكُنْتُمْ كاذِبينَ في دَعْواكُمْ عَدَمَ السَّرِقَةِ وفي إنْكارِكُمْ لِلتُّهْمَةِ ؟

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قالَ إخوةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلمُنادي ومَنْ مَعَهُ : جَزاءُ مَنْ يُوجَدُ الصُّواعُ في رَحْلِهِ وَمَتاعِهِ أنْ يُسْتَرَقَّ ، هذا حُكْمُ السّارِقِ في شَريعَتنا وَهذا جَزاؤُهُ ، ثُمَّ أكَّدوا الحُكْمَ مَرَّةً أُخْرى بِقَوْلِهِمْ : ومِثْلُ هذا الجَزاءِ نَجْزي الظَّالِمينَ الَّذينَ يَسْرِقونَ في شَريعَتِنا ويَظْلِمونَ غَيْرَهُمْ بِأَخْذِ أمْوالِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ، قالوا ذَلِكَ ثِقَةً بِبراءَتِهِمْ مِنْ هذهِ الجَريمَةِ ، وهُمْ لا يَعْلَمونَ ما دُبِّرَ لَهُمْ .

﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذهِ المُحاوَرةِ بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ البَحْثِ عَنِ الصُّواعِ ، وبَدَأَ المُؤَذِّنُ بالبَحْثِ في أوْعِيَتِهِمْ ، فَلَمْ يَجِدْ فيها ما يَبْحَثُ عَنْهُ ، ولمَّا وَصَلَ في البحثِ إلى وِعاءِ بنيامينَ وَجَدَ الصُّواعَ فيهِ فاسْتَخْرَجَهُ مِنْهُ على مَرأىً مِنْهُمْ جميعاً .

وَلَنا أنْ نَتَصَوَّرَ كَمْ كانتْ دَهْشَةُ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وشُعورُهُمْ بالخِزْيِ والعارِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمْ ذلكَ ، وَقَدْ أقْسَموا مِنْ قَبْلُ على بَراءَتِهِمْ ، ومِمَّا يَزيدُ في ألَمِهِم وحَسْرَتِهِمْ اسْتِخْراجُ الصُّواعِ مِنْ رَحْلِ بنيامينَ الَّذي تَعَهَّدوا لأبيهِمْ أنْ يُعيدوهُ مَعَهُمْ .

ولاشَكَّ أنَّ ما فَعَلَهُ المُؤَذِّنُ مِنْ نِداءٍ وحِوارٍ وَبَحْثٍ واسْتِخْراجٍ كانَ بِأمْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ ، وأنَّه عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ يُتابِعُ ما يَحْصُلُ ويُراقِبُهُ ، (كَذلكَ كِدنا لِيوسُفَ) أيْ مِثْلُ هذا التَّدْبيرِ الحَكيمِ دَبَّرْناهُ مِنْ أجْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَصِلَ إلى مَقْصِدِهِ وغايَتِهِ ، فما كانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَسْتَطيعُ أنْ يَحتَجِزَ أخاهُ عِنْدَهُ لَوْ نَفَّذَ فيهِمْ حُكْمَ المَلِكِ ، وما كان يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَفْعَلَ كُلَّ هذا التَّدْبيرِ الحكيمِ إلاّ في حالِ مَشيئَةِ اللهِ ومَعونَتِهِ وإذْنِهِ بذلكَ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي ألْهَمَهُ أنْ يَفْعَلَ ما فَعَلَ ، وأنْ يَسْألَهُمْ عَنْ عُقوبَةِ السَّارِقِ في شَريعَتِهِمْ وأنْ يُطَبِّقَها عَلَيْهِ ، وهُوَ سُبْحانَهُ يَرْفَعُ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ إلى

دَرَجاتٍ عاليةٍ مِنَ العُلومِ والحِكْمَةِ في التَّصرُّفِ ، ومَهْما وَصَلَ صاحِبُ العِلْمِ إلى دَرَجاتٍ عاليةٍ فيهِ ، فإنَّهُ يُوجَدُ مَنْ يَفوقُهُ في العِلْمِ ، فالبَشَرُ في العِلْمِ دَرجاتٌ ، ولا يُوجَدُ عالِمٌ إلاّ فَوْقَهُ عالِمٌ حتَّى يَنْتَهي إلى اللهِ عزَّ وَجَلَّ العليمِ الخَبيرِ بِكُلِّ شَيْءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ فِعْلِ الشّيءِ الّذي صَوَّرَتْهُ الحِيلةُ لِلتَّوَصُّلِ إلى غَرَضٍ صَحيحٍ ، على أنْ لا يُخالِف في ذَلِكَ الشَّرْعَ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ إعْطاءِ المُكافَأَةِ لِمَنْ يَعْثُرُ عَلى شَيءٍ ضائعٍ أَوْ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِغَيْرِهِ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ الكَفالَةِ كَما جاءَ في قَوْلِهِ تَعالى (وأَنا بهِ زَعيمٌ) .

٤ـ المُبالَغَةُ في إخْفاءِ التَّدْبيرِ ، وَلِذا بَدَأَ التَّفْتيشُ في أَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخيهِ .

٥ـ رعايَةُ اللهِ تعالى لأَنْبيائِهِ وأَوْلِيائِهِ ، وَتَيْسيرُهُ الأُمورَ لَهُمْ لِيَصِلوا إلى ما يَشاءونَ .

٦ـ كانَ السَّارِقُ يُسْتَرَقُّ في شَريعَةِ إسْرائِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ وبَنيهِ .

٧ـ السَّرِقَةُ مِنَ الإفْسادِ في الأَرْضِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا وَضَعَ فِتيانُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في مَتاعِ بِنيامينَ ؟ وَلِماذا ؟

٢ـ على ماذا يَدُلُّ سُؤالُ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ الشَّيْءِ المَفْقودِ ؟

٣ـ ماذا قالَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ في سَبيلِ الدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ؟

٤ـ لماذا طَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُمُ الاحْتِكامَ إلى شَرْعِهِمْ ؟

٥ـ ما السَّبَبُ الّذي دَعا مَنْ يَبْحَثُ في الأَمْتِعَةِ إلى تَأْخيرِ البَحْثِ في مَتاعِ بِنيامينَ ؟

٦ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ فَلمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ .

ب ـ صُواعَ المَلِكِ .

ج ـ وأنا بِهِ زَعيمٌ .

د ـ قالوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ .

هـ ـ كذلِكَ كِدْنا لِيوسُفَ .

و ـ وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ تَدْبيرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ومَقولةِ (الغايةُ تُبَرِّرُ الوَسيلةَ) .

٢ـ ارْجِعْ إلى كُتُبِ التَّفْسيرِ واسْتَخْرِجْ مِنْ كلامِ المُفَسِّرينَ عُقوبَةَ السَّارِقِ في قانونِ المَلِكِ ، وعُقوبَةَ السّارِقِ في الشَّريعَةِ الإسْلامِيَّةِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَأَسَرَّها : أَخْفاها .

اسْتَيْأَسوا : يَئِسوا يَأْساً تامّاً .

خَلَصوا نَجِيّا : انْفَردوا لِلتَّناجي والتَّشاوُرِ .

فَرَّطْتُم : قَصَّرْتُم .

التفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ تَفْصيلُ الحِوارِ الَّذي دارَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ وُمحاوَلَتِهِمْ فَكَّ أَسْرِ أَخيهِمْ بِنيامينَ وأَخْذَ أَحَدِهِمْ مَكانَهُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

قالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنْ يَسْرِق بِنيامينُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ شَقيقٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ وَهُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ

السَّلامُ ، يُريدونَ بذلكَ تبرئةَ أنْفُسِهِمْ مِنْ عارِ السَّرِقَةِ ، مُدَّعينَ أنَّ خُلُقَ السَّرِقَةِ في بنيامينَ قَدْ سبَقَهُ إليهِ أَخٌ شَقيقٌ أكْبَرُ مِنْهُ ، أمَّا هُمْ فإنَّهُمْ بَريئونَ مِنْ هذا الخُلُقِ لأنَّ أُمَّهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وهذا الاتِّهامُ مِنْهُمْ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالسَّرِقَةِ ادِّعاءٌ قَبيحٌ يَدُلُّ على ما اسْتَقَرَّ في نُفوسِهِمْ مِنْ حِقْدٍ عَلَيْهِ وَحَسَدٍ لَهُ ، مَعَ طُولِ السِّنين الَّتي تَفْصِلُ بَيْنَ هذهِ الحادثةِ وإلْقائِهِمْ إيَّاهُ في الجُبِّ .

سَمِعَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ هذا الكلامَ مِنْهُم ، فأَسَرَّهُ في نَفْسِهِ دونَ أنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ أثَرُهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ في ادِّعائِهِمْ هذا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْ أنْ يَكْشِفَ لَهُم عَنْ حَقيقَتِهِ حتَّى تَكْتَمِلَ حَلَقاتُ القِصَّةِ كامِلَةً ، ويَحينَ الوَقْتُ المُناسِبُ لِذلكَ ، وَلِذا أخْفى تَأثُّرَهُ ، وأخْفى رَدَّهُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ أنَّه أجابَ إجابَةً تُظْهِرُ عَدَمَ رِضاهُ عَمَّا قالوهُ ولا تَكْشِفُ أَمْرَهُ فَقالَ : بَلْ أنْتُمْ أيُّها الإخْوَةُ شَرٌّ مَكاناً ومَنْزِلَةً ، واللهُ تَعالى أَعْلَمُ مِنّي وَمِنْكُمْ بما تَصِفونَ بِهِ غَيْرَكُمْ مِنَ الأوْصافِ المُخالِفَةِ لِلْحَقِّ ولِلواقِعِ ، وهذا هُوَ المَوْقِفُ الَّذي وَعَدَ اللهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحُصولِهِ عِنْدَما أَوْحى إليهِ أنَّهُ سَيُخْبِرُ إخْوانَهُ بِهِ وَهُمْ لا يَشْعرونَ .

وَيَظْهَرُ مِنَ الآيَةِ ما أَصابَ إخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ اضْطرابٍ وانْدفاعٍ بَعْدَ أنْ رَأَوْا ما حَصَلَ ، فانْدَفَعَتْ أَلْسِنَتُهُمْ تَكْشِفُ ما في قُلوبِهِمْ مِنْ حِقْدٍ على أخَوَيْهِمُ الشَّقيقَيْنِ ، لِيُبْعِدوا عَنْ أنْفُسِهِمُ التُّهْمَةَ وَيَصونوها مِنْ مَقالَةِ السُّوءِ فيهِمْ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْتَظِرونَ مَوْقِفاً سَيِّئاً أمامَ أبيهِمْ ، وَلِذا تَوَجَّهوا بالرَّجاءِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

قالَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ على سَبيلِ الاسْتِعْطافِ والرَّجاءِ كَيْ يُطْلِقَ لَهُمْ أخاهمْ : يا أيُّها العَزيزُ الَّذي أكْرَمَنا وأحْسَنَ إلَيْنا إنَّ أخانا الَّذي تُريدُ أنْ تَأْخُذَهُ على سَبيلِ الاسْتِرْقاقِ ، قَدْ تَرَكَ أباً لَهُ مُتقدِّماً في السِّنِّ وَهُو يُحِبُّهُ حُبّاً كَثيراً ، وإنْ كُنْتَ ولابُدَّ سَتَأْخُذُ واحِداً تَسْتَرِقُّهُ فَخُذْ واحِداً مِنَّا حَتَّى لا يُفْجَعَ فيهِ ، وإنَّما قُلْنا لَكَ هذا الكَلامَ لأنَّنا نَراكَ مِنَ المُحْسِنينَ في التَّعامُلِ مَعَنا ، وَقَدْ سَبَقَ أنْ أَكْرَمْتَنا فأتْمِمْ إحْسانَكَ بإطْلاقِ سَراحِهِ لِيُسافِرَ مَعَنا إلى أبيهِ .

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

قالَ لَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ : إنَّا نَعوذُ باللهِ تَعالى ونَبْرَأُ إليْهِ أنْ نَأْخُذَ في جريمةِ السَّرِقَةِ إلاَّ الشَّخْصَ الَّذي وَجَدْنا صُواعَ المَلِكِ في مَتاعِهِ ، وسَنَكونُ ظالِمينَ إذا أَخَذْنا مَكانَهُ شَخْصاً آخَرَ لا ذَنْبَ لَهُ وتَرَكْناهُ دونَ عِقابٍ على فِعْلَتِهِ ، فاتْرُكوا الجِدالَ في هَذا الأَمْرِ لأنَّنا لا نُريدُ أنْ نَكونَ ظالِمينَ .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَذَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَقْصى جُهْدَهُم في مُحاوَلَةِ إِطْلاقِ سَراحِ أَخيهِمْ وَلَمْ يُفْلِحوا ، وَيَئِسوا يَأْساً تاماً مِنَ الوُصولِ إِلى مَطْلوبِهِم ، ابْتَعدوا عَنِ النَّاسِ لِيَتَشاوَروا فيما يَفْعَلونَهُ وماذا سيقولونَ لأَبيهِمْ حينَ يَعودونَ إِلَيْهِ دونَ أَنْ يَكونَ بِنيامينُ مَعَهُمْ ، وَقَدْ أَقْسَموا لأَبيهِمْ وأَعْطوْهُ المَواثيقَ أَنْ يُعيدوهُ مَعَهُمْ .

قالَ كَبيرُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَموا وأَنْتُمْ تُريدونَ العَوْدَةَ إِلى أَبيكُمْ دونَ أَخيكُم بنيامينَ أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً وَعَهْداً مُؤَكَّداً ، حينَ أَقْسَمْتُمْ لَهُ باللهِ أَنْ تُحافِظوا على أَخيكُمْ وأَنْ لا تَرْجِعوا دُونَهُ ، إِلاَّ أَنْ يُحاطَ بِكُمْ ، وأَنْتُمْ تَذْكُرونَ ما سَبَق مِنَّا مِنْ قَبْلُ مِنَ التَّفْريطِ والتَّقْصيرِ في حَقِّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فبِأيِّ وَجْهٍ سَنُقابِلُ أَبانا الآنَ ؟ وما مَوْقِفُنا أَمامَهُ ؟ أَمَّا أنا فَلَنْ أُفارِقَ أَرْضَ مِصْرَ وَلَنْ أُغادِرَها حَتَّى يَأْذَنَ لي أَبي بِذَلِكَ ، أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لي بِمُغادَرَتِها على وَجْهٍ لا يُؤَدِّي إِلى نَقْضِ المِيثاقِ والعَهْدِ مَعَ أَبي ، أَوْ بَعْدَ تَخْليصِ أَخي مِنَ الرِّقِّ بِوَسيلةٍ مِنَ الوَسائِلِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ أَحْكَمُ الحاكِمينَ لأَنَّهُ لا يَحْكُمَ إِلاّ بالحَقِّ والعَدْلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضيلَةُ كَظْمِ الغَيْظِ واحْتِمالِ أَذى القَوْلِ ، وعَدَمُ إِظْهارِ التَّأَثُّرِ بِالكَلامِ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ الاسْتِرحامِ والاسْتِعْطافِ لِمَنْ يَحْتاجُ إِلَيْهِ رَجاءَ أَنْ يُجابَ إِلى طَلَبِهِ .

٣ـ حُرْمَةُ تَرْكِ الجاني ومُعاقَبَةُ غَيْرِهِ بَدَلاً مِنْهُ .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ المُناجاةِ لِلتَّشاوُرِ في الأَمْرِ المُهِمِّ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا سارَعَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى اتِّهامِهِ بالسَّرِقَةِ ؟

٢ـ ما الَّذي أَسَرَّهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في نَفْسِهِ ؟

٣ـ كَيْفَ حاولَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إقْناعَهُ اسْتِرْقاقِ أَخيهِمْ بِنيامينَ ؟

٤ـ ما رَدُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على طَلَبِ إخْوَتِهِ أَخْذَ أَحَدِهِمْ مَكانَ بِنيامينَ ؟

٥ـ ماذا فَعلَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ اسْتَيْئَسوا مِنْ إنقاذِ أَخيهِم ؟

٦ـ لِماذا رَفَضَ الأَخُ الأَكْبَرُ العَوْدَةَ مَعَهُمْ إلى والِدِهِ ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خطٌ في الآياتِ الكَريمَةِ التَّالِيَةِ :

أـ قالوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ .

ب ـ واللهُ أَعْلَمُ بما تَصِفونَ .

ج ـ قالَ مَعاذَ اللهِ .

د ـ فلمَّا اسْتَيْئَسوا مِنْهُ خَلَصوا نَجِيًا .

فائِدَةٌ :

لَمْ تَذْكُرِ الآيَةُ اسْمَ كَبيرِهِمْ ، ولَمْ تُبيِّنِ المَقْصُودَ بِكَوْنِهِ كَبيرَهُمْ ، أَهُوَ كِبَرُ السِّنِّ أَمْ العَقْلِ والعِلْمِ ، لأَنَّه لا يَتعلَّقُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ كَبيرُ فائِدَةٍ ، والفائِدَةُ في مَوْقِفِهِ المُظْهِرِ لِخَجَلِهِ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِ على مُواجَهَةِ أبيهِ بِما حَصَلَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ ما في قُلوبِهِمْ وما يَظْهَرُ على أَلْسِنَتِهِمْ اتِّجاهَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخيهِ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ السَّادسَ عشَرَ

ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْأَلِ القَرْيَةَ	: واسْأَلْ أَهْلَ القَرْيةِ .
العيرَ	: القافِلَةَ .
سَوَّلَتْ	: زَيَّنَتْ وَسَهَّلَتْ .
يا أَسفى	: يا حُزْني احْضُرْ فَهذا أوانُ حُضورِكَ لِيَتَجَّددَ الحُزْنُ والأَسى .
وابيَضَّتْ عَيناهُ	: أَصابَتْهُما غِشاوَةٌ بَيضاءُ ، فَذَهبَ بَصَرُهُ .
كَظيم	: مَغْموم مَكْرُوب لا يُظْهِرُ غَيْظَهُ .
تَفْتَأُ	: لا تَزالُ .
حَرَضاً	: مُشْرِفاً على الهلاكِ .
بَثّي	: هَمّي وَحُزْني .

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ مَشْهَدُ عَوْدةِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ ، وَمَوْقِفُهُ مِنْ كلامِهِمْ وَتَجدُّدُ الأَحْزانِ عَلَيْهِ بِفِراقِ ابْنِهِ الحَبيبِ بنيامينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلام كبيرِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ الْتَزَمَ بِعَدَمِ مُغادَرَةِ مِصْرَ حتَّى يَأْذَنَ لَهُ أبوهُ أو يَحْكُمَ اللهُ تعالَى بما يَشاءُ فَقالَ لَهُمْ : ارْجِعوا يا إخْوَتي إلى أبيكُمْ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقولوا لَهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ إنَّ ابْنَكَ بِنْيامينُ سَرَقَ صُواعَ المَلِكِ ، فَأَخَذَهُ العزيزُ طِبْقاً لِشَريعتنا حَيْثُ كانَ قدِ احْتَكَمَ إليْها ، وما شَهِدْنا عَلَيْهِ بالسَّرِقَةِ إلاَّ بما عَلِمْناهُ وَرَأَيْناهُ مِنْ وُجودِ الصُّواعِ في رَحْلِهِ ، وما كُنَّا نَعْلَمُ الغَيْبَ بأَنَّهُ سَيَسْرِقُ عِنْدما أَعْطَيْناكَ عُهودَنا وَمَواثيقَنا على إعادَتِهِ مَعنا .

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾

وأَوْصاهُمْ كَبيرُهُمْ بما ظَنَّ أَنَّهُ يَحْمِلُ أباهُمْ على التَّصْديقِ ، فقالَ : قولوا لأبيكُمْ إنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ كلامِنا فأَرْسِلْ إلى أَهْلِ القَرْيَةِ التي كنَّا فيها مَنْ يَسْأَلُهُمْ عَمَّا حَصَلَ ، واسْأَلْ أَهْلَ القافِلَةِ الَّتي كُنَّا فيها فَقَدْ شاهَدوا مِثْلَنا ما حَصَلَ ، وأَوْصاهُمْ أخيراً أَنْ يُؤَكِّدوا صِدْقَهُمْ بِقَوْلِهِمْ (وإنَّا لَصادِقونَ) في كلِّ ما أَخْبرناكَ بِهِ واثِقونَ مِنْهُ ، ولا نُبالي إنْ سَأَلْتَ أَهْلَ القَرْيَةِ أَوِ القافِلَةَ عَمَّا حَدَثَ .

وقَدْ حاولَ كَبيرُهُمْ بِهذا الكَلامِ تَأْكيدَ صِدْقِهِمْ بِأَكْثَرَ مِنْ وَسيلةٍ وأُسْلوبٍ ، فإنَّ ماضيهِمْ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأخيهِ بَعيدٌ عَنِ الصِّدْقِ في التَّعامُلِ .

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

رَجَعَ الإِخْوَةُ إلى أَبيهِمْ وأَخْبَرَوهُ بما حَصَلَ مَعَهُمْ ، فَقالَ لَهُمْ : لَيْسَ الأَمْرُ كما زَعَمْتُمْ ، ولكنَّ أَنْفُسَكُمْ هِيَ الَّتي سَوَّلَتْ لَكُمْ أمراً أَرَدْتُموهُ وَفعلْتُموهُ ، وصَبْري على فِعْلِكُمْ هذا صَبْرٌ جميلٌ ، لا شَكوى فيهِ لِغَيْرِ اللهِ ، والَّذي حَمَلَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ على هذا القَوْلِ ، الَّذي سَبَقَ أَن قالَهُ لَهُمْ حينَ جاءوهُ بِقَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ماضيهِمْ وما سَبَقَ لَهُمْ فِعْلُهُ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ عاهَدوا أباهُمْ على المُحافَظَةِ عَلَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَرَّطوا فيهِ ، فَلَمْ يَسْتَبْعِدْ عَلَيْهِمْ فِعْلَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ مَعَ بِنيامينَ ، مَعَ أَنَّ الواقِعَ في هذهِ المَرَّةِ أَنَّهُمْ كانوا صادِقينَ في كَلامِهِمْ ، ولَمْ يُقَصِّروا في حِفْظِ أخيهِم كَما فَعَلوه في المَرَّةِ الأُولى .

وأَضافَ يَعقوبُ عَليْهِ السَّلامُ ما يُفيدُ قُوَّةَ رَجائِهِ باللهِ تَعالى ، وأَمَلَهُ في رَحْمَتِهِ سُبْحانَهُ ، قائِلاً : عسى اللهُ أَنْ يَجْمَعَني بِأَوْلادي جَميعاً : يُوسفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَبِنيامينَ ، وَكَبيرِهِمُ الَّذي بَقِيَ في مِصْرَ ، إنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ العليمُ بِحالي ، الحَكيمُ في كُلِّ ما يَفْعَلُ .

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

جَدَّدَ هذا المَوْقِفُ لِيَعْقوبَ عَلَيْهِ السلامُ أَحْزانَهُ القَديمةَ على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَتَرك أَبْناءَهُ واعْتَزَلَهُمْ وقالَ : يا حُزْني الشَّديدُ على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَقْبِلْ ، فَهذا أَوانُكَ ، وابْيَضَّتْ عَينا يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنْ شِدَّةِ الحُزْنِ ، وما كان يُسبِّبُهُ لَه مِنْ طولِ البُكاءِ ، فَهُوَ مَمْلوءٌ بالحُزْنِ على أَوْلادِهِ الغائِبينَ وبالغَيْظِ مِنْ أَوْلادِهِ الحاضِرينَ ، وُهَو كاظِمٌ لِغَيْظِهِ وَغَمِّهِ لا يُظْهِرُهُ لأَحَدٍ جَلَداً مِنْهُ وَصَبْراً .

وإِنَّما تَأَسَّفَ على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ دونَ أخويْهِ الغائِبيْنِ ، لأَنَّ المُصابَ بِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ أَوَّلَ مَصائِبِهِ ، ولأَنَّ حُبَّهُ في قَلْبِهِ أَشَدُّ وأَكْثَرُ .

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

حينَ رَأى أَبْناءُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَباهُمْ على هَذِهِ الحال مِنَ التَّأَثُّرِ والبُكاءِ والحُزْنِ قالوا لَهُ : نُقْسِمُ باللهِ يا أَبانا أَنَّكَ لا تَزالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بهذا الحَنينِ ، ويُحيطُ بِكَ الحُزْنُ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ هذهِ السَّنواتِ الكَثيرةِ على فَقْدِهِ ، حتَّى تُصْبِحَ مُشْرِفاً على المَوتِ لِطولِ مَرَضِكَ ، أَوْ تُصْبِحَ مِنَ الهالِكينَ المُفارِقينَ لِهذهِ الدُّنْيا ، فَخَفِّفْ على نَفْسِك ، ولا تُزْهِقْها بالهَمِّ والأَسَى .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَوْلادِهِ مُجيباً على لَوْمِهِمْ إِيَّاهُ على حُزْنِهِ الَّذي طالَ أَمَدُهُ على ابْنِهِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ : ما أَشْكو مُصيبَتي الَّتي لا أَسْتَطيعُ إِخْفاءَها ولا أَشْكو حُزْني لأَحَدٍ إلاَّ للهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ القادِرُ على كَشْفِ الهَمِّ والضُرِّ ، وأَنا أَعْلَمُ مِنَ الله تعالى ما لا تَعْلَمونَهُ أَنْتُمْ ، وإِنِّي لأَرْجوه أَنْ يَرْحَمَني ، وأَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلَ بِمَنْ فارَقَني مِنْ أَوْلادِي . وهَذِهِ العِباراتُ مِنْ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَدُلُّ على عَظيمِ إيمانِهِ وَيَقينِهِ باللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ اسْتِحبابُ النَّصيحةِ لِمَنْ يَحْتاجُها .

٢ـ جوازُ الاسْتِشْهادِ بالآخَرينَ لِتَأْكِيدِ الكَلامِ .

٣ـ يَتبادَرُ إلى الذِّهْنِ اتِّهامُ الشَّخْصِ لِمواقِفِهِ السَّابِقَةِ وحُصولِ الرَّيْبِ في كلامِهِ .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ الحُزْنِ على فَقْدِ العَزيزِ دُونَ ارْتِكابِ أيِّ مَحْظورٍ شَرْعِيٍّ في التَّصَرُّفِ .

٥ـ مَشْروعِيَّةُ التَّخْفيفِ عَنِ الحَزينِ والمَهْمومِ .

٦ـ الشَّكْوى إلى اللهِ وَحْدَهُ لِكَشْفِ الضُّرِّ وإزالَةِ الهَمِّ .

٧ـ ضَرْبُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ المَثَلَ في الصَّبْرِ على المَصائِبِ مَعَ عَدَمِ التَشَكِّي لِلْخَلْقِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أَوْصى كَبيرُ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إخْوَتَهُ حِينَ يَرْجِعونَ إلى والِدِهِمْ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَأْكيدِ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ كلامَهُمْ بِأَكْثَرَ مِنْ مُؤَكِّدٍ ؟

٣ـ ما سَبَبُ مُسارَعةِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى تَكْذيبِهِمْ ؟

٤ـ ماذا حَصَلَ مَعَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ انْتِهاءِ الحِوارِ مَعَ أبْنائِهِ ؟

٥ـ بماذا أرادَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ التَّخْفيفَ مِنْ حُزْنِ أَبيْهِمْ وانْفِعالِهِ ؟

٦ـ بماذا رَدَّ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ على أبْنائِهِ ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ وما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظينَ .

ب ـ واسْأَلِ القَرْيَةَ الّتي كُنّا فِيها .

ج ـ وقالَ يا أَسَفَى عَلى يُوسُفَ .

د ـ حتَّى تَكونَ حَرَضاً أَوْ تَكونَ مِنَ الهالِكينَ .

هـ ـ وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمونَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يَقولُ مَنْ أصابَتْهُ مُصيبةٌ .

الدرس السابع عشر

سورة يوسف ـ القسم السابع عشر

يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَدات :

فَتَحسَّسوا : اطْلُبوا خَبَرَهُما بِلُطْف .

رَوْح الله : رَحْمَةِ اللهِ وفَرَجِه .

الضُّر : الهُزال مِنْ شِدّةِ الجُوعِ .

بِبِضاعَةٍ : بِأَثْمانٍ .

مُزْجاةٍ : رَديئَةٍ .

آثَرَكَ : فَضَّلَكَ .

التَفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإِخْبارُ بِرُجوعِ الإِخْوَةِ إلى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثةِ بِناءً على رَغْبَةِ أبيهِمْ في تَتَبُّعِ أَخْبارِ ابْنَيْهِ ، وفي هذهِ الرِّحْلَةِ يَكْشِفُ لَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ نَفْسِه ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

طَلَبَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ أبنائِهِ أَنْ يَرْجِعوا وَيَجْتَهِدوا في البَحْثِ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَخيهِ وأَنْ يَتَتَبَّعوا أخبارَهُما وَيَجِدّوا في طَلَبِ العُثورِ عَلَيْهِما ، فالتَّحَسُّسُ هُوَ طَلَبُ مَعْرِفَةِ الشَّيءِ عَنْ طريقِ الحواسِّ بِدِقَةٍ وَخِبْرَةٍ وَصَبْرٍ ، لإرادةِ الخَيْرِ بالتَّحَسُّسِ عَنْهُ ، بِخلافِ التَّجَسُّسِ فإنَّهُ تَتَبُّعُ الأخْبارِ والبَحْثِ عَنْها بِقَصْدِ الإساءَةِ .

وَأَوْصى يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَنيهِ أنْ يُواصِلوا البَحْثَ ولا يَيْأَسوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وفَرَجِهِ فإنَّهُ لا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إلاَّ الكافِرونَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ باللهِ تَعالى وَواسِعِ رَحْمَتِهِ وعظيمِ قُدْرَتِهِ ، أَمَّا المُؤْمِنونَ فَتَبْقى قُلوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةً باللهِ تعالى وَرَحْمَتِهِ ولا يَيْأَسُ أحَدُهُمْ مَهْما اشْتَدَّتْ بِهِ الكُروبُ وأحاطَتْ بِهِ المَصائِبُ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ الأَبْناءُ لِطَلَبِ والِدِهِمْ فَرَحلوا إلى مِصْرَ ، لِيُحاوِلوا إرْجاعَ أَخيهِمُ المُسْتَرَقِّ بنيامينَ ، وأخيهِمُ الكَبيرِ وتَتَبُّعِ أخْبارِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، والحُصولِ على الطَّعامِ ، حَيْثُ اشْتَدَّتِ حاجَتُهُمْ إليْهِ ، فَلَمَّا دَخَلوا على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالوا لَهُ : يا أَيُّها العَزيزُ لَقَدْ أصابَنا وأَصابَ أَهْلَنا مَعَنا الفَقْرُ والجَدْبُ والهُزالُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ ، وَجِئْنا بِثَمنٍ لِلطَّعامِ غَيْرِ مَقْبولٍ لِرداءَتِهِ وعَدمِ جَوْدَتِهِ ، وهُوَ قَليلٌ لا يَتناسَبُ معَ مِقْدارِ الطَّعامِ الَّذي نَحْتاجُهُ . قَدَّموا كَلامَهُم هذا بَيْنَ يَدَيْ طَلَبِهِمْ اسْتِعْطافاً لَهُ ، ولِيَكونَ باعِثاً على الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ ، والرَّأْفَةِ بِهِمْ ، ثُمَّ ذَكَروا طَلَبَهُمْ فَقالوا : (فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ) أيْ أَتْمِمْهُ لَنا كَعادَتِكَ ولا تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئاً ، (وتَصَدَّقْ عَلَيْنا) فَوْقَ حَقِّنا بِما أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ مِنْ كَرَمٍ وَرَحْمةٍ ، وَبِرَدِّ أَخينا إلَيْنا فإنَّ اللهَ يَجْزي المُتَصَدِّقينَ جَزاءً طَيِّباً مُبارَكاً ويُخْلِفُ عَلَيْهِمْ ما أَنْفَقوهُ .

﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

تَأَثَّرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ بما رَأى مِنْ حالِ إخْوَتِهِ وَبما سَمِعَ مِنْ كلامِهِمْ ، فَقَصَدَ أَنْ يُعَرِّفَهُم بِنَفْسِهِ فقالَ لَهُمْ : هَلْ عَلِمْتُم قَبيحَ ما فَعَلْتُمْ بيوسُفَ وبِأَخيهِ بنيامينَ ، وأَنْتُمْ وَقْتَئِذٍ جاهِلونَ بِقَبيحِ ما تَعْملونَ ، وَبِسوءِ عاقِبَتِهِ ، واكْتَفى عَلَيْهِ السَّلامُ بِذِكْرِ ما فعلوهُ بِهِ وبِأَخيهِ دُونَ ما لَحِقَ أَباهُ مِنْ أَذىً بِسَبَبِ فِعْلِهِمْ ، لأنَّهُمْ لَمْ يَكونوا يَقْصُدونَ إيذاءَ أَبيهِمْ بَلْ فَعلوا ذَلِكَ لِكَسْبِ مَودَّتِهِ .

وَفي هَذِهِ العِباراتِ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَحْريضٌ لَهُمْ على التَّوْبَةِ ، وتَخْفيفٌ في لَوْمِهِمْ ، وعِتابِهِمْ ، وإعْذارٌ لَهُمْ بأَنَّهُمْ كانوا يَجْهَلونَ مَآلَ فِعْلِهِمْ ، وفيهِ إشارَةٌ واضِحَةٌ تَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ

شَخصيَّتِهِ ، ولَعَلَّهُ لَمْ يَخطُرْ ببالِهِمْ قَطُّ أَنْ يَكونَ عَزيزُ مِصرَ هُوَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

فورَ سَماعِهِمْ اسْمَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ على لِسانِهِ اسْتَيْقَظَ الإخْوَةُ مِنْ غَفْلَتِهِمْ وبَدأوا يَتأمَّلون في مَلامِحِهِ وصُورَتِهِ ويُحاوِلونَ مُطابَقَتَها مَعَ ما يَتَذَكَّرونَ مِنْ ملامِحِهِ ، وانْطَلَقَ لِسانُ بَعْضِهِمْ لِيَقولَ في تَردُّدٍ وَشَكٍّ : هَلْ أنتَ يُوسُفُ ؟ وهُمْ لا يَكادونَ يُصَدِّقونَ ، فقالَ لَهُمْ : أنا يُوسُفُ أخوكُمُ الَّذي تَآمَرْتُمْ عَلَيْهِ وأَلْقيتموهُ في البِئْرِ وَفَعَلْتُمْ مَعهُ ما فَعَلْتُمْ ، وهَذا أخي الَّذي ظَلَمْتُموهُ ، أيضاً بإبْعادي عَنْهُ ، وإنَّما نَصَّ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ لِتَفْخيمِ شَأْنِهِ : (قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَينا) بالخَلاصِ مِمَّا ابْتُلينا بِهِ وبالاجْتِماعِ بَعْدَ الافْتِراقِ والعِزَّةِ بَعْدَ الذِّلَّةِ ، والأُنْسِ بَعْدَ الوَحْشَةِ ، وهذا تَكريمٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِعبادِهِ الأتْقياءِ ، فإنَّ مِنْ شَأْنِ الإنْسانِ الَّذي يَتَّقي اللهَ تعالى وَيَصْبِرُ على قَضائِهِ وقَدَرِهِ أَنْ لا يُضيعَ اللهُ أجْرَهُ ، وأَنْ يُحقِّقَ لَهُ مَأْرَبَهُ جَزاءَ إحْسانِهِ وَطاعَتِهِ .

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

تَذَكَّرَ إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ما فَعلوهُ بِهِ ونَدِموا عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّدَم ، وقالوا لأخيهِم المُشْفِقِ المُقابِلِ لِلإساءَةِ بالإحْسانِ : نُقْسِمُ باللهِ يا أَخانا أَنَّ اللهَ تعالى قَدِ اخْتارَكَ وَفضَّلَكَ عَلَيْنا ، بما أَنْعَمَ عَلَيْكَ مِنَ التَّقوى والصَّبْرِ والإحْسانِ وَسائِرِ الفَضائِلِ والمَزايا ، أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا خاطِئينَ أَشَدَّ الخَطأ في تَصَرُّفنا مَعَكَ حينَ حَسَدناكَ وَتآمَرْنا عَلَيْكَ ، وأَلْقَيناكَ في البِئْرِ ، وأَبْعدناكَ عَنْ أبيكَ وأَخيكَ ، وَقَدْ أَكَّدوا كَلامَهُم بِعدَّةِ مُؤَكِّداتٍ ، مِمَّا يُشْعِرُ بِصِدْقِ تَوْبَتِهِمْ وَعَظيمِ نَدَمِهِمْ على ما بَدَرَ مِنْهُم ، وكَبيرِ أَمَلِهِمْ في عَفْوِ أخيهِمْ وصَفْحِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَدَمُ جَوازِ اليَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَفَرَجِهِ .

٢ـ على الدَّاعي والنَّاصِحِ المُشْفِقِ أَنْ يَشْحَذَ هِمَمَ المَدْعوِّينَ ويَرْفَعَ مِنْ عَزيمَتِهِمْ .

٣ـ جوازُ إظْهارِ الحاجَةِ لِمَنْ يُعينُ على رَفْعِها وإزالَتِها .

٤ـ الحَثُّ على فِعْلِ الخَيْرِ والتَّذْكيرِ بما أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُحْسِنينَ والمُتَصدِّقينَ مِنْ ثوابٍ .

٥ـ التَّدرُّجُ في إيصالِ المَعْلومَةِ الغَريبة أَوْ غَيْرِ المُحْتَمَلِ تَصْديقُها تَمْهيداً لِتَثْبيتِها .

٦ـ رَدُّ النِّعَمِ إلى اللهِ تَعالى وَفضْلِهِ فَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ على عِبادِهِ بِما يَشاءُ .

٧ـ فَضيلَةُ الاعْترافِ بالذَّنْبِ وَعَدَمُ المُكابَرَةِ أوِ الإصرارِ على الخَطأ .

٨ـ قَدْ تَتَكَشَّفُ المَصائِبُ الجِسامُ عَنْ أَحْداثٍ فيها حِكَمٌ عِظامٌ ، كَما وَقَعَ لإسْرائِيلَ وَبنِيهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معَنى التَحسُّسِ ؟ وما الفَرْقُ بَيْنَه وبَيْنَ التَجسُّسِ ؟

٢ـ ما المرادُ بِروْحِ اللهِ ؟ وما مَعنى اليَأْسِ مِنْ رَوْحِ الله ؟

٣ـ ماذا فَعَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ دَخَلوا عَلَيْهِ لِلمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ؟

٤ـ ما الَّذي دَفَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى الكَشْفِ عَنْ نَفْسِهِ لَهُمْ في هذا الوَقْتِ ؟

٥ـ بَيِّنْ كَيْفَ تَدَرَّجَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في إعْلامِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ؟

٦ـ كَيْفَ تَلَطَّفَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ في مُعاقَبَةِ إخْوَتِهِ ؟

٧ـ ما مَوْقِفُ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ تَعرَّفوا عَلَيْهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الكَريمةَ مِنْ سُورَةِ الحُجُراتِ الَّتي وَرَدَ فيها النَّهْيُ عَنِ التَّجَسُّس .

٢ـ اسْتَخْرِجِ المُؤَكِّداتِ المُسْتَخْدَمَةَ في الآيَةِ الكَريمةِ (٩١) ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٣ـ تَخَيَّلِ الحالَةَ النَّفْسِيَّةَ الّتي كان عَلَيها إخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ عَرَّفَهُم بِنَفْسِهِ وعاتَبَهُمْ على سُوءِ فِعْلَتِهِمْ ، وتَبَيَّنَ لَهُمْ خَطؤُهُمْ وَرَأَوْا الفَرْقَ الكَبيرَ بَيْنَ حالِهِمْ وحالِهِ ، وناقِشْ مَعَ زُملائِكَ ما تَتوصَّلُ إليْهِ مِنْ نُقاطٍ .

* * *

الدرس الثامن عشر

سورة يوسف ـ القسم الثامن عشر

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا تَثْريبَ : لا لَوْمَ ولا عَتْبَ .

فَصَلَتِ العيرُ : غادَرَتِ القافِلَةُ أَرْضَ مِصْرَ مُتَّجِهَةً إلى مَساكِنِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

تُفَنِّدونِ : تُسَفِّهونَ كَلامي .

ضَلالِكَ : ابْتِعادِكَ عَنِ الصَّوابِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ذِكْرُ عَفْوِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ إِخْوَتِهِ وعَوْدَةِ البَصَرِ إلى يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَفْوِهِ عَنْ أَبنائِهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِخَطَئِهِمْ واسْتَسْمَحوا أخاهُمْ قالَ لَهُمْ : لا لَوْمَ وَلاَ تأْنيبَ وَلاَ عَتْبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يا إِخْوَتي ، فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَتَجاوَزْتُ عَمَّا صَدَرَ مِنْكُمْ في حَقِّي وحَقِّ

أخي ، وأدعو اللهَ تعالى أنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ما مَضى مِنْ ذُنوبِكُمْ . وَهُوَ سبْحانَهُ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ بِعِبادِهِ .

﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

عَلِمَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إخْوَتِهِ ما أصابَ أباهُ مِنْ حُزْنٍ عَظيمٍ وما حَصَلَ لَهُ مِنْ فَقْدِ بَصَرِهِ ، فَأَعْطاهُمْ قميصَهُ وأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحوهُ على وَجْهِ أبيهِ لِيَرْتَدَّ إليهِ بَصَرُهُ بِفَضْلِ اللهِ تَعالى وأَمْرِهِ ، وطَلَبَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إخْوَتِهِ أَنْ يُحْضِروا أَهْلَهُم جَميعاً إلى مِصْرَ لِيَعيشوا مَعَهُ في رَخاءٍ وأَمْنٍ وَنِعْمَةٍ .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

انْطَلَقَ الإِخْوَةُ بِقَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عائِدينَ إلى أبيهِمْ ، ولَمَّا جاوزوا حُدودَ مِصْرَ ، قالَ يَعْقوبُ لِمَنْ كانَ حَوْلَهُ وبِجوارِهِ : إنِّي لأَشُمُّ رائِحَةَ ابْني يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وَلَوْلا أَنَّكُمْ تُسَفِّهونَ كَلامي وتَنْسِبونَ إليَّ ضَعْفَ العَقْلِ بِسَبَبِ المَرَضِ والتَّقَدُّمِ في السِّنِّ لَصَدَّقْتُموني فيما أقولُ ، وَلَتَحَقَّقْتُمْ مِثْلي أَنَّ لِقائي بابْني يُوسُفَ أَصْبَحَ وَشيكاً قريباً ، وقَدْ أَوْصَلَ اللهُ سُبحانَهُ رائِحَةَ ما عَبَقَ وعَلِقَ بالقَميصِ مِنْ أَثَرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أبيهِ مَعَ بُعْدِ المَسافَةِ تَكْريماً لَهُ ، وَتَبْشيراً وتَمْهيداً لِما سَيَحْصُلُ بَعْدَ وُصولِ القَميصِ مِنْ خَيْرٍ وَشِفاءٍ .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

قالَ الَّذين سَمِعوا كلامَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ : نُقْسِمُ باللهِ يا يَعقوبُ إنَّكَ ما زِلْتَ مُلازِماً لِخَطَئِكَ القَديمِ ، وما زِلْتَ لِشِدَّةِ حُبِّكَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَظُنُّ أَنَّهُ حَيٌّ ، وأَنَّكَ سَتَلْتَقي بِهِ ، وهَذهِ أَوْهامٌ وَظُنونٌ .

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

ولمَّا اقْتَرَبَ أبْناءُ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ دارِ أبيهِمْ ، تَقَدَّمَ البَشيرُ الَّذي كانَ يَحْمِلُ قَميصَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَلْقى القَميصَ على وَجْهِ أبيهِ فَعادَ إليهِ بَصَرُهُ كما كانَ ، بِأَمْرِ اللهِ تعالى وَقُدْرَتِه ، فَقالَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِمَنْ حولَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ تعالى ، مِنْ فَضْلِهِ وإحْسانِهِ ورَحْمَتِهِ ما لا تَعْلمونَ أَنْتُمْ .

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ رأى أَبْناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ما حَصَلَ ، وعَلِموا عَظيمَ ما ارْتَكَبوا مِنْ جُرْمٍ وإِثْمٍ في حَقِّ

أَخيهِم ، وأبيهِمْ ، انطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ تَطْلُبُ مِنْ أَبيهِمْ أَنْ يَدعوَ اللهَ تعالى لَهُم بِالْمَغْفِرَةِ وَمَحْوِ السَّيئاتِ وهُمْ مُقِرّونَ بِخَطَئِهِمْ وَذَنْبِهِمْ .

وطَلَبُهُمْ الاسْتِغْفارَ مِنْ أبيهِمْ يَتَضَمَّنُ طَلَبَهُمْ عَفْوَهُ وَصَفْحَهُ عَنْهُم ، فإنَّه لَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُم وَهُوَ غاضِبٌ عَلَيْهِم ، وَقَدْ عَلِموا أَنَّ عَفْوَ أَخيهِمْ وأبيهِمْ لا يُغْني عَنْهُمْ شَيئاً إنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ تَعالى لَهُمْ .

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وَعَدَهُمْ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَسْتغْفِرَ لَهُمْ في وَقْتٍ قريبٍ ، وفي هذا التَّأْخِيرِ للاسْتِغْفارِ إشْعارٌ لَهُمْ بِعظيمِ ما ارْتَكَبوا مِنْ إثْمٍ ، وأنَّهُ يَحْتاجُ إلى تَوْبةٍ صادِقَةٍ مِنهُمْ ، ولَعَلَّهُ أَخَّرَ الاسْتِغْفارَ حتَّى يَطْمَئِنَّ إلى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَفا عَنْ إخْوَتِهِ ، أَوْ إلى وَقْتٍ يَكونُ أدْعى لاسْتِجابَةِ الدُّعاءِ كَوَقْتِ السَّحَرِ .

(إنَّهُ هُوَ الغفورُ الرَّحيمُ) وخَتَمَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتأكيدِ حَقيقَةٍ إيمانِيَّةٍ ، هِيَ عَظيمُ ما عِنْدَ اللهِ تَعالى مِنْ مَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ تَسَعُ التَّائِبينَ مِنْ عبادِهِ الصَّادِقينَ في تَوْبَتِهِمْ وإنابَتِهِمْ إليْهِ ، ويُلاحَظُ تَأْكيدُ العِبارَةِ بِمَجْموعةٍ مِنَ المُؤَكِّداتِ الَّتي تَدُلُّ على كبيرِ الخَطأ الَّذي حَصَلَ ، وَلِذا فَهُوَ مُحْتاجٌ إلى تَأْكيدِ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ ومَغْفِرَتَهُ أَكْبَرُ مِنْ خَطَئِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضْلُ العَفْوِ والصَّفْحِ عَمَّنْ أَساءَ ، وتَرْكِ عِتابِهِ وَلَوْمِهِ .

٢ـ تَرَقُّبُ الأَوْقاتِ الفاضِلَةِ لِلدُّعاءِ فِيها فإنَّهُ أَدْعى لِلإجابَةِ .

٣ـ حصولُ الفَرَجِ بَعْدَ الضِّيقِ واليُسْرِ بَعْدَ العُسْرِ .

٤ـ إعطاءُ اللهِ رُسَلَهُ خَوارِقَ العاداتِ ، فَقَدْ رَدَّ اللهُ بَصَرَ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إليهِ لَمَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِ قَميصُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقِفُ يُوسُفَ عَليْهِ السَّلامُ مِنْ إخْوَتِهِ بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفوا لَهُ بِخَطَئِهِمْ ؟

٢ـ لِماذا أَرْسَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَميصَهُ مَعَ إِخْوَتِهِ ؟

٣ـ ماذا قالَ يَعقوبُ عَليْهِ السَّلامُ لِمَنْ حَوْلَهُ حِينَ غادَرَتِ القافِلَةُ مِصْرَ ؟ وكَيْفَ عَلِمَ ذَلِكَ ؟

٤ـ ماذا طَلَبَ أبناءُ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ رَدَّ اللهُ تَعالى إلَيْهِ بَصَرَهُ ؟

٥ـ ما سَبَبُ تَأْخيرِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ الاسْتِغْفارَ لأَبْنائِهِ ؟

٦ـ هَلْ مِنْ سَبَبٍ لإيرادِ المُؤَكِّداتِ في قَوْلِهِ (إِنَّه هُو الغَفورُ الرَّحيمُ) ؟



١ـ قارِنْ بَيْنَ مَوْقِفِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ إِخْوَتِهِ ، ومَوْقِفِ سَيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَحْوالَ قَميصِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلامُ الثَّلاثَ مُرَتَّبَةً كما جاءَ في السُّورةِ الكريمةِ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آوى إليْهِ : ضَمَّ إليْهِ .

العَرْشِ : كُرْسي المُلْكِ .

البَدْوِ : البادِيَةِ .

نَزَغَ الشَّيْطانُ : أَفْسَدَ وأَغْرى .

فاطِر : مُبْدِع .

وَليّي : ناصِري .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ عَنِ انْتِقالِ أُسْرَةِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مِصْرَ وَتَحقُّقِ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسُجودِهِمْ لَهُ سُجودَ التَّحِيَّةِ والتَّكْريمِ ، وَما نَطَقَ بِهِ لِسانُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ حَمْدِ اللهِ تَعالى على نِعَمِهِ عَلَيْهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ وُصولِ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى أَبيهِمْ وإِلْقاءِ القَميصِ على وَجْهِهِ وَرَدِّ بَصَرِهِ إِلَيْهِ ، أَخْبَروهُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ طَلَبَ مِنْهُمُ الذَّهابَ إليْه لِيُقيموا مَعَهُ ، فارْتَحلوا ، وَلَمَّا وَصَلوا إلَيْهِ اسْتَقْبَلَهُمُ اسْتِقْبالاً حارّاً ، وَضمَّ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ بِأَنْ عانَقَهُما عِناقاً حارّاً ، وجَعَلَهُما مَعَهُ في قَصْرِهِ الخاصِّ تَكْرُمَةً لَهُما وَبِرّاً بِهِما ، وقالَ لَهُما وَلِسائِرِ أَهْلِهِ : (ادْخُلوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنينَ) أَمْناً شامِلاً عامّاً ، على أَنْفُسِكُمْ وَمَواشيكُمْ مِنَ الجُوعِ والخَوْفِ وسائِرِ المَكارِهِ .

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

وأَجْلَسَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أبويْهِ مَعَهُ على كُرْسِيِّ المُلْكِ الَّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ إعلاءً لِشَأْنِهِما ، وَخَرَّ يَعقوبُ وأَبْناؤُهُ ساجِدينَ لِيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهُوَ سُجُودُ تَحِيَّةٍ لا سُجودَ تَعْظيمٍ وَعِبادَةٍ ، وكانَ هذا النَّوْعُ مِنَ التَّحِيَّةِ جائِزاً في شَرْعِهِمْ .

وقالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأَبيهِ : هذا السُّجودُ الَّذي سَجَدْتُموهُ لي الآنَ هُوَ تَأْويلُ الرُّؤْيا الَّتي رَأَيْتُها في صِغَري ، ها هِيَ تَتحقَّقُ الآنَ وأَرى تَفْسيرَها بَعْدَ أَنْ مَضى عَلَيْها كُلُّ هذا الزَّمَنِ ، وكانَتِ الرُّؤْيا الَّتي رآها يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ هِيَ : سُجودُ الشَّمْسِ والقَمَرِ وأَحَدَ عَشَرَ كَوْكباً لَهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَظيمَ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ فَقالَ : وَقَدْ أَحْسَنَ بي رَبِّي إِذْ أَخْرجَني مِنَ السِّجْنِ بَعْدَ أَنْ مَكَثْتُ فيهِ سَنواتٍ ، وأَحْسَنَ بي إِذْ جاءَ بِكُمْ عِنْدي مِنَ البادِيَةِ حَيْثُ كُنْتُمْ تُعانونَ مِنْ شَظَفِ العَيْشِ وَصُعوبَةِ الإِقامَةِ ، وأَحْسَنَ بي رَبِّي وأَنْعَمَ عَلَيَّ بِهذِهِ النِّعَمِ بَعْدَ ما أَفْسَدَ الشَّيطانُ بَيْني وبَيْنَ إِخْوَتي ، حَيْثُ أَغْراهُمْ على فِعْلِ ما فَعَلوا بي ، ولَمْ يُفَصِّلْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ما فَعَلَهُ إِخْوَتُهُ بِهِ تَلَطُّفاً بِهِمْ ، كما أَسْنَدَ ما حَصَلَ مِنْهُمْ إلى إِغْراءِ الشَّيطانِ وإِغْوائِهِ وَلَمْ يُسْنِدْهُ إِلَيْهِمْ ، حَيْثُ سَبَقَ لَهُ العَفْوَ عَنْهُمْ فَتَرَكَ عِتابَهُمْ .

ثُمَّ قالَ : (إِنَّ رَبِّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ) أَيْ إِنَّهُ سُبْحانَهُ لَطيفُ التَّدْبيرِ لِما يَشاؤُهُ مِنْ أُمورٍ ، حتَّى يَجيءَ على وَجْهِ الحِكْمَةِ والصَّوابِ ، وإِذا أَرادَ شَيْئاً هَيَّأَ لَهُ الأَسْبابَ ، وإِنْ كانَ في غايَةِ البُعْدِ عَنِ البالِ ، وهَلْ كانَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامِ يَظنّونَ حينَ أَلْقَوْا أَخاهُمْ في البِئْرِ أَنَّهُمْ سَيَلْتَقونَ بِهِ بَعْدَ سَنواتٍ وهُو في عِزٍّ وَسُلْطانٍ وهُمْ في حاجةٍ وَضَعْفٍ ، (إِنَّهُ هُو العَليمُ) بِمَصالحِ عِبادِهِ وأَحْوالِهِمْ (الحَكيمُ) في كُلِّ ما يَقولُ ويَفْعَلُ ويَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ عِبادِهِ .

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

ثُمَّ اتَّجهَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى رَبِّهِ بالحَمْدِ على نِعَمِهِ وبالدُّعاءِ الصَّادِقِ فَقالَ : يا إلَهي يا مَنْ رَبَّيْتَني وَكَفِلْتَني ، وأنْعَمْتَ عَلَيَّ فوَهَبْتَني نصيباً مِنَ الحُكْمِ والسُلْطانِ وعَلَّمْتَني ما لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ مِنْ تَأْويلِ الأَحْلام وتَفْسيرِها ، يا خالِقَ السَّماواتِ والأَرْضِ ومُبْدِعَهُما ، يا مُتَوَلِّي أُموري في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ، أَضْرَعُ إليْكَ خاشِعاً وأَدْعوكَ أَنْ تَتَوفاني مُؤْمِناً بِكَ مُخْلِصاً لَكَ وَأَلْحِقْني يا رَبُّ بالصَّالِحينَ مِنْ عِبادِكَ واجْعَلْني مِنْهُمْ .

وَبِهذا الدُّعاءِ الجامِعِ الَّذي تَوَجَّهَ بِهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى رَبِّه ، بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ سُبْحانَهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ وَجَمَعَ لَهُ أَهْلَهُ وأَقَرَّ عَيْنَيْهِ بِرُؤْيَةِ والِدَيْهِ مَعَهُ في العِزِّ والمَكانَةِ ، تُخْتَتَمُ هذه القِصَّةُ المِليئةُ بالعِبَرِ والعِظاتِ ، وما أَجْمَلَهُ مِنْ خِتامٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ إظْهارِ الاعْتِناءِ بالوالِدَيْنِ وَبِرِّهِما وَتَكْريمِهِما وتَقْديمِهِما على غَيْرِهِما .

٢ـ لا يجوزُ في شَرْعِنا السُّجودُ لِغَيْرِ اللهِ تَعالى .

٣ـ تَحقُّقُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، بَعْدَ وَقْتٍ طويلٍ حَسَبَ حِكْمَةِ اللهِ وأَمْرِهِ .

٤ـ تَقْديمُ حَمْدِ الله تَعالى والثَّناءِ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيِ الدُّعاءِ .

٥ـ عَدَمُ الانْشِغالِ عَنِ الدُّعاءِ وَذِكْرِ اللهِ تعالى بأيِّ شَيءٍ وَلَوْ كانَ المُلْكَ والسُّلْطانَ .

٦ـ عَدَمُ التَعلُّقِ بالدُّنْيا وَزُخْرُفِها والتَّطَلُّعُ إلى الآخِرَةِ وما فِيها مِنْ نَعيمٍ دائِمٍ وَرِفْقَةٍ دائِمَةٍ لِلصَّالِحينَ .

٧ـ أَهَمِيَّةُ الدُّعاءِ بالوَفاةِ على الإيمانِ ، فإنَّ الأَعْمالَ بخَواتِيمِها .

٨ـ يَظْهَرُ في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ كَيْفَ يُجْري اللهُ قَدَرَهُ في عِبادِهِ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا مَيَّزَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبَوَيْهِ في التَّكْريمِ ؟ وكَيْفَ مَيَّزَهُما ؟

٢ـ كَيْفَ تَحَقَّقَ تَأْويلُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ عَدِّدِ النِّعَمَ الَّتي أَنْعَمَ اللهُ تَعالى بِها على يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ والمَذْكُورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٤ـ بماذا دَعا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ المُبالَغَةُ في تَوْقيرِ الأَبَويْنِ .

ب ـ جَوازُ سُجودِ التَّحيَّةِ في شَريعةِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ج ـ تَحَقُّقُ رُؤْيا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

د ـ كانَ يَعقوبُ وأبناؤُهُ يَعيشونَ في البادِيَةِ في فِلَسْطينَ ، ولَمْ تَكُنْ إقامَتُهُمْ في المُدُنِ .

هـ ـ اللهُ تَعالى يُدَبِّرُ الأُمورَ بِلُطْفٍ وَحِكْمَةٍ .

و ـ تَقديمُ الحَمْدِ بَيْنَ يَدَي الدُّعاءِ .

ز ـ الدُّعاءُ بالوَفاةِ على الإيمانِ .

ح ـ الصَّلاةُ مَنْزِلَةٌ عالِيَةٌ رَفيعَةٌ يَسْعى إلَيْها المُؤْمِنُ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يَنْهى فيهِ الرَّسولُ ﷺ عَنِ الانْحِناءِ والرُّكوعِ في التَّحِيَّةِ .

٢ـ لَخِّصْ في دَفْتَرِكَ أَحْداثَ المَشْهَدِ الثَّالِثِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَضمَّهُ إلى المَشْهَدْينِ السَّابِقَيْنِ ، واعْرِضْهُ على طَلَبَةِ المَدْرَسَةِ في يوْمِ النَّشاطِ المَدْرَسِيِّ .

* * *

الدَّرسُ العِشرونَ

سورةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أجْمَعوا أَمْرَهُمْ : أَحْكَموا تَدْبيرَهُمْ .

يَمْكُرونَ : يتآمَرونَ .

ذكرٌ للعالَمين : تَذْكِرَةٌ لِلنَّاسِ جَميعاً .

وكأَيِّنْ : وكَثيرٌ مِنْ .

مُعْرِضونَ : مُنْصَرِفونَ .

غاشِيةٌ : عُقوبَةٌ تَغْمُرُهُمْ .

بَغْتَةً : فَجْأَةً .

بَصيرةٍ : يَقينٍ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبْيينٌ أَنَّ ما عَلِمَهُ النَّبيُّ ﷺ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام إنَّما هُوَ وَحْيٌ

مِنَ اللهِ ، وَفيها تَبيينُ حالِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ وَهوَ الكُفْرُ والإِعْراضُ عَنْ آياتِ اللهِ تعالى ، وتَبْيينُ مُهِمَّةِ الرَّسولِ ﷺ وَمَنْ تبِعَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

أيْ ذَلِكَ الَّذي قصَصْناهُ عَلَيْكَ في هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ نَبأ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإخْوَتِهِ وما قَصَصْناهُ عَلَيْكَ في غَيْرِها مِنَ الأَخْبارِ الغَيْبيَّةِ أعْلَمْناكَ بِها وأَوْحَيناها إِلَيْكَ ، ومِمَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ ما قَصَصْناهُ عَلَيْكَ في هَذِهِ السُورَةِ مِنْ أنْباءِ الغَيْبِ ، أَنَّكَ أيُّها الرُسولُ الكَريمُ ما كُنْتَ حاضِراً مَعَ إخْوَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقْتَ أَنْ أَحْكَموا تَدْبيرَهُمْ لِلْمَكْرِ بِهِ وتآمَروا عَلَيْهِ وَقَرَّروا إبْعادَهُ عَنْ أبيهِ ، وَلَمْ تَكُنْ حاضِراً سائِرَ أَحْداثِ هَذِهِ القِصَّةِ ، ولَكنَّا أَوْحَيناها إِلَيْكَ لِتُعْلِمَ النَّاسَ بِها لِيَنْتَفِعوا بِما فيها مِنْ عِبَرٍ وَحِكَمٍ .

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

وبالرَّغمِ مِنْ كَثْرَةِ الأدِلَّةِ ـ وَمِنْها إعْلامُكَ بِما حصَلَ بَيْنَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ وإِخْوَتِهِ ـ الَّتي تَشْهَدُ بِأَنَّكَ رَسولُ اللهِ حَقّاً ، وأَنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فإنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنونَ بِذلك ، ولَوْ حَرَصْتَ على أَنْ يُؤْمِنوا وَيُوَحِّدوا اللهَ ويُطيعوا أَمْرَهُ وأَمْرَك ، فإنَّهُمْ في غَفْلَةٍ عَنِ الحَقِّ وَبُعْدٍ عَنْهُ .

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

أَيْ أَنَّكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لا تسْأَلُ النَّاسَ على هذا القُرآنَ الَّذي تَتْلوهُ عَلَيْهِمْ لِهِدايَتِهِمْ مِنْ أَجْرٍ وَلَوْ كانَ شَيئاً قليلاً ، كما يَفْعَلُ غَيْرُكَ مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبانِ ، وإنَّما تَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ وَلِنَشْرِ دينِهِ ، وإنَّ هذا القُرآنَ الَّذي تَقْرَأُهُ عَلَيْهِم ما هُوَ إلاَّ تَذْكِرَةٌ لِلنَّاسِ جَميعاً ، وهِدايَةٌ لِلْخَلْقِ كافَّةً ، فالإسْلامُ دينٌ عالَمِيٌّ جاءَ لِيُنْقِذَ البَشَرِيَّةَ كُلَّها مِنَ الضَّلالِ ويُرْشِدَها إلى الخَيْرِ والهِدايَةِ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

وكَمْ مِنْ علامةٍ دالَّةٍ على وُجودِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ يَرَوْنَها في السَّماءِ كالشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ والكواكِبِ ، وكَمْ يَرَوْنَ في الأَرْضِ مِنَ الآياتِ الَّتي تَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى كالجبالِ والأشْجارِ والبِحارِ وأَنْواعِ الحيوانِ والنَّباتِ ، ولكِنَّهُمْ يَمُرُّونَ عَنْها مُعْرِضينَ لا يَتَفَكَّرونَ ولا يَتَأَمَّلونَ في دَلالَتِها على وُجودِ الخالِقِ العظيمِ المُبْدعِ سُبْحانَهُ وتَعالى .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُ هؤلاءِ الضَّالينَ باللهِ حينَ يُقرُّونَ بأنَّهُ الخالِقُ المُدَبِّرُ ، إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكونَ بِهِ في العِبادَةِ ، فَيَعْبُدونَ مَعَهُ أَوْ مِنْ دونِهِ آلِهَةً أُخْرى .

وَمِنَ الشِّرْكِ باللهِ تَعالى وَصْفُ رِجالٍ بالأُلوهِيَّةِ أَوِ الخُضوعِ لَهُمْ وَطاعَتِهِمْ دونَ اللهِ ، ومِنْهُ التَّوَجُّهُ

إلى غَيْرِ اللهِ تَعالى بالدُّعاءِ ، واتِّباعُ الأَهْواءِ ، والرِّياءُ ، ومِنْهُ ما كانَ العَرَبُ في الجاهِلِيَّةِ يَقولونَهُ في تَلْبِيَتِهِمْ (لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ ، إلاَّ شَريكاً هُوَ لَكَ ، تَمْلِكُهُ وما مَلَك) وكَيْفَ يَكونُ شَريكاً وَهُوَ مَمْلوكٌ ؟

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

هَلْ أَمِنَ هَؤلاءِ المُشرِكونَ أَنْ تُصيبَهُمْ كارِثَةٌ كُبْرى تُهْلِكُهُمْ وتَغْمُرُهُمْ جَزاءَ كُفْرِهِمْ باللهِ تعالى ، كما حَصَلَ مَعَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ وَهَلْ أَمِنوا أَنْ تأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً بِأَهْوالِها وَشَدائِدِها دونَ أَنْ يَشْعروا بِقُدومِها وَهُمْ مُسْتَمِروَن على شِرْكِهِم وَضلالِهِمْ ؟ إِنَّ أَمْنَهُمْ هذا دَليلُ غَفْلَتِهِمْ وَضَلالِهِمْ وَنِسْيانِهِمُ الآخِرَةَ وَلِذا فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعودوا إلى رُشْدِهِمْ ويَحْذروا مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعالى وعِقابِهِ .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ لِهؤلاءِ المُعانِدينَ المُكابِرينَ ، هَذا مَنْهَجي وَطَريقي ، أَدْعو إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وَعِبادَتِهِ على يَقينٍ ثابِتٍ قائِمٍ على الحُجَّةِ البَيِّنَةِ والبُرْهانِ الواضِحِ ، ومَنِ اتَّبَعني كذلكَ يَدْعونَ إلى اللهِ وهُمْ على يَقينٍ مِمَّا يَدْعونَ إليْهِ ، وأُنَزِّهُ اللهَ تعالى تَنْزيهاً كامِلاً ، فَهُوَ سُبْحانَهُ المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وما أنا مِنَ المُشْرِكينَ في عِبادَتِهِ وطاعَتِهِ في أيِّ وَقْتٍ وفي أيِّ عَمَلٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عِلْمُ ما في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ دَقائِقَ وتَفاصِيلَ مَصْدَرُهُ الوَحْيُ الصَّادِقُ ، فَهُوَ دَليلٌ عَلى نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

٢ـ ذَمُّ الغَفْلَةِ عَنْ آياتِ اللهِ الكَونِيَّةِ وَعَدمِ التَفكُّرِ بها .

٣ـ الإيمانُ الصَّادِقُ يَنْبَغي أن يَخْلُوَ مِنْ كُلِّ شائِبَةٍ تُضادُّهُ كالرِّياءِ واتِّباعِ الهَوى ، وتَعْظيمِ غَيْرِ اللهِ ، وطاعَتِهِ في مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى .

٤ـ الحَذَرُ مِنَ الهَلاكِ والدَّمارِ نَتيجَةَ الكُفْرِ والمَعاصِي .

٥ـ تَعَيُّنُ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى على كُلِّ مُتَّبِعٍ للرَّسولِ ﷺ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَصْدَرُ عِلْمِ النَّبيِّ ﷺ بِقِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ لماذا يَنْصَرِفُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الإيمانِ باللهِ تعالى ؟

٣ـ كَيْفَ يُؤْمِنُ بَعْضُ النَّاسِ وَهُمْ مُشْرِكونَ ؟

٤ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ وأتْباعِهِ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خَطٌّ فيما يلي :

أ ـ وما كُنْتَ لَديْهِم إذْ أَجْمَعوا أَمْرَهُم وَهُمْ يَمْكُرونَ .

ب ـ وكأَيِّن مِنْ آيةٍ في السَّماواتِ والأَرْضِ يَمُرّونَ عَلَيْها .

ج ـ أفَأَمِنوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعرونَ .

هـ ـ قُلْ هذهِ سَبيلي أَدْعو إلى اللهِ على بَصيرةٍ أنا وَمَنِ اتَّبعَني وسُبْحانَ اللهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذكُرِ الآيةَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ الَّتي تُبَيِّنُ حِرْصَ الرَّسولِ ﷺ على أُمَّتِهِ واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبِ الآيةَ الَّتي تَدُلُّ على أنَّ الرَّسولَ ﷺ أُرْسِلَ للناسِ كافَّةً .

٣ـ اكْتُبِ الآيةَ مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ الَّتي تُبَيِّنُ سَبَبَ عِبادَةِ المُشْرِكينَ لِلأَصنامِ وأنَّهُمْ يَتَقَرَّبونَ بِها إلى اللهِ تَعالى .

* * *

الدَّرسُ الحادي والعِشرونَ

سورَةُ يوسُفَ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عاقِبَةُ	: مَصيرُ .
اسْتَيْأَسَ	: اسْتَحْكَمَ اليَأْسُ فيهِمْ .
بَأْسُنا	: عَذابُنا .
عِبرةً	: عِظَةً .
لأُوْلي الأَلْبابِ	: لأَصْحابِ العُقولِ .
يُفْتَرى	: يُخْتَلَقُ .
بَيْنَ يَديهِ	: ما تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ حَديثٌ عَنْ سُنَّةِ اللهِ تعالى في إرْسالِ الرُّسُلِ ، وإهْلاكِ المُكَذِّبين مِنْ أقْوامِهِمْ ، وَعَنْ هَدَفِ ذِكْرِ قَصَصِهِمْ وأخْبارِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ قائلاً : إنَّنا ما أَرسَلنا مِنْ قَبْلِكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ إلاَّ رجالاً مِثْلَكَ ، نُوحي إليْهِمْ بما نَشاءُ مِنْ أمْرِنا ، ولَمْ نَجْعَلْهُمْ مِنَ النِّساءِ ، أَوْ مِنَ المَلائِكَةِ أَوْ مِنَ الجِنِّ ، لِيكونوا أقْرَبَ إلى النُّفوسِ ، لأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ البَشَرِ ، وأَقْدَرَ على حَمْلِ أعباءِ الدَّعْوةِ لأنَّهمْ مِنَ الرِّجالِ ، واصْطَفيناهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ القُرى والمُدُنِ ، لِما فيهِمْ مِنْ خَصائِصَ ومَزايا يَتَحلَّونَ بها ، فَلَسْتَ أَيُّها الرَّسولُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ، وهاهُمْ قَوْمُكَ قَدْ ساروا في الأَرْضِ وَرَأَوْا كَيْفَ كانَ مَصيرُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ بَعْدَ أَنْ كَذَّبوا رُسُلَهُمْ ، ولَكنَّهُمْ لَمْ يَتَّعِظوا بما رَأَوْا وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الجَهالَةُ والغَفْلَةُ ، وكانَ الأَوْلى بهِمْ أَنْ يَنْتَفِعوا بما رَأَوْا وسَمِعوا . وفي هذا تَوْبيخٌ لِمَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَصيرِ مَنْ سَبَقَهُ . ثُمَّ يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّ دارَ الآخِرَةِ وما فيها مِنْ نَعيمٍ دائِمٍ خَيْرٌ لِلَّذينَ اتَّقَوا اللهَ وأطاعوهُ ، ويُوَجِّهُ الخِطابَ لِلْمُشْركينَ بِقَوْلِهِ (أَفَلاَ تَعْقِلونَ) أَفَلا تَستَعْمِلونَ عُقولَكُمْ وتُدْرِكونَ أنَّ العاقِبَةَ الحَسَنَةَ لِمَنْ آمَن باللهِ واتَّقاهُ وعَمِلَ صالِحاً .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ .

هذهِ الآيةُ تَبْشيرٌ لِلنَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ ، فإنَّهُ تَعالى يَأْتي بالنَّصْرِ لِلنَّبيِّ والمُؤْمِنينَ مَعَهُ عِنْدَ اشْتِدادِ الأَزْمَةِ ، وتَيَقُّنِ النبيِّ أَنَّ قَوْمَهُ قَدْ كَذَّبوهُ ، ويأْسِه مِنْ إيمانِهِمْ ، فَفي هذهِ اللَّحْظَةِ يَأْتي نَصْرُ اللهِ ، فَيُهْلِكُ الكَفَرةَ المُكَذِّبينَ ، ويُنْجي المُؤمِنينَ المُصَدِّقينَ ، ولا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ عَذابَ اللهِ عَنْ قَومٍ أَجْرموا بِكُفْرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ .

وهَذهِ الآيةُ وَعيدٌ لِكُفَّارِ قُريشٍ وَكُلِّ مَنْ أَشْبَهَهُمْ مِمَّنْ يُعْرِضُ عَنْ دَعْوَةِ النَّبيِّ ﷺ ولا يَتَّبِعُهُ ويَتمادَى في كُفْرِهِ إلى دَرَجَةِ تَيَقُّنِ النبيِّ وأَتْباعِهِ مِنْ عَدَمِ إيمانِهِ وإِصْرارِهِ على الكُفْرِ ، فإنَّ عذابَ اللهِ إذا نَزَلَ لا يَرُدُّهُ أَحَدٌ ولا يَصْرِفُهُ عَنِ المُجْرِمينَ ومُسْتَحِقيهِ أَيُّ صارِفٍ .

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ .

لَقَدْ كانَ في قَصَصِ الأَنْبياءِ السَّابِقينَ وما جَرَى بَيْنَهُم وَبَيْنَ أَقْوامِهِمْ عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ لأَصْحابِ العُقولِ السَّليمةِ والأَفْكارِ القَويمةِ ، لِما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هذا القَصَصُ مِنْ حِكَمٍ وَفَوائِدَ ، وهِيَ قَصَصُ حَقٍّ وَصِدقٍ ولَيْسَتْ حديثاً مُخْتَلَقاً أَوْ كلاماً مَكْذوباً لَمْ يَحْصُلْ ، ولكنَّها وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعالى أَنْزَلَهُ على رَسولِهِ ﷺ ، وُهَو مُوافِقٌ لِما وَرَدَ في الكُتُبِ الإلهيَّةِ السَّابِقَةِ ، مُؤَيِّدٌ لِما فيها مِنْ أَخْبارٍ صَحيحةٍ لَمْ

تُحَرَّفْ أَوْ تُبَدَّلْ ، ومُصَحِّحٌ لِما وَقَعَ فيها مِنْ تَحْريفٍ وتَغْييرٍ ، وفي القُرْآنِ أيْضاً تَفْصيلُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ العقائِدِ والأَحْكامِ والآدابِ ، وفيهِ الهُدى والرَّحْمَةُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَيَلْتَزِمُ بِأَمْرِهِ ، ويَعْمَلُ بما فيهِ ، ويَنْتَفِعُ بما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَرٍ وَحِكَمٍ .

وَمَنْ يَتَأَمَّلْ في قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ المَذكورَةِ في هَذهِ السُّورَةِ يَجِدْ فيها الكَثيرَ مِنَ العِبَرِ العَظيمةِ والحِكَمِ الجَليلةِ ، الدَّالَةِ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ وأنَّهُ الفَعَّالُ لِما يُريدُ ، وَرِعايَتِهِ لأَهْلِ طاعَتِهِ ، وأَنَّ الابْتِلاءاتِ والفِتَنَ لها صُوَرٌ مُتَعدِّدَةٌ ، وأشْكالٌ كَثيرةٌ ، وأَنَّ على الدَّاعي إلى اللهِ أَنْ يَصْمِدَ في وَجْهِها ويَلْجَأَ إلى اللهِ تعالى لِعِصْمَتِهِ مِنْها ، وأَنْ يَغْتَنِمَ كُلَّ فُرْصَةٍ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، وأَنْ يَعْفوَ ويَصْفَحَ عَمَّنْ أساءَ إليهِ ، وأَنْ يُحْسِنَ تَدْبيرَ الأُمورِ وَيَتَدَرَّجَ في الإِصْلاحِ وتَنْفيذِ المُرادِ ، وأَنْ يَجْعَلَ تَطَلُّعَهُ لِلآخِرَةِ أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيا . . . إلى غَيْرِ ذلكَ مِمَّا حَوَتْهُ السُّورةُ الكريمةُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اختارَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ رِجالاً لِيَكونوا أَقْدَرَ على تَحَملِ أَعْباءِ الدَّعْوةِ ، وأَقْرَبَ إلى نُفوسِ المَدْعوِّينَ .

٢ـ على المَرْءِ أَنْ يُعْمِلَ عَقْلَهُ ، ويَتَفَكَّرَ في مَصيرِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ وَسَبَبِ هَلاكِهِمْ ، لِيَبْتَعِدَ عَنْ أَسْبابِ الهَلاكِ والدَّمارِ .

٣ـ لا يأْتِي النَّصْرُ إلاَّ بَعْدَ الشِّدَّةِ والمُعاناةِ والحاجَةِ الماسَّةِ إليهِ وانْتِظارِهِ وتَرَقُّبِهِ .

٤ـ إيرادُ القَصَصِ في القُرْآنِ الكريمِ لِلْعِبْرَةِ والعِظَةِ .

٥ـ القُرْآنُ كِتابُ الهِدايَةِ والرَّحْمَةِ ، ولا يَنْتَفِعُ مِنْهُ إلاَّ المُؤْمِنونَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ اخْتيارِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ ؟ وَمَنْ كَوْنِهِم رِجالاً ؟

٢ـ مَتَى يَأْتِي النَّصْرُ لِلرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ ؟ وما الحِكْمَةُ في ذَلِكَ ؟

٣ـ ما فائِدةُ ذِكْرِ القَصَصِ في القُرْآنِ الكَريمِ ؟

٤ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنَ العِبَرِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ اللهُ تَعالى يَخْتارُ الرُّسُلَ مِنَ الرِّجالِ .

ب ـ تَوْبيخُ الّذينَ يَسيرونَ في الأَرْضِ ولا يَنْتَفِعونَ مِنْ مَصيرِ السَّابِقينَ .

ج ـ إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ هَلَكَ المُكَذِّبونَ وَنَجاالمُؤْمِنونَ .

د ـ لا أَحَدَ يَسْتَطيعُ مَنْعَ عَذابِ اللهِ عَنِ المُجْرِمينَ .

هـ ـ القَصَصُ القُرْآنِيُّ لَيْسَ حَديثاً مُخْتَلَقاً وَلا كَذِباً .

و ـ في القُرْآنِ الكريمِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ السَّابِقَةِ .

* * *

الدَّرسُ الثّاني والعِشرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ الرَّعْدِ سورَةٌ مَكيّةٌ على الرَّاجِحِ مِنْ أقوالِ العُلَماءِ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لِورُودِ تَسْبيحِ الرَّعْدِ بِحَمْدِ اللهِ تَعالى فيها ، ومَوْضوعُ السورةِ الرَّئيسُ هو : إقامَةُ الأدِلَّةِ المُتنوِّعَةِ على كمالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالىٰ ، مِنْ خِلالِ لَفْتِ النَّظَرِ إلى ما في هذا الكَوْنِ من بَديعِ الخَلْقِ الشّاهدِ على عَظَمَةِ خالقِهِ سُبْحانَه ، ومِنْ مَوْضوعاتِ السّورَةِ : إثباتُ أنَّ القُرْآنَ مِنْ عندِ اللهِ تعالى ، والرَّدُّ على المُشْرِكينَ ، وتَقْريرُ عِلْمِ اللهِ الشّامِلِ لِكُلِّ شَيءٍ صَغيرٍ وكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، وتَثْبيتُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ في مُواجَهَةِ أذى المُشْرِكينَ ، وذِكْرُ صِفاتِ المُؤْمِنينَ وما أَعدَّهُ اللهُ تَعالى لَهُمْ مِنْ ثَوابٍ ونَعيمٍ .

مَعاني المُفرَداتِ :

عَمَدٍ	: دعائمَ .
يُدبِّرُ الأمرَ	: يُصرِّفُه حَسَبَ ما يشاءُ .
تُوقِنونُ	: تُصدِّقُونَ تَصْديقاً جازِماً لا رَيْبَ فيهِ .
مَدَّ الأَرْضَ	: بَسَطَها .
رواسِيَ	: جِبالاً ثَوابِتَ .
يُغشِي	: يُغطِّي .
قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ	: قِطَعٌ مُختلِفَةٌ من الأرضِ تُجاورُ بَعْضَها بَعْضاً .
صِنْوانٌ	: نَخْلاتٌ مُجتمِعَةٌ تتشعَّبُ من أَصْلٍ واحِدٍ .
الأُكُل	: الثَّمر .

التفسيرُ :

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

تبدأُ السّورةُ الكريمَةُ بِهَذِهِ الحُروفِ المُقطَّعَةِ : أَلِفْ لام ميم را ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ هذا القُرْآنَ إنَّما هو مِنْ جنسِ الحُروفِ التي تتكلَّمُونَ بها ، فإنْ كُنتُم في شكٍّ من كَوْنهُ منزَّلاً مِنْ عندِ اللهِ فأتُوا بِمِثْلِهِ أو بِمِثْلِ سورةٍ منهُ ، فإنْ عَجَزْتُم ، وقد حَصَلَ ذلكَ ، وجَبَ عَلَيْكُمْ الإيمانُ بأنَّه كلامُ اللهِ تعالى .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ ﴾ **تلك الآياتُ التي أنزَلْناها عَلَيْكَ هِيَ آياتُ الكِتابِ العَظيمِ ، وما أنزلَهُ اللهُ تعالى في هذا الكِتاب هُوَ الحقُّ الخالِصُ الثَّابتُ ، الَّذي لا مَجال لِلشَّكِّ ، والارْتِياب فيهِ ، وهو مُنزَّلٌ (من ربِّكَ) أيها الرسولُ الكريمُ الذي تعهَّدَك بالرعايةِ والتربيةِ ، ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يُؤمِنونَ بِهذا القُرْآنِ المُنزَّلِ عَلَيْكَ مِنْ ربِّكَ ، فَهُم مُتَّبِعُونَ لأهوائِهِمْ ، ومُؤْثِرونَ للعِنادِ على الحَقِّ المُبينِ .**

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

أيْ : اللهُ سُبحانَهُ هو الَّذي رَفَعَ هذه السَّمواتِ الهائِلَةَ في ضَخامَتِها ، والمُتقَنَةَ في صُنْعِها بِغَيْرِ

أَعْمِدَةٍ تَعْتَمِدُ عليها ، وأنتُمْ تَرَوْنَ ذلك بأَعْيُنِكُم ، ثُمَّ اسْتَوى سُبْحانَه على العَرْشِ اسْتواءً يَليقُ بجَلالِه وعَظَمَتِهِ ، ومِنْ مظاهِرِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ أنَّه سَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ ، فَهُما مُطِيعانِ لأَمْرِهِ ، يَسيرانِ وَفْقَ ما قدَّرَ لهُما لِينتَفعَ البَشَرُ مِنهُما ، وهُما يَجْرِيان في المَجرى المُخَصَّصِ لِكُلٍّ مِنهُما ، ومُسْتَمِرَّانِ على ذَلِكَ ، إلى الوَقْتِ الَّذي حَدَّدَهُ اللهُ تَعالى لَهُما ، واللهُ هو الّذي يُصَرِّفُ أُمورَ خَلْقِهِ على أَكْمَلِ الوُجوهِ ، ويُنَزِّلُ الآياتِ مِنَ القرآنِ واضِحَةً مُفَصَّلَةً ، دالَّةً على عَظيمِ صُنْعِهِ وجَليلِ حِكْمتِهِ ، لِنَتفكَّرَ فيها ونُؤمِنَ إيماناً راسِخاً بِلِقاءِ اللهِ تَعالى يَوْمَ القِيامةِ ، فإنَّ القادِرَ على رَفْعِ السَّمواتِ بلا عَمَدٍ ، وتَسْخيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ قادِرٌ كذلكَ على إحياءِ الإنسانِ بعدَ مَوْتِهِ ليُجازِيَهُ على عَمَلِهِ .

وفي الآيةِ الكريمة التعبيرُ عنْ رَفْعِ السَّمواتِ وتسخيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ بالفِعْلِ الماضي (رَفَعَ) و(سخَّرَ) لأنَّها أُمورٌ قَدْ تمّتْ واسْتَقَرَّتْ ، والتَّعبيرُ عن تَدْبيرِ الأُمورِ وتَفْصيلِ الآياتِ بالفِعْلِ المُضارِعِ (يُدَبِّرُ) (يُفَصِّلُ) لأنَّهما مُتجدّدان ومُسْتَمِرّانِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

بعدَ أنْ ذكرَ سُبْحانَه بعْضَ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ في السَّمواتِ ، أَتْبَعَهُ بذكْرِ بعضِ هَذهِ المَظاهِرِ في الأَرْضِ ، فأخبرَ سُبْحانَهُ أنَّهُ الَّذي بَسَطَ الأَرْضَ لِيُسَهِّلَ على الناس الانْتِفاعَ بِها ، ولا تَعارُضَ بينَ بسْطِ الأرضِ وكَوْنِها كُرويّةً ، فإنَّ بَسْطَها دليلُ كُرَوِيَّتِها ، وهِي مَبْسوطةٌ حَسَبَ رُؤْيَةِ العيْنِ وممتدَّةٌ إلى غَيْرِ حدٍّ لأنَّها كُرويّةٌ ، وجَعَلَ سُبْحانَهُ في الأَرْضِ جبالاً ثَوابتَ راسِخاتٍ لتحفظها مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ ، وجَعَلَ فيها أَنهاراً جارِيةً لِيَنْتَفعَ منها الناسُ ، والحيوانُ ، ولِينبُتَ بها الزَّرْعُ والشَّجَرُ ، وجَعَلَ فيها مِنْ كلِّ أنْواعِ الثمراتِ زوجيْنِ اثنيْنِ ، ذكراً وأُنثى ، وهذهِ حقيقةٌ عِلْمِيَّةٌ توصَّلَ إليْها العِلْمُ الحديثُ ، وسَبَقَ القرآنُ الكريمُ إلى تَقريرِها ، مِمّا يُؤكدُ أنَّه كلامُ الخالِقِ المُبْدعِ .

ومِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ سبحانَهُ أنَّه جَعَلَ الليلَ يُغطِّي ضوءَ النَّهارِ فَيَرْتاحُ الناسُ فيهِ ، وجَعَلَ النَّهارَ يُغطِّي الليلَ بِضِيائِهِ فَيَنطلِقُ الخَلْقَ إلى مَعاشِهِم ومَنافِعِهم ، إنَّ في هَذهِ الآياتِ المُتعدِّدَةِ عَلاماتٍ وبَراهينَ دالَّةً على وَحْدانيةِ اللهِ وقُدْرتِهِ ، وعَظَمَتِهِ ، يُدْرِكُها مَنِ اسْتَعْمَلوا عُقولَهُم ، وتفكَّرُوا فيها وتأمَّلوا في بَديعِ خَلْقِ اللهِ .

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

ومِنْ مظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ وعَظمتهِ أنَّه جَعَلَ في الأَرْضِ بقاعاً كَثيرةً مُتجاوِرَةً ، ومَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ في أَوْصافِها وطَبيعَتِها ، فمِنْها قِطَعٌ تُنبتُ بَساتينَ كَثيرةً تَشْتَمِلُ على أشْجارِ الكُرومِ الّتي تُنْبِتُ العِنبَ ، وأَنْواعٌ أُخرىٰ مِنَ الأَشْجارِ والزُّروع ، ومِنْها قِطَعٌ لا تُنبِتُ زَرْعاً ولا شَجَراً .

وشجَرُ النَّخيلِ كَذلكَ مُختلِفٌ فمنهُ النَّخْلاتُ المُشتعِّبَةُ من أصلٍ واحِدٍ فَهِيَ صِنوانٌ ، ونَخْلاتٌ لا يَجْمَعُها أَصْلٌ واحِدٌ بل كُلٌّ مِنْها على أَصْلٍ فَهِيَ غيرُ صِنْوانٍ ، وكلُّ هذهِ الأَصْنافِ المُتَعدِّدَةِ مِنَ النَّباتاتِ والمُختلِفَةِ في أشْكالِها ، وأحْجامِها ، وطعْمِ ثِمارِها ، والمُتميزةِ فيما بَيْنَها بِجودةِ الطَّعْمِ وحُسْنِهِ ، إنَّما تُسقى بماءٍ واحدٍ وتَنبُتُ في أَرْضٍ واحِدَةٍ ، وَمَع ذلك بَيْنَها كُلُّ هذا التفاوتِ والاختلافِ ، وهذا مِنْ أَوْضحِ الأدِلَّةِ على وَحْدانيةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ولا يتأمَّلُ في هذهِ الآياتِ ولا يَنْتفِعُ مِنْها إلاّ القَوْمُ الّذينَ يَسْتَعْمِلُونَ عُقولَهُم ويُدْرِكُونَ بها بَديعَ الخَلْقِ ، ودَلالتَهُ على المُوجِدِ سُبْحانَهُ .

واقْتَصَرَتِ الآيَةُ الكَريمةُ على ذِكْرِ التَّفْضيلِ بَيْنَ أصْنافِ النَّباتِ بالثَّمَرِ والطَّعْمِ ، لأنهُ أَعْظمُ منافِعِها ، وأَظْهَرُ أَوْجُهِ الاخْتِلافِ بَيْنَها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ في الكونِ الواسعِ كثيرٌ مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمةِ اللهِ تعالى .

٢ـ مِنْ فوائدِ الجبالِ أنَّها تحفظُ الأرْضَ مِنْ أَنْ تَضْطَرِبَ وتختلَّ .

٣ـ حُصولُ الاخْتِلافِ في الأرْضِ بالرّغمِ مِن تَقارُبِها وتجاوُرِها ، وحُصولُ الاختلافِ بين أنواعِ النباتِ وأشكالهِ ، مِنْ أعظمِ الأدلَّةِ على قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٤ـ على المرْءِ أنْ يتفكَّرَ في مَخْلوقاتِ اللهِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِه سُبْحانَهُ .

٥ـ عَرْشُ الرّحمنِ أَعْظَمُ المخلوقاتِ وأطْهَرُها وأفْضَلُها ، استوى عليهِ اللهُ استواءً يليقُ بجلالهِ وعَظَمَتهِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكرْ أبرزَ مَوْضوعاتِ سورةِ الرَّعدِ .

٢ـ ما سَبَبُ افْتِتاحِ هذهِ السّورةِ وغَيْرِها مِنَ السُّورِ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ ؟

٣ـ عدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكريمةُ مِنَ المَخْلوقاتِ الدالَّةِ على عَظَمةِ مُوجِدِها .

٤ـ على ماذا يَدُلُّ اخْتِلافُ ثِمارٍ وطُعومِ أصْنافِ النّباتاتِ المُختلِفَةِ مَعَ أنها تُسقى بماءٍ واحدٍ ؟

٥ـ بيّنْ معنى كَلٍّ مِمّا يلي :

أـ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها .

ب ـ ثُمّ استوى على العرشِ .

ج ـ مَدَّ الأرْضَ .

د ـ يُغْشي اللّيلَ النَّهارَ .

هـ ـ قِطَعٌ مُتَجاوراتٌ .

و ـ صِنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ .

ز ـ ونُفَضِّلُ بعضَها على بَعْضٍ في الأُكُلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ جوابَ الإمام مالكٍ لِمَنْ سألَهُ عن تفسير ﴿ثم اسْتَوى على العَرْشِ﴾ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كيفَ يَتِمُّ حُصولُ الثَّمَرِ مِنَ الزَّهْرِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشرونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الأغلالُ : القُيودُ .

المَثُلاتُ : العُقوباتُ الشَّديدةُ الفاضِحَةُ .

لولا : هلاّ .

آيةٌ : مُعجزَةٌ .

تَغيضُ : تَنْقُصُ .

المُتعالِ : المُستعْلي على كُلِّ شيءٍ بقُدْرتِهِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الرَّدُّ على المُشركينَ في إنكارِهِمُ البَعْثَ وطلَبِهِمُ الخَوارِقَ والمُعْجِزاتِ ، وبَيانُ شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى لِكُلِّ صَغيرةٍ وكَبيرةٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

وإنْ تَعْجَبْ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ مِنْ تَكذيبِهِم لَكَ بعدَ ما كُنْتَ عِنْدَهُم الصَّادِقَ الأمينَ ، فالأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ تَكذيبُهُم البَعثَ بعدَ ما ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الآياتِ الكثيرةِ الدَّالَّةِ على قُدْرَةِ الخالِقِ إعادةَ الخلْقِ ، وهُمْ في إنكارِهِمُ البَعْثَ يَقولُون : أئِذا كُنا تُراباً ، ونَخِرَتْ عِظامُنا بعد المَوْتِ أئِنّا بَعْدَ ذلِكَ مَبعوثُونَ إلى الحياةِ مَرّةً أُخرى ، فَرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهِم مُبيِّناً أنَّ أولئكَ الَّذينَ يقولُونَ هذا القَوْلَ ويَسْتَبْعِدُونَ البَعْثَ قَدْ كَفرُوا بربِّهِم ، وأُولئِكَ سَتُوضَعُ القيودُ في أَيْدِيهِم وأعناقِهِم يومَ القيامةِ عندما يُساقُونَ إلى العذابِ ، وأُولئكَ هُمْ أصْحابُ النَّارِ لا يُغادِرُونَها ، ولا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عذابِها ، وإقامَتُهُمْ فيها دائِمَةٌ ثابِتَةٌ .

وإعادةُ اسْمِ الإشارةِ في الآيةِ (أولئكَ) أَكْثَرَ مِنْ مَرّةٍ لتأكيدِ الأَمْرِ المُشارِ إليْهِ في كُلِّ جُملةٍ مِنْها .

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾

ويطلبُ مِنْكَ المُشْرِكُونَ أنْ تُعجِّلَ لَهُمُ العُقوبَةَ الَّتي تُنذِرُهُم بها بِسَبَبِ إصْرارِهِم على الكُفْرِ ، ظَنّاً مِنْهُم أنَّ هذه العُقوبةَ لا تَحْصُلُ ، واسْتِهْزاءً منْهُم بكَ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ، وقَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِهِم عُقوباتُ الأُمَمِ السَّابقةِ الَّتي هَلَكتْ وآثارُ تِلْكَ الأقوامِ ما زالَتْ ماثِلَةً أمامَ أعْيُنِهِمْ ، والأَوْلَى بِهِمُ الاعْتِبارُ بِها والتَّصديقُ بِوُقوعِ العذابِ على المُكذِّبينَ ، وإنَّ اللهَ تعالى ذو المَغْفِرَةِ الواسِعَةِ العظيمةِ للنَّاسِ ، مَع ظُلْمِهِم ، لم يُعاجِلْ هؤلاءِ العُتاةَ الجاهِلينَ بالعُقوبةِ ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ وأخَّرَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَنْ ضَلالِهِم ، وكما أنَّهُ سُبْحانَهُ ذو مَغْفِرَةٍ للنَّاسِ إنْ تابُوا وأَصلَحُوا فإنَّهُ شَديدُ العِقابِ لِمَنْ أَصَرَّ على كُفرِهِ وعِصْيانِهِ . كما قالَ سُبْحانَهُ في مَوضِعٍ آخرَ : ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠] .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ .

ومِمّا كانَ يقولُ أهلُ مكةَ كُفراً واستهزاءً بالنبيِّ الكريمِ : هلاّ أُنْزِلَتْ عليه مُعجزةٌ مِنْ ربِّهِ ، كما حَصَلَ مع غيرِهِ مِنَ الأنبياءِ السّابقينَ مِنْ خوارِقِ العاداتِ ، ويَردُّ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ بقولِهِ : ﴿إنما أنت منذر﴾ أيْ إنَّ وظيفَتَكَ أيُّها الرسولُ الكريمُ هي إنذارُ هؤلاءِ المُكذِّبينَ الجاحِدينَ بسوءِ المَصيرِ إذا اسْتَمَرُّوا على كُفْرِهِم ، وعِنادِهم ، ولَيْسَ مِنْ وَظيفَتِكَ الاسْتِجابةُ إلى طَلَباتِهِم المُتعنِّتَةِ ، وقَدْ أيَدْناكَ بما يَكْفي الاسْتِدْلالُ بِهِ على نُبوَّتِكَ وَهُوَ القُرْآنُ الكريمُ ، ولكلِّ قَوْمٍ نبيٌّ يَهديهِمْ إلى الحَقِّ بالوسيلةِ المُناسِبَةِ لَهُمْ ، وبالمُعْجِزَةِ الأَنْسَبِ لِحالِهِمْ ، ومُعجزَتُكَ أيها النبيُّ هِيَ الأَنْسَبُ لِحالِ هذه الأُمَّةِ .

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

الله وحْدَهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُهُ كُلُّ أُنثى في بَطْنِها هَلْ هُوَ ذَكَرٌ أَمْ أُنثى ؟ تامٌّ أَمْ ناقِصٌ ؟ حَسَنٌ أم قبيحٌ ؟ صالحٌ أم غَيْرُ صالحٍ ؟ وهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ ما يكونُ في الأَرْحام مِنْ نَقصٍ في الخِلْقَةِ أو زيادةٍ فيها ، ومِنْ نَقْصٍ في مُدة الحَمْلِ أو زيادةٍ عليها ، ومِنْ تَمام الحَمْلِ أو نُزولِ الجَنينِ قبلَ تمامِ خَلْقِهِ سَقَطاً ، وكُلُّ شيءٍ عندَهُ تعالى بِقَدَرٍ وحدٍّ لا يتجاوَزُه ولا يُنقِصُ مِنْهُ .

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ .

وهو سُبْحانَهُ عالِمُ كلِّ ما غابَ عَنِ الخلْقِ وما لَمْ يغِبْ عَنْهُم مِمّا يشاهِدُونَهُ ، فَهُو العَليمُ بكلِّ شيءٍ كمّاً وكيفاً ومَكاناً وَزماناً لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شيءٌ في الأَرْضِ ، ولا في السَّماءِ ، وهو العَظيمُ الشَّأْنِ المُسْتَعلي على كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنكارُ المُشْرِكينَ البَعْثَ مَدْعاةٌ إلى العَجَبِ .

٢ـ استِعْجالُ المُشرِكينَ وُقوعَ العَذابِ بِهِم مِنْ علاماتِ غُرورِهِمْ وعَدَمِ إعْمالِ عُقولِهِمْ .

٣ـ هيَّأَ اللهُ تَعالى لكلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ ما يَكفي لِهِدايَتِهِم بالوَسائلِ المُناسِبَةِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لَمْ يَتَّبِعُوا الهُدى .

٤ـ شُمولُ علْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ صَغيرٍ وكَبيرٍ ، وشاهِدٍ وغائِبٍ ، في هذا الكَوْنِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأمرُ الذي يُمْكِنُ أنْ يَعجَبَ منهُ الرَّسولُ ﷺ ؟ وما الأَمْرُ الأعْجَبُ منهُ ؟

٢ـ بماذا وَصفَتِ الآيةُ (٥) الَّذين يُنْكِرُون البَعْثَ وما العِقابُ الَّذي أُعِدَّ لَهُم ؟

٣ـ ما السَّبَبُ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ طَلَبَ المُشرِكونَ المُعجزاتِ الحسِّيَة ؟

٤ـ اذْكُرِ الأدِلَّةَ الوارِدَة في الآية (٨) على شُمولِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيءٍ ؟

٥ـ اذكُرْ دليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمةِ على كُلٍّ مِمّا يلي :

ـ إنكارُ المُشْرِكينَ البَعْثَ مَعَ قيامِ الأدِلَّةِ الكَثيرةِ عَلَيْهِ أَمْرٌ مُسْتَغربٌ .

ب ـ استعجالُ المُشركينَ العُقوبَةَ .

ج ـ أُعْطِيَ كُلُّ نَبيٍّ مِنَ الآياتِ ما يَكفي لِهداية قَوْمِهِ .

د ـ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ تَعالى بِقَدَرٍ وَحَدٍّ .

هـ ـ شمولُ عِلْمِ اللهِ لِلْغَيْبِ والشَّهادَةِ .

٦ ـ بيِّنْ مَعنى الألفاظِ التاليةِ : الأغلالُ ، المَثُلاتُ ، تَغيضُ ، المُتعالِ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تُبينُ ما طَلَبَهُ بنو إسْرائيلَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِيَكونَ دَليلاً على نُبوَّتِهِ .

* * *

الدرس الرابع والعشرون

سورة الرعد - القسم الثالث

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُستَخْفٍ : مُبالِغٌ في الاختفاءِ .

سارِبٌ : بارِزٌ ظاهِرٌ .

مُعَقِبّاتٌ : ملائِكَةٌ يَتعاقَبُونَ على حِفْظِهِ .

والٍ : ناصِرٍ يَلي أمْرَهُمْ .

الثِّقالَ : المليئةَ بالماءِ .

يُجادِلُونَ : يُخاصِمُونَ .

المِحالِ : القُوّةِ والعُقوبَةِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ تَبيينُ حِفْظِ اللهِ تعالى لِخَلْقِهِ ، وأنّه لا يُغيِّرُ أحْوالَهُمْ حتّى يُغَيِّرُوا هُمْ

ما بأنفُسِهِم ، وأنَّ البَرْقَ والرَّعْدَ مِنْ آياتِ اللهِ يُخَوِّفُ بِها عِبادَهُ ، ويَجْعَلُ بِهِما البِشارةَ بالمَطَرِ والغَيْثِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾

هذهِ الآيةُ الكَريمةُ تأكيدٌ آخَرُ لِشُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَه بكلِّ شيءٍ فإنَّه يَستوي في عِلْمِهِ مَنْ أخفى القَوْلَ في نَفْسِهِ وَلَمْ يَتلفَّظْ بِهِ ، ومَنْ جهَرَ بهذا القَوْلِ ، وأعْلَنَهُ لِغيرِهِ ، كما يَستوي في عِلْمِهِ سُبْحانَهُ مَنْ هو مُبالِغٌ في الاخْتِفاءِ في الظُّلْمَةِ الَّتي تكونُ باللَّيلِ ، ومَنْ هُوَ ظاهِرٌ بارِزٌ يَسيرُ في طَريقهِ بالنَّهارِ ، فَهُمْ جَميعاً في عِلْمِ اللهِ تَعالى سَواءٌ .

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾

الضَّميرُ في (لَهُ) يَعودُ على (مَنْ) المَذكورِ في الآيةِ السَّابقةِ ، أيْ : أنَّ لِكُلِّ مَنْ أسرَّ القَوْلَ أوْ جَهرَ بِهِ مَلائكةٌ يَتعاقَبُونَ عَلَيْهِ باللَّيْلِ والنَّهارِ ويُحيطُونَ بِهِ لِحِفْظِهِ ورعايتِهِ .

وحِفْظُ المَلائِكَةِ لِلإنْسانِ إنَّما هُوَ بأَمْرِ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، فإذا وَقَعَ قَدَرٌ مِنَ الله خَلَّوْا بينَهُ وبَيْنَ قَدَرِ اللهِ .

وَقَدْ وَرَدَ في عَدَدٍ مِنَ الأحاديثِ ما يُؤكِّدُ مَلازَمَةَ المَلائِكَةِ للإنْسانِ وتَعاقُبَهُمْ عَلَيْهِ ، ومِنْ ذلكَ قَوْلُهُ ﷺ : « يَتعاقَبُونَ فيكُم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ ويجتمِعُونَ في صلاةِ الصُّبحِ وصلاةِ العَصْرِ ، فَيَصْعَدُ الَّذينَ باتُوا فيكُم فيسأَلُهُم ربُّهُم وهو أعْلَمُ بِهِمْ : كَيْفَ تركْتُم عبادِي ، فيقولُونَ : أَتَيْناهُم وهم يُصَلُّونَ وتَرَكْناهُم ، وهُمْ يُصَلُّونَ . . . . »[1] .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أنَّ مِنْ سُنَّتِهِ أنْ لا يُبدِّلَ ما بِقَوْمٍ مِنْ خَيْرٍ ونِعْمَةٍ ، وعافيةٍ حتى يُغَيِّرُوا هُمْ ما بأنفُسِهِمْ مِنْ طاعةٍ إلى مَعْصِيةٍ ومِنْ صَلاحٍ إلى فَسادٍ ، فَيَسْتَحِقُّونَ حينئذٍ الحِرْمانَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وتغيُّرِ الحالِ ، وإذا أراد اللهُ تعالى بِقَوْمٍ سوءاً مِنْ عذابٍ أوْ هَلاكٍ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضلالِهِمْ ، فلا دافِعَ لِعَذابِهِ ، ولا رادَّ لِقَضائِهِ ، وَقدَ يأْتي الإِنْسانُ الفِعْلَ الَّذي فيهِ هَلاكُهُ ودَمارُهُ وهُوَ يَظُنُّه نافِعاً لَهُ فَيَهْلِكُ باخْتِيارِهِ ورِضاهُ .

وليسَ لِلْبَشَرِ مِنْ دون اللهِ تعالى ناصِرٌ منهُ يَرْفَعُ عنْهم عِقابَهُ أوْ ما يُريدُ إنزالَهُ بِهِمْ مِنْ سوءٍ بِسَبَبِ تَغييرِ ما بأَنفُسِهِمْ فلْيحذَرُوا عِقابَه وليبتَعِدوا عَنْ أسبابِ هذا العِقابِ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، رقم الحديث ٥٢٢ ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة رقم الحديث ١٠٠١ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

اللهُ الَّذي يُريكُمُ البَرْقَ ، وهو النورُ اللامِعُ الَّذي يَظْهَرُ مِنْ خِلالِ السَّحابِ ، ويترتَّبُ على رُؤيةِ البَرْقِ أنْ يخافَ بعضُكُمْ ما يُمْكِنُ أَنْ يَنْتُجَ عنهُ مِنْ صَواعِقَ أو سيولٍ مُدمِّرَةٍ ، وأنْ يَطْمَعَ بَعْضُكُمْ فيما يَنْتُجُ مِنْ هذا البَرْقِ مِنْ مَطَرٍ نافِعٍ وما يعقُبُه مِنْ غَيْثٍ مُغيثٍ .

واللهُ تعالى هو الَّذي يُنشِىءُ السُّحُبَ المُحمَّلَةَ بالماءِ ، ويُرْسِلُها إلى حَيْثُ يَشاءُ أنْ تُفْرِغَ حِمْلَها وتجودَ بمائِها فتَحيا بِها الأَرْضُ ويَنْبُتُ بِها الزَّرْعُ .

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

الرَّعْدُ : هُوَ الصَّوْتُ الَّذي يُسْمَعُ بَعْدَ البَرْقِ ، ويَحْدُثُ نَتيجةَ اصْطدامِ السُّحُبِ بِبَعْضِها ، وفي هذهِ الآيةِ الإخْبارُ بِتَسْبيحِ الرَّعْدِ بِحَمْدِ اللهِ كما أَنَّ المَلائكَةَ تُسبِّحُ اللهَ تعالى خَوْفاً مِنْهُ وإجْلالاً لِمَقامِهِ ، وتَسْبيحُ الرَّعدِ يَكونُ بِكَيفيَّةٍ لا نَعلمُها كَما لا نَعْلَمُ تَسبيحَ كثيرٍ مِنَ المَخْلوقاتِ الَّتي أَخْبَرَ اللهُ تَعالى أنَّها تُسَبِّحُهُ وتَحْمَدُهُ ، ونُؤْمِنُ بِهذا التَّسْبيحِ ونُصَدِّقُهُ .

ثم أَخْبَرَ سُبْحانَه أنه يُرْسِلُ الصَّواعقَ المُهْلِكَةَ المُحْرِقَةَ ، فَيُصيبُ بها مَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ .

ومَعَ كُلِّ هذهِ الآياتِ البيِّناتِ الدالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وكَمالِ قُدْرَتِهِ ، مِنْ بَرْقٍ لامِعٍ وسَحابٍ مُحَمَّلٍ بالماءِ ، ورَعْدٍ مُسَبِّحٍ بحَمْدِ اللهِ ، فإنَّ الكافرينَ يُجادِلُون في عَظَمةِ اللهِ تَعالى وَوحدانيَّتِه ، وَهُوَ سُبْحانَه عَظيمُ القُوّةِ ، شَديدُ العُقوبَةِ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يُطِعْ أَمْرَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ السرُّ والجَهْرُ ، والخَفاءُ والعَلَنُ ، في عِلْمِ اللهِ تَعالى سواءٌ .

٢ـ الملائِكَةُ الكِرامُ تُرافِقُ الإنسانَ في حَياتِهِ وتَحْفَظُهُ بِأَمْرِ اللهِ ، ولِذا فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْتَرِمَ وُجودَ هذهِ المَلائِكَةِ مَعَهُ .

٣ـ تأكيدُ أنَّ الإنْسانَ هُوَ الَّذي يَبْدأُ بالتَّغييرِ مِنَ الخَيْرِ إلى الشرِّ أو عَكْسِهِ فإنْ فَعلَ ذَلِكَ غيَّرَ اللهُ تَعالى الحالَ إلى ما يَسعى إِلَيْهِ الإِنْسانُ .

٤ـ تَسبيحُ المَخْلوقاتِ بِحَمْدِ اللهِ وبِكيفيَّةٍ يَعلَمُها اللهُ سُبْحانَهُ .

٥ـ مَعَ كَثْرَةِ الآياتِ الدالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ فإنَّ الكافِرينَ يُنْكِرُونَها ويُجادِلُون فيها .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُراد بالمُعَقِّباتِ ؟ وما عَمَلُها ؟

٢ـ ما فوائدُ البَرْقِ وما مَضارُّه ؟

٣ـ بيِّنْ معنى كلٍّ مِمَّا يلي :

أـ ومَنْ هَو مُسْتَخفٍ باللَّيلِ وساربٌ بالنَّهارِ .

ب ـ إن اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يغيِّروا ما بأنْفُسِهِمْ .

ج ـ ويُنْشِىءُ السَّحابَ الثِّقالَ .

د ـ ويُسبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِه والملائكةُ مِنْ خِيفَتِهِ .

هـ ـ وهُوَ شَديدُ المِحالِ .

تَعَلَّمْ :

كان رَسولُ اللهِ ﷺ إذا سَمِعَ الرَّعْدَ والصَّواعِقَ يقولُ : « اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغضَبِكَ ولا تُهْلِكْنا بِعَذابِكَ وعافِنا قَبْلَ ذَلِكَ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ لُقْمانَ الَّتي تُبيِّنُ عِلْمَ اللهِ بأدقِّ المَخْلوقاتِ وأخْفاها .

٢ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَحْصُلُ الرَّعْدُ والبَرْقُ .

٣ـ اذكرِ الآيةَ مِنْ سورةِ الإسْراءِ الَّتي تُبيِّنُ تَسْبيحَ جَميعِ المَخْلوقاتِ للهِ تَعالى .

* * *

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، رقم الحديث ٣٣٧٢ ، ورواه أحمد في المسند برقم ٥٥٠٣ .

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

سورَةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لِيبلُغَ فاه : لِيَصِلَ إلى فَمِهِ .

يَسْجُدُ : يَخضَعُ وينقادُ .

بالغدُوِّ : أوَّلِ النَّهارِ .

الآصالِ : آخرِ النهارِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمَةِ تَقْريرُ وُجوبِ عِبادَةِ اللهِ تَعالى وتَعظيمِهِ ، وأنّ عِبادَةَ غَيْرِهِ لا نَفْعَ فيها وَهِي بُطْلانٌ وبَوارٌ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ الحَقُّ الَّذي لا يُدْعَى سِواهُ ولا يُجيبُ دُعاءَ الدَّاعِي غَيْرُهُ ، ولَهُ وَحْدَهُ سُبْحانَهُ

العِبادَةُ الحَقُّ الَّتي لا تَنبغِي لأَحَدٍ دونَهُ ، وفي مُقابِلِ هذا فإنَّ المُشْرِكينَ الَّذين يَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ مِنْ أَصْنامٍ وآلِهَةٍ باطِلَةٍ لا تَسْتَجيبُ لِدُعائِهِمْ لأنَّها عاجِزَةٌ عَنْ ذَلِكَ ، وحالُهُمْ في دُعائِهِمْ غَيْرَ اللهِ تَعالى كَحالِ مَنْ بَسَطَ كفَّيْهِ وفتَحَهُما إلى الماءِ آمِلاً أَنْ يَصِلَ إلى فَمِهِ ، والماءُ لا يَسْتَجيبُ لِطَلَبِهِ فإنَّه جَمادٌ لا يَعي ، وكَذلِكَ ما يَعْبدُهُ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ مِنْ آلِهَةٍ ويَدْعُونَها لا تَسْتَجيبُ لَهُمْ لِعَدَمِ قُدْرَتِها على نَفْعِهِم ، فدُعاءُ الكافرينَ هَذهِ الآلِهَةَ في خَسارةٍ ، وضَياعٍ .

وتَنْكيرُ (شيءٍ) في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿لا يَسْتَجيبونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ للتَّقْليلِ ، أيْ أَنَّهم لا يستجيبُونَ أَيَّ اسْتِجابةٍ وَلَوْ كانَتْ قَليلةً ، وإِجْراءُ ضَميرِ العُقَلاءِ في قَوْلِهِ ﴿لا يَستجيبونَ﴾ للأَصْنامِ ، مُجاراةً لِظَنِّ المُشْرِكينَ الَّذينَ يُعامِلُونَ الأَصْنامَ مُعامَلَةَ العُقَلاءِ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) ﴾ .

أيْ أنَّ جميعَ المَخْلوقاتِ الَّتي في السَّمواتِ والَّتي في الأَرْضِ مُنقادَةٌ لأَمْرِ اللهِ تَعالى وحُكْمِهِ وإرادَتِهِ مُخْتارينَ لِذلكَ أو مُجْبَرينَ عَلَيْهِ ، فإنَّهُم لا يَسْتَطِيعُونَ الخُروجَ عَنْ حُكْمِهِ وأَمْرِهِ .

وإنَّ خُضوعَ المُؤْمِنِ هُوَ خُضوعُ الرِّضى والطَّواعِيَةِ لأَمْرِ اللهِ ، أمَّا خُضوعُ الكافِرِ فَهُوَ خُضوعُ كُرْهٍ وإجْبارٍ ، فإنَّهُ وإنْ لَمْ يُسَلِّمْ أَمْرَهُ للهِ تَعالى في الظَّاهِرِ ، يَسيرُ في هذهِ الحياةِ وَفْقَ المَنْهَجِ الَّذي وَضَعَهُ اللهُ ولا يَمْلِكُ أَنْ يَحيدَ عَنْهُ ولا أنْ يَخْرُجَ منهُ ، فَهُوَ بهذا مُنقادٌ لِحُكْمِ اللهِ وسُلْطتهِ .

وكما أنَّ جميعَ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ يَخْضَعُ للهِ تَعالى وينقادُ لأمْرِهِ فإنَّ ظِلالَهُمْ خاضِعَةٌ لَهُ كَذلكَ ، فإنَّ الظِلَّ مُلازِمٌ لِصاحبِهِ ، وهُوَ خاضِعٌ لأمْرِ اللهِ في مَيْلِهِ مِنْ جانِبٍ إلى جانِبٍ ، وفي تَمدُّدِهِ وتَقلُّصِهِ وحَرَكَتِهِ وسُكونِهِ . وخُضوعُ هذه الظِّلال كائِنٌ في كلِّ وَقْتٍ وحينٍ ، وخَصَّ الغُدُوَّ والآصالَ بالذِكْرِ وهُما أَوَّلُ النَّهارِ وآخِرُهُ لأنَّ الظِلالَ تَعظُمُ وتكبُرُ فيهما فيَراها النَّاسُ ولا تَغيبُ عنْهُم .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ سُبْحانَه أنَّ كُلَّ مَنْ في السَّموات وكُلَّ مَنْ في الأَرْضِ خاضِعٌ لأمْرِهِ ، أَمَرَ رَسولَه ﷺ أنْ يُظهِرَ للمُشرِكينَ طريقَ الهدايةِ وأنْ يُحاوِرَهُم بما يُثْبِتُ تَوْحيدَ اللهِ تعالى ، وأنْ يقولَ لَهُمْ : ﴿مَنْ رَبُّ السَّمواتِ والأرْضِ﴾ ولَمَّا كانَ جوابُ هذا السُّؤالِ مَعلوماً عندَهُمْ ولا يُنكِرونَ أنَه اللهُ ، أَمَرَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ بالإجابة عنه ﴿قلِ اللهُ﴾ ثُمَّ أَنْ يقولَ لَهُمْ مَوبِّخاً : أَعَلِمتُم أنَّ اللهَ تَعالى خالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ وتَركْتُم عِبادَتَهُ ، واتَّخذْتمْ مِنْ دونِهِ أولياءَ هُمْ في الحَقيقةِ لا يَملِكُونَ لأنفُسِهم نَفعاً ولا ضَرّاً فكيفَ يَملِكُونَ ذلكَ لِغَيرِهم ؟ ثُمَّ أمرَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ أَنْ يَقولَ لَهُم : كما أَنَّهُ لا يَستوي في نَظَر العُقَلاءِ الأَعْمَى والبَصيرُ ، ولا تَستوي الظُّلماتُ والنُّورُ ، فَكذلِكَ

لا يَستوي الكُفْرُ والإيمانُ ، وإنَّ الكافِرَ الَّذي يَرى الخَيْرَ ، ولا يَهتدِي إلى الطَّريقِ الصَّحيحِ هو الأَعْمى ، أمَّا المُؤْمِنُ الذي يُبْصِرُ الحَقَّ ويتَّبِعُهُ فَهُوَ البَصيرُ حَقّاً .

﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ هذا اسْتِفْهامٌ إِنْكارِيٌّ ، أيْ إنَّ المُشرِكينَ لَمْ يَتَّخذُوا مِنْ دون اللهِ آلِهَةً يَخلُقونَ مِثْلَ خَلْقِ الله ، حتَّى يُقالَ إنَّ ما خَلَقُوهُ يُشْبِهُ ما خَلَقَهُ اللهُ ، فيَلتمِسُ لَهُم بِذلكَ العُذْرَ ، فإنَّ هذهِ الآلِهَةَ المَزْعومةَ لَمْ تَخْلُقْ شَيئاً ، ولا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، وإنَّ المُشْرِكينَ يَعلَمُونَ ذَلِكَ كما يَعلَمُونَ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ ، ولِذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رسولَه ﷺ أنْ يُلْزِمَهُمْ الحُجَّةَ ، وأنْ يُبيِّنَ لَهُمْ بِجَلاءٍ ووُضوحٍ لا رَيْبَ فيه هذا الأَمْرَ ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ وهُوَ سُبْحانَهُ الواحِدُ لا شَريكَ لَهُ ، القَهّارُ لِكُلِّ ما سواهُ والغالِبُ لِكُلِّ مُتَكَبِّرٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الحقِّ للهِ وحْدَهُ فَهُوَ المَعْبودُ بحَقٍّ .

٢ـ انقياد كُلِّ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ واسْتِسلامُهُ لأمرِ اللهِ طَوْعاً أو كَرْهاً .

٣ـ ظِلالُ الأشياءِ تابِعَةٌ لأصولِها ، فكما أنَّ الأشياءَ مُستجيبةٌ لأمرِ اللهِ فكذلِكَ ظِلالُها .

٤ـ الإنكارُ على المُشْرِكينَ عِبادَتَهُم آلِهَةً يَعْلَمُونَ أنَّها لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها نَفعاً ولا ضَرّاً فَضْلاً عَنْ أَنْ تَملِكَ ذَلِكَ لِغَيْرِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكريمةُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دونَ اللهِ في عَدَمِ اسْتِجابَتِهِم لَهُمْ ؟

٢ـ أ ـ ما معنى سُجودُ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ للهِ ؟

ب ـ اذكُرْ مِثالاً لِمَنْ يَسْجُدُ للهِ طَوْعاً ومِثالاً لِمَنْ يسَجُدُ كَرْهاً .

٣ـ ما وَجْهُ تَخصيصِ ذِكْرِ الغُدوِّ والآصالِ عِنْدَ الحَديثِ عَنْ سُجودِ الظِّلالِ ؟

٤ـ بيِّنِ الأدلَّةَ المَذْكورةَ في الآية ١٦ على بُطْلانِ الشِّرْكِ .

٥ـ بيّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أـ كباسطِ كَفَّيهِ إلى الماءِ ليَبْلُغَ فاهُ .

ب ـ وظلالُهُمْ بالغدُوِّ والآصالِ .

ج ـ أمْ جَعَلوا لهُ شُرَكاءَ خَلَقوا كَخلْقِهِ فتَشابَهَ الخَلْقُ عليْهِمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَكونُ الكافِرُ خاضِعاً لله وهُوَ يَكْفُر بِهِ ؟ .

* * *

الدرس السادس والعشرون

سورة الرَّعْدِ - القِسْمُ الخامِسُ

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أوديةٌ : جَمعُ وادٍ وهو كُلُّ مُنخفَضٍ بينَ جَبلَيْنِ .

زَبَداً : ما يَطفُو على وَجْهِ الماءِ مِنْ رَغْوَةِ الأشياءِ وحُطامِها .

رابياً : مُرتَفِعاً فوقَ الماءِ .

حِلْيَةٍ : ما يُتَّخذُ للزِّينةِ مِنْ ذَهَبٍ ونَحْوِهِ .

مَتاعٍ : ما يُنتفعُ بهِ .

جُفاءً : مَرْمِيّاً مَطْروحاً .

فَيَمْكُثُ : فيَبقَى .

التفسيرُ :

ضربَ اللهُ في هاتيْنِ الآيتيْنِ مَثَلَيْنِ واضِحَيْنِ لِلْحَقِّ والباطِلِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، فالحَقُّ ثابِتٌ باقٍ ، والباطِلُ ذاهِبٌ زائِلٌ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

المَثَلُ الأوّلُ : أنَّ اللهَ تعالى أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فسالَتِ المِياهُ في الأوديةِ ، كُلُّ وادٍ فيها يَسيلُ فيهِ ماءٌ بِمِقْدارِهِ الَّذي يَحتَمِلُهُ ، فَتَفاوُتُ الأَوْدِيَةِ ، بِحَسَبِ حَجْمِها واتِّساعِها ، ويَحْمِلُ الماءُ الجاري في الأوديةِ غُثاءً كثيراً يَطفُو فَوْقَ الماءِ ، ولا نَفْعَ في هذا الغُثاءِ ولا فائِدَةَ مِنْهُ .

وفي هذا المَثلِ تَشبيهُ الحَقِّ وأهْلِهِ بالماءِ الصّافي الَّذي يَنزِلُ مِنَ السَّماء ، ويَسيلُ في الأَوْدِيَةِ وينتَفِعُ منهُ النَّاسُ ، وتَشْبيهُ الباطِلِ في عَدَمِ الانْتِفاعِ مِنهُ وسُرْعَةِ زَوالِهِ بزبدِ السَّيْلِ الكَثيرِ الَّذي يَطفُو فَوْقَ الماءِ ، إلاَّ أنَّه لا يُنْتَفَعُ مِنْهُ بِشَيءٍ وسُرْعانَ ما يُلقيهِ السَّيْلُ على جَوانِبِهِ فيزولُ ويَنْتَهي أمرُهُ .

والمَثَلُ الثاني قولُه تعالى : ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾ أيْ أنَّ النَّاسَ يُوقدونَ النَّارَ على المَعادِنِ حتَّى تَنْصَهِرَ وتَذوبَ ، وفي أثْناءِ إيقادِ النَّارِ على هذهِ المَعادنِ يَعلُوها زَبَدٌ مِثلُ الزَّبَدِ الَّذي يَعلوُ سَطْحَ الماءِ في كَوْنِهِ لا فائِدَةَ منهُ ، وإنَّما تُوقَدُ النَّارُ على المَعادنِ لِتَصْفِيَتِها وَتَنْقِيَتِها واسْتِخْراجِ النَّافِعِ مِنْها لِصِناعَةِ الأَمْتِعَةِ والحُلِيِّ ، وطَرْحِ الزبدِ الَّذي لا يَنْفَعُ ولا يَكونُ مِنْ أَصْلِ المَعْدِنِ .

وفي هذا المَثَلِ تَشبيهُ الحقِّ وأهْلِهِ في البَقاءِ بالمعادِنِ النَّافِعَةِ الباقية ، وتَشْبيهُ الباطلِ وأتباعِهِ في الفَناءِ وعَدَمِ النَّفْعِ بالزَّبَدِ الَّذي يَطْفو فَوْقَ المَعادِنِ حالَ صَهْرِها وإذابَتِها .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبحانه الحِكْمَةَ مِنْ ضَرْبِ هَذيْنِ المَثَلَيْنِ فقالَ : ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ أيْ بهذا البيانِ البَديعِ يَضْرِبُ اللهُ الأمثِلَةَ لِلْحَقِّ ولِلْباطِلِ .

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ أيْ فأمَّا الزَّبَدَ الَّذي عَلا فَوْقَ الماءِ والمَعدِنِ فإنَّه يُرمَى ويُطْرَحُ بَعيداً لأنّه لا نَفْعَ فيهِ .

﴿وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرضِ﴾ وأمَّا ما يَنتفعُ منهُ النَّاسُ وهُوَ الماءُ الصَّافِي ، والمَعْدِنُ النقيُّ الخالي مِنَ الخَبَثِ والشَّوائِب ، فيبقى لِيَنتفع النَّاسُ مِنْهُ .

وبَدَأ سُبْحانَهُ بِذِكْرِ الزَّبَدِ ، لأنَّه هو الظَّاهِرُ للأعْيُنِ بِسَبَبِ ارتفاعِهِ وعُلُوِّهِ .

﴿كذلك يضربُ الله الأمثالَ﴾ أيْ كَهذيْن المَثَلَيْن في الوُضوحِ والجَلاءِ يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للنَّاسِ ليُبَصِّرَهُم بالحَقِّ والباطلِ ، والخَيْرِ والشرِّ ولِيَنْتَفِعُوا ويعْتَبِرُوا .

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذا بيانٌ لِعاقِبَةِ أَهْلِ الحَقِّ وأَهْلِ الباطِلِ ، فأَهْلُ الحَقِّ هُمُ الَّذينَ اسْتَجابُوا لأَمْرِ رَبِّهِم وأطاعُوهُ ، فَلَهُمْ مُقابِلُ ذلكَ المثوبةُ الحُسنى والنعمةُ الكُبرى ، وهي الجَنَّةُ ، وأهلُ الباطِلِ الَّذينَ لم يُطيعُوا أَمْرَ ربِّهم وَلَمْ يَستجِيبُوا لَهُ ، لوْ أنَّهم يَملِكُونَ جَميعَ ما في الأَرْضِ مِنْ أَصْنافِ المالِ والمَتاعِ ، ويَمْلِكُونَ مِثْلَ ذلكَ معَهُ ، لقَدَّمُوهُ افتداءً لأنفُسِهِمْ وتَخلُّصاً مِنَ العَذابِ الَّذي سيُصِيبُهُم ، فَلَهُمْ سوءُ الحساب ، حيثُ يُحاسَبُ كُلٌّ مِنْهُمْ على عَمَلِهِ ولا يُتَجاوَزُ لَهُم عَنْ أيِّ ذَنْبٍ أو مَعْصِيَةٍ ومُقامُهُمْ جَهنَّمُ يأْوُونَ إليْها ، وبِئْسَ ما يَنتظِرُهُمْ فيها مِنْ مِهادٍ وفِراشٍ لأنَّ فيهِ العَذابَ الشَّديدَ المُعَدَّ لَهُمْ في نارِ جهنَّمَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يتفاوتُ الناسُ في قُدُراتِهِمْ وطاقاتِهِمْ ، واسْتيعابِهِمْ كما هُوَ شَأْنُ الأوديةِ المُتفاوِتَةِ .

٢ـ إنَّ الباطلَ وإنْ ظَهَرَ على الحقِّ في بَعْضِ الأَحْوالِ وعَلا ، فإنَّ اللهَ سَيَمْحَقُهُ ويُبْطِلُهُ ويَجْعَلُ العاقِبَةَ لِلْحَقِّ وأهلِهِ .

٣ـ مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَنْفَعُ نفسَهُ وغَيْرَهُ ، كالماءِ النَّقيِّ والمَعْدِنِ الطَّيِّبِ ، ومَثَلُ الكافِرِ كالزَّبَدِ الَّذي لا يُنْتَفَعُ مِنْهُ وسُرْعانَ ما يَزولُ ويَذْهَبُ .

٤ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ لِتقريبِ المَعاني إلى الأَذْهانِ .



أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيّنِ المَثَلَيْنِ المَضْرُوبيْنِ في الآيةِ (١٧) .

٢ـ أ ـ ما الأَمْرُ الَّذي يَجْمَعُ بَيْنَ الحَقِّ في المِثالَيْنِ ؟

ب ـ بِماذا شَبَّهَ اللهُ تَعالى الباطِلَ في كُلٍّ مِنَ المِثالَيْنِ ؟

٣ـ ما المَقْصودُ مِنْ ضَرْبِ المَثَلَيْنِ في الآيةِ ؟

٤ـ ما عاقِبَةُ كُلٍّ مِنَ الإيمانِ والكُفْرِ كما بَيَّنَتْهُ الآيةُ الكريمةُ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ فَسالَتْ أودِيةٌ بِقَدَرِها .

ب ـ فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابياً .

ج ـ ومِمّا يُوقِدونَ عليهِ في النَّارِ ابتغاءَ حِلْيَةٍ أو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ .

د ـ فأمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً .

هـ ـ لو أنَّ لهُمْ ما في الأرْضِ جَميعاً ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بهِ .

و ـ وبئسَ المِهادُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ ثلاثةَ أشياءَ تطفُو فوقَ الماءِ .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ ما كان يُردِّدُه رسولُ الله ﷺ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ وهو يُحطِّمُ الأصْنامَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُولو الألبابِ	: أَصْحابُ العقولِ السَّليمةِ .
ولا ينقُضونَ الميثاقَ	: ولا يُخْلِفونَ العُهودَ .
يَدْرؤونَ	: يَدْفَعُونَ .
عُقْبى الدارِ	: العاقِبَةُ الحَسَنَةُ للدُّنيا وهي الجَنَّةُ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينُ بعضِ صِفاتِ المُؤْمنينَ وعاقِبَتِهِم ، وتَبيينُ بعضِ صِفاتِ الكافِرينَ وعاقِبتِهِم ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

الاسْتِفهامُ في الآيةِ للإنْكارِ والاسْتِبعادِ ، أيْ : هَلْ يُمكِنُ أَنْ يَستوِيَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذي أُنزِلَ إليك

أيُّها الرسولُ الكريمُ مِنْ وحْيٍ هو الحقُّ الواضِحُ الجَلِيُّ ، ومَنْ هُوَ أَعْمَى القَلْبِ لا يَميزُ الحَقَّ عَنْ غيرِهِ ؟ والجوابُ الواضِحُ على هذا أنَّهما لا يَسْتويانِ ، فإنَّه لا يَنْتَفِعُ بآياتِ اللهِ إلاَّ أصحابُ العُقولِ السَّليمَةِ ، الَّذين يُمَيِّزُونَ بها بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ .

ثُمَّ بَيَّن سُبْحانَهُ عَدَداً مِنْ صفاتِ أُولي الألْبابِ فقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾

الصِّفَةُ الأُولى لأُولي الأَلْبابِ : الوَفاءُ بِعَهْدِ اللهِ والإقْرارُ بِوَحْدانيَّتِهِ وأُلوهيَّتِهِ ، والقِيامُ بِما أَمَرَ مِنْ طاعاتٍ ، والامْتِناعُ عمَّا نهَى عنهُ مِنَ المَعاصِي ، ومِنْ صِفات أُولي الأَلْبابِ عَدَمُ إخْلافِ العُهودِ والمَواثيقِ الَّتي الْتَزَمُوا بِها سَواءً أكانَتْ بَيْنَهُم وبَيْنَ رَبِّهِمْ أو بينَهُم وبينَ الناسِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

والصِّفَةُ الثَّانيةُ مِنْ صفاتِ أُولي الألْبابِ : أنَّهم يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ تَعالى بِوَصْلِهِ ، ويَشْمَلُ ذلكَ أعمالاً صالِحَةً كثيرةً كَصِلَةِ الرَّحِمِ وبِرِّ الوالديْنِ ، والإحسانِ إلى الجارِ وإلى اليَتيمِ وإفْشاءِ السَّلامِ وأداءِ الحُقوقِ لأَهْلِها .

والصِّفةُ الثَّالِثَةُ مِنْ صِفاتِهِمْ : أنَّهم يَخشَوْنَ رَبَّهمْ خشْيَةً تَحمِلُهُمْ على طاعَتِهِ ، وتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ ، وفِعْلِ الخَيْرِ ، والابْتِعادِ عمَّا يُغضِبُ اللهَ تَعالى ، ومُحاسَبَةِ أنفُسِهِمْ على كُلِّ عَمَلٍ يَصدُرُ عَنْهُمْ قبلَ أنْ يُحاسَبُوا عليهِ ، والخَوْفِ مِنْ سوءِ العَذاب يَوْمَ القِيامَةِ .

ويُلحَظُ في الآيةِ اسْتِخدامُ لفظِ الخَشْيةِ مِنَ اللهِ تعالى والخَوْفِ مِنْ سوءِ الحِسابِ ، والفَرْقُ بينَهُما أنَّ الخَشْيَةَ خَوفٌ مَعَ تعظيمٍ وتَوْقيرٍ وإجْلالٍ ، ولِذا فَهُوَ أَشدُّ مِنْ مُجَرَّدِ الخَوْفِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ .

والصِّفَةُ الرَّابِعَةُ لأُولي الأَلْبابِ : أنّهُمْ صَبرُوا على طاعَةِ اللهِ وَصَبَرُوا على البُعْدِ عَنْ مَعاصِيهِ وصَبرُوا على البَلايا ومَصائبِ الدُّنْيا ، صَبراً غايَتُه رِضى ربِّهِمْ وخالقِهِمْ .

والصِّفة الخامِسَةُ مِنْ صِفاتِهِم : أنَّهم يُقيمونَ الصَّلاةَ كامِلَةً تامَّةً في أوقاتِها ، مُستَوفِيَةً لِشروطِها وأَرْكانِها ، بِخُشوعٍ وإخْلاصٍ ، ويُنفِقونَ على المُستحِقِّينَ وفي وُجُوهِ الخَيْرِ بَعْضَ ما رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى مِنْ مالٍ وغَيْرِهِ ، وهُمْ يَجْمَعُونَ في الإنفاقِ بينَ السرِّ والعَلانيةِ ، حَسَبَ الحالِ المُقْتَضِيَةِ لكلٍّ مِنْهُما ، فالإنفاقُ سراً أَبْعدُ عَنِ الرِّياءِ ، ولا خَدْشٌ فِيهِ لِكَرامَةِ الفَقيرِ ، والإنْفاقُ جَهْراً لِيقتَدِيَ الناسُ بِهِ أو لِئلا يُتَّهمَ بالشُّحِّ ، والأَفْضَلُ في الإنفاقِ الواجبِ الجَهْرُ لِيُعْلَمَ قيامُهُ بِهِ ، وفي الإنفاقِ الزَّائدِ على الواجبِ الإسْرارُ بِهِ ، لِيكونَ أَصْفى وأَخْلَصَ للهِ تَعالى .

والصِّفة السَّادِسَةُ مِنْ صِفاتِهِم : أنَّهم يُقابِلُونَ الإساءةَ بالإحْسانِ ، ويُحْسِنونَ إلى مَنْ أساءَ إليهِمْ فيَسْتَحِي مِنْ تكرارِ إساءَتِه ، إلاَّ أنْ يكونَ لَئيماً فَظّاً لا يُجدِي مَعَهُ مِثْلُ هذا السُّلوكِ فلا مَهْرَبَ مِنْ مُعامَلَتِهِ بالمِثْلِ تأديباً لَهُ وزَجْراً .

أُولئكَ المَوْصُوفونَ بهذهِ الصِّفاتِ ، لَهُمُ العاقبةُ الحَسَنَةُ في الآخِرَة جَزاءَ طاعَتِهِم لِربِّهِمْ وهي الجَنَّةُ .

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلٌ لِما أعدَّهُ اللهُ تعالى لأُولي الألْبَابِ ، وهِيَ جَنَّاتُ إقامةٍ دائمةٍ مُستمرَّةٍ ، يَدْخلونَها هُمْ والصَّالِحونَ مِنْ آبائِهِم وأزواجِهِمْ وأبنائِهِمْ وإنْ لَمْ يَبْلُغوا دَرَجَتَهُم في الصَّلاحِ لِيأنَسُوا بِهِمْ ويَزْدادَ سُرورُهُمْ ، وتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ مَنازِلِهِم في الجَنَّةِ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

تُسلِّمُ المَلائكَةُ عَليْهِمْ ، وتُهنِّئُهُمْ على دُخولِهِمُ الجَنَّةَ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ وإيمانِهِمْ ، وتُخبِرُهُمْ أنَّ الجَنَّةَ هِيَ نِعْمَ العاقبةُ لَهُمْ ونِعْمَ دارُ الإقامةِ الدَّائمةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

بعدَ ذِكْرِ صِفاتِ المُؤمنينَ ومآلِهِمْ ، يَأْتي ذِكْرُ صِفاتِ الكافرينَ وهُمُ الَّذينَ لا يَلتزمُونَ بِعَهْدِ اللهِ تعالى بَعْدَ أنْ أكَّدُوا الْتِزامَهُمْ بهِ وقَبولَهُمْ إيَّاهُ ، والمُرادُ بعَهْدِ اللهِ : ما أوْجَبَهُ على عبادِهِ مِنْ طاعةٍ والتزامٍ بأمْرِهِ وعَمَلٍ بما يُرضيهِ ، وعلى رأسِ ذلكَ الإيمانُ بِهِ وتوحيدُهُ .

وهُمْ يَقطَعُونَ كلَّ ما أمَرَ اللهُ تعالى بوَصْلِهِ ، وتَدْخُلُ فيه سائِرُ أعمالِ الخَيْرِ والبرِّ ، كاتِّباعِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومحبَّةِ المُؤمنينَ وصِلَةِ الرَّحِمِ وأداءِ الحُقوقِ لأهْلِها ، وهُمْ يُفْسِدُونَ في الأرضِ بِمُحاربَتِهِمْ دَعْوَةَ اللهِ وأتْباعَ دينهِ وبالظُّلْمِ وإثارةِ الفِتَنِ وارتكابِ المَعاصِي .

أُولئكَ المَوْصُوفُونَ بهذه الصِّفاتِ الذَّميمةِ يَستحِقُّونَ أنْ يُطْرَدُوا مِنْ رَحمةِ اللهِ ، وأنْ يَكونُوا يَوْمَ القيامةِ في جَهَنَّمَ الدارِ السَّيئةِ حيثُ العذابُ الدَّائمُ العَظيمُ، وما يَسوءُ كُلَّ صائرٍ إليْها والعياذُ باللهِ تعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ النّاسُ في حُكْمِ اللهِ فَريقانِ : المُبْصِرونَ لِلْحقِّ والعُمْيُ عنهُ .

٢ـ لِكلٍّ مِنَ الفَريقيْنِ معالمُ تُمَيِّزُهُ وتُظْهِرُهُ بَيَّنَتْها الآياتُ .

٣ـ عاقبةُ الفريقِ الأَوَّلِ الجنةُ وعاقبَةُ الفريقِ الثّاني النّارُ .

٤ـ الفريقُ الأَوَّلُ مُصْلِحٌ والثّاني مُفْسِدٌ .

٥ـ استعمالُ العَقْلِ السَّليمِ اسْتِعْمالاً صَحيحاً يَقودُ إلى طاعةِ اللهِ ورِضوانِه .

٦ـ فَضْلُ الصِّفاتِ الحَسَنةِ المَذْكورةِ في هذه الآياتِ وأهمِّيَّةُ الالتزامِ بِها .

٧ـ المَلائِكَة تُهنِّىءُ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ وتُؤنِسُهُمْ وتُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ .

٨ـ اسْتِحقاقُ اللَّعنةِ والعَذابِ لِمَنْ نَقَضَ عَهْدَ اللهِ وكَفَرَ بِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما وَجْهُ إطلاقِ لَفْظِ الأعمى على الكافرِ ؟

٢ـ عَدِّدْ صِفاتِ المُؤمنينَ المَذكورةَ في هذهِ الآياتِ .

٣ـ بيِّنْ أهَميَّةَ دَفْعِ السَّيئةِ بالحَسَنةِ .

٤ـ ماذا أعدَّ اللهُ تعالى للمَوْصُوفِينَ بالصِّفاتِ الحَسَنةِ المَذْكورةِ في هذهِ الآياتِ في الجَنَّةِ ؟

٥ـ ما معنى نَقْضِ عَهْدِ اللهِ ؟ وما جَزاءُ فاعلِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ حديثاً يُبينُ توجيهَ النَّبيِّ في إتباعِ الحَسَنةِ السَّيئةَ .

٢ـ اذْكرِ الآيةَ في سورةِ الطُّورِ التي تُبيِّنُ أنَّ الأبْناءَ يَلْحَقُونَ بآبائِهمْ في دَرَجاتِ الجَنَّةِ العُلى .

٣ـ قارنْ بينَ صِفاتِ المُؤمنينَ المَذْكورةِ في هذهِ السورةِ مَعَ الصفاتِ المَذْكورةِ في أوَّلِ سورة (المُؤْمِنُونَ) ، واكْتُبْ ذلك في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَبْسُطُ الرزق : يُوسِعُهُ .

ويقْدرُ : يُضيِّقُ الرِّزْقَ .

مَتاعٌ : شَيءٌ قليلٌ يُتمتَّعُ بهِ .

أناب : رَجَعَ إلى اللهِ بالتَّوْبَةِ .

طُوبى لَهُمْ : عَيْشٌ طَيِّبٌ لَهُمْ .

مآبٍ : مَرْجِعٍ .

خَلَتْ : مَضَتْ .

مَتابِ : تَوْبَتِي ورُجُوعِي .

التفسيرُ :

تَبْدأ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بِبيانِ أنَّ الفَقْرَ والغِنى والعَطاءَ والمَنْعَ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ .

أيْ أنَّ الرِّزْقَ يُدَبِّرُهُ اللهُ تعالى بِحِكْمَتِهِ ، فيُوسِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ ويُضَيِّقُهُ على مَنْ يشاءُ ، وقَدْ يُوسِعُ على الكافِرِ اسْتِدْراجاً لهُ ، ويُضيِّقُ على المُؤْمِنِ ابتلاءً لَهُ وزيادةً في أجْرِهِ .

فليْسَ بَسْطُ الرزقِ دَليلاً على رضاهُ ، ولا التَّضْييقُ دليلاً على سُخْطِهِ ، وإنَّ اللهَ سبحانَهُ حينَ يُعطي الكافرينَ ويُوسِعُ عَلَيْهِمْ يَفْرَحُونَ بذلكَ فَرَحَ بَطَرٍ واغْتِرارٍ بالدُّنيا ، ونسيانٍ للآخِرَةِ ، وما نَعيمُ الحياةِ الدّنيا في مُقابِلِ نَعيمِ الآخِرَةِ إلاّ شيءٌ قليلٌ يُتمَتَّعُ بهِ ، ولا دوامَ لهُ ولا بقاءَ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ .

تُبيِّنُ هذه الآيةُ الكريمةُ تَعنُّتَ المُشرِكينَ وعِنادَهُمْ ، وطلَبَهُمْ حُصولَ آيةٍ حِسيَّةٍ لِلرَّسولِ ﷺ كآياتِ الأنبياءِ السابقينَ ، مثل : إحياءِ المَوْتى وإخراجِ ناقةٍ مِنَ الصّخْرِ ، وتحويلِ الصَّفا ذَهَباً ، وقدْ غابَ عَنْ أذهانِهِم أنَّ القُرْآنَ الَّذي يَنزِلُ عليهِ هو المُعْجِزَةُ الكُبرى والدَّليلُ الأعظمُ على صِدْقِهِ ، ولذا أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يَرُدَّ عَليهِمْ بقولِهِ : إنَّ اللهَ تعالى يُضِلُّ عَنْ طريقِ الحقِّ مَنِ اسْتَحَبَّ الضَّلالَ على الهُدى واخْتارَهُ ورَضِيَهُ لِنفسِهِ ، ويَهدي إلى صِراطِهِ المُستقيمِ مَنْ أرادَ الخَيْرَ وتابَ إلى اللهِ ، ورَجَعَ إليهِ ، واتَّبَعَ الحَقَّ والهُدى ، أيْ أنَّ الآياتِ الَّتي تطلُبُونَها لَوْ حَصَلَتْ كَما تَطلُبُونَ فلَنْ تَنتفِعُوا بِها ، ولن تُؤْمِنُوا بِسَبَبِ حُصولِها ، لأنَّكُمُ اخترْتُم الضَّلالَ وسَبيلَ الشَّقاءِ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

هذا وَصْفٌ لِحالِ مَنْ يَستحقُّ الهِدايةَ بِسَبَبِ إنابتهم ، ورُجوعِهِم إلى اللهِ ، فهمُ الَّذينَ آمنُوا باللهِ تَعالى حَقَّ الإيمانِ ، وتَسْكُنُ قلوبُهُمْ وتَطمئِنُّ وتسأْنِسُ بذكْرِ اللهِ وتِلاوةِ آياتِهِ الكَريمةِ . واخْتيارُ الفِعْلِ المُضارعِ (تَطمئِنُّ) هُنا وفي الجُمْلَةِ التَّاليةِ للإشارةِ إلى دَوامِ الاطْمِئْنانِ واستمرارِهِ .

ثم نبَّهَ سُبْحانَه عِبادَهُ إلى أهميّةِ ذكْرِ اللهِ وتأثيرِهِ في قلوبِهِم بقولِه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ فَتِلاوةُ القُرْآنِ الكَريمِ ودَوامُ ذكْرِ اللهِ تعالى ، يُؤدِّيانِ إلى راحةِ القُلوبِ وسُكونِها واطمِئنانِها ، وابتعادِها عَنِ القَلَقِ والاَضْطِرابِ والخَوْفِ مِنْ سوءِ المَصيرِ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ .

الَّذينَ آمَنُوا باللهِ حقَّ الإيمانِ وعَمِلُوا الأعمالَ الصَّالِحَةَ لَهُمْ في الآخِرَةِ عَيْشٌ طَيِّبٌ وقُرَّةُ عَيْنٍ ، ونِعْمَ ما يَلْقَوْنَ مِنَ السَّعادةِ والهناءِ في مَرْجِعِهِم ومُنْقَلَبِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أيْ : كما أَرْسلْنا مِنْ قَبلكَ رُسُلاً إلى أقوامِهِم ، أَرْسلْناكَ أيُّها النبيُّ الكريمُ إلى قَوْمِكَ الَّذينَ سَبَقَهُم أقوامٌ آخَرونَ ورُسُلٌ مُتعدِّدُونَ ، لِتقرأ على مَسامِعِهمْ هذا القرآنَ الَّذي أنْزلناهُ عَلَيْكَ وجَعلْناهُ نُوراً وهُدى ورحمةً ، ومُعجزةً لكَ باقيةً أبدَ الدَّهْرِ ، إلاَّ أنَّ المُشْركينَ مِنْ قومِكَ لا يَستمِعُونَ لِتلاوَتِكَ ولا يَتدبَّرُونَ معانِيها ، ويكفُرونَ بمَنْ أَنزلَ القرآنَ وهُوَ الرَّحمنُ عظيمُ الرَّحْمَةِ الَّذي أنْزَلَ هذا الكِتابَ وأرسلَكَ رَحْمَةً لَهُمْ ، فَقُلْ أيُّها الرَّسولُ : إنَّ الرَّحمنَ مُنْزِلَ الكِتاب هُوَ رَبِّي الَّذي خَلَقَني واختارَني لِحَمْلِ هذهِ الرِّسالةِ إليكُمْ ، ولا إلَهَ غيرُهُ يَسْتَحِقُّ العِبادةَ ، وأنا أتوكَّلُ عليه في جَميعِ أُمورِي ، وإليْهِ وَحدَهُ مَرْجِعِي وَتوْبتِي ، وإليْهِ مَرْجِعُكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُرونَ بِهِ ، وهُوَ الَّذي سَيبعثُكُم ويُحاسِبُكُم ويُجازيكُم على أعمالِكُم .

واختيارُ اسْمِ (الرَّحمنِ) في الآيةِ للردِّ على المُشركينَ الَّذينَ كانوا يُنكِرُونَ هذا الاسْمَ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٠] وللإشارة إلى أنَّ بعْثَةَ الرَّسول ﷺ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِعبادِه لِيَنْجوا مِنَ العذابِ ولِيَدخُلُوا في رحمتِهِ سبحانَه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ سعَةُ الرِّزْقِ على العَبْدِ لا تَعنِي رِضَى اللهِ عَنه كما أنَّ ضِيقَ الرِّزْقِ لا يَعنِي غَضبَ اللهِ عليهِ .

٢ـ الكُفَّارُ يَطلبونَ المُعْجزاتِ لِتَدُلَّهُمْ على صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، والهدايةُ والضَّلالُ مِنَ الله تعالى وبأَمْرِهِ ، فَكَمْ مِنْ أقوامٍ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمُ الآياتُ فلمْ يُؤْمِنوا ، وكَمْ مِنْ أقوامٍ هَداهُمُ اللهُ واطْمَأَنَّتْ قلوبُهُم بذكرِ اللهِ .

٣ـ أهميةُ ذِكْرِ اللهِ وتِلاوَةِ كتابِهِ وأنَّها طُمأنينةٌ للقلبِ وراحةٌ للبالِ .

٤ـ حُسنُ ما أعدَّهُ اللهُ للصالِحينَ من عبادِهِ في الجَنَّةِ .

٥ـ فضيلةُ إعلانِ التَّوْحيدِ ، والتوكُّلِ على اللهِ وتَجديدِ التَّوْبَةِ والإنابةِ .

٦ـ رسولُنا ﷺ والرُّسُلُ مِنْ قبْلِهِ مُهمَّتُهُمْ إبلاغُ الحَقِّ وإقامةُ الحُجَّةِ .

٧ـ مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنى الَّتي كانَ أهلُ الجاهِليَّةِ يَكْفُرونَ بها ، الرَّحمنُ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الّذينَ فَرِحُوا بالحياةِ الدّنيا ؟

٢ـ ماذا كانَ يَطلبُ الكُفّارُ مِنَ الرّسولِ ﷺ ؟ وبماذا رَدَّ اللهُ عليهِمْ ؟

٣ـ بيّنَتِ الآياتُ الكريمةُ أَمْرَيْنِ يَتَعلّقانِ بالمُؤْمِنينَ : أحدَهُما في الدُّنيا وثانيَهما في الآخِرَةِ ، ما هُما ؟

٤ـ بيّنَتِ الآيةُ الكريمةُ جانباً مِنَ مَهَمّةِ الرّسول ﷺ ؟ ما هذا الجانبُ ؟

٥ـ ما أهميةُ ذِكْرِ اسْمِ (الرّحمنِ) في الآيةِ ؟

٦ـ بيِّنْ معنى الألفاظِ التاليةِ : ويَقْدِرُ ، مَتاعٌ ، طُوبى ، مآبِ ، متابِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ الآيةَ مِنْ سورةِ الإسراء الدَّالةَ على هذا المَعْنى .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ ماذا كانَ يَحُلُّ بالأقوامِ السَّابقةِ بعدَ مَجيءِ الآياتِ الّتي يَطلبُونَها مِنْ رُسُلِهِم .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

سورةُ الرَّعْدِ ـ القِسمُ الثَّامِنُ

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَيْأَس : يَقْنَط .

قارِعَةٌ : مُصيبةٌ وكارِثةٌ .

فأَمْلَيتُ : فأمْهَلْتُ .

قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ : رَقيبٌ ومُهَيمِنٌ .

تُنَبِّئُونَهُ : تُخْبِرُونَهُ .

واقٍ : حافِظٌ .

التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ تبيينُ عَظَمةِ القُرْآنِ ، ومُناقَشةُ الكافِرينَ في اعْتِقادِهِمْ ، وبَيانُ سوءِ مَصيرِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

أيْ : ولو أنَّ كِتاباً مَقْروءاً مِنَ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ تَحرَّكَتْ بِهِ الجِبالُ مِنْ أَماكِنِها أو شُقِّقَتْ بِهِ الأَرْضُ حتَّى تَصيرَ قِطَعاً ؟ أو خُوطِبَ بِهِ المَوتى بأنْ عادُوا إلى الحياة بَعْدَ قِراءتِهِ عَلَيْهِمْ ، وجَوابُ (لو) مَحذوفٌ وتَقديرُهُ : لَكانَ هذا القُرْآنُ هوَ الَّذي يَفْعَلُ ذلكَ .

فالمُرادُ بِلَفْظِ (قرآنا) في الآيةِ المَعنى اللُّغويُّ لَه ، ووجْهُ ذِكْرِ هذهِ الخَوارقِ الثَّلاثةِ في الآية أنَّ مُشركي مَكَّةَ طلبُوها مِنَ النبيِّ ﷺ .

﴿بل للهِ الأَمْرُ جَميعاً﴾ أيْ إنَّ الله تَعالى لا يُعْجِزُهُ أنْ يَفْعَلَ الأَشْياءَ الَّتي طلبُوها ، ولكنَّ إرادتَهُ سُبْحانَهُ لَيْسَتْ تَبَعاً لاقتِراحِ أحَدٍ أو طَلَبِهِ ، فَهُوَ صاحِبُ الأَمْرِ الفَعَّالُ لِما يُريدُ هُوَ ، لا لِما يُريدُهُ المَخلوقُونَ .

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أَفَلَمْ يَقنط المُؤْمِنونَ مِنْ إيمانِ الكُفَّارِ المُتَعنِّتِينَ الَّذين يَرَوْنَ آياتِ الله ويَسمعُونَها ومَعَ ذَلِكَ يَطْلُبُونُ خَوارِقَ أُخرى وهُمْ بِطَلَبِهِم هَذا لا يَبحثُونَ عَنِ الإيمان ، ولكنَّهم يُريدُون المُكابَرةَ والعِنادَ ، كَما قال اللهُ تَعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام : ١١١] .

ولا يزالُ الكافِرونَ يتعرَّضُون بِسَبَبِ كُفْرِهِم وعِنادِهِم للمَصائِبِ والكَوارِثِ الَّتي تَفْجَؤُهُم وتحُلُّ بِهِم أو قَريباً مِنْهُم فيصيبُهُم شرُّها وأَثَرُها ، وتَسْتَمِرُّ هذهِ القوارعُ بِهِمْ حتَّى يَأتِيَ أَمْرُ اللهِ بِهلاكِهِمْ وهَزيمتِهِم ونَصْرِ المُؤمِنينَ عَلَيْهِمْ ، واللهُ تعالى لا يَخلِفُ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ وللمُؤمنينَ ، ولكنَّه يَجعلُهُ في الوَقْتِ الَّذي يَشاؤُهُ هو كما حَصَلَ في مَعْرَكَةِ بَدْرٍ وفَتْحِ مَكَّةَ وغيرِهما .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هذه تَسليةٌ للرسول ﷺ عما أصابَه مِنْ قومه مِنَ استهزاءٍ وتكذيبٍ وطَلَبِ مُتعنَّتٍ للآياتِ ، فيُخبِرُهُ سُبْحانَهُ أنَّ الطُّغاةَ والمُتجبِّرينَ قدِ اسْتَهْزَءُوا برُسُلٍ كثيرينَ مِنْ قبلِهِ ، وقَدْ أَمْهَلَهُمُ اللهُ لعلَّهم يتوبُونَ أو يَرْجِعُونَ إلى رُشْدِهِم ، فلَمَّا أصرُّوا على كُفْرِهِمْ أخَذَهُمُ اللهُ بالعذابِ الأليمِ الَّذي اسْتَحَقُّوه وكانَ عذاباً وعِقاباً عَنيفاً شَديداً ، ولِذا أخبرَ اللهُ تعالى عَنْهُ بالاسْتِفْهامِ ﴿فكيفَ كانَ عقابِ﴾ ؟ لتِهَويلِهِ وتَبيينِ شِدَّتِه .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمة إقامَةُ الدَّليلِ القاطِعِ على بُطْلانِ عِبادةِ الأَصْنامِ ، حَيْثُ يُوجِّهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى أَنظارَ عبادِهِ للتأمُّلِ في حالِ هذهِ الأصنام ويُخاطبُهُمْ بقوله ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ وهو سُبْحانَه رقيبٌ مُهَيمِنٌ على جميع شُؤون الخلْقِ يَعلمُ ما يعملُونَ ؟ وما يقولُونَ وما يُسِرُّونَ والخَبَرُ مَحذوفٌ وتقديرُهُ : كَمَنْ ليسَ كذلك ، وهي الأَصْنامُ الَّتي يَعبدُها المُشرِكونَ ، ولا تعلمُ شيئاً ، فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ مَنْ كانَ هذا حالُهُ أنْ يُعبَدَ ؟ ومَعَ شِدَّةِ ظُهورِ بُطلانِ عِبادةِ الأَصْنام إلاَّ أنَّ المُشركينَ عبدُوها وجَعلُوها شُرَكاءَ لله في التَّعظيمِ والتَّوقيرِ ، وهذهِ التَّسمِيَة للأصنام ، أنَّها شُرَكاءُ للهِ ، لا تُغَيرُ مِنْ واقع الأَمْر شَيْئاً ، فَهِي مُجرّدُ حِجارةٍ ونَحوها مِمّا لا يَملِكُ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، ولو كانوا آلِهَةً حقيقةً لعَلِمَهُمُ اللهُ الَّذي لا يَخفى عليه شَيْءٌ ، فَهَلْ عِلْمُكُمْ أيُّها المُشرِكونَ أعظمُ مِنْ عِلْمِ اللهِ ؟ وهَلْ عَلِمْتُمْ شَيْئاً لم يَعْلَمْهُ هُوَ ؟ وتُريدوُن أنْ تُعْلِمُوهُ إيَّاهُ ؟ وأنْ تُخبرُوهُ عَنْ أُلوهية هذهِ الأَصْنامِ بِظاهرِ مِنَ القَوْلِ لا حقيقةَ لهُ ولا دليلَ عَلَيْهِ ، إنَّما هِيَ مُجَرّدُ أَسْماءٍ أَطْلقتُمُوها عَلَيْها ليسَ لها في الواقع وُجودٌ ، ولكنَّ الشيطانَ زيَّن لِهؤلاءِ الكافِرينَ باطِلَهُمْ ، وعِبادَتَهُمْ غَيْرَ اللهِ وصَدَّهُم عَنْ سبيلِ الحَقِّ .

ومَنْ يُضْلِلْهُ اللهُ تعالى بِسَبَبِ إصرارِه على الكُفْرِ فليسَ لَهُ مِنْ هادٍ يُوصِلُهُ إلى الخَيْرِ ويُنْجِيهِ مِنْ عاقِبَةِ ضَلالِهِ .

وفي هذه الآيةِ الكريمةِ بُرْهانٌ بَعْدَ بُرْهانٍ على بُطلانِ عبادةِ غَيْرِ اللهِ ، فَهُوَ وحدَهُ القائِمُ على كُلِّ نَفْسٍ ، بما كَسَبَتْ وهذا أَمْرٌ لا يستطيعُهُ ولا يَزْعُمُهُ أحَدٌ مِنَ المَخلُوقينَ وما يَعبدُهُ المُشْركونَ مِنْ دونِ الله إنّما هِيَ آلِهَةٌ باطلةٌ أَسَموْها آلِهَةً وهي لا تَسْتَحِقُّ هذا الاسْمَ العظيمَ ، وهذه تَسْمِيَةٌ لا تُغيِّرُ مِنْ حَقيقةِ الأَمْرِ شيئاً ، وهي عَجْزُ هذه الآلِهَةِ المَزْعومَةِ عَنْ نفع نفسها فَضْلاً عَنْ نَفْعِ غيرها ، والواقِعُ يُؤكّدُ هذهِ الحقيقةَ ويُسلِّمُ بها ، ولكنَّ المُشرِكينَ لَمْ يُعمِلُوا عُقولَهمْ ولَمْ يَنتَبِهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ ، ورَضُوا بِما زَيَّنَهُ لَهُمُ الشَّيْطانُ مِنْ سوءِ العَمَلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ القرآنُ الكريمُ مُعجزَةُ الرسولِ ﷺ الخالِدَةُ .

٢ـ هذا الكَوْنُ يَسيرُ بأمْرِ اللهِ وإرادتِهِ لا بِما يُريدُه النَّاسُ ويرغَبُون فيهِ .

٣ـ ليسَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ أنْ يَهديَ النَّاسَ جَميعاً ، وعلى المُؤْمِنينَ أنْ يَيْأَسوا مِنْ تَحَقُّقِ ذلكَ .

٤ـ حالُ الكافرينَ في الدُّنْيا مصائبُ مُتتابِعَة وهَزائمُ مُتتالِيَةٌ .

٥ـ اللهُ تَعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ ، حتى لا تَبقى أيُّ حُجَّةٍ للمُعَذَّبينَ .

٦ـ بُطلانُ عِبادةِ الأَصْنامِ وكلِّ شيءٍ سوى اللهِ ، ولا يَستحِقُّ العِبادةَ إلاّ اللهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما تقديرُ جواب (لو) في قولهِ تَعالى : ﴿ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ. . . .﴾ .

٢ـ ما معنى قولهِ تعالى : ﴿بل للهِ الأمْرُ جميعاً﴾ ؟

٣ـ إلى متى تَستمِرُّ القَوارِعُ والمَصائبُ بالكافرينَ ؟

٤ـ عدِّدِ البراهينَ المَذْكورةَ في الآيةِ (٣٣) على بُطلانِ عبادةِ غير اللهِ .

٥ـ بيِّنْ معنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ ولوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجبالُ أوْ قُطِّعَتْ بهِ الأرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ المَوْتى .

ب ـ فأمْلَيْتُ للَّذينَ كَفروا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ .

ج ـ وما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ .

نَشاطٌ :

ـ اكتبِ الآيةَ مِنْ سورةِ الحَشْرِ الَّتي تُبيِّنُ أثَرَ القُرآنِ على الجِبالِ .

* * *

الدرس الثلاثون

سورةُ الرَّعْدِ - القِسْمُ التاسِعُ

۞ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُكُلُها دائمٌ	ثَمَرُها باقٍ .
مآبِ	مَرْجِعي .
ولِيٍّ	نصيرٍ .
واقٍ	حافِظٍ ومانعٍ مِنَ العذابِ .
لِكُلِّ أجلٍ كِتابٌ	لِكُلِّ وقتٍ كتابٌ كتَبَهُ اللهُ تعالى .

التفسيرُ :

بعدَ بيانِ سوءِ عاقبةِ الكافرينَ ، انتَقَلَ الحديثُ إلى بيانِ حُسْنِ عاقبةِ المُتّقينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

أيْ : صِفَةُ الجَنَّةِ الَّتي وعدَها اللهُ عِبادَهُ المُتّقينَ أنَّها تَجري الأَنْهارُ مِنْ تَحْتِ أشجارِها وقُصورِها

وَحَيْثُ يَشاءُ أهلُها ، وثَمَرُ هذهِ الجَنَّةِ باقٍ لا يَنْقَطِعُ في أيِّ وقتٍ ، وظِلالُها باقيةٌ لا تَزولُ ، هذهِ الجَنَّةُ أعدَّها اللهُ تعالى لِتكونَ مآلَ المُتَّقينَ الَّذينَ أطاعُوا أمْرَ ربِّهم ، واسْتَقامُوا على دينِهِ ، أمَّا الكافرونَ الَّذين عَصَوْا أَمْرَ رَبِّهِم ولَمْ يُؤْمِنُوا بهِ فإنَّ مَصيرَهُمْ إلى النَّارِ الَّتي أُعِدَّتْ لَهُمْ وهُيِّئَتْ لإقامتِهِمْ .

ومِمَّا وَرَدَ في وَصْفِ ثِمارِ الجَنَّةِ مِنَ الأحاديثِ قولُهُ ﷺ : « إنَّ الرجلَ إذا نَزَعَ ثمرةً مِنَ الجَنَّةِ عادَتْ مَكانَها أُخْرى »[1] .

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ ﴾

تُبيّنُ هذهِ الآيةُ الكريمةُ أنَّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلنا وهُمُ اليهودُ والنَّصارى قَوْماً آمَنُوا بالرسولِ ﷺ وهُمْ يَفْرَحُونَ ويُسَرُّونَ بآياتِ اللهِ حينَ تُتلَى عَلَيْهِمْ ويقرؤُونَها لأنَّهم يُؤْمِنونَ أنَّها كلامُ اللهِ حَقّاً ، وقَدْ عَلِمُوا البِشارةَ بِهِ مِنْ كُتُبِهِمْ .

ومِنْ أهلِ الكتابِ ومِنْ غَيْرِهِمْ آخَرُونَ لَمْ يُؤْمِنُوا بالقُرْآنِ بل كَفَرُوا وكذَّبُوا وأنكَرُوا أنْ يَكونَ مِنْ عِندِ اللهِ ، وذلكَ لِمُخالَفَتِهِ أهواءَهُمْ وشَهواتِهِمْ ، وقد أَطْلَقَتِ الآيةُ على هَؤلاءِ اسْمَ (الأحزاب) فإنَّ لفظَ الحِزْبِ يُطْلَقُ على مَنِ اجتمَعُوا على رَأْيٍ واحِدٍ .

وفي مُقابلِ كُفْرِ هَؤلاءِ أَمَرَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يُخاطِبَهم ، ويُواجِهَهُم بأنَّهُ مَأمورٌ بِعبادةِ اللهِ وحْدَهُ ، وأنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لعبادتِه ، وإخْلاصِ الطَّاعةِ لهُ ، فإنَّه إليهِ وحْدَهُ سُبْحانَهُ المَرْجِعُ والمآلُ ، والمآبُ .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وكما أنزلْنا على الرُّسُلِ مِنْ قبْلِكَ كُتُباً بلغاتِهم أنزلْنا عليكَ القرآنَ وجَعلْناهُ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ ، لِيَسهُلَ على قَوْمِكَ فَهْمُ مَعناهُ والرُّجوعُ إليه في الأَحْكامِ ، وتَبْليغُهُ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الناسِ ، وسُمِّيَ القُرْآنُ حُكْماً لِما فيه مِنَ الأحْكامِ والشَّرائعِ الَّتي يَحتاجُ إليْها النَّاسُ ويَعْمَلُونَ بمُقْتَضاها ، ووَصْفُهُ بالعَرَبيِّ لأنَّهُ بيّنَهُ على طَريقةِ العَرَبِ في كَلامِها .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانه تحذيراً لهذه الأمةِ مِنْ خلالِ مخاطبَةِ نبيِّها ﷺ من اتِّباعِ أهواءِ الكفارِ فيما يطلبُونَهُ ويَرغَبُونَ في حصولِهِ مِنْ أُمورٍ ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ولَئِنِ اتبعْتَ أيّها الرَّسولُ الكريمُ أهواءَ الكافرينَ بعدَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم الحديث ١٤٤٩ ، ٢/١٠٢ .

ما جاءَك مِنَ العِلْمِ اليقينيِّ بأنَّ الإسلامَ هُوَ الحقُّ ، لا تَجِدُ وَلِيّاً يَتولَّى أَمْرَكَ ويُدافِعُ عَنْكَ وينصُرُكَ ، ولا تَجِدُ مَنْ يَردُّ عنكَ عقابَ اللهِ وعذابَه .

وتَوْجيهُ الخطابِ في الآيةِ للنبيِّ ﷺ لِتَأكيدِ الأَمْرِ وتَبيينِ شِدَّةِ خُطورتِهِ ، إلى دَرَجَةِ أنَّه لو حَصَلَ اتِّباعُ أَهْواءِ الكافرينَ مِنْ أكرمِ الناسِ عِنْدَ اللهِ لَعُوقِبَ على ذلكَ عِقاباً شديداً ، فمَنْ كانَ دونَهُ في المَنْزِلَةِ والمَقام أَوْلى بالعِقاب .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يُخْبرُ سُبْحانَه في هذه الآية أنهُ أَرْسَلَ رُسُلاً كثيرينَ قَبْلَ نَبيِّنا محمد ﷺ ، وأنَّه جَعَلَ لِهؤلاءِ الرُّسُلِ أزواجاً يَسكُنونَ إليْهِنَّ ، وأولاداً تَقَرُّ بِهِمْ أعْيُنُهمْ ، فَلَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ في نُبوَّتِهم ، ورسالَتِهم ، فما حصَلَ من رسولِ الله ﷺ مِنَ التزوُّجِ ، والإنْجابِ لَيْس بِدْعاً مِنَ الأَمْرِ ولا مُسْتَنْكَراً بِحَقِّ الرُّسُلِ .

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ وما كانَ في وُسْعِ رسولٍ أنْ يأتيَ قومَهُ بمعْجزَةٍ مِنْ عِندِ نَفْسِهِ إلاّ بأمرِ اللهِ تَعالى وإرادتِه .

﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكلِّ وَقْتٍ مِنَ الزَّمَنِ حُكمٌ يُقَرَّرُ على العِبادِ ، بِحَسَبِ أحوالِهِمْ ومَصالِحِهِمْ ، وهذا الحُكْمُ مَكتوبٌ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ نَعيمُ الجَنَّةِ دائِمٌ لا يَزولُ .

٢ ـ الإنْصافُ يَقتضي مِنْ أَهْلِ الكِتابِ الإيمانُ بالقرآنِ ، لأنه مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم .

٣ ـ مَنْ عَرَفَ الحَقَّ فَفَرِحَ واتَّبعَهُ فَهُوَ مِنَ الفائِزينَ .

٤ ـ مِنْ واجِبِ المُسْلِمِ الدَّعْوَةُ إلى دينِ اللهِ وشَرْعِهِ دونَ خوفٍ ولا تَرَدُّدٍ .

٥ ـ خطورةُ اتِّباعِ المُشرِكينَ والكافِرينَ ، وعظيمُ عقوبةِ مَنْ يفعلُ ذلكَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصَفَتِ الآيةُ الكريمةُ الجَنَّةَ ؟

٢ـ ما مَعنى : ﴿والَّذيَن آتيناهُمُ الكِتابَ يَفْرَحونَ بما أُنْزِلَ إليكَ﴾ ؟

٣ـ ما المُرادُ بالأحْزابِ في الآيةِ ٣٦ ؟

٤ـ ما وَجْهُ تَسميةِ القُرْآنِ حُكماً ؟

٥ـ بيِّنْ معنى قولِهِ تعالى : ﴿ولئن اتَّبعْتَ أهواءَهُمْ بَعْدَما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ مالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وليٍّ ولا وَاقٍ﴾ .

٦ـ ما سَبَبُ ذِكْرِ تزوُّجِ الأنبياءِ السَّابِقينَ وإنْجابِهِم ؟

٧ـ ما مَعنى ﴿لِكُلِّ أجَلٍ كتابٌ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةً تُبيِّنُ خُطورةَ اتِّباعِ الكافرينَ وتركِ أحكامِ الدينِ .

٢ـ عَدِّدْ زوجاتِ الرسول ﷺ ، واذْكُرْ حِكمةَ زواجِهِ ﷺ مِنْ كلٍّ مِنْهُنَّ ، واكتبْهُ في دفترِكَ .

* * *

الدرس الحادي والثلاثون

سورة الرعد - القسم العاشر

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يمحو اللهُ : يُزيلُ اللهُ .

أُمُّ الكتابِ : اللّوحُ المحفوظُ .

لا مُعَقِّبَ : لا رادَّ .

عُقبى الدارِ : عاقِبةُ الحياةِ الدّنْيا .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الّتي تُختَمُ بها السورةُ بَيانُ تصرُّفِ الله تعالى في مُلْكِهِ كما يشاءُ ، والأَمْرِ بِتَبْليغِ الرِّسالةِ ، والشَّهادةِ بِصِحَّةِ نبوّةِ محمدٍ ﷺ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ .

في هذه الآيةِ الكريمةِ الإخبارُ بشُمولِ عِلْمِهِ سبحانَه وتَصرُّفِهِ في هذا الكَوْنِ بما يشاءُ ، فإنَّه سُبْحانَه يَمْحو ويُزيلُ ما يشاءُ مَحْوَهُ ، وإزالَتَهُ ، ويُثْبِتُ ما يُريدُ إثباتَهُ مِنَ الأحكامِ والأَحْوالِ والأقْدارِ

كالمَرَضِ والصِّحَةِ ، والغِنَى ، والفَقْرِ ، والتَّحليلِ ، والتَّحريمِ ، وعِنْدَهُ سُبْحانَهُ العِلمُ الشاملُ المُحيطُ بِجَميعِ خَلْقِهِ مُدَوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ، الَّذي حَوى كلَّ ما كانَ ويكونُ ، وما يُحْدِثُهُ سُبْحانَه مِنْ مَحْوٍ وإثباتٍ مُدَوَّنٌ فيه فهوَ مِنْ جُمْلَةِ قَضاءِ اللهِ وقَدرِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ رَدٌّ على المُشركينَ حينَ قالُوا : إنَّ محمداً يَأْمُرُ أصحابَهُ بأَمْرٍ ثُمَّ يأمرُهُمْ بِخِلافِهِ .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ .

وإنْ أريْناكَ شيئاً مِمَّا تَوَعَّدْنا به قومَكَ مِنَ العذاب في حياتِكَ ، فذاكَ أمرٌ فيه شِفاءٌ لِصَدْرِكَ وصُدور أتباعِكَ ، وإنْ توفَّيْناكَ قَبْلَ تعذيبِهم فلا حَرَجَ عَلَيْكَ ، ولا تقصيرَ مِنْكَ ، وما عَلَيْكَ إلاَّ أنْ تُبلِّغَهُم الرِّسالةَ التّي أُمِرْتَ بها ، وعَلَيْنا مُحاسَبَتُهُم ومُجازاتُهُم على أعمالِهِم .

وقد رأى ﷺ بَعْضَ ما وَعَدَهُ اللهُ تعالى مِنْ هَزيمةِ المُشركين وإذلالِهِم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

أَيُنكِرُ المُشركونَ تنفيذَ وَعِيدِنا فيهم ووَعْدَنا لِرَسولِنا ﷺ بتحقيقِ النَّصرِ والغَلَبَةِ ؟ ألمْ يَرَوْا أنَّ أرْضَهُم تُنتقصُ مِنْ جوانِبها ونَواحِيها ، بِفَتْحِ المُسلِمينَ لَها ونصْرِهِمْ على أعدائِهِم وإلحاقِ أرضِهِم بأرضِ الإِسْلامِ ؟

واللهُ تعالى يَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ ، ولا رادَّ لِحُكْمِهِ ، ولا مُبْطِلَ لهُ ، ومِنْ ذلكَ ما حَكَمَ بِهِ سُبْحانَهُ مِنْ نصْرِ الحقِّ وأهلِهِ وجَعْلِهِم خُلفاءَ الأرضِ يُقيمونَ فيها العَدْلَ وحُكْمَ اللهِ ، وهو سُبحانَهُ سَريعُ المُحاسَبَةِ والمُجازاةِ لخلْقِهِ فهو المُحيطُ لكلِّ شيءٍ والعليمُ بكلِّ أمرٍ .

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ .

وقد مَكَرَ الكُفَّارُ مِنَ الأقوامِ السَّابقةِ برُسلِهِمْ ، وحاولُوا إيقاعَ الأَذى بهم كما فَعَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ حينَ مكرُوا بكَ وتآمرُوا عَليكَ ، واللهُ تعالى عالِمٌ بذلكَ مُحيطٌ بما يَعملُونَ وقادِرٌ على إبطالِهِ ، ولا يَقَعُ شيءٌ منهُ إلاَّ بإرادتِهِ ، فلا عِبْرَةَ بمَكْرِهِم ولا قيمةَ لهُ ، واللهُ تعالى يَعْلمُ ما يَعملُ هؤلاءِ الكُفَّارُ وما يَكيدُونَ ويُخطِّطُونَ ، كما يعلمُ جميعَ أعمالِ الخَلْقِ لا يَخفى عَلَيهِ شيْءٌ مِنْها ، وسَيَعلمُ الكُفَّارُ أنَّ العاقبةَ الحَسَنَةَ في الدُّنيا وفي الآخِرَةِ سَتكونُ للمُؤمنينَ ، وفي هذا بِشارةٌ للمُؤمنينَ بالنَّصرِ على أعدائِهِم وهو ما حَصَلَ فِعلاً وكَفَى بِهِ دَليلاً على أنَّ القُرآنَ وحْيٌ إلهيٌّ وأنَّه كلامُ العَليمِ بكلِّ شيءٍ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ويقولُ الكُفَّارُ مِنْ قومِكَ بأنَّكَ لسْتَ رسولاً مِنْ عندِ اللهِ ، تَكذيباً مِنهمُ ، وإنْكاراً لِنُبوّتكَ المُؤيَّدَةِ بالمُعجزاتِ البيّناتِ ، واسْتِعمالُ الفِعْلِ المُضارع للدَّلالة على تَكرير هذا القَوْلِ منهُم . قلْ لهُم أيُّها الرسولُ الكريمُ : تَكفي شَهادةُ اللهِ بيني وبينَكُم فهو العالِمُ بصدْقِ نُبوَّتي وكَذِبكُم وحَسْبي بِهِ شاهداً ، كما يَشهدُ بِصِدْقِي كلُّ مَنْ كانَ على عِلْمٍ بالكُتُبِ السَّماويةِ السابقةِ فإنَّها قدْ بشَّرَتْ برسالتي .

ومِنْ هَؤلاءِ الذين كانُوا على عِلْمٍ بالكتُبِ السابقةِ وشَهِدُوا للرسول ﷺ بالصِّدْقِ وَرَقَةُ بنُ نَوْفلَ وعبدُ اللهِ بنُ سلامٍ ، وسَلمانُ الفارسيُّ ، وتميمُ الداريُّ ، والنجاشِيُّ ، وغيرُهم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اللهُ مالِكُ كلِّ شيءٍ ، ويَتصرَّفُ في مُلْكهِ كيفَ يشاءُ .

٢ـ مَهَمَّةُ الرسولِ ﷺ هي التبليغُ والإنْذارُ ، واللهُ تعالى هو الَّذي يُحاسِبُ العِبادَ .

٣ـ البشارةُ بانْتِصارِ الإسْلامِ وامْتِدادِهِ في الأرضِ .

٤ـ تشابُهُ الكافِرينَ في كلِّ زمانٍ في مَكْرِهِم برُسُلِهِم وبالمُصْلِحين .

٥ـ فَضْلُ العالِمِ على الجاهِلِ ، فشهادةُ مُؤمِني أهلِ الكتابِ قامَتْ بها الحُجَّةُ على مَنْ لا عِلْمَ لهمُ مِنَ المُشرِكينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى قولِهِ تَعالى : ﴿يمحو اللهُ ما يشاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ؟ وهلْ يَتعارضُ ذلكَ مَعَ ما هو مُدوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ؟

٢ـ هلْ رأى الرَّسولُ ﷺ شيئاً مِمَّا وَعَدَهُ اللهُ تعالى مِنَ النصْرِ على المُشركينَ ؟

٣ـ بيَّنتِ الآية (٤٠) انْحِصارَ مهمَّةِ الرَّسولِ في أَمْرٍ ، ما هو ؟

٤ـ ما المُرادُ بنقْصِ الأَرْضِ مِنْ أطرافِها ؟

٥ـ ما الردُّ على تكذيبِ المُشرِكينَ برسالةِ الرَّسولِ ﷺ ؟

٦ـ ما فائِدةُ الاسْتشهادِ بالَّذي عندَه عِلْمُ الكِتابِ ؟

٧ـ في آياتِ هذا الدرسِ بِشاراتٌ عِدَّةٌ بانتصارِ الإسلامِ ، اذْكُرْها .

نَشاطٌ :

١ـ اكتبْ في دفتَرِكَ أسماءَ ثلاثةٍ مِنْ زُعماءِ قُريشٍ قُتِلُوا يومَ بدْرٍ .

٢ـ اكتبْ آيةَ سورةِ الأنفالِ التي تُبيّنُ مَكْرَ الكافِرينَ برسولِ الله ﷺ قَبْلَ الهجرَةِ .

٣ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الصفِّ التي تُبيّنُ بِشارةَ عيسى عليهِ السلامَ برسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهِيمَ - القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَة :

سُورَةُ إبْراهيمَ مِنَ السُّوَرِ المَكِّيَّةِ الَّتي عُنِيَتْ بإبرازِ مَوْضوعِ العَقيدَةِ ، وتأكيدِ الإيمانِ باللهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، مِنْ خِلالِ عَرْضٍ سَريعٍ لِجوانِبِ بَعْضِ قَصَصِ الأَنْبياءِ ، والتَّذْكيرِ بِنِعَمِ اللهِ على الإنْسانِ ، وَعَرْضِ بَعْضِ مَشاهِدِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وتَخْتِمُ السُّورةُ بِذِكْرِ مَصيرِ الظَّالِمينَ وَجَزائِهِمْ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

الظُّلُماتِ	: الضَّلالاتِ .
النورِ	: الهُدى .
بإذنِ رَبِّهِم	: بِتَيْسيرِهِ وَتَوْفيقِهِ .
وَيلٌ	: هَلاكٌ وَحَيْرَةٌ .
يَسْتَحِبونَ	: يَختارونَ وَيُؤْثِرونَ .
ويَبْغونَها عِوجاً	: يُريدونَ لِدينِ اللهِ الاعْوجاجَ وَعَدَمَ الاسْتِقامَةِ لِيُوافِقَ أهْواءَهُمْ .
بِلسانِ قَوْمِهِ	: بِلُغَةِ قَوْمِهِ .



﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ هذه السّورَةُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف ، لام ، را) للتَّنْبيهِ إلى إعْجازِ القُرْآنِ وأنَّ هذا الكِتابَ مُؤَلَّفٌ مِنْ حُروفٍ تَسْتَعْملونَها في كلامِكُمْ أَيُّها العَرَبُ ، ومَعَ ذَلِكَ لا تَسْتَطيعونَ الإتْيانَ بِمِثْلِهِ ولا بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فَثَبَتَ مِنْ عَجْزِكُمْ تَقْريرُ أنَّهُ كَلامُ اللهِ .

وبَعْدَ الحُروفِ المُقَطَّعةِ يَأْتِي ذِكْرُ القُرْآنِ ، كما هُوَ الغالِبُ في مِثْلِ هذا الافتتاحِ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ أَنْزَلَ هذا الكِتابَ إلى النَّبيِّ ﷺ لِيُخْرِجَ بهِ النَّاسَ مِنْ ظُلماتِ الكُفْرِ والضَّلالِ ، إلى نُور الهدايةِ والإيمانِ ، بِعِلْمِ اللهِ تَعالى وَتَوْفيقِهِ وتَيْسيرِهِ ، والنّورُ الَّذي يَدْعو إليهِ الرَّسولُ هُوَ طريقُ اللهِ العَزيزِ الَّذي لا يُغالَبُ ، الحميدِ المُسْتَحِقِّ لِلْحَمْدِ على نِعَمِهِ وآلائِهِ . وإسنادُ الإخراجِ إلى الرَّسولِ ﷺ لِكَوْنِهِ المُبَلِّغَ لكلامِ رَبِّهِ والقائِمَ بالدَّعْوةِ إليْهِ .

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾ .

لَفْظُ الجَلالَةِ بَدَلٌ مِنَ (العَزيزِ الحميدِ) أو عطفُ بيانٍ لَهُ ، والمَعْنى : أَنَّ الرَّسولَ ﷺ يَدْعو الخَلْقَ إلى طَريقِ اللهِ الَّذي لَهُ جَميعُ ما في هَذا الكَوْنِ ، وهُوَ المُتَصَرِّفُ في خَلْقِهِ بما يَشاءُ ، ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ أَنَّ الَّذينَ يَكْفُرونَ بما أُرْسِلَ بِهِ نَبِيُّهُ مِنْ هُدىً سَيكونُ مآلَهُمُ الهَلاكُ والحَسْرَةُ والعَذابُ الشَّديدُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضاً مِنْ صفاتِ الكافِرينَ الذَّميمةِ فَقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُسْتَحِقّونَ لِعقابِ اللهِ هُمُ الّذينَ يَخْتارونَ شَهواتِ الدُّنْيا ومَتاعَها على الآخِرَةِ ، وما فيها مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ ، ويَصْرِفونَ النَّاسَ عَنِ الإيمانِ باللهِ وَعَنْ طَريقِهِ المُسْتَقيم ، ويَطْلُبونَ لِسَبيلِ اللهِ أَنْ تَكونَ مُعْوَجَّةً مائِلَةً لِتَتَّفِقَ مَعَ أَهْوائِهِمْ وشَهواتِهِمْ ، فَهُم لا يَكْتَفونَ بالضَّلالِ بَلْ يَسْعَوْنَ لإِضْلالِ غَيْرِهِمْ ويُحاوِلونَ الانْحِرافَ بِسَبيلِ اللهِ عَنْ سَواءِ الصِّراطِ ، وَهُمْ يَظُنُّونَ ويَتوهَّمونَ قُدْرَتَهُمْ على ذَلِكَ . إنَّ المَوْصوفينَ بِهذِهِ الصِّفاتِ في ضَلالٍ بَعيدٍ عَنِ الحَقِّ لا يُرْجى لَهُمْ صَلاحٌ ولا هِدايَةٌ ، والتَّعْبيرُ بِـ (في) للإشارة إلى تَمَكُّنِ الضَّلالِ مِنْهُم وإحاطَتِهِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ .

وما أَرْسلنا قَبْلَكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ رَسولٍ إلاَّ كانَ مُتَحَدِّثاً بِلُغَةِ القومِ الّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ شَريعةَ رَبِّهِمْ وَلِتَقومَ بِهِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ .

وَرِسالَةُ مُحَمدٍ ﷺ عامَّةٌ لِجَميعِ الخَلْقِ ، وكانتْ أَوْلاً بِلُغَةِ قَوْمِهِ العَرَبِ ، لأَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِدايةً ، وَلِيَحْمِلوا مَعَهُ أَعْباءَ الدَّعْوةِ ، ويُبَيِّنوا الدِّينَ لِغَيْرِهِمْ ويَتَرْجِموهُ إلى لُغَتِهِم فَيَكونَ مَفْهوماً لَهُمْ وبَعْدَ أَنْ يَقومَ الرَّسولُ بِتَبْليغِ رِسالَةِ رَبِّهِ ، يُضَلُّ أُناسٌ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنِ اسْتَحَبَّوا الضَّلالةَ على الهُدَى ولَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِهِ فَيُضِلُهُمُ اللهُ ويَهْتَدي أُناسٌ مِنْ قَوْمِه مِمَّنِ انْفَتَحتْ قُلوبُهُمْ لِلْهُدى والْتَزموا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ فَيَهْدِيَهُمُ اللهُ ، وَهُوَ العَزيزُ الَّذي لا يُغالَبُ في مَشيئَتِهِ ، الحكيمُ فيما أَوْجَبَ على النَّاسِ مِنْ شَريعَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَشْبيهُ الكُفْرِ بالظُّلُماتِ لأَنَّهُ طريقُ الحَيْرةِ والتَخَبُّطِ وعَدَمِ الاهْتِداءِ ، وتَشْبيهُ الإيمانِ بالنُّورِ ، لأَنَّهُ الطَّريقُ الواضِحُ البَيِّنُ الظَّاهِرُ .

٢ـ لا هِدايةَ إلاَّ بِتَيْسيرِ اللهِ تَعالى وَإِرادَتِهِ ، فَمَنِ اخْتارَ الهُدَى هَداهُ اللهُ ، وَمَنِ اخْتارَ الضَّلالَ أَضَلَّهُ اللهُ .

٣ـ مِنْ أَعْظَمِ الضَّلالِ مُحاوَلَةُ الانْحِرافِ بِسَبيلِ اللهِ وَجَعْلِهِ مُعْوَجّاً .

٤ـ كُلُّ رَسولٍ أُرْسِلَ إلى قَوْمِهِ بِلُغَتِهِمْ لِيَكونَ أَبْلَغَ في إقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وأَيْسَرَ لِتَبْليغِ الرِّسالَةِ إِلَيْهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما وَجْهُ تَشْبيهِ الكُفْرِ بالظُّلُماتِ وتَشْبيهُ الإيمانِ بالنُّورِ ؟

٢ـ ما إعرابُ لَفْظِ الجَلالَةِ (الله) في بدايةِ الآيةِ الثَّانِيَةِ ؟

٣ـ اذْكُرْ أَوْصافَ الكافِرينَ مُرَتَّبةً كما جاءَتْ في الآيةِ الكَريمَةِ .

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إرسالِ الرُّسُلِ بِلُغاتِ أَقْوامِهِمْ ؟
٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ اخْتيارِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ لِرِسالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ أَنَّهُ مُرْسَلُ إلى النَّاسِ كافَّةً ؟
٦ـ مَنِ الّذينَ يُضِلُّهُمُ اللهُ ؟ ومَنِ الّذينَ يَهديهِمُ اللهُ ؟ وما دَليلُ ذَلِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ رِبْعِيُّ بنُ عامرٍ عِنْدَ مَلِكِ الفُرْسِ مُبيِّناً مُهِمَّةَ المُسْلِمينَ .

* * *

الدرس الثالث والثلاثون

سورةُ إبراهيمَ - القِسْمُ الثَّاني

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

بِأَيّامِ اللهِ : وَقائِعِهِ في الأُمَمِ السَّابِقَةِ وَنِعَمِهِ .

يَسومونَكُمُ : يُذِيقونَكُمْ .

سُوءَ العَذابِ : أَسْوأَهَ وأَشَدَّهُ .

يَسْتَحيُونَ : يَسْتَبْقونَ على قَيْدِ الحَياةِ .

بلاءٌ : اخْتبارٌ .

تَأَذَّنَ : أَعْلَمَ .

التفسيرُ :

في هذِهِ الآياتِ الكَريمةِ ذِكْرُ جانِبٍ مِنْ قِصَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهُوَ يُذَكِّرُ قَوْمَهُ ويَعِظُهُمْ .
قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رَسولَهُ ﷺ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظَّلماتِ إلى النُّورِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ رِسالةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ إلى قَوْمِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُماتِ الكُفْرِ والضَّلالِ إلى نُورِ الهِدايَةِ والإيمانِ ، فَمَضْمونُ الرِّسالاتِ واحِدٌ وَدَعْوَةُ الأَنْبِياءِ واحِدَةٌ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ وسَعادةِ البَشَرِيَّةِ باتِّباعِ مَنْهَجِهِ .

(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) المُرادُ بِأَيَّامِ اللهِ وقائِعُهُ في الأُمَمِ السَّابِقَةِ المُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ كَقَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثَمودَ ، وَتَفَضُّلُهُ وإنْعامُهُ على بَني إسْرائيلَ بالنِّعَمِ المُخْتَلِفَةِ ، كإخْراجِهِمْ مِنْ قَهْرِ فِرْعَوْنَ وَشَقِّ البَحْرِ لَهُم ، وإنْزالِ المَنِّ والسَّلْوى عَلَيْهِمْ .

إنَّ في هذا التَّذْكيرِ بِنِعَمِ اللهِ وَنِقَمِهِ لَدلائِلُ واضِحَةٌ على قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ لِكلِّ إنْسانٍ كثيرِ الصَّبْرِ على البَلاءِ كَثيرِ الشُّكْرِ على النَّعماءِ .

وتَخْصيصُ ذِكْرِ الصَّبَّارِ والشَّكورِ لأَنَّهما أَكثَرُ انْتِفاعاً بهذِهِ الآياتِ مِنْ سائِرِ الناسِ .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ أَنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ امْتَثَلَ لأَمْرِ رَبِّهِ فَذَكَّرَ قَوْمَهُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ حينَ أَنْجاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ، وقَدْ كانوا قَبْلَ ذَلِكَ يَصبُّونَ عليْهِمْ أَلوانَ العذابِ ويُذيقونَهُمْ أَسْوَأَهُ وأَشْنَعَهُ ، وكانوا يَذْبَحونَ أَبْناءَهُمُ الصِّغارَ ، وَيَسْتَبْقونَ نِساءَهُم لِلْخِدْمَةِ والإهانةِ ، وفي ذَلِكَ العَذابِ وفي النَّجاةِ مِنْهُ ، امْتِحانٌ عَظيمٌ لَهُمْ وابْتِلاءٌ واخْتِبارٌ بالضَّراءِ لِيَصْبِروا ، وبِالسَّرَّاءِ لِيَشْكُروا ويَحْمَدوا رَبَّهُمْ على نِعَمِهِ الكَثيرةِ عَلَيْهِمْ .

والواو في قَوْلِهِ (ويُذَبِّحونَ أَبْناءَكُمْ) لِعَطْفِ الجُمْلَةِ على ما قَبْلَها وَهُوَ (يَسومونَكُمْ سُوءَ العَذابِ) فَيكونُ ذَبْحُ الأَبْناءِ عَذاباً آخرَ غَيْرَ العذابِ المَذْكورِ مِنْ قَبْلُ ، لأَنَّ المُرادَ في هذه الآيةِ تَعْدادُ أَنْواعِ العذابِ الَّتي نَزَلَتْ بِبَني إسْرائيلَ ، أَمَّا في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٩] مِنْ دونِ واوِ العَطْفِ فَتكونُ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ فيهِ تَبْييناً وتَفْسيراً لِجُمْلَةِ (يَسومونَكُمْ سُوءَ العَذابِ) .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

وَذَكَّرَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْمَهُ بِما أَعْلَمَهُم اللهُ تعالى بِهِ إِعْلاماً واضِحاً بَليغاً ظاهِراً لا خَفاءَ فيهِ

وهُوَ : لَئِنْ شَكَرْتُمْ نِعْمَتي عَلَيْكُم لأَزِيدَنَّكُم مِنْ فَضْلي وَنِعَمِي ، فالشُّكْرُ سَبَبٌ لِمَزيدٍ مِنَ النِّعَمِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ نِعَمي علَيْكُمْ بإنْكارِها أَوْ بالتَّقْصيرِ في شُكْرِها فإنَّكُمْ سَتَسْتَحِقّونَ بذلكَ العَذابَ الشَّديدَ بِسَلْبِ النِّعَمِ في الدُّنْيا والعُقوبَةِ في الآخِرَةِ .

ومِنْ هُنا وَجَبَ على العاقِلِ التَّوجُّهُ إلى اللهِ تَعالى بالشُّكْرِ على نِعَمِهِ الكَثيرةِ ، حتَّى يَزيدَهُ اللهُ مِنْها ويُبارِكَ لَهُ فيها ، وَلْيَحْذَرْ مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ بالتَّقْصيرِ في شُكْرِها أَوْ بِنِسْبَةِ حُصولِها إلى غَيْرِ اللهِ فَتُسْلَبَ مِنْهُ النِّعْمَةُ ، وَيُجازَى على كُفْرانِ النِّعْمَةِ بالحِرْمانِ مِنْها وَبالعذابِ الشَّديدِ في الآخِرَةِ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

وقالَ موسى لِقَوْمِهِ : إنْ تَجْحَدوا نِعَمَ اللهِ الَّتي أنْعَمَ بها عَلَيْكُمْ أَنْتُم وكلَّ مَنْ في الأَرْضِ ، فإنَّ هذا الإنْكارَ لا يُلْحِقُ الضَّرَرَ إلاَّ بأنْفُسِكُمْ ؛ إذْ يُؤَدِّي إلى حِرْمانِكُمْ مِنَ النِّعَمِ الّتي تَحْتاجونَ إلَيْها وإلى دوامِها ، فَأَنْتُمُ المُحتاجونَ إلى نِعَمِ اللهِ وهُوَ سُبْحانَهُ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى شُكْرِكُمْ ، ولا إلى عَمَلِكُمْ فإنَّهُ الغَنِيُّ عَنْكُم ، المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ مِنْ جَميعِ خَلْقِهِ دونَ أيِّ حاجَةٍ مِنْهُ سُبْحانَهُ إلَيْهِمْ .

وَقَدْ جاءَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ عَنِ الرَّسولِ ﷺ ما يُشيرُ إلى هذه المَعاني الوارِدَةِ في الآيَةِ الكَريمةِ ، ومِنْ ذَلكَ ما رَواهُ أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : قالَ اللهُ تعالى : « يا عِبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُم كانوا على أَتْقى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ ما زادَ ذلكَ في مُلْكي شَيْئاً ، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ كانوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْكُمْ ما نَقَصَ ذَلكَ مِنْ مُلْكي شَيئاً ، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قاموا في صَعيدٍ واحِدٍ فَسَألوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنسانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكي شَيْئاً إلاَّ كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا دَخَلَ البَحْرَ »[1] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ التَّذْكيرِ بالنِّعَمِ وبالنِّقَمِ لِيكونَ ذَلِكَ مِفْتاحاً لِلشُّكْرِ .

٢ـ شُكْرُ النِّعَمِ سَبَبٌ لِزِيادَتِها وَدَوامِها ، وكُفْرُها سَبَبٌ لِزَوالِها .

٣ـ اللهُ تَعالى غَنِيٌّ عَنْ جَميعِ خَلْقِهِ ، فلا يَضُرُّهُ كُفْرُ كافِرٍ ولا يَنْفَعُهُ إيمانُ مُؤْمِنٍ .

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، رقم الحديث ٤٦٧٤ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنِ المرادَ بأيَّامِ اللهِ .

٢ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ الانْتِفاعِ بالآياتِ بالصَّبَّارِ والشَّكورِ ؟

٣ـ ما الأُمورُ الَّتي كانَ آلُ فِرْعَوْنَ يَعُذِّبونَ بِها بني إسْرائِيلَ ؟

٤ـ ما جزاءُ شُكْرِ النِّعْمَةِ ؟ وما جَزاءُ كُفْرانِها ؟

٥ـ اذْكُرْ آيَةً كَريمةً وَحَديثاً يَدُلاّنِ على أنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْفَعُهُ شُكْرُ الشَّاكِرينَ ولا يَضُرُّهُ كُفْرُ الجاحِدينَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ قَتْلِ فِرْعَوْنَ لِلذُّكورِ مِنْ مَواليدِ بَني إسْرائِيلَ وتَرْكِ البَناتِ على قَيْدِ الحياةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سُورةِ لُقْمان الَّتي فيها أَمْرٌ بالشُّكْرِ .

* * *

الدرس الرابع والثلاثون

سورةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُريبٍ : مُوقعٍ في الرِّيبةِ والقَلَقِ .

فاطرِ : مُبدعٍ .

تَصُدّونا : تَمْنَعونَنا .

بِسُلْطانٍ مُبينٍ : بِبُرْهانٍ وَحُجَّةٍ واضِحَةٍ .

التفسيرُ :

يُحَذِّرُ اللهُ في آياتِ هذا الدّرْسِ المُشْرِكينَ مِنْ تَكْذيبِ الرَّسولِ ﷺ لِئَلاّ يُلاقوا مَصيرَ المُكَذِّبينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ في الآيةِ للتَّقْرِيرِ ، فإنَّ أَخْبارَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ كانَتْ مَعْلومَةً لِمُعاصِرِي البَعْثَةِ إلاَّ أنَّها لم تَكُنْ مَعْلومةً بالتَّفْصِيلِ الَّذي وَرَدَ في الآياتِ الكَرِيمةِ ، فَيُخْبِرُهُمْ سُبْحانَهُ أنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ ما حَلَّ بِقَوْمِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ ، وكَذلِكَ ما نَزَلَ بِمَنْ كَذَّبَ بَعْدَهُم مِنْ أقوامٍ تَعْلَمونَهُمْ كقومِ لوطٍ وقَوْمِ شُعَيْبٍ ، وتُوجَدُ أقْوامٌ أُخرى عُذِّبوا بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ ومُخالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ ، وَهُمْ أقوامٌ لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللهُ ، فاعْتَبِروا مِمَّا حَلَّ بهؤلاءِ جَميعاً ، وأَطيعوا أَمْرَ رَسولِكُمْ ﷺ ولا تَتَّبِعوا أهْواءَكُمْ كَما فَعَلَ مَنْ قَبْلَكُمْ فَهَلَكوا .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ ما فَعَلَهُ الأقْوامُ مَعَ رُسُلِهِمْ ، فإنَّ الرُّسُلَ جاءوا أقْوامَهُمْ بالمُعْجِزاتِ الباهِرَةِ ، والحُجَجِ الواضِحَةِ الدَّالَّةِ على صِدْقِهِمْ ، وكانَ جوابُ الأَقْوامِ لَهُمْ في غايةِ السُّوءِ فَقَدْ سارَعُوا إلى تَكْذيبِهِمْ وإِظْهارِ الشَّكِّ فيما يُدْعَوْنَ إليْهِ ، وَقاموا بِوَضْعِ أيْدِيهِمْ في أَفْواهِهِمْ غَضَباً وَغَيْظاً مِمَّا يُخْبِرُهُمْ بِهِ الرُّسُلُ ، ومِثْلُ هذا السُّلوكِ يَحْدُثُ مِنَ المُغْتاظِ مِمَّا يُقالُ لَهُ كَما أَخْبَرَ سُبْحانَهُ عَنِ المُنافِقينَ أَنَّهم ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وَتَوجَّهوا بالخِطابِ إلى الرُّسُلِ مُعْلِنينَ كُفْرَهُمْ بما جاءوهُمْ بِهِ مِنْ بَيِّناتٍ ، وشَكَّهُمْ فيما يَدْعونَهُمْ إليْهِ مِنْ إيمانٍ وَتَوحيدٍ شَكّاً قَوِيّاً يُوقِعُ في الرِّيبَةِ والقَلَقِ وعَدمِ الطُّمَأْنينَةِ .

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

تَساءَلَ الرُّسُلُ في رَدِّهِمْ على كُفْرِ قَوْمِهِمْ وشَكِّهِمْ وَرَيْبِهِمْ قائِلينَ : أفي وُجودِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ وأُلوهِيَّتِهِ شَكٌّ وارْتِيابٌ ، وكلُّ ما في الكَوْنِ يَنْطِقُ بِعَظَمَتِهِ وَيُشيرُ إلى وَحْدانِيَّتِهِ ، فَهُوَ مُبْدِعُ السَّمواتِ والأرْضِ ومُنْشِئُهُما على هذهِ الهَيْئَةِ الرَّائِعَةِ المُحْكَمَةِ ، وَهُوَ الرَّحيمُ بِكُمْ أَيُّها البَشَرُ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ أنَّهُ أَرْسَلَ إلَيْكُمُ الرُّسُلُ لِيَدلُّوكُمْ على طَرِيقِ الهِدايَةِ والإيمانِ ، وَلِيَغْفِرَ لَكُمْ ما سَبَقَ مِنْ ذُنوبِكُمْ وَلِيَرْفَعَ عَنْكُمْ ، حِينَ تُؤْمِنونَ عَذابَ الإهْلاكِ والاسْتِئْصالِ فَتُؤَخَّرونَ إلى آجالِكُمْ .

وبَعْدَ هذا الكلامِ والتَّبْيينِ مِنَ الرُّسُلِ كانَ رَدُّ الأَقْوامِ قَبيحاً مُؤْلِماً ، دالاًّ على العنادِ والمُكابَرَةِ ، فقالوا لِرُسُلِهِمْ : ما أَنْتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا لا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنا ولا تَخْتَلِفونَ عَنَّا في شَيْءٍ ، وأَنْتُمْ تُريدونَ

أَنْ تَمْنَعونا وتَصْرِفونا بِكَلامِكُمْ هذا عَنْ عِبادَةِ الآلِهَةِ الَّتي وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدينَ وَوَرِثْنا عَنْهُم عِبادَتَها ، فإنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في أَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَأْتونا بِبُرْهانٍ بَيِّنٍ وحُجَّةٍ واضِحَةٍ تَدُلُّ على صِدْقِكُمْ في دَعوى الرِّسالَةِ الَّتي تَزْعمونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّذْكيرُ بأَخْبارِ السَّابقينَ فيهِ فائِدَةٌ كَبيرةٌ ومَوْعِظَةٌ مُؤَثِّرَةٌ .

٢ـ تشابُهُ رَدِّ الأَقْوامِ على رُسُلِهِمْ وكَأَنَّهُمْ مُتواصونَ بِذَلِكَ .

٣ـ جَميعُ المَخْلوقاتِ تُشيرُ إلى حِكْمَةِ الخالِقِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، مِمَّا يَنْفي أيَّ رَيْبٍ أوْ شَكٍّ في ذَلِكَ .

٤ـ التَّقْليدُ الأَعْمى آفَةٌ خَطيرةٌ تُدَمِّرُ المُجْتَمَعاتِ الإنْسانِيَّةَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيءٍ دعا الرُّسُلُ أَقْوامَهُمْ ؟

٢ـ بماذا أجابَ الأَقْوامُ رُسُلَهُمْ ؟

٣ـ تَشابَهَ الأَقْوامُ المُرْسَلُ إليْهِم في أُمورٍ عِدَّةٍ ، بَيِّنْها .

٤ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ على ما يَلي :

أـ عِلْمُ اللهِ المُحيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

ب ـ وَضْعُ المَدْعوّينَ أَيْدِيهمْ على أَفْواهِهِمْ غَيْظاً مِمّا يُدْعَوْنَ إليْهِ .

ج ـ اسْتِنْكارُ حُصولِ الشَّكِّ في عَظَمةِ اللهِ عِنْدَ أَحَدٍ .

د ـ الإيمانُ سَبَبٌ لِرَفْعِ العَذابِ وَغُفْرانِ الذُّنوب .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بِسُلْطانٍ : بِحُجَّةٍ وبُرْهانٍ .

ومالَنا : وأيُّ عُذْرٍ لَنا .

مِلَّتِنا : دِينِنا .

خافَ مَقامي : خافَ يَوْمَ وُقوفِهِ بَيْنَ يَدَيَّ لِلْحِسابِ .

التفسيرُ :

تُتابِعُ هذهِ الآياتُ ذِكْرَ الحِوارِ بَيْنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وأقْوامِهِمْ وما وَعَدَ اللهُ رُسُلَهُ مِنْ نَصْرٍ وتَأْييدٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ .

بَعْدَ أَنِ اعْتَرَضَ الأَقْوامُ على كَوْنِ الرُّسُلِ بَشَراً مِثْلَهِمْ ، رَدَّ عَلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِقَوْلِهِمْ : نَحْنُ مُوافِقونَ

لَكُمْ في أَنَّنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كما قُلْتُمْ ، إلاَّ أنَّ هذه المُماثَلَةَ بَيْنَنا في البَشَرِيَّةِ لا تَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ تعالى على مَنْ يَشاءُ مِنَّا بأَنْ يَخْتارَهُ لِلنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ ، فالبَشَريةُ لَيْسَتْ مانِعاً مِنْ حُصولِ الرِّسالةِ بَلْ إنَّ حِكْمَةَ اللهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَكونَ الرُّسُلُ مِنَ البَشَرِ ، وهذا أَدْعى للاسْتِجابَةِ لَهُمْ والأُنْسِ بِهِمْ .

أَمَّا رَدُّ الرُّسُلِ على ما طَلبوهُ مِنْهُم بِقَوْلِهِمْ (فَأْتونا بِسُلْطانٍ مُبينٍ) فكانَ في قَوْلِهِمْ : ما صَحَّ لَنا وَلَيْس في قُدْرَتِنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِمُعْجِزَةٍ أَوْ أَمْرٍ خارِقٍ كما طَلَبْتُمْ ، ذلِكَ أَنَّ المُعْجِزاتِ والبَراهينَ بإذْنِ اللهِ وإرادَتِهِ ، ونَحْنُ عِبادُهُ ، ولا نَتَصَرَّفُ إلاَّ بِأَمْرِهِ ، ونَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وما على المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ إلاَّ أَنْ يتوكَّلوا على اللهِ وَحْدَهُ وأَنْ يُفَوِّضوا إليْهِ جَميعَ أُمورِهِمْ .

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلامِ الرُّسُلِ لأقْوامِهِمْ بَعْدَ أَنْ وَجَّهوهُمْ إلى التَّوكُّلِ على اللهِ مُعْلِنينَ لَهُمْ أَنَّهُ لا عُذْرَ لنا في تَرْكِ التَّوكُّلِ على اللهِ وَحْدَهُ والاعْتِمادِ عليْهِ في جَميعِ أُمورِنا وَقَدْ أَرْشَدَنا إلى صِراطِهِ المُستقيمِ ودينِهِ وَمِنْهاجِهِ الَّذي فيهِ كُلُّ الخَيْرِ .

ثُمَّ بَيَّنَ الرُّسُلُ لأَقْوامِهِمْ أَنَّهم سَيَصْبِرونَ على ما لا يُلاقونَهُ مِنْهُم مِنْ إيذاءٍ مُتَواصِلٍ وأَنَّهُمْ مُتَوكِّلونَ في جَميعِ أُمورِهِمْ على اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، وأَنَّهُ يَنْبَغي على كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يتوكَّلَ على اللهِ تَعالى وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَهُوَ مالِكُ الأُمورِ والمُتَصَرِّفُ في هذا الكَوْنِ بما يَشاءُ ، فَمَنْ توكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ الرُّسُلُ لأَقْوامِهِمُ السَّبيلَ الحَقَّ وأَنَّهُمْ سَيَصْبِرونَ على الإيذاءِ المُوَجَّهِ إلَيْهِمْ ، اسْتَمَرَّ الكُفَّارُ في عِنادِهِمْ وإيذائِهِمْ لِلرُّسُلِ ، فقالوا لَهُمْ بَعْدَ أَنْ ضاقَتْ صُدورُهُمْ بالحَقِّ وأَهْلِه : لَنَعْمَلَنَّ على إخْراجِكُمْ أَيُّها الرُّسُلُ مِنْ أَرْضِنا إذا لَمْ تَعودوا إلى دِينِنا وتَتْرُكوا ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ دَعْوَتِنا إلى ما تَدْعونَنا إليهِ ، فلابُدَّ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ .

وبَعْدَ أَنْ هَدَّدَ الكافِرونَ الرُّسُلَ بما قالوهُ أَوْحى اللهُ تَعالى إلى رُسُلِهِ بأَنَّهُ سَيُهْلِكُ الظَّالِمينَ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ حِينَ اخْتاروا الكُفْرَ ومُواجَهَةَ الحَقِّ ، وَظَلَموا الرُّسُلَ وأَتْباعَهُمْ حينَ آذَوْهُمْ وكذَّبوهُمْ .

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ أَيُّها الرُّسُلُ أَنْتُم وأَتْباعَكُمْ أَرْضَ هَؤُلاءِ الكافِرينَ بَعْدَ إهْلاكِهِمْ . وتَمْكينُ الرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ كائِنٌ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى لِمَنْ خافَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ لِلحساب وخافَ وعيدَ اللهِ بالعَذابِ ، وَقَدْ جاءَ هذا التَّأْييدُ مِنَ اللهِ تعالى لِرُسُلِهِ بَعْدَ تَهْديدِ الكُفَّارِ لَهُمْ بالإخراجِ مِنَ الأَرْضِ أَوِ العَوْدَةِ عَنْ دينِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ حِكْمَةُ اللهِ في إرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ لِيَكونوا أَقْرَبَ إلى النُّفوسِ وأَدْعى للاسْتِجابَةِ لَهُمْ ، وَلِيَتَمَكَّنوا مِنَ التَّأَسّي بِهِمْ .

٢ـ عَدَمُ تَعدّي الرُّسُلَ لِمَقامِهِمْ فَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ الإتْيانَ بِالمُعْجِزَةِ إِنَّما يَكونَ بِأَمْرِ اللهِ لا بِأَمْرِهِمْ .

٣ـ وُجوبُ التوكُّلِ على اللهِ في جَميعِ الأُمورِ .

٤ـ الصَّبْرُ على أَذى المُشْرِكينَ ، واحْتِمالُ ما يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ سَفاهاتٍ .

٥ـ غَلَبَةُ إرادَةِ اللهِ على إرادَةِ غَيْرِهِ ، فالمُشْرِكونَ أرادوا إخْراجَ الرُّسُلِ مِنْ ديارِهِمْ فَأَهَلَكَهُمُ اللهُ ومَكَّنَ الرُّسُلَ .

٦ـ عاقِبَةُ الظُّلْمِ الخُسرانُ والدَّمارُ ، وَهِيَ لا تَتَخَلَّفُ ولا تَتَبَدَّلُ وإنْ طالَ الزَّمنُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا أجابَ الرُّسُلُ على اسْتِنْكارِ المُشْرِكينَ كَونَهُمْ بَشَراً ؟

٢ـ بماذا أجابَ الرُّسلُ على طَلَبِ المُشْرِكينَ مُعْجِزاتٍ وَبَراهِينَ ؟

٣ـ بِماذا عَلَّلَ الرُّسُلُ وُجوبَ تَوكُّلِهِمْ على اللهِ ؟

٤ـ ما الأَمْرانِ اللَّذانِ زَعَمَ المُشْرِكونَ حَتْمِيَّةَ حُصولِ أَحَدِهِما ؟

٥ـ ماذا أَوْحى اللهُ إلى رُسُلِهِ بَعْدَ تَهْديدِ المُشرِكينَ لَهُمْ بالإِخْراجِ ؟

٦ـ ما الدُّروسُ الَّتي تَسْتَنْبِطَها مِنْ هذهِ الآياتِ ؟

٧ـ اللهُ تَعالى غالِبٌ على أَمْرِهِ ، وَضِّحْ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ فَهْمِكَ للآياتِ الكَريمَةِ .

نَشاطٌ :

في الآيةِ (١٣) تَسْلِيَةٌ ومُواساةٌ لِلرَّسولِ ﷺ ، وضِّحْ ذَلِكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

واسْتَفْتَحوا	: اسْتَنْصَرَ الرُّسُلُ باللهِ على أَقْوامِهِمُ المُكَذِّبينَ .
خابَ	: خَسِرَ وَهَلَكَ .
عَنيدٍ	: مُعانِدٍ لِلَحقِّ .
صَديد	: ما يَسيلُ مِنْ أجسادِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ دَم وقَيْحٍ .
يَتَجَرَّعُهُ	: يَتكلَّفُ بَلْعَهُ .
ولا يَكادُ يُسيغُهُ	: يَصْعُبُ عَلَيْهِ ابْتلاعُهُ لِكَراهَتِهِ وَنَتْنِه .
يَومٍ عاصِفٍ	: شَديدِ هُبوبِ الرِّيحِ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ تَتِمَّةُ الإِخْبارِ عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ الرُّسُلِ وأَقْوامِهِمْ ، وَمَشاهِدُ مِنْ عذابِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ وَعَدَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ بالنَّصْرِ على أعْدائِهِمْ وَتَمْكينِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ، تَوَجَّهَ الرُّسُلُ إلى اللهِ بالدُّعاءِ وسَأَلوهُ أَنْ يَنْصُرَهُمْ على مُكَذِّبيهِمْ ، وأَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ العادِلِ ، فاسْتَجابَ اللهُ لَهُمْ ونَصَرَهُمْ على الكافِرينَ ، وخابَ وخَسِرَ كُلُّ مُتَكبِّرٍ رافِضٍ لأَمْرِ اللهِ مُعانِدٍ لِلْحَقِّ الظَّاهِرِ البَيِّنِ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ تَنْبيهٌ على أَنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ كانوا مُتَجبِّرينَ مُعانِدينَ لِلحَقِّ ، وَمَنْ كانَ كَذلِكَ فَعاقِبَتُهُ الخُسْرانُ .

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وَمِنْ بَعْدِ هَلاكِ هذا الجَبَّارِ العنيدِ في الدُّنْيا ، فإنَّ لَهُ في الآخِرَةِ عَذاباً في جَهنَّمَ يَنْتَظِرُهُ ، وَسَيكونُ عَذابُهُ في النَّارِ بِأَنْ يُسقى مِنَ الصَّديدِ ، وَهُوَ ما يَسيلُ مِنْ أَجْسادِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ فَيَشْرَبُهُ وَنَفْسُهُ تَرْفُضُهُ وَتأْباهُ .

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يَتناولُ الكافِرُ هذا الشَّرابَ جُرْعَةً بَعْدَ جُرْعَةٍ ، ويُحاولُ ويتكَلَّفُ بَلْعَهُ وهُوَ لا يَكادُ يَسْتطيعُ ابْتِلاعَهُ لِكراهَتِهِ لَهُ ، وَشِدَّةِ حَرارَتِهِ وَنَتَنِهِ فَيَغَصُّ بِهِ وَيَشْرَبُهُ بِعناءٍ وَتَعَبٍ .

ومِنْ صُورِ عذابِ الكافِرِ في النَّارِ أَنْ تَأْتِيَهُ أَسْبابُ المَوْتِ مِنَ الشَّدائِدِ وأَنْواعِ العَذابِ والآلامِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ مَواضِعِ جَسَدِهِ ، وَمِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ حَوْلَهُ ، ومَعَ ذَلِكَ لا يَموتُ فَيَسْتَريحَ مِنْ هذا العَذابِ ، ولَهُ بَعْدَ هذا العَذابِ عذابٌ غَليظٌ شَديدٌ لا يَقِلُّ عَمَّا هُوَ فيهِ مِنْ عَذابٍ مُؤْلِمٍ مُسْتَمِرٍّ ، فَأَنْواعُ العذابِ في جَهنَّمَ مُتَعدِّدَةٌ مُتنوعَةٌ .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يُبيِّنُ اللهُ تَعالى في هذهِ الآيةِ الكَريمة حالَ أَعْمالِ الكافِرينَ الَّتي ظاهِرُها الخَيْرُ والصَّلاحُ ، في ذَهابِها وَعَدمِ انْتِفاعِهِمْ مِنْها ، فحالُها كحالِ رَمادٍ أَتَتْ عليهِ رياحٌ عاصِفَةٌ فَبَدَّدتْهُ وفَرَّقَتْهُ ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ : الضَّياعُ والتَّفرُّقُ وَعَدمُ الانْتِفاعِ بِهِ ، فَكما أَنَّ الرِّيحَ العاصِفَ فَرَّقَتِ الرَّمادَ وصَيَّرَتْهُ هَباءً مَنْثوراً ، فَكذلِكَ أَعْمالُ الكافِرينَ في الآخِرَةِ لا يَنْتَفِعونَ مِنْها ، ولا ثَوابَ لَهُمْ عَلَيْها لأَنَّهم لَمْ يُريدوا بِها وَجْهَ اللهِ ، وَلَمْ يَقْصُدوا بِعَمَلِها الأَجْرَ مِنْهُ ولَمْ تَكُنْ مَبْنِيَّةً على الإيمانِ باللهِ ، فَهُمْ (لا يَقْدِرونَ على شَيْءٍ مِمَّا كَسَبوا) أيْ لا يَسْتطيعونَ نَيْلَ ثَوابٍ على عَمَلِهِمُ الَّذي أَضاعَهُ كُفْرُهُمْ ، وَذَلِكَ الَّذي

يَحصُلُ مَعَ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ ضَياعِ عَمَلِهِ وَعَدَمِ انْتِفاعِهِ بِشيءٍ مِنْهُ ، هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ عَنِ الحَقِّ ، الَّذي يَنْتَهي بِصاحِبِهِ إلى العَذابِ العَظيمِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ للتَّقْريرِ ، أيْ : قَدْ عَلِمْتَ أَيُّها المُخاطَبُ عِلْماً يَقيناً كَمَنْ رأى أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ على أَتَمِّ نِظامٍ وأَبْدَعِ إِحْكامٍ لِيُسْتَدلَّ بِهِما على قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ وَعَظَمَتِهِ .

وَمَنْ كانَ هذا شَأْنُهُ فإنَّهُ قادِرٌ على إهْلاكِكُمْ أيُّها المُكَذِّبونَ والإتيانُ بِخَلْقٍ جَديدٍ يكونُ أَطْوَعَ للهِ مِنْكُمْ ، وأَفْضَلَ مِنْكُمْ في المُسارَعَةِ إلى الخَيْرِ والطَّاعةِ وهذا أَمْرٌ لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ على اللهِ ولا مُتَعَسِّرٍ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ قادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ ، ومِثْلُ هذه الآيةِ قولُهُ تَعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء : ١٣٣] ، وَقَدْ ضَعُفَ العَرَبُ عَنْ حَمْلِ الإسلامِ في بَعْضِ العُصورِ فَجاءَ اللهُ بأقوامٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الفُرْسِ والمَماليكِ والتُّرْكِ ، واللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، وَمَنْ هذا شَأْنُهُ وهذِهِ قُدْرَتُهُ فإنَّهُ حَقيقٌ بِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ ويُرْجى ثَوابُهُ ويُخافُ عِقابُهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اللهُ تَعالى يَسْتَجيبُ دُعاءَ رُسُلِهِ والمُسْتَجيبينَ لأَمْرِهِ .

٢ـ شِدَّةُ عَذابِ الكافِرينَ في النَّارِ وتَنوُّعُهُ وَخُلودُهُ .

٣ـ عَدَمُ انْتِفاعِ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أَعْمالِهِ الَّتي ظاهِرُها الصَّلاحُ والخَيْرُ .

٤ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ، وَعَدَمُ امْتِناعِ أيِّ شَيْءٍ عَنِ الاسْتِجابَةِ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .

التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ أَنْواعَ العَذابِ المُعَدَّةَ لِلْكافِرِ المَذْكورةَ في هَذِهِ الآياتِ .

٢ـ بيِّنِ المَثَلَ الَّذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لأَعْمالِ الكُفَّارِ يَوْمَ القيامَةِ .

٣ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ ممّا يَلِي :

أ ـ واسْتَفْتَحوا .

ب ـ صَدِيد .

ج ـ يُسيغُهُ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تُبَيِّنُ كَيْفَ أَنْ جُلودَ الكُفَّارِ تَحْتَرِقُ ثُمَّ يُعادُ بِناؤُها لِيَسْتَمِرَّ عَذابُهُمْ في النَّارِ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والثَّلاثونَ

سورةُ إبْراهيمَ - القِسْمُ السَّادِسُ

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَبَرزوا	: خَرَجوا مِنَ القُبورِ لِلْحِسابِ .
مُغْنونَ عَنَا	: دافِعونَ عَنّا .
أَجَزِعْنا	: الجَزَعُ : عَدَمُ الصَّبْرِ .
مَحيصٍ	: مَهْرَبٍ وَمَلْجأ .
سُلطانٍ	: تَسَلُّطٍ يَلْزِمُكُمْ بِأَمْرِي .
بِمُصْرِخِكُمْ	: بِمُغيثِكُمْ .

التفسيرُ :

في هاتَيْنِ الآيَتيْنِ الكَريمَتَيْنِ مَشْهَدٌ مِنْ مشاهِدِ يَوْمِ القيامةِ يُبيِّنُ حالَ الضُّعَفاءَ وحالَ المُستكْبِرينَ ، وخُطْبَةَ الشَّيْطانِ في أَهلِ النَّارِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ .

تَبدأُ الآيةُ الكَريمَةُ بالإخْبارِ عَنْ خُروجِ الخَلائِقِ جَميعاً مِنْ قُبورِهِمْ وبُروزِهِمْ في مَكانٍ ظاهِرٍ لا يُوجَدُ فِيهِ ما يَسْتُرُ أحداً مِنْهُم ، وبَعْدَ الحِسابِ والفَصْلِ بَيْنَ الخَلْقِ يَتَلاوَم المُقَصِّرونَ والمُخْطِئونَ فَيقولُ الأَتْباعُ المُسْتَضْعَفونَ لِلْمُتْبوعينَ المُسْتَكْبِرينَ : إنَّا كُنَّا في الدُّنْيا تابِعيَن لَكُمْ ومُنْقادينَ لأَمْرِكُمْ في تَكْذيبِ الرُّسُلِ .

وكُنَّا نُنَفِّذُ كُلَّ ما تُريدونَهُ مِنَّا ، فَهَلْ سَتَدْفَعونَ عَنَّا شَيْئاً مِنْ عذابِ اللهِ النَّازِلِ بنا ؟

فَقَدْ كُنْتُمْ تَزْعمونَ لَنا في الدُّنْيا أَنَّكُم سَتَحْمونَنا مِنْ هذا العَذابِ وَسَتَدْفَعونَهُ عَنَّا ، وهذا السُّؤالُ مِنَ الضُّعَفاءِ لِتَوْبيخِ أَسْيادِهِمْ ، فَقَدْ عَلِموا أَنَّ أَسْيادَهُمُ المُسْتَكْبِرينَ لَنْ يَسْتَطيعوا فِعْلَ شَيْءٍ لَهُمْ أَوْ تَخْفيفَ العَذابِ عَنْهُمْ ، وَلِذا قالَ المُسْتَكْبِرونَ رَدّاً عَلَيْهِمْ : لَوْ هَدانا اللهُ إلى الإيمانِ ، والعَمَلِ الصَّالحِ المُنْجي مِنْ هذا العَذابِ لَهَدَيْناكُمْ إليهِ مَعَنا وَلَنَجَوْنا جَميعاً ، ولَكِنْ ضَلَلْنا وأَضْلَلْناكُمْ وما اخْتَرناهُ لَكُمْ هُوَ ما اخْتَرناهُ لأَنْفُسِنا ، وَلَوْ كُنَّا نَسْتَطيعُ دَفْعَ العذابِ عَنْ أَنْفُسِنا لَدَفَعْناهُ عَنَّا وَعَنْكُمْ ، ولكنْ ذَلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ فَنَحْنُ وإيَّاكُمْ مُشْتَرِكونَ في العَذابِ ، ولا يَنْفَعُنا الصَّبْرُ ولا الجَزَعُ فَكِلاهُما سَواءٌ مَعَ هذا العَذابِ الَّذي نَحْنُ فيهِ حَيْثُ لا مَهْرَبَ لَنا مِنْهُ ولا مَلْجَأَ نَأْوي إليهِ .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

المُرادُ بالشَّيْطانِ هُنا : إبْليسُ فَهُوَ رَئيسُ الشَّياطينِ ، وكَبيرُهُمْ ، وخِطابُهُ هذا مُوَجَّهُ لأَهْلِ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَ العبادِ ويُدْخِلَ أَهْلَ النَّارِ فيها ، يَقولُ إبْليسُ في النَّارِ لأَتْباعِهِ : إنَّ اللهَ تعالى وَعَدَكُمْ على لِسانِ رُسُلِهِ وفي كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ عَلَيْهِمْ بالبَعْثِ والجَزاءِ والحِسابِ ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ وخَبَرُهُ صِدْقٌ ، وَقَدْ حَصَلَ كما تَرَوْنَ وكُنْتُ في الدُّنْيا قَدْ وَعَدتُكُمْ بأَنْ لا جَنَّةَ ولا نارَ ولا حِسابَ ولا جَزاءَ ، وأَنِّي سَأَشْفَعُ لَكُمْ إنْ كانَ هناكَ جَزاءٌ ، وقَدْ أَخْلَفْتُكُمْ الوَعْدَ وكَذَبْتُ عَلَيْكُمْ ، والخَطَأُ مِنْكُمْ والعَيْبُ فيكمْ حينَ اتَّبَعْتُموني مَعَ أَنَّهُ لا سُلْطَةَ لي عَلَيْكُمْ أُلْزِمُكُمْ بها باتِّباعي ، وكُنْتُ حينَ أَدْعوكُمْ إلى الكُفْرِ أَوْ إلى المَعْصِيَةِ تُسارِعونَ إلى إجابَتي واتِّباعِ أَمْري ، فلا تَلوموني على وَسْوَسَتي وتَزْييني المُنْكَرَ لَكُمْ ، وَلوموا أَنْفُسَكُمْ على طاعتي ، وأنا اليومَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُغيثَكُمْ ولا أَنْ أُعينَكُمْ

على ما أَنتُمْ فيهِ ، كما أَنَّكُمْ لا تَسْتطيعونَ إغاثَتي وإنْقاذي مِنَ العذابِ الَّذي أنا فيهِ ، وأنا اليومَ بريءٌ مِنْ أَفْعالِكُمْ السَّابقةِ ، جاحِدٌ لإشْراكِكُمْ إيَّاي مَعَ اللهِ حينَ أَطَعْتُموني وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ، فَظَلَمْتُمْ بِفِعلِكُمْ هذا أَنْفُسَكُمْ فَذوقوا العذابَ الأليمَ الّذي يَسْتَحِقُّهُ الظَّالِمونَ .

وهذا الخطابُ مِنَ الشَّيْطانِ لأَهْلِ النَّارِ فيهِ اعْترافٌ مِنْهُ بعَدمِ قُدْرَتِهِ على إغاثَتِهِمْ وبإخْلافِهِ وَعْدَهُ لَهُم في الدُّنْيا ، وفيهِ تَبْكيتٌ لَهُمْ وتَحْقيرٌ لِشانِهِمْ حين اتَّبَعوهُ فَوْرَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ وَهُوَ لا يَمْلِكُ سُلطاناً يَقْهَرُهُمْ بِهِ وَيُلْزِمُهُمْ باتِّباعِهِ ، وفيهِ لَوْمٌ لَهُمْ لِعَدمِ اسْتِجابَتِهِمْ لِوَعْدِ اللهِ وَهُوَ الوَعْدَ الحَقُّ ، وفيهِ تبرؤٌ مِنْهُمْ حينَ أَشْرَكوهُ مَعَ اللهِ وَجَعلوهُ نِدّاً لَهُ ، فأطاعوا أَمْرَهُ دونَ أَمْرِ رَبِّهِمْ .

والمَقْصودُ مِنْ حكايَةِ هذا القَوْلِ الصَّادرِ مِنَ الشَّيْطانِ لأَتْباعِهِ يَوْمَ القيامةِ تَحذيرُ المُؤْمِنينَ مِنْ وَسْوَسَتِهِ وكَيْدِهِ ، حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ العذابِ الَّذي سَيَحِلُّ بأَتْباعِهِ في ذلكَ اليَومِ العظيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ عَدَمُ جَوازِ اتِّباعِ الآخَرينَ دُونَ دَليلٍ أَوْ بيِّنَةٍ .

٢ ـ اعْترافُ المُسْتَكْبرينَ بِضَلالِهِمْ بَعْدَ الحِساب لا يُنْجيهِمْ مِنَ العَذابِ .

٣ ـ لا يُوجَدُ لِلشَّيْطانِ سُلْطانٌ على البَشَرِ إلاّ بالوَسْوَسَةِ والإغْواءِ .

٤ ـ اتِّباعُ الشَّيْطانِ في مَكْرِهِ وكَيْدِهِ عِبادَةٌ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ .

٥ ـ إخْبارُ اللهِ بما سَيَكونُ قَبْلَ حُصولِهِ دَليلٌ على شُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ ماذا قالَ الضُّعفاءُ لِلْمُسْتَكْبرينَ ؟ وَبِماذا رَدَّ المُسْتَكْبِرونَ عَلَيْهِمْ ؟

٢ ـ متَى يَقومُ الشَّيْطانُ خَطيباً بِأَتْباعِهِ ؟

٣ ـ ما أَهَمُّ الأُمورِ الّتي تَضَمَّنَها خِطابُ الشَّيْطانِ ؟

٤ ـ لِماذا طلَبَ الشَّيْطانُ مِنْ أَتْباعِهِ لَوْمَ أَنْفُسِهِمْ ؟

٥ـ بيِّن مَعنى كُلٍّ ممّا يَلي :

أـ وبَرَزوا للهِ جَميعاً .

ب ـ سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبرْنا ما لَنا مِنْ مَحيصٍ .

ج ـ ما أَنا بِمُصْرِخِكُمْ وما أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ .

٦ـ مَتَى يَسْتَوي عِنْدَ الكافِرِ الصَّبْرُ والجَزَعُ ؟ وَلِماذا ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً مِنْ سُورَةِ البَقَرةِ تُبيِّنَ تَبَرُّؤَ السَّادةِ مِنْ أَتْباعِهِمْ يَوْمَ القيامةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سُورَةِ الحَشْرِ الَّتي تُبيِّنُ إضْلالَ الشَّيطانِ للنَّاسِ وبَراءَتَهُ مِنْهُم .

* * *

الدرس الثامن والثلاثون

سورةُ إبراهيمَ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَدات :

كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ : كَلِمَةِ التَّوْحيد .

تُؤْتِي أُكُلَها : تُعْطِي ثَمَرَها .

كُلَّ حِينٍ : كُلَّ وَقْتٍ .

كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ : كَلِمَةِ الكُفْرِ والضَّلالِ .

اجْتُثَّتْ : اقْتُلِعَتْ مِنْ جُذورِها .

قَرارٍ : ثَباتٍ واسْتِقْرارٍ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ مَصيرَ الأَشْقياءِ وجَزاءَهُمْ ، أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَصيرِ المُتَّقينَ السُّعَداءِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ .

أيْ : وأَدْخَلَ اللهُ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ الطَّائِعينَ الَّذين عَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِ ثِمارِها وأشْجارِها وقُصورِها الأَنْهارَ ، وهُمْ خالِدونَ في هَذهِ الجَنَّاتِ لا يَخْرُجونَ مِنْها ولا يَموتونَ ، فَنَعيمُهُمْ فيها دائِمٌ لا يَنْقَطِعُ ، وكلُّ ذَلِكَ بإِذْنِ رَبِّهِمْ وإرادَتِهِ وتَوْفيقِهِ وَهِدايَتِهِ لَهُمْ ، ويُحَيِّيهِمْ رَبُّهُمْ سُبْحانَهُ بالسَّلامِ وتُحيّيهِمُ المَلائِكَةُ بالسَّلامِ ويُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالسَّلامِ ، وهِيَ كَلمةُ دُعاءٍ بالسَّلامَةِ مِنْ كُلِّ العاهاتِ والمُنَغِّصاتِ .

والتعبيرُ عَنْ دُخولِ الجَنَّةِ بالفِعْلِ الماضِي لِتَحقُّقِ حُصولِهِ ، فاللهُ تَعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

أيْ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّها المُخاطَبُ العاقِلُ كَيْفَ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مَثَلاً لِلنَّاسِ يَعْرِفونَ بِهِ مَنْزِلَةَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وهي كَلِمَةُ التَّوْحيدِ (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) حَيْثُ شَبَّهها بِشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ، أَصْلُها ضارِبٌ بِجُذورِهِ في الأَرْضِ ، وَفَرْعُها مُتَّجِهٌ إلى السماءِ .

ويَدْخُلُ في الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ كُلَّ ما يَتْبَعُ كَلِمَةَ التَّوْحيدِ مِنْ عباراتٍ حسَنَةٍ وأقوالٍ نافِعَةٍ .

﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

تُعْطي هَذهِ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ثِمارَها في كُلِّ وَقْتٍ حَدَّدهُ اللهُ لإثْمارِها بإذنِ خالِقِها ومُنْبِتِها ، ويَضْرِبُ اللهُ تَعالى الأَمْثالَ للنَّاسِ رَجاءَ أَنْ يَعْتَبِروا ويَتَذَكَّروا ، إذْ في ضَرْبِ الأَمْثالِ تَقريبُ البَعيدِ وتَصْويرُ المَعْقولِ بِصورَةِ المَحْسوسِ .

وَقَدْ وُصِفَتِ الشَّجَرَةُ المُشَبَّهُ بِها في الآيَةِ بأربعِ صِفاتٍ هي : كَوْنُها طَيبةً ، وهذا الوصفُ يَشْمَلُ طِيبَ ثَمَرِها وَطِيبَ مَنْظَرِها وظِلِّها ومَنافِعِها ، وأنَّ أَصْلَها ثابتٌ ، وأنَّ فَرْعَها في السَّماءِ ، وأنَّها تُؤْتي أُكُلَها كُل حينٍ بإذْنِ ربِّها ، ومَجْموعُ هذه الصِّفاتِ يَدلُّ على عَظَمَةِ شأْنِ هذهِ الشَّجرةِ ، وأكْثَرُ المُفَسِّرينَ على أنَّ الشَجَرَةَ المَضْروبَ بها المَثَلُ هي النَّخْلَةُ ، فإنَّها مِنْ أنْفَعِ الشَّجَرِ وأَطْيَبِهِ ويُنْتَفَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فيها ، ويُؤْكَلُ ثَمَرُها في كُلِّ وَقْتٍ وعلى أيِّ هَيْئَةٍ كانَ .

وَوَجْهُ الشَّبَهِ أَنَّ أَصْلَ كَلِمَةِ الإيمانِ ثابتٌ في قَلْبِ المُؤْمِنِ كَثُبوتِ جِذْعِ النَّخْلَةِ في الأَرْضِ ، وأنَّ ما يَتَفَرَّعُ مِنْها ويُبْنى عَلَيْها مِنَ الأَعْمال الصَّالِحَةِ والأَفعالِ الطَّيِّبَةِ يُرْفَعُ إلى السَّماءِ ، وأَنَّ ما يَتَرَتَّبُ

على ذَلِكَ مِنْ ثَواب اللهِ تعالى وَرِضاهُ دائِمٌ يَحْصُلُ الانْتِفاعُ بِهِ في كُلِّ وَقْتٍ ، وكُلُّ عَمَلِ المُؤْمِنِ خَيْرٌ وبَرَكَةٌ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ حَوْلَهُ .

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبحانَهُ مَثَلَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحيدِ ، أَتْبَعهُ بِمَثَلِ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ وَهِيَ كَلِمَةُ الكُفْرِ وما يَدْعو إليْها وما يتَّصِلُ بِها ، فَمثْلُها كَشَجرةٍ خَبيثَةٍ في ثَمَرتِها ومَنْظَرِها ورائِحَتِها ، اقْتُلِعَتْ مِنْ أَصْلِها بِسُهولَةٍ لِكَوْنِ عُروقِها غَيْرَ عَميقَةٍ ولا ثابِتَةٍ ، وَلَيْسَ لهذِهِ الشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ مِنْ ثَباتٍ في الأَرْضِ ولا اسْتِقْرارٌ ، فَلَيْسَ لَها أَصلٌ ثابِتٌ ولا فَرْعٌ صاعِدٌ .

وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ وهَذِهِ الشَّجرةِ أَنَّ كَلِمَةَ الكُفْرِ غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ ولا ثابِتَةٍ ولا يَصْدُرُ عَنْها إلاَّ كُلُّ خَبيثٍ مُسْتَنْكَرٍ قَبيحٍ ، وعَمَلُ الكافِرِ مَرْدودٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مُتَقَبَّلٍ مِنْهُ .

والمُرادَ بالشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ في المَثَلِ كُلُّ شَجَرَةٍ تَجْمَعُ الأَوْصافَ السَّيِّئَةَ المَذْكورَةَ في الآيةِ ، وقيلَ هِيَ الحَنْظَلُ .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يُثَبِّتُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بأَنْ يُعينَهُم على التَّلَفُّظِ بالقَوْلِ الصَّادِقِ والطَّيِّبِ (في الحياةِ الدُّنيا) بأَنْ يَجْعَلَهُمْ يَنْطِقونَ كَلِمَةَ التَّوْحيدِ ويَدْعون إليْها وإلى كُلِّ خَيْرٍ ، مُتَمَسِّكينَ بالحَقِّ داعينَ إليْهِ ثابِتينَ عَلَيْهِ لا تُؤَثِّرُ فِيهِمُ المِحَنُ والشَّدائِدُ . (وفي الآخِرَةِ) أَيْ بَعْدَ المَوْتِ بأَنْ يَوَفِّقَهَمُ إلى الجَوابِ الصَّحيحِ عِنْدَ سُؤالِ المَلَكَيْنِ في القَبْرِ ، وهُو أَوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ ، وفي مَواقِفِ القيامَةِ فلا يَتَلَعْثَمونَ إذا سُئِلوا ولا تُدْهِشُهُمُ الأَهْوالُ العَظيمَةُ .

وفي الحديث أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ : « المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأَنَّ مُحمَّداً رسولُ اللهِ ، فَذلِكَ قولُهُ تعالى : ﴿يثبِّتُ اللهُ الّذينَ آمنوا بالقولِ الثّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ﴾[1] .

(ويُضِلُّ اللهُ الظَّالِمينَ) ولا يَهْدي اللهُ تَعالى الظَّالِمينَ في الحياةِ الدُّنيا إلى كَلِمَةِ الخَيْرِ ، ولا يُثَبِّتُهم عَلَيْها بَعْدَ المَوْتِ ، فَيَخْذُلَهُمْ ولا يُعينُهُمْ جَزاءَ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ بإِصْرارِهِمْ على الكُفْرِ والضَّلالِ وتَبْديلِ فِطْرَةِ اللهِ تَعالى الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها .

واللهُ تَعالى هُوَ المُتَصَرِّفُ في هذا الكَوْنِ فَيَفْعَلُ ما يَشاءُ ، ومِنْ ذَلِكَ تَثْبيتُ عِبادِهِ المُؤْمنينَ ،

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، رقم الحديث ٤٤٢٢ .

وخُذْلانُ الكافِرينَ الظَّالمينَ ، وفي إظْهارِ لَفْظِ الجَلالَةِ بَدَلَ إضْمارِهِ في هاتيْنِ الجُمْلَتَيْنِ تَقريرٌ لِوُجوبِ مَهابَتِهِ سُبْحانَهُ في نُفوسِ عِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دُخولُ الجَنَّةِ إنَّما يَكونُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعالى وإذْنِهِ ، والأَعْمالُ الصَّالِحَةُ مِنَ العِبادِ سَبَبٌ لِذلِكَ .

٢ـ اسْتِحْبابُ إفْشاءِ السَّلامِ وإعْلانِهِ ، وهُوَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ .

٣ـ تَبْشيرُ المُؤْمِنينَ بِتَثْبيتِ اللهِ تعالى لَهُمْ في الدُّنْيا وَبَعْدَ المَوتِ في القَبْرِ وما بَعْدَهُ .



التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ التَّعْبيرِ عَنْ دُخولِ أَهْلِ الجَنَّةِ إلَيْها بالفِعْلِ الماضي ؟

٢ـ أـ بِماذا وُصِفَتِ الشَّجَرَةُ الَّتي ضُرِبَتْ مَثَلاً لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ؟

ب ـ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ والشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ ؟

٣ـ أـ بماذا وُصِفَتِ الكَلِمَةُ الخَبيثَةُ ؟

ب ـ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الكَلِمَةِ الخَبيثَةِ والشَّجَرَةِ الخَبيثَةِ ؟

٤ـ كَيْفَ يَكونُ تَثْبيتُ المُؤْمِنِ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الدُّنْيا ؟ وفي الآخِرَةِ ؟

فائدةٌ :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ : (أَخْبِروني عَنْ شَجَرَةٍ شِبْهَ الرَّجُلِ المُسْلِمِ لا يَتَحاتُّ وَرَقُها تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حينٍ ؟ قالَ ابنُ عُمَرَ : فَوَقَعَ في نَفْسي أَنَّها النَّخْلَةُ ، ورأيتُ أَبا بَكْرٍ وَعُمَرَ لا يَتَكَلَّمانِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فقالَ ﷺ : هِيَ النَّخْلَةُ ، فَحَكَيْتُها

لأَبي فَقالَ : يا بُنَيَّ لَوْ كُنْتَ قُلْتَها لَكانَتْ أَحَبَّ إِليَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »[١] .

نَشاطٌ :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ سُورَةِ يَس الآياتِ الّتي فيها التَّحِيَّةُ مِنَ اللهِ تَعالى لأَهْلِ الجَنَّةِ بالسَّلامِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَمَّ يُسْأَلُ المَرءُ في قَبْرِهِ ، وما دَليلُ ذَلِكَ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب رقم ١٨٩ ، رقم الحديث ٤٤٢١ ، ورواه مسلم في كتاب صلاة المنافقين باب مثل المؤمن مثل النخلة رقم الحديث ٧٠٣٠ .

الدرس التاسع والثلاثون

سورة إبراهيم - القسم الثامن

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

دارَ البَوارِ	: دارَ الهَلاكِ .
يَصْلَوْنَها	: يَدْخُلونَها لِيُعَذَّبوا فيها .
أَنْداداً	: شُرَكاءَ مِنَ الأَصْنام .
لا خِلالَ	: لا صَداقَةَ ولا مَوَدَّةَ .
سَخَّرَ	: ذَلَّلَ .
دائِبَيْنِ	: دائِمَيْنِ .
لا تُحْصوها	: لا تَسْتَطيعونَ حَصْرَها .



التفسيرُ :

تَبْدَأُ هَذهِ الآياتُ بِبيانِ مَصيرِ الجاحِدينَ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى ، قالَ سُبحانَهُ :

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

أيْ : أَلَمْ تَنْظُرْ أَيُّها المُخاطَبُ إلى حالِ سادَةِ المُشْرِكينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِإرْسالِ رَسولِ الله ﷺ ، وإسْكانِهم مَكَّةَ الحَرَمَ الآمِنَ الَّذي يُجْبَى إليهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمْ يَعْرِفوا قَدْرَ هذه النِّعَمِ وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَشْكروا اللهَ عَلَيْها كَفَروا بها ، وبَدَلاً مِنْ أَنْ يَتَّبِعوا رَسولَهُمْ ﷺ كَذَّبوهُ وآذَوْهُ ، فاسْتَحَقّوا الخُسْرانَ والهَلاكَ وسَلْبَ النِّعْمَةِ هُمْ ومَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ومَنْ كانَ على مَنْهجِهِمْ مِنَ المُشْرِكينَ الجاحِدينَ لِنِعَمِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ المُرادَ بدارِ البَوارِ ، فَقالَ :

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

فَهُمْ سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ ويُعَذَّبونَ فيها بِأَنْواعِ العَذابِ والعِقابِ ، وإنَّ جَهَنَّمَ هِيَ بِئْسَ المَكانُ الَّذي يَسْتَقِرّونَ فيهِ .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ هؤلاءِ الخاسِرينَ لَمْ يَكْتَفوا بِجُحودِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ زادوا عَلَيْها أَنَّهُمْ نَصَبوا أَصْنامَهُمْ آلِهَةً يَعْبُدُونَها مَعَ اللهِ ويَدْعونَها مِنْ دُونِهِ ، وَذَلِكَ لِيَصْرِفوا غَيْرَهُمْ عَنْ طَريقِ الهُدَى والخَيْرِ الَّذي هُوَ سَبيلُ اللهِ المَوصِلُ إليْهِ ، فَقُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِهؤلاءِ : تَمتَّعوا بِما شِئْتُمُ التَّمَتُّعَ بِهِ مِنْ شَهواتِ الدُّنْيا وَزينَتِها فإنَّ هذا المَتاعَ غَيْرُ دائمٍ لَكُمْ ، ومَصيرُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إلى النَّارِ حَيْثُ تَدْخُلونَها وتُعَذَّبونَ فيها وتَبْقَوْنَ فيها خالِدينَ .

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذا التَّهْديدِ لِلْكافِرينَ ، أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُواصِلَ الدَّعْوَةَ ، وأَنْ يَطْلُبَ مِنَ المُسْلِمينَ إقامَةَ الصَّلاةِ وَذَلِكَ بالمُواظَبَةِ عَلَيْها وأدائِها في أَوْقاتِها المُحَدَّدَةِ مُسْتَوْفِيَةً لأَرْكانِها وشُروطِها ، والإنْفاقَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِرّاً وعلانيةً ، فَيُنْفِقونَ سِرّاً في صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وفي الحالِ الَّذي يَرَوْنَ السِرَّ فيهِ أَفْضَلَ ويُنْفِقونَ الزَّكاةَ الواجِبَةَ علانِيَةً ، وما يَرَوْنَ في إعْلانِهِ مَنْفَعَةً وفائِدَةً ، وعلى المُؤْمِنينَ أَنْ يُبادِروا إلى هذهِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ القيامةِ ، وهو اليَوْمُ الَّذي لا بَيْعَ

فيهِ ولا شِراءَ ، ولا تَنْفَعُ فيهِ شَفاعَةُ الأَخِلاّءِ والأَصْدِقاءِ ، ولا يَنْتَفِعُ فيهِ المَرْءُ إلاّ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ .

ونِسْبَةُ اللهِ العِبادَ إلى نَفْسِهِ في قَوْلِهِ (قُلْ لِعبادي) نِسْبَةُ اخْتِصاصٍ ، فَهُمْ مُخْلِصونَ لَهُ ، وَهِيَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ نِسْبَةُ تَشْريفٍ وتَحَبُّبٍ وتَكْريمٍ ، وفي إسْنادِ الرِّزْقِ إليْهِ في قَوْلِهِ (رَزَقْناهُمْ) تَذْكيرٌ بأنَّ المالَ الَّذي بَيْنَ أَيْديهِمْ ما هُو إلاّ رِزْقٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ وَنِعْمَةٌ مَنَّ بِها عَلَيْهِمْ ، وَهذا مِمَّا يَسْتَدْعي الإنْفاقَ في الخَيْرِ شُكْراً للهِ على نِعَمِهِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يَتَعرَّفُ اللهُ إلى عِبادِهِ في هذهِ الآيةِ الكريمةِ ، فَهُوَ الَّذي أَبْدَعَ السَّمواتِ والأَرْضَ وأَوْجَدَهُما مِنَ العَدَمِ ، وأَتْقَنَ خَلْقَهُما وجَعَلَ فيهما مِنَ الآياتِ البَيِّناتِ ما يُشيرُ إلى عَظَمَةِ الخالِقِ وقُدْرَتِهِ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السُّحُبِ المَطَرَ ، فَأَخْرَجَ بِهِ أَصْنافَ النَّباتِ المُتَنوِّعَةَ في أَلْوانِها وأَحْجامِها وطُعومِها ومنافِعِها ، وجَعَلَها رِزْقاً للإنْسانِ يَأْكُلُ مِنْها ويَنْتَفِعُ بها في سائِرِ وُجوهِ الانْتِفاعِ .

وهُوَ سُبْحانَهُ الَّذي ذَلَّلَ لَكُمُ السُّفُنَ لِتَجْرِيَ في البَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَذلِكَ بأَنْ أَقْدَرَكُمْ على صِناعَةِ السُّفُنِ ويَسَّرَ لَكُمُ اسْتِعْمالَها ، وأَرْسَلَ الرِّياحَ تُسَيِّرُها إلى حَيْثُ تَشاؤون ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ وتَوْفيقِهِ .

وهُوَ الَّذي ذَلَّلَ لَكُمُ الأَنْهارَ تَجْري في الأَرْضِ ، وتَنْتَفِعونَ مِنْ مِياهِها بالشُّرْبِ والسَّقْيِ وغَيْرِهِما مِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ .

وابْتَدأَتِ الآيَةُ بِلَفظِ الجَلالَةِ (اللهُ) لِما في ذَلِكَ مِنْ تَربيةِ المَهابَةِ وَلَفْتِ أَنْظارِ المُشْرِكينَ إلى ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ وهُوَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وَلِمزيدٍ مِنْ تَعريفِ اللهِ لَنا بِنَفْسِهِ أَخْبَرَنا أَنَّهُ هُوَ الَّذي ذَلَّلَ لَنا الشَّمسَ والقَمَرَ دائِمَيْنِ في حَرَكَتِهِما وفائِدَتِهِما للإِنْسانِ وَلِلحياةِ في هذهِ الأَرْضِ ، وسَخَّرَ لَنا اللَّيْلَ والنَّهارَ مُتعاقِبَيْنِ ، ولِكُلٍّ مِنْهُما دَوْرُهُ وَمُهِمَّتُهُ، فَفِي النَّهارِ تَبْتَغونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وتَقْضونَ مَصالِحَ معاشِكُمْ ، وفي اللَّيْلِ تَرْتاحونَ وتَسْتَرِدّونَ قُوَّتَكُمْ ونَشاطَكُمْ بالنَّوْمِ كما قالَ تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ : ١٠-١١] .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وأَعْطاكُمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَأَلْتُموهُ إيّاهُ ما يَنْفَعُكُمْ ويُصْلِحُ أَمْرَ مَعاشِكُمْ ، كما أَعْطاكم أَشْياءَ كَثيرةً لَمْ تَسْأَلوهُ إيّاها ، فَهُوَ الأَعْلَمُ بما فيهِ الخَيْرُ لَكُمْ ، وإنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ كَثيرةٌ مُتعَدِّدَةٌ ، فإنْ حاوَلْتُمْ إِحْصاءَها وحَصْرَها فإنَّكُمْ لَنْ تُطيقوا ذَلِكَ وَلَنْ تَسْتَطيعوهُ لِقُصوركُمْ وكَثْرَتِها ، وإنَّ الإنْسانَ

عَظيمُ الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ شَديْدُ الكُفْرِ لِنِعَمِ رَبِّهِ ، فَهُوَ دائِمُ الانْتِفاعِ بِها وَلَكِنَّهُ يُقَصِّرُ في شُكْرِها ويَضَعُها في غَيْرِ مَوْضِعِها ، والأَوْلى بِهِ الاسْتِمْرارُ في شُكْرِ نِعَمِ رَبِّهِ والقِيامِ بِحَقِّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَعَرُّفُ اللهِ إلى عِبادِهِ بِأَفْعالِه وَنِعَمِهِ وآلائِهِ .

٢ـ التَعْجيبُ مِنْ حالِ الإنْسانِ الَّذي يُقابِلُ النِّعْمَةَ بالكُفْرِ فَيَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ تَعالى .

٣ـ تَأْكيدُ خَسارَةِ الكافِرينَ وأَنَّ مَصيرَهُمُ النَّارَ خالِدينَ فيها .

٤ـ وُجوبُ المُسارَعَةِ إلى فِعْلِ الخَيْرِ قَبْلَ انْقِضاءِ الأَجَلِ .

٥ـ كَثْرَةُ نِعَمِ اللهِ المُحيطَةِ بالإِنْسانِ وتَنَوُّعِها ، وَعَدَمُ القُدْرَةِ على حَصْرِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلَةِ التالِيَةِ :

١ـ مَنِ الَّذينَ بَدَّلوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ؟ وما جَزاؤُهُمْ ؟

٢ـ ما المُرادُ بالأَنْدادِ ؟ وهَلْ يَقْتَصِرُ مَدلولُ هذا اللَّفْظِ على الأَصْنامِ مِنَ الحِجارَةِ ؟

٣ـ ماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لأَتْباعِهِ ؟

٤ـ مَتى يُفَضَّلُ تَقْديمُ الصَّدَقَةِ سِرّاً ؟ وَمَتى يُفَضَّلُ تَقْديمُها علانِيَةً ؟

٥ـ عَدِّدِ النِّعَمَ المَذْكورَةَ في الآياتِ .

٦ـ لماذا لا يَسْتَطيعُ الإنْسانُ أَنْ يُحْصِيَ نِعَمَ اللهِ ؟

٧ـ بماذا يُقابِلُ مُعْظَمُ النّاسِ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً تَدُلُّ على النَّفَقَةِ المَفْروضَةِ وآيَةً تَدُلُّ على النَّفَقَةِ المَسْنونَةِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ فَوائِدَ لِكُلٍّ مِنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ .

الدَّرسُ الأربعونَ

سورةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَذا البلدَ : مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ .

اجْنُبْني : أَبْعِدْني .

المُحرَّمِ : عَظيمِ الحُرْمَةِ .

أَفْئِدَةً : قلوباً .

تَهْوي : تُسْرِعُ في مَيْلٍ وَحَنينٍ .

على الكِبَرِ : مَعَ تَقَدُّمي في السِّنِّ .

التفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لِجانِبٍ مِنْ قِصَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وإِخْبارٌ عَمَّا دعا بِهِ رَبَّهُ في

أحْوالٍ مُتعدِّدَةٍ ، مِنْها ما كانَ عِنْدَ إسْكانِهِ زَوْجَهُ هاجَرَ وابْنَها في مَكَّةَ ، ومِنْها ما كانَ بَعْدَ بناءِ البَيْتِ ، ومِنْها ما كانَ قَبْلَ ذَلِكَ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

أَيْ : واذْكُرْ وَقْتَ أَنْ قالَ إبْراهيمُ داعِياً اللهَ تعالى بَعْدَ أَنْ أَسْكَنَ إسْماعيلَ وأُمَّهُ مَكَّةَ ، إذْ تَوَجَّهَ إلى اللهِ يَدْعوهُ قائلاً : يا رَبِّ اجْعَلْ هذا المَكانَ الَّذي تَرَكْتُهُما فيهِ بَلَداً ذا أَمْنٍ ، يَأْمَنُ فيهِ أَهْلُهُ على أنْفُسِهم وأَمْوالِهِمْ ، وأَبْعِدْني وذُرِّيَّتي عَنْ عبادةِ الأصْنام ، بِمَعْنى : ثَبِّتْنا على ما نَحْنُ فيهِ مِنَ البُعْدِ عَنْ عِبادَتِها ، وفي ذِكْرِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِنَفْسِهِ في هذا المَقام مَعَ عِصْمَتِهِ وَهُوَ النَّبيُّ الكَريمُ ، إيذانٌ بأنَّ العِصْمَةَ إنَّما هِيَ بِفَضْلِ اللهِ ومَعونَتِهِ ، وَلِيَكون قُدْوَةً لِمَنْ بَعْدَهُ فيما يَدعو بهِ .

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

هَذا تَعْليلٌ لِدُعاءِ إبْراهيمَ الأخيرِ ، أيْ أَبْعِدْنا عَنْ عِبادَةِ الأَصْنام لأَنَّهُنَّ يَتَسَبَّبْنَ في إضْلالِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وذَلِكَ حِينَ تُنْصَبُ هذهِ الأَصْنامُ لِتُعْبَدَ ، وَحِينَ يَدْعو النَّاسُ بَعْضَهُم بَعْضاً لِعِبادَتِها ، وحينَ يَرى الأَبْناءُ الآباءَ يُقَدِّسونَها وَيُعَظِّمونَها ، فيكونُ كُلُّ ذَلِكَ مُغْرِياً بِعِبادَتِها ، فإسْنادُ الإِضْلالِ إلى الأَصْنام إسْنادٌ مَجازِيٌّ .

ثُمَّ بَيَّنَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَوْقِفَهُ مِنْ أَتْباعِهِ وَغَيْرِهِم فقالَ (فَمَنْ تَبِعَني فإنَّه مِنّي) أي : فَمَنْ تَبِعني مِنَ النّاسِ في ديني وعَقيدَتي فإنَّهُ يَصيرُ بهذا الاتِّباعِ مِنْ أَهْلِ ديني ، ومَنْ عَصاني ولَمْ يَسِرْ على مَنْهَجي في الدِّين والعِبادَةِ ، وَلَمْ يُطِع أَمْري لَهُ بالتَّوْحيدِ وفِعْلِ الخَيْرِ ، فإنِّي أُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْكَ يا ربُّ وأَنْتَ غَفَّارُ الذُّنوبِ رَحيمٌ بِالعبادِ ، عَليمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ ومَنْ يَسْتَحِقُّ العِقابَ .

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يَقولُ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُقَدِّماً بَيْنَ يَدَيْ دُعائِهِ : رَبَّنا إنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتي يَعْني : ابْنَهُ إسْماعيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذي أسْكَنَهُ مَعَ أُمِّهِ هاجَرَ بوادٍ لا ماءَ فيهِ ولا زَرْعَ بِجوارِ بَيْتِكَ ، الَّذي يَحْرُمُ التَّعَرُّضُ لَهُ بسوءٍ ، تعظيماً لَهُ ورَفْعاً لِشأْنِهِ ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ اسْتِجابَةً لأَمْرِكَ ، وَلَمْ أُسْكِنْهُمْ في هذا الوادي إلاَّ لِيقُيموا الصَّلاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمَ ، ويَعْمرُوهُ بالذِّكْرِ ، والعِبادَةِ والطَّوافِ ، ثُمَّ بَدَأَ إبْراهيمُ في الدُّعاءِ فقالَ : (فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوي إليْهِم . . .) أيْ : فاجْعَلْ قُلوبَ النَّاسِ تُسْرِعُ إلَيْهِمْ في شَوْقٍ وَمَيْلٍ وَحنينٍ ، وارْزُقْ ذُرِّيَّتي الَّذينَ سَكَنوا هذا المَكانَ مِنَ الثَّمَراتِ المُخْتَلِفَةِ ما يُغْنيهِمْ ويُشْبِعُهُمْ ، لعَلَّهُمْ بهذا العَطاءِ الجَزيلِ يَقومونَ بِشُكْرِكَ ويُسارِعونَ إلى طاعَتِكَ ، وكانَ هذا الدُّعاءُ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ أَنْ أسْكَنَ وَلَدَهُ وزَوْجَهُ وذَهَبَ وَتَرَكَهُمْ .

وَقَدِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى دُعاءَ إِبْراهيم عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَعَمَرَتْ مَكَّةُ بِقَبيلَةِ جُرْهُم ، ومَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ ، وهِيَ مَرْزوقَةٌ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الثِّمارِ تُجْبى إِلَيْهِم رِزْقاً طَيِّباً مُبارَكاً ، وَكانَتْ وما زالَتْ قُلوبُ المُسْلِمينَ تَهْفو إِلى هَذهِ الأَرْضِ المُبارَكَةِ وتُسْرِعُ إِلى زِيارَتِها لِلحَجِّ والعُمْرَةِ اسْتِجابَةً لأَمْرِ اللهِ ورَغْبَةً في ثوابِهِ وحُبّاً لَها .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

أَتْبَعَ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ دُعاءَهُ بِقَوْلِهِ : يا رَبَّنا إِنَّكَ وَحْدَكَ العليمُ بِما تُخْفيهِ نُفوسُنا مِنْ أَسْرارٍ ، وما تُظْهِرُهُ وتُعْلِنُهُ مِنْ أَقوالٍ ، فالمخْفِيُّ والمُعْلَنُ بالنِّسْبَةِ إِلى اللهِ سَواءٌ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ولا يَغيبُ عَنْ عَمَلِهِ أَيُّ شَيْءٍ مَهْما كانَ صَغيراً أَوْ كَبيراً ، سَواءً أَكانَ في الأَرضِ أَمْ في السَّماءِ .

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾

كانَ إِبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ دَعا رَبَّه أَنْ يَرْزُقَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ ورَزَقَهُ اثْنَيْنِ مِنَ الأَوْلادِ هُما : إِسْماعِيلُ وإِسْحاقُ ، وكانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَتْ بِهِ السِّنُ ، وفي هَذِهِ الآيةِ يَحْمَدُ إِبْراهيمُ رَبَّهُ وَيُثْني عَلَيْهِ على اسْتِجابَتِهِ لِدُعائِهِ على ما وَهَبَهُ مِنَ الذُّرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ .

وكانَتْ هذهِ الأَدْعِيَةُ مِنْ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ بناءِ البَيْتِ ، وبَعْدَ أَنْ رَزَقَهُ اللهُ بإِسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ويَدُلُّ على ذَلِكَ ذِكْرُ البَيْتِ وإِسْحاقَ في الدُّعاءِ .

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ .

أَيْ : يا رَبِّ وفِّقْني إِلى دَوامِ المُحافَظَةِ على الصَّلاةِ وأَدائِها على الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَكْمَلِ ، ووَفِّقْ مِنْ ذُرِّيَّتي مَنْ يُقيمُها على هَذا الوَجْهِ ، وتَقَبَّلْ يا ربِّ دُعائي الَّذي أَدْعوكَ بِهِ ، وتَقَبَّلْ عِبادَتي الَّتي أَقومُ بِها إِلَيْكَ .

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ .

دعا عَلَيْهِ السَّلامُ لِنَفْسِهِ بالمَغْفِرَةِ مَعَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَعْصومٌ لَمْ يَرْتَكِبْ ذَنْباً ، لِيَكونَ قَوْلُهُ هذا تَعْليماً لأُمَّتِهِ أَنْ يَطْلبوا المَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ على ما يَرْتَكِبونَ مِنْ ذُنوبٍ ، ودعا بالمَغْفِرَةِ لِوالديْهِ وَلِلمُؤْمِنينَ جَميعاً حِينَ يَقومونَ مِنْ قُبورِهِمْ أَحياءً لِلْحِسابِ والجَزاءِ على أَعْمالِهِمْ يَوْمَ القيامةِ .

وكانَ هذا الدُّعاءُ مِنْ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَبْلَ الأَدْعِيَةِ السَّابِقَةِ وَقَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ ، كما قالَ تعالى في مَوضِعٍ آخرَ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وكانَ هذا قَبْلَ أَنْ يُهاجِرَ مِنْ أَرْضِ قَوْمِهِ إِلى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِّيَّةُ الدُّعاءِ وَضرورةُ الإِكْثارِ مِنْهُ في جَميعِ الأُمورِ .

٢ـ فَضْلُ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وشَرَفُها لاحْتِوائِها على بَيْتِ اللهِ المُحَرَّمِ .

٣ـ المُسْلِمُ يُطيعُ اللهَ وَيُنَفِّذُ أَمْرَهُ وَلَوْ كانَ في ظاهِرِهِ ما لا يُحِبُّهُ ولا يَرْغَبُ فيهِ .

٤ـ استجابَةُ اللهِ تعالى لِدُعاءِ نَبيِّهِ الكَريمِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَجَعَلَ الأَفْئِدَةَ تَهوي إلى مَكَّةَ ، وعَمَرَها وَرَزَقَ أَهْلَها مِنَ الثَّمَراتِ .

٥ـ اسْتِحبْابُ أَنْ يَتَخَلَّلَ الدُّعاءَ عِباراتُ التَّضَرُّعِ ، وإِظْهارُ الحاجَةِ ، والتَّذَلُّلُ أمامَ عَظَمَةِ اللهِ القادرِ على كُلِّ شَيْءٍ ، والَّذي لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ .

٦ـ خُطورَةُ عِبادَةِ الأَصْنامِ فَهِيَ ما زالَتْ تُضِلُّ النَّاسَ إلى اليَوْمِ ، وَهِيَ تَأْخُذُ أشكالاً مُتَعدِّدَةً .

٧ـ مِنْ أَعْظَمِ التَوْفيقِ الاسْتِعانَةُ باللهِ على طاعَةِ اللهِ .

٨ـ اسْتِحْبابُ دُعاءِ المُؤْمِنِ لِنَفْسِهِ وَلأَبَوَيْهِ وأَبْنائِهِ والمُؤْمِنينَ لِلصَّلاحِ في الدُّنْيا والغُفْرانِ في الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرِ الأَدْعِيَةَ الَّتي دَعا بِها إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُرَتَّبَةً حَسَبَ وُرودِها في الآياتِ .

٢ـ كَيْفَ نَسَبَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ الإِضْلالَ لِلأَصْنامِ الجامِدَةِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الأَدْعِيَةِ الوارِدَةِ في الآياتِ ما تَخَلَّلَها مِنْ عباراتِ التَذَلُّلِ والخُضوعِ وإظْهارِ الحاجَةِ .

٤ـ كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ دُعاءِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ هُنا لأَبيهِ وَعَدمِ دُعائِهِ لَهُ في سُورَةِ التَّوْبَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ كانَتْ بُقْعَةُ الأَرْضِ الَّتي وَضَعَ فيها إبْراهيمُ عَلَيْهِ السلامُ وَلَدَهُ وَزَوْجَهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَن الَّذي بَشَّرَ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السلامُ بالوَلَدِ ، ومَتى كانَ ذَلِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى الحَديثِ الصَّحيح الَّذي يَذْكُرُ تَفْصِيلَ حادِثَةِ تَرْكِ إسْماعيلَ وأُمِّهُ في مَكَّةَ ، واسْتَخْرِجْ ما زادَهُ الحَديثُ مِنْ تَفاصِيلَ لَمْ تَذْكُرْها الآياتُ ، وما فيها مِنْ عِبَرٍ وعِظاتٍ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الحادي والأربعونَ

سورَةُ إبْراهيمَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَشْخَصُ	: شُخوصُ العَيْنِ يَعْني : نَظَرُها مَفْتوحَةً لا تَطْرِفُ .
مُهْطِعينَ	: مُسْرِعينَ .
مُقْنِعي رُؤوسِهِمْ	: رافِعيها .
طَرْفُهُمْ	: بَصَرُهُمْ .
أَفْئِدَتُهُمْ هَواء	: قُلوبُهُمْ خالِيَةٌ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ والفَزَعِ .
مِنْ زَوالٍ	: انْتِقالٍ مِنَ الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ .

التَّفسيرُ :

تَنْتَقِلُ بنا الآياتُ إلى الحَديثِ عَنِ الظَّالمينَ وجَزائِهِمْ وحالِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

هَذِهِ الآيَةُ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ سارَ على دَرْبِهِ ، وإنْذارٌ لِلظَّالِمينَ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ : لا تَحْسَبَنَّ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ أَنَّ اللهَ تَعالى سَيَتْرُكُ الظَّالِمينَ دُونَ عِقابٍ ولا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللهَ تَعالى غَيْرُ مُحْصٍ عَلَيْهِمْ أَعْمالَهُم ، بَلْ هِيَ مَعْلومَةٌ لَدَيْهِ مُدَوَّنَةٌ ، وَلكِنَّهُ سُبْحانَهُ يُؤَخِّرُ عِقابَهُم لِيَوْمِ القيامةِ ، وهُوَ اليَوْمُ الَّذي تَرْتَفِعُ فيهِ أَبْصارُهُم إلى الأَعْلى مَفْتوحةً لا يَسْتَطيعونَ خَفْضَها ولا إغْماضَها مِنْ هَوْلِ ما يَرَوْنَ .

والمُرادُ بـ﴿الظَّالِمينَ﴾ في الآيةِ أَهْلُ الشِّرْكِ لِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ﴾ ، فَيَدْخُلُ فيهِ الَّذين آذَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ وكَذَّبوهُ وَلَمْ يُؤْمِنوا بهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ حالَ الظَّالِمينَ يَوْمَ القيامةِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ شُخوصَ أَبْصارِهِمْ فقالَ :

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ .

أَيْ أَنَّهُمْ يَخْرُجونَ مِنْ قُبورِهِمْ مُسْرِعينَ إسْراعَ الخائِفِ الوَجِلِ ، وَقَدْ رَفَعوا رُؤوسَهُمْ إلى الأَعْلى لا يَخْفِضونَها مِنْ شِدَّةِ ما يَرَوْنَ ولا تَتَحرَّكُ أَجْفانُ عُيونِهِمْ فَهِي مَفْتوحةٌ مِنْ دونِ حِراكٍ مِنْ هَوْلِ المَوْقِفِ ، أَمَّا قُلوبُهُمْ فَهِيَ خالِيَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَهِيَ لا تَعي شَيْئاً وذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والدَّهْشَةِ .

وَمِنْ مَجْموعِ هذِه الأُمورِ تُظْهِرُ الآيَةُ شِدّةَ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ وعَظَمَةَ المَوْقِفِ وما يُلاقيهِ الظَّالمونَ فيهِ مِنْ فَزَعٍ وَخَوْفٍ واضْطرابٍ ، فلاَ يَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ حَوْلَهُ ، ولا يَرْغَبُ في خَفْضِ رَأْسِهِ أَوْ بَصَرِهِ ، فَقَدْ شَغَلَهُ الهَوْلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ لا يُفكِّرُ في أيِّ أَمْرٍ آخَرَ . فيا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَظيمٍ مُخيفٍ .

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ وكُلَّ مَنْ يَدعو إلى اللهِ أَنْ يُنْذِرَ النَّاسَ وَيُخَوِّفَهُمْ مِنْ عذابِ يَوْمِ القيامةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هذا اليَوْمُ الرَّهيبُ ، وفيهِ مِنْ أنواعِ العذابِ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ ولَمْ يَتَّبِعِ الهُدى ما يَدْعو الظَّالِمينَ إلى أَنْ يَطْلبوا مِنْ رَبِّهِمْ أَنْ يُعيدَهُمْ إلى الحياةِ الدُّنْيا مَرَّةً أُخْرى وأَنْ يُؤَخِّرَ تَعْذيبَهُمْ قَليلاً ، حتَّى يَسْتَجيبوا لِدَعْوَةِ الحَقِّ ويَتَّبعوا رُسُلَ اللهِ فيما كانوا يَأْمُرونَهُم بهِ ، فَيَتدارَكوا بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَيَتَخلَّصوا مِنَ العذابِ الَّذي رَأَوْا مُقَدِّماتِهِ وعَلِموا أَنَّ مآلَهُمْ إليْهِ . ويَأْتيهِمُ الجوابُ على هذا الطَّلَبِ بما يَتَضَمَّنُ تَوْبيخَهُم وإلقاءَ الحَسْرَةِ واليَأْسِ في نُفوسِهِمْ : أَوَ لَمْ تَكونوا في الدُّنْيا تَحْلِفونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ أَنَّكُمْ لَنْ تُبْعَثوا ، ولَنْ تَنْتَقِلوا مِنَ الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ ، وأنَّه لا جَزاءَ ولا عِقابَ ، وفَعَلْتُمْ فيها الأَفْعالَ القَبيحةَ السَّيئةَ ؟

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ في تَقْريعِ الكافِرينَ فنقولُ لَهُمْ أَلَمْ تكونوا أَقَمْتُمْ في المَساكِنِ الَّتي خَلَّفَها القَوْمُ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بَعْدَ إهْلاكِهِمْ ، وَسِرْتُمْ على نَهْجِهِمْ في الظُّلْمِ والكُفْرِ دونَ اعْتِبارٍ أَوْ تَذَكُّرٍ ؟ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ آثارِهِمْ وأَخْبارِهِمْ أَنَّ دمارَهُم وهَلاكَهُمْ إِنَّما كانَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بآياتِ اللهِ ، وأعْلَمْناكُمْ على أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ المُرْسَلينَ إليْكُمْ بذلكَ ، وَبيَّنَّا لَكُمْ عاقِبَةَ الظُّلْمِ ومآلَهُ لِتَرْتَدِعوا عمَّا أَنتُّم فيهِ مِنَ شِرْكٍ وظُلْمٍ وضَلالٍ ، وضَرَبْنا لَكُمُ الأَمْثالَ العَديدَة ، وكانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْكُمْ بَعَدَ كُلِّ هذا أَنْ تُقْلِعوا عَنْ ظُلْمِكُم وأَنْ تَعْتَبِروا بِمَنْ سَبَقَكُمْ ، وأَنْ تَلْتَزِموا طَريقَ الهدايَةِ والنّورِ ، ولَكنَّكُمْ لم تَفْعلوا ، فَلِذا أَنتُّم تَسْتَحِقّونَ العذابَ الأليمَ على سُوءِ فِعْلِكُمْ وما قَدَّمَتْ أَيْديكُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَأْخيرُ العَذابِ عَنِ الظَّلَمَةِ لَيْسَ عَنْ غَفْلَةٍ عَنْهُم ، وَلَكِنْ حَسَبَ حِكْمَةِ اللهِ تَعالى وَأَمْرِهِ .

٢ـ أَهَمِيَّةُ التَّذْكيرِ بِيَوْمِ القيامَةِ وَبِما فيهِ مِنْ شِدَّةٍ لِيَرْتَدِعَ الظَّالِمُ عَنْ ظُلْمِهِ ، وَيَتوبَ المُسيءُ عَنْ إساءَتِهِ .

٣ـ وُجوبُ الاعْتبارِ عِنْدَ المُرورِ بِمَساكِنِ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ حالَ الظَّالِمينَ يَوْمَ القيامَةِ كما ذَكَرَتْهُ آياتُ الدَّرْسِ .

٢ـ ماذا يَطْلُبُ الظَّالِمونَ يَوْمِ القِيامَةِ ؟ وَبِماذا يُرَدُّ عَلَيْهِم ؟

٣ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ لِيوْمٍ تَشْخَصُ فيهِ الأَبْصارُ .

ب ـ مُهْطِعينَ مُقْنِعي رُؤوسِهِمْ .

ج ـ لا يَرْتَدُّ إليْهِمْ طَرْفُهُمْ .

د ـ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواء .

هـ ـ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سُورَةِ عَبَسَ الَّتي تَدُلُّ على فِرارِ المَرْءِ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إليْهِ يَومَ القيامةِ .

* * *

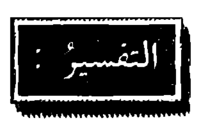
الدرس الثاني والأربعون

سورةُ إبراهيمَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بَرَزوا لله	: خَرَجوا مِنَ القُبورِ لِلْحِسابِ ظاهِرينَ لا يَسْتُرُهُمْ شَيْءٌ .
مُقرَّنينَ	: مَشْدودينَ ، مُقَيَّدينَ .
الأصْفادِ	: القيودِ .
سَرابيلُهُمْ	: ثِيابُهُمْ .
قَطِرانٍ	: سائِلٍ كَريهِ الرّائِحَةِ شَديدِ الاشْتِعالِ .
تغْشى وُجُوهَهُمُ النّارُ	: تَعْلو النّارُ وُجوهَهُمْ وَتُحيطُ بِها .
بلاغٌ	: عِظَةٌ بالِغَةٌ كافيةٌ .
أُولو الألْبابِ	: أصْحابُ العُقولِ السّليمَةِ .



التفسير :

في هَذِه الآياتِ الكَريمةِ تتمَّةُ الحديثِ عَنِ الظّالمينَ وفيها بيانٌ لِعَدَمِ إخْلافِ اللهِ تَعالى وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ ، ومَشْهَدٌ مِنْ عذابِ المُجْرِمينَ . تَخْتِمُ السورةُ بِبيانِ مُهمّةِ القرآنِ والرَّسولِ ﷺ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

المَكْرُ هو الحِذْقُ في تَدبيرِ الشّرِّ خِفْيَةً لِلغَيْرِ مَعَ الاحْتِيالِ لإيقاعِ الأذى بهِ . وتُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ جانِباً مِنْ أفعالِ الظّالمينَ ، فَقَدْ مَكروا بِرُسُلِهِمْ وبالمُؤْمِنينَ مَكْراً عظيماً ، ومَكَرَ كُفّارُ قُرَيْشٍ بِرَسولِ اللهِ ﷺ وَحاوَلوا قَتْلَهُ ، وآذَوْهُ في نَفْسِه وفي أصْحابِهِ ، وإنَّ هذا المَكْرَ العَظيمَ مَعْلومٌ عِنْدَ اللهِ تَعالى لا يَغيبُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَسَيُجازيهِمُ اللهُ عَلَيْهِ بما يَسْتَحِقّونَ مِنَ العذابِ . قَدْ كانَ مَكْرُهُمْ في غايةِ القُوَّةِ والشِّدَّةِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُزيلَ الجِبالَ عَنْ أماكِنِها ، ولكنَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ في دَعْوةِ اللهِ شَيْئاً ، فإنَّ اللهَ ناصِرُ دينهِ ومُبْطِلُ مَكْرِهِمْ مَهْما عَظُمَ .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

في هذهِ الآيةُ تَثْبيتٌ لِلرَّسولِ ، ولأَتْباعِهِ على ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الثِّقَةِ باللهِ تَعالى والتَّيَقُّنِ بإنجازِ وَعْدِهِ بنَصْرِهِمْ ، ومَعنى الآيةِ : لا تَحْسَبْ أيُّها الرَّسولُ أَنَّ اللهَ لا يُنْجِزُ وَعْدَهُ لِرُسِلِهِ بِنَصْرِهِمْ على أعْدائِهِمْ ومُعاقَبَةِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فإنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزيزٌ لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، ذو انْتِقامٍ شَديدٍ مِنْ أعْدائِهِ .

والخِطابُ في الآيةِ لِلرَّسولِ ﷺ وأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ وَعْدَ اللهِ تَعالى بِنَصْرِ رُسُلِهِ والانْتِقامِ مِنَ الظّالِمينَ كائِنٌ يَومَ يَتَغيَّرُ هذا العالَمُ المَعْهودُ بعالمٍ آخَرَ جديدٍ ، يَأْتي بِهِ اللهُ تَعالى على حَسَبِ مَشيئَتِهِ ، وذلكَ هُوَ يومُ القيامةِ الّذي يَخْرُجُ فيهِ الخَلائِقُ مِنْ قُبورِهِمْ ، لِيُجازَوْا على أعْمالِهِمْ مِنَ اللهِ الواحِدِ الّذي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وغَلَبَهُ . والتَّعْبيرُ عَنِ الخُروجِ مِنَ القُبورِ بِصيغةِ الماضي ﴿وبَرَزوا﴾ لِتَحَقُّقِ وُقوعِهِ وتأْكيدِ حُصولِهِ . وحصولُ نَصْرِ اللهِ تعالى لِرُسُلِهِ ولِعِبادِهِ في ذَلكَ اليَوْمِ لا يُنافِي حُصولَ أنْواعٍ أُخْرى مِنَ النَّصْرِ والتَّأْييدِ قَبْلَ ذلكَ في الدُّنْيا .

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وَمِنْ علاماتِ الذُّلِّ الَّذي يَلْحَقُ بالكافِرينَ يَومَ القيامةِ أَنَّكَ تُبْصِرُهُمْ ، وقَدْ شُدَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ في القُيودِ والأَغْلالِ ، وشُدَّتْ أَيْديهِمْ وأَرْجُلُهُمْ إلى أَعناقِهِمْ .

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وَتَرى كَذلكَ مَلابِسَهُمُ الَّتي يَرْتَدونَها على جُلودِهِمْ قَدْ صُنِعَتْ مِنَ القَطِرانِ وهُو قَبيحُ اللّونِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، شَديدُ الاشْتِعالِ لِيَذوقوا أَشَدَّ العذابِ وأقْساهُ ، وفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ فإنَّ النَّارَ تَعْلو فَوْقَ وُجوهِهِمْ وتُحيطُ بِها زِيادَةً في تَعْذيبِهِمْ .

﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ .

في ذلكَ اليَوْمِ خَرَجَ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ وبَرَزوا للهِ ، لِيَجْزِيَ المُسيءَ على إساءَتِهِ بما يَسْتَحِقُّ ، كما أَنَّهُ سُبْحانَهُ يَجْزي المُحْسِنَ على إحْسانِهِ ، واللهُ تَعالى سَريعُ المُحاسَبَةِ لِعِبادِهِ لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، وجَميعُ الخَلْقِ إزاءَ قُدْرَتِهِ كالنَّفْسِ الواحِدَةِ .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

أيْ هذا القُرْآنُ وما تَضَمَّنَهُ مِنْ وَعْدٍ ووَعيدٍ ، فيهِ التَّبْليغُ الكافي لِهِدايَةِ النَّاسِ ، والعِظَةُ البالِغَةُ الّتي تُبَيِّنُ لَهُم حُسْنَ عاقِبَةِ الإيمانِ والطَّاعةِ والهِدايَةِ ، وفيهِ مِنَ الآياتِ البَيِّنَةِ والحُجَجِ الواضِحَةِ ما يَدُلُّ على عَظَمَةِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ ووَحْدانِيَّتِهِ ، وفيهِ مِنَ العِظاتِ والآياتِ ما يَنْتَفِعُ بِهِ أَصْحابُ العُقولِ السَّليمةِ ، فَيَرْتَدِعوا عمَّا يُرْديهِمْ ويُهْلِكُهُمْ ويَسْلكوا طَريقَ الهِدايَةِ والسَّعادَةِ .

وفي تَخْصيصِ أَهْلِ العُقولِ بالتَّذَكُّرِ إعلاءٌ لِشَأْنِهِمْ ، وحَضٌّ لِلنَّاسِ على أَنْ يكونوا مِنْهُمْ لِيَنْتَفِعوا مِثْلَهُم بِمَوعظِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَكْرُ الظَّالِمينَ بالدُّعاةِ إلى اللهِ تَعالى ، عَظيمٌ وَكَبيرٌ ، وَلكِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ أَمامَ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ .

٢ـ في القُرْآنِ ما يَكْفي لِهِدايَةِ البَشَرِ وإِسْعادِهِمْ .

٣ـ يَنْتَفِعُ مِنْ آياتِ اللهِ تَعالى وَيَتَّعِظُ بِها أَصْحابُ العُقولِ دُونَ غَيْرِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ بيَّنَتِ الآيةُ الكَريمَةُ قُوَّةَ مَكْرِ الكافِرينَ وَشِدَّتِهِ ؟

٢ـ مَتَى يَكونُ تَحَقُّقُ وَعْدِ اللهِ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ وَتَعْذيبِ الظَّالِمينَ الجاحِدينَ ؟

٣ـ اذْكُرْ ما بيَّنَتْه الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ حالِ المُجْرِمينَ في جَهَنَّمَ .

٤ـ في الآيَةِ الأَخيرَةِ مِنَ السُّورَةِ تَلْخيصٌ لِمُهِمَّةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، بيِّنْ ذلِكَ .

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أ ـ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ .

ب ـ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ .

ج ـ مُقَرَّنينَ في الأَصْفادِ .

د ـ سَرابيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ .

هـ ـ وَلِيَذَّكَّرَ أُولو الأَلْبابِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورَةِ يُونسَ الَّتي تُبَيِّنُ مَكْرَ المُشْرِكينَ وَرَدَّ اللهِ تعالى عَلَيْهِمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلينِ مِنَ السّيرَةِ النَّبوِيَّةِ يَدُلاّنِ على أنَّ اللهَ تَعالى نَصَرَ رَسولَهُ ﷺ والمُؤْمِنينَ على المُشْرِكينَ الكافِرينَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ خَواتيمَ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ الّتي تُبَيِّنُ عَدْلَ اللهِ تَعالى في مُحاسَبَةِ عبادِهِ .

* * *

الدرس الثالث والأربعون

سورةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

تعريفٌ بالسّورة :

سورَةُ الحِجْرِ مَكيّةٌ . وعَددُ آياتِها تِسْعٌ وَتِسْعونَ . ومَوْضوعُها الرَّئيسُ تَبيينُ عاقِبَةِ تَكْذيبِ رُسُلِ اللهِ وأنّهُ سَبَبُ الهَلاكِ في الدُّنيا والآخِرَةِ . وفي أَوَّلِ السُّورَةِ وآخِرِها تَبيينُ عَظَمَةِ القُرْآنِ وسُمُوِّ مَكانَتِهِ وحِفْظِ اللهِ تَعالى لَهُ . وَفيها لَفْتُ النَّظَرِ إلى ما في هذا الكَوْنِ الفَسيحِ مِنْ أَدِلَّةِ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ . وَفيها قِصَّةُ خَلْقِ آدَمَ وما صاحَبَهُ مِنَ امْتِناعِ إبْليسَ عَنِ السُّجودِ لَهُ ، وَجَوانِبُ مِنْ قَصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأَنْبياءِ الكرامِ ، وتَبْشيرُ الرَّسولِ ﷺ بِقُرْبِ النَّصْرِ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنينَ .

معاني المُفْرَداتِ :

رُبَما : حَرْفٌ يُسْتَعْمَلُ لِلتَّقليلِ غالباً ، وَلِلتَّكْثيرِ أَحْياناً .

ذَرْهُمْ : اتْرُكْهُمْ .

كِتابٌ مَعلومٌ : أَجَلٌ مُؤَقَّتٌ مُحَدَّدٌ للإِهْلاكِ .

لَوْما : هَلاّ .

مُنْظَرينَ : مُؤَخَّرينَ .



﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ .

سورَةُ الحِجْرِ مِنَ السُّوَرِ الَّتي تَبْدَأُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ (ألف لام را) وفي مِثْلِ هذا الافتتاحِ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ تَنْبيهٌ إلى إعْجازِ القُرْآنِ ، وأَنَّ هذا القُرْآنَ مُكَوَّنٌ مِنْ جِنْسِ الحُروفِ الَّتي تَتَكَلَّمون بها ، ومَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَدْعوكُمْ إلى الإتيانِ بِمِثْلِهِ أَوْ حَتّى بِمِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فإنْ لَمْ تَفْعَلوا فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كلامُ اللهِ المُعْجِزُ .

وَكَعادَةِ القُرْآنِ الغالبةِ بَعْدَ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ أَتى في هذهِ السُّورَةِ الإشارةُ إلى القُرْآنِ الكريمِ وآياتِهِ ، فَتِلْكَ الآياتُ المَذْكورَةُ فيهِ هِي آياتُ الكِتابِ الكامِلِ في الفَصاحَةِ والبيانِ ، الجامعِ لأَبْلَغِ الحِكَمِ والأَحْكامِ ، المُبينِ في هِدايَتِهِ وإرْشادِهِ .

والتَنْكيرُ في لَفْظِ ﴿وقرآنٍ﴾ للتَّعْظيمِ والتَّفْخيمِ ، كَما أَنَّ الجَمْعَ بَيْنَ اسْمَينِ ـ الكتابِ والقُرآنِ ـ في آيةٍ واحِدَةٍ لِتَبيينِ فَخامَةِ شَأْنِهِ وعَظيمِ قَدْرِهِ ، كَما في ذلكَ إشارةٌ إلى الخاصَّتيْنِ اللَّتيْنِ يَحْفَظُ بِهما العِبادُ كتابَ اللهِ ، وهُما كِتابَتُهُ في السُّطورِ وحِفْظُهُ في الصُّدورِ عن طَريقِ القِراءَةِ والتِّلاوَةِ .

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝ ﴾ .

أَيْ أَنَّ الكُفَّارَ سَوْفَ يَتَمَنَّونَ كَثيراً في الآخِرَةِ لوْ أَنَّهُمْ أَسْلَموا في الدُّنْيا لِكَيْ يَنجوْا مِنَ العَذابِ ، وذَلِكَ حينَ يَرَوْنَ العذابَ الشديدَ الَّذي يَنْتَظِرُهُم كما قالَ تَعالى في آيةٍ أُخْرى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] وفي هذهِ الآيةِ حَضٌّ لِلْكافِرينَ على الدُّخولِ في الإسْلامِ قَبْلَ فَواتِ الأَوانِ ، وتَبْشيرٌ لِلْمُومِنينَ بأَنَّهُمْ على الحَقِّ .

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

أيْ : اتْرُكْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ المُشْركينَ فيما هُمْ فيهِ مِنْ لَهْوٍ وأَكْلٍ وتَمَتُّعٍ وآمالٍ خادِعَةٍ أَلْهَتْهُمْ عَنِ الحَقِّ ، فَسَوفَ يَعْلَمونَ سُوءَ عاقِبَةِ ذلكَ حينَ يُعاينونَ عَذابَ اللهِ . وهذا تَهْديدٌ عَظيمٌ لِلْمُشْرِكينَ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِراراً فَلَمْ يَسْتَجيبوا ولَمْ يُؤْمِنوا . وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أَنَّ التَّلذُّذَ والتَّنعُّمَ وعَدَمَ الاسْتعدادِ لِلآخِرَةِ لَيْسَ مِنْ أخلاقِ مَنْ يَطْلُبُ النَّجاةَ ، وأَنَّ إطالَةَ الأَمَلِ تُؤَدِّي إلى إساءَةِ العَمَلِ .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝ ﴾ .

بَعْدَ إنْذارِ المُشْرِكينَ في الآيةِ السَّابِقَةِ ، بِسُوءِ العِقابِ تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ أَنَّ إهْلاكَ الأُمَمِ الكافِرَةِ

يَكونُ في وَقْتٍ مُحَدَّدٍ مَعْلومٍ عِنْدَ اللهِ تَعالى .

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

هَذه الآيَةُ تَأكيدٌ لِمَضْمونِ الآيةِ السَّابِقَةِ ، وتَبيينٌ أَنْ هَلاكَ أيِّ أُمَّةٍ لا يَتَقَدَّمُ عنِ الأَجَلِ المُحَدَّدِ لَهُ في عِلْمِ اللهِ ولا يَتأَخَّرُ عَنْهُ ، بَلْ يَكونُ في الوَقْتِ الّذي كَتَبَهُ اللهُ .

﴿ وَقَالُوا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

وقالَ مُشركو مَكَّةَ لِرَسولِهِمْ ﷺ وَهُمْ يَسْخرونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئونَ بهِ : يا أَيُّها المُدَّعِي أنَّ القُرْآنَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، إنَّكَ لَمَجْنونٌ بِسببِ هذه الدَّعْوى . ويُلاحَظُ ما في كلامِهِمْ مِنْ تَعدُّدِ المُؤَكِّداتِ دَلالةً على مُبالَغَتِهِمْ في الاسْتِهْزاءِ بِمَقامِ الرَّسولِ الكَريمِ ﷺ .

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

هَلاّ تَنَزَّلَتِ المَلائِكَةُ لِتَشْهَدَ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِكَ أَوْ لِتُشارِكَكَ في الإِنْذارِ ، إنْ كُنْتَ فِعْلاً صادِقاً في أَنَّكَ نَبيٌّ .

﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ رَدٌّ على المُشْركينَ في طَلَبِهِمْ نُزولَ الملائِكةِ وَبيانٌ لِعظيمِ أَمْرِ المَلائِكَةِ ، فَهُمْ لا يَنْزِلونَ إلاَّ بِما اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ تَعالى ، ومِنْ ذلك إنْزالُ العَذابِ بالمُكَذِّبينَ وعَدمُ إمْهالِهِمْ أَوْ تَأْخيرِهِمْ ، فَنُزولُ الملائِكَةُ لا يَكونُ بناءً على اقْتِراحاتِ المُشْرِكينَ أَوْ رَغَباتِهِمْ وإنَّما يَكونُ بِأَمْرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بِهذهِ الأُمَّةِ إمْهالُهُمْ وَعَدَمُ إهْلاكِهِمْ إهْلاكاً شامِلاً ماحِقاً ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيكونُ مِنْهُمْ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مُؤْمِنونَ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

أيْ : إنّا نَحْنُ بِقُدْرَتِنا وَعظيمِ شَأْنِنا نَزَّلْنا هذا القرْآنَ الّذي أَنْكَرَهُ المُشْرِكونَ ، وإنَّا لِهذا القُرْآنِ العَظيمِ لَحافِظونَ مِنْ كُلِّ ما يَقْدَحُ فيهِ مِنْ تَحْريفٍ أَوْ تَغييرٍ ، أَوْ تَبْديلٍ بِزِيادَةٍ أَوْ نَقْصٍ ، أَوْ ضَياعٍ وبِعَدمِ قُدْرَةِ أَحَدٍ على مُعارَضَتِهِ أَوِ الإِتْيانِ بِمِثْلِ سورَةٍ مِنهُ ، وبِقيامِ طائِفَةٍ مِنْ أَتْباعِهِ باسْتِظهارِهِ وحِفْظِهِ والذَّبِّ عَنْهُ إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها .

وهذهِ الآيَةُ رَدٌّ على المُشْرِكينَ الّذينَ اسْتَهْزَأوا بِرَسولِ اللهِ ﷺ وأَنْكَروا نُزولَ القُرْآنِ الكَريمِ عَلَيْهِ .

وَقَدِ اشْتَمَلَتِ الآيَةُ الكَريمةُ على عِدّةِ مُؤَكِّداتٍ ، وإنَّ عَدَمَ حُصولِ أَيِّ تَحْريفٍ أَوْ أَيِّ تَغْييرٍ في نَصِّ القُرْآنِ بالرَّغْمِ مِنْ حِرْصِ الأَعْداءِ على ذَلكَ ومُحاولاتِهِمُ المُتعدِّدَةِ ، وبالرَّغْمِ مِنْ تَطاوُلِ القُرونِ والسِّنينَ لَدليلٌ قاطِعٌ على تَحقُّقِ وَعْدِ اللهِ تَعالى في هذهِ الآيةِ وحِفْظِهِ لِكتابهِ العَظيمِ ، وإنَّ مِنْ مَظاهِرِ

حِفْظِهِ أَنْ يُهَيِّىءَ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ مِنْ أَبْناءِ هذه الأُمَّةِ مَنْ يَحْمِلُ لواءَ الدِّفاعِ عَنِ القُرْآنِ والاعْتِناءِ بِأَمْرِهِ وَحِفْظِهِ وَصِيانَتِهِ مِنْ أيِّ عَبَثٍ أَوْ كَيْدٍ ومَكْرٍ .

وقَدْ حَفِظَ اللهُ بِحِفْظِهِ القُرْآنَ الدِّينَ مِنَ الضَّياعِ ، كما حَفِظَ الأُمَّةَ الإسْلامِيَّةَ مِنَ الزَّوالِ ، وَحَفِظَ اللُّغَةَ العَربِيَّةَ مِنَ الانْدِثارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إقامَةُ الحُجَّةِ على الكافِرينَ بِتَبْيينِ ما سَيَكونُ عَلَيْهِ حالُهُمْ يَوْمَ القيامَةِ فَلا عُذْرَ لَهُمْ في عَدَمِ الإيمانِ .

٢ـ اسْتِخْدامُ أُسْلوبِ التَّهْديدِ والوَعيدِ مَعَ الكافِرينَ لِيَكُونَ رادِعاً لَهُمْ عَمَّا هُمْ فيهِ .

٣ـ تَقْريرُ شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ شَيْءٍ وتَقديرِهِ الأُمورَ بِغايَةِ الدِّقَّةِ والإحْكامِ .

٤ـ رَحْمَةُ اللهِ بِعبادِهِ حَيْثُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِطَلَبِ المُشْرِكينَ إنْزالَ المَلائِكَةِ لِئَلاَّ يَهْلِكُوا .

٥ـ القُرْآنُ مَحْفوظٌ بِحِفْظِ اللهِ إلى يَوْمِ الدِّين ، والأُمَّةُ الإسلامِيَّةُ باقِيَةٌ بِبَقاءِ هذا الكِتابِ مَحْفوظَةٌ بِحِفْظِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيْءٍ يُشيرُ افْتِتاحُ عَدَدٍ مِنَ السُّوَرِ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَنْكيرِ لَفْظِ (قُرآن) في قَوْلِهِ تَعالى ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ وقرآنٌ مُبينٌ﴾ ؟

٣ـ مَتَى يَتَمنَّى الكافِرونَ لَوْ أَنَّهم أَسْلَموا ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ ما الفائِدَةُ مِنَ الإخْبارِ بِأَنَّ هَلاكَ كُلِّ أُمَّةٍ لَهُ أَجَلٌ مَحْدودٌ ؟

٥ـ لماذا طَلَبَ المُشْرِكونَ نُزولَ المَلائِكَةِ ؟ وَلِماذا لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُمْ ؟

٦ـ لِماذا تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظ كتابِهِ ؟

٧ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْ صُوَرِ حِفْظِ الكِتابِ الكَريمِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أسْماءَ السُّوَرِ الَّتي تَبْدَأُ بِـ(الر) مُرَتَّبَةً كَما وَرَدَتْ في المُصْحَفِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أدواتِ التَّأْكيدِ الَّتي وَرَدتْ في الآيَةِ (٦) .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حُدودِ صَفْحَتيْنِ عَنْ حِفْظِ اللهِ تَعالى لِلْقُرآنِ الكَريمِ ، وَواجِبِكَ تِجاهَهُ ، وَضَعْهُ ضِمْنَ مَوْضوعاتِ مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابعُ والأربعونَ

سورةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّاني

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

شِيَعِ الأَوَّلينَ : فِرَقِهِمْ .
نَسْلُكُه : نُدْخِلُهُ .
خَلَتْ : مَضَتْ .
سُنَّةَ الأَولينَ : الطَّريقَةَ الّتي سَنَّها اللهُ في إهْلاكِ المُكَذِّبينَ .
يَعْرُجونَ : يَصْعَدونَ .
سُكِّرتْ أَبْصارُنا : غُشِّيَتْ وَغُطِّيَتْ وَمُنِعَتْ مِنَ الإبْصارِ .
بُروجاً : طُرُقَ سَيْرِ النُّجوم ومَنازِلَها .
رَجيم : مَطْرودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .
اسْتَرَقَ السَّمْعَ : تَسَمَّعَ بِخِفْيَةٍ وحَذَرٍ .
شهابٌ : شُعْلَةٌ مِنْ نارٍ .
مُبينٌ : ظاهِرٌ .



تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتَسْلِيَةِ الرَّسولِ ﷺ عمَّا أصابَهُ مِنْ سُفَهاءِ قَوْمِه ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ ﴾ .

أَيْ : وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّها الرَّسولُ رُسُلاً كَثيرينَ في فِرَقِ الأُمَمِ السَّابِقينَ ، فَدَعا هَؤلاءُ الرُّسُلُ أقْوامَهُمْ إلى مِثْلِ ما دَعَوْتَ إليْهِ قَوْمَكَ مِنْ تَوحيدِ اللهِ تَعالى وإِخْلاصِ العِبادَةِ لَهُ ، فماذا كانتِ النَّتيجَةُ ؟ يُبَيِّنُ اللهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ ﴾ .

وما يَأْتي كُلَّ أُمَّةٍ مِنْ رَسولٍ مُرْسَلٍ إليْها إلاَّ كانوا يَسْخَرونَ مِنْهُ ويَسْتَهْزِئونَ بهِ ، كما فَعَلَتْ قُرَيْشٌ مَعَكَ ، فلا تَحْزَنْ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنْكَ .

﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ .

إنَّ تَكْذيبَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ والاسْتِهْزاءَ بِهِمْ أَمْرٌ مُتَمَكِّنٌ مُسْتَقِرٌّ في نُفوسِ المُجْرِمينَ المُكَذِّبينَ ، فَتَجِدُهُمْ في كُلِّ زَمَنٍ وَحينٍ يَتَصَدّوْنَ للاسْتِهزاءِ والسُّخْرِيَةِ بالأنْبياءِ وبالدُّعاةِ إلى اللهِ ، وعلى هذا الطَّريقِ سارَ كُفَّارُ مَكَّةَ فَلَمْ يُؤْمِنوا بِهذا القُرْآنِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى إِلَيْهِمْ ، ولا بالرَّسولِ المُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، وسَوْفَ يُصيبُهُمْ ما أصابَ غَيْرَهُم مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ جَزاءَ كُفْرِهِمْ ، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ الَّتي لا تَتبدَّلُ .

﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥ ﴾ .

يُبَيِّنُ سُبْحانَهُ تَمَكُّنَ العِنادِ والمُكابَرَةِ في نُفوسِ مُشركي مَكَّةَ ، إلى دَرَجَةٍ كَبيرةٍ ، حتّى إنَّهُم لَوْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ باباً مِنْ أبوابِ السّماءِ ، وَتَمكَّنوا مِنَ الصُّعودِ إليْهِ بآلَةٍ أَوْ بغَيْرِها ، واطَّلعوا على مَلَكوتِ السَّماواتِ وما فيها مِنَ العجائِبِ وبَديعِ خَلْقِ اللهِ ، لَقالوا بَعْدَ أنْ يَروْا ذَلِكَ كُلَّهُ : إنَّما مُنِعْنا مِنَ الإِبْصارِ ، وما نَراهُ إنَّما هُوَ خِداعٌ وتَضْليلٌ وصَرْفٌ عَنِ الحقائِقِ بِسَبَبِ سِحْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ لنا جَميعاً .

ويُفيدُ الفِعْلُ (فَظَلّوا) حُصولَ العَمَلِ مِنْهُمْ نَهاراً ، كما أنَّ الفِعْلَ (باتَ) يُسْتَخْدَمُ لِمَنْ عَمِلَ شَيْئاً باللّيلِ ، وفائِدَةُ حُصولِ الفِعْلِ نَهاراً إِطْلاعُ الجَميعِ عَلَيْهِ ، والتَّمَكُّنُ مِنَ الرُّؤْيَةِ بِوضوحٍ . وفي قَوْلِهِمْ ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحورونَ﴾ إشْعارٌ بَتَمَكُّنِ السِّحْرِ مِنْهُم جميعاً وَعَدَمِ اخْتصاصِهِ بِبَعْضِهِمْ ،

فالقَوْمُ جميعاً قَدْ تعرَّضوا لِهذا السّحْرِ العَظيمِ حَسَبَ زَعْمِهِمْ ، ومَنْ بَلَغَ بهِ التَّعَنُّتُ والمُكابَرَةُ إلى مِثْلِ هذهِ الدَّرَجةِ فلا يُرْجى إيمانُهُ ولا يَنْفعُ مَعَهُ تَذْكيرٌ ولا نُصْحٌ ولا تَبيينٌ .

ثُمَّ انتقلتِ الآياتُ إلى إيرادِ عَدَدٍ مِنَ الأدِلّةِ الدَّالَّةِ على وحْدانيةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنا وَأَوْجَدْنا في السَّماءِ طُرُقاً تَسيرُ فيها النُّجومُ والكَواكِبُ ، ومنازلَ تَمُرُّ فيها دُونَ خَلَلٍ ، ولا اضْطِرابٍ بَلْ وَفْقَ نِظامٍ مُحْكَمٍ بَديعٍ يَدُلُّ على الخالِقِ القَديرِ ، وزَيَّنَّا السَّماءَ بالنُّجومِ لِيَعْتَبِرَ مِنْها النَّاظِرونَ ، وَيَسْتَدِلّوا بِها على عَظَمَةِ خالِقِها ، كما يَنْتَفِعونَ مِنْها في مَعْرِفَةِ الجِهاتِ وتَحْديدِ المَواقيتِ .

﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

وَحفِظنا السَّماءَ مِنْ جَميعِ الشَّياطينِ المَطْرودينَ مِنْ رَحْمَتِنا ، فلا سَبيلَ لَهُم لِلْوُصولِ إلَيْها بِحالٍ مِنَ الأحْوالِ .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذا الاسْتِثْناءُ مُنْقَطِعٌ ، أَيْ : لَكِنْ مَنْ حاوَلَ مِنَ الشَّياطينِ اسْتِراقَ السَّمْعِ واخْتِلاسَهُ ، فإنَّهُ يَتْبَعُهُ شُعْلَةٌ مِنْ نارٍ مُلْتَهِبَةٍ واضِحَةٍ ظاهِرَةٍ لِلنّاظِرينَ ، فَلا يُمَكَّنُ مِنَ الاسْتِماعِ مَعَ حِرْصِهِ الشَّديدِ على ذَلِكَ .

وقَدْ كانَ الجِنُّ قَبْلَ الإسلامِ يَسْتَرِقونَ شَيْئاً مِنْ خَبَرِ السَّماءِ ، ويُلْقونَهُ إلى الكَهَنَةِ الّذينَ يُخْبِرونَ بهِ النَّاسَ ، ويَزيدونَ عَلَيْهِ أشياءَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْظُمونَ في عُيونِ النّاسِ لِعِلْمِهِمْ أشياءَ مِنَ الغَيْبِ ، فَلَمَّا أُرْسِلَ رسولُ اللهِ ﷺ ونزَلَ القُرْآنُ زِيدَ في حِراسَةِ السَّماءِ وَحِفْظِها ، كما قالَ تَعالى في سُورَةِ الجِنِّ : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن : ٩] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَشابُهُ إجابَةِ الكافِرينَ لِرُسُلِهِمْ في الإنْكارِ والاسْتِهْزاءِ والتَّكْذيبِ .

٢ـ الإنْسانُ مُخَيَّرٌ في أَعْمالِهِ ولا يُجْبَرُ أَحَدٌ على الكُفْرِ أوِ الإيمانِ .

٣ـ عَظيمُ مُعانَدَةِ المُشْرِكينَ حَتَّى لَوْ رَأَوْا أَعْظَمَ الآياتِ الحِسِّيَّةِ لادَّعَوْا السِّحْرَ والخِداعَ .

٤ـ بَيانُ مُهِمَّةِ الشُّهُبِ ، وَهِيَ مَنْعُ الشَّياطينِ مِنَ اسْتِراقِ السَّمْعِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقِفُ الأَقْوامِ السَّابِقينَ مِنْ رُسُلِهِمْ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ الإِخْبار بإرْسالِ رُسُلٍ سابِقينَ وبأَنَّهُمْ كُذِّبوا وَأُوذُوا ؟

٣ـ اذْكُرْ مَظاهِرَ اسْتيلاءِ العِنادِ والمُكابَرَةِ في نُفوسِ المُشْرِكينَ كَما وَرَدَتْ في الآياتِ الكَريمَةِ .

٤ـ بيِّنِ المُرادَ بِما يَلي مَعَ ذِكْرِ فائِدَةِ كُلٍّ مِنْها :

أ ـ البُروجُ .

ب ـ النُّجومُ .

ج ـ الشُّهُبُ .

٥ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ شِيَعِ الأَوّلِينَ .

ب ـ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ .

ج ـ سُكِّرتْ أَبْصارُنا .

٦ـ على أيِّ شَيْءٍ يَعودُ الضَّميرُ في (نَسْلُكُهُ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الفُرْقانِ الَّتي تَذْكُرَ أَنَّ في السَّماءِ بُروجاً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورةِ المُلْكِ الَّتي تُبَيِّنُ رَجْمَ الشَّياطينِ عِنْدَ اقْتِرابِهِمْ مِنَ السَّماءِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والأربعونَ

سُورَةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَدَدْناها	: بَسَطْناها وَوَسَّعْناها .
رَواسِيَ	: جِبالاً ثَوابِتَ .
مَوزونٍ	: مُقَدَّرٍ مَعْلومٍ .
مَعايشَ	: أَرْزاقاً يُعاشُ بِها .
لَواقِحَ	: تُلْقِحُ السَّحابَ والشَّجَرَ .
الوارِثونَ	: الباقونَ بَعْدَ هَلاكِ الخَلْقِ كُلِّهِمْ .
صَلصالٍ	: طينٍ يابِسٍ كالفَخَّارِ .
حَمأ	: طينٍ أَسْوَدَ مُتَغَيِّرٍ .
مَسنونٍ	: مُصَوَّرٍ على هَيْأَةِ إِنْسانٍ .
السَّمومِ	: شَديدةِ الحَرارَةِ .



التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ في عَرْضِ عَدَدٍ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ الدَّلائِلِ السَّماوِيَّةِ الدَّالَّةِ على قُدْرَتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ ، أَتْبَعَ ذلكَ بِبيانِ بَعْضِ الدَّلائِلِ الأَرْضِيَّةِ ، وأَوَّلُ هذه الأَدِلَّةِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ مَدَّ الأرْضَ وبَسَطَها وهَيَّأَها لِتَصْلُحَ لِلحياةِ والاسْتِقْرارِ والتَّنَعُّمِ بِما فيها ، ويَدُلُّ لَفْظُ (مَدَدناها) على كُرَويةِ الأَرْضِ ، كَما هُوَ مَعلومٌ ومُقَرَّرٌ .

وَمِنَ الأَدِلَّةِ على قُدْرَةِ اللهِ أَنَّهُ جَعَلَ في الأَرْضِ جِبالاً ثَوابِتَ راسِخاتٍ لِتَحْمِيَها مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ ، فَهِيَ بِمَثابَةِ الأَوْتادِ الَّتي تُثَبِّتُ البِناءَ .

ومِنْها : أَنَّه سُبْحانَهُ أَنْبَتَ في الأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَباتٍ مُقَدَّرٍ بِمِقْدارٍ مُعيَّنٍ تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ ، ومَعْلومٌ لَهُ سُبْحانَهُ أَنَّ لِعِبادِهِ في هذا النَّباتِ مَصْلَحَةٌ ومَنْفَعَةٌ ؛ قُوتاً أَوْ دَواءً .

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

وَمِنَ الأَدِلَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ أَنَّهُ أَعَدَّ لِلْبَشَرِ في الأَرْضِ أَسْبابَ المَعيشَةِ والحياةِ المُلائِمَةِ مِنْ غِذاءٍ وَدواءٍ لِباسٍ وماءٍ ، وَيَسَّرَ لِلإِنْسانِ مَنْ يُعينُهُ في حياتِهِ مِنْ مَماليكَ وخَدَمٍ ، ودَوابَّ وأَنعامٍ وهُوَ الَّذي يَرْزُقُ الجَميعَ ، وما يَظُنُّهُ بعضُ الجاهِلينَ مِنْ أَنَّهُم هُمُ الرَّازِقونَ لِغَيْرِهِمْ ، نَوْعٌ مِنَ الغُرورِ والافْتِراءِ ، لأَنَّ الرَّازِقَ هُوَ اللهُ رَبُّ العالَمينَ .

وتُشيرُ الآيَةُ إلى ما اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهِ مِنْ جَعْلِ النَّاسِ مَراتِبَ ومَنازِلَ في هَذهِ الحياةَ الدُّنْيا لِيَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وتَسْخيرُ الدَّوابِّ والأَنْعامِ لِخِدْمَةِ الإِنْسانِ مَعَ قيامِهِ سُبْحانَهُ بِتَيسيرِ الرِّزقِ وأَسْبابِهِ لِلْجَميعِ .

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

أَيْ : وما مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْياءِ المَوْجودةِ في هذا الكَوْنِ والَّتي يَحْتاجُ النَّاسُ إليْها وَيَنْتَفِعونَ بها إلاَّ ونَحْنُ قادِرونَ على إيجادِهِ وتَكْوينِهِ والإِنْعامِ بِهِ ، ونُعْطي مِنْهُ لِعِبادِنا بِمِقْدارٍ مُعَيَّنٍ على حَسَبِ حاجَتِهِمْ وما يَقْضي مَصالِحَهُمْ .

وفي الآيَةِ تَشْبيهٌ لِقُدْرَةِ اللهِ على إيجادِ كُلِّ شَيْءٍ بالخَزائِنِ الَّتي تُودَعُ فيها الأَشْياءُ النَّفيسةُ وتَكونُ في مَأْمَنٍ ، كَما تَكونُ مُعَدَّةً لِلاسْتِعْمالِ عِنْدَ الحاجةِ دونَ إبطاءٍ .

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ تَصْريفُ الرِّياحِ وإنْزالُ المَطَرِ ، فاللهُ تعالى هُوَ الَّذي يُسيِّرُ بِقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ الرِّياحَ الّتي تَنْقُلُ حبُوبَ اللّقاحِ بَيْنَ النَّباتِ لِيَتِمَّ بذلكَ التَّلاقُحِ تكاثُرُ النَّباتِ والثِّمارِ ، كما أنَّ الرِّياحَ تُلْقِحُ السَّحابَ الّذي يَتولَّدُ مِنْه المَطَرُ ، فَيَنْزِلُ المَطَرُ مِنَ السُّحُبِ ماءً فُراتاً طَهوراً يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ وَيَسْقونَ أَنْعامَهُمْ وزَرْعَهُم مِنْهُ ، واللهُ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ الّذي يَأْمُرُ بنزولِ المَطَرِ أوْ حَبْسِهِ أَوْ تَأْخيرِهِ ، وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ أيُّ دَوْرٍ في هذا ، كَما أَنَّهُ سُبْحانَهُ يُيَسِّرُ لِلْماءِ النّازِلِ مِنَ السَّماءِ أَنْ يُخْزَنَ في الأَرْضِ وَيَتَجمَّعَ في باطِنِ الأرضِ فَيَسْتَنْبِطَهُ النّاسُ عَنْ طريقِ الآبارِ والآلاتِ ، ومِنْهُ ما يَكونُ ظاهِراً لِلماءِ ، وَهكذا تَسْتَمِرُّ دَوْرَةُ الحياةِ على الأرْضِ بالماءِ حَسَبَ مَشيئَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وَمِنْ أَعْظَمِ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى أَنَّهُ هُو الّذي يُوجِدُ الحياةَ في المَخْلوقاتِ ، وهُوَ الّذي يَسْلِبُها هذهِ الحَياةَ بالإماتَةِ ، وهُوَ سُبْحانَهُ الباقي بَعْدَ فناءِ الخَلْقِ فَهُوَ الّذي يَرِثُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها .

وفي التَّعْبيرِ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ ﴿وَنَحْنُ الوارِثونَ﴾ تَشْبيهُ بَقائِهِ بَعْدَ زَوالِ كُلِّ شَيْءٍ سِواهُ بالوارِثِ ، لأنَّ الوارِثَ هُو الّذي يَرِثُ غَيْرَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

أيْ : أَحَطْنا عِلْماً بالخَلْقِ كُلِّهِمْ : مَنْ هَلَكَ مِنْ لَدُنْ آدمَ ، ومَنْ هُوَ حَيٌّ ، ومَنْ سَيَأْتي إلى يَوْمِ القيامَةِ ، فَعِلْمُنا مُحيطٌ بِمَنْ تَقَدَّمَ ومَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُم لا يَخْفى عَلَيْنا شَيءٌ مِنْ أحوالِ العِبادِ .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

وإنَّ اللهَ تَعالى الّذي خَلَقَهُم هُوَ الَّذي يَتولّى حَشْرَهُمْ جَميعاً ؛ أوّلَهُمْ وآخِرَهُمْ ، لِيُحاسِبَهُمْ على أَعْمالِهِمْ ، إنّهُ حَكِيمٌ في كُلِّ تَصرُّفاتِهِ وأفْعالِهِ ، عَليمٌ بأَحْوالِ خَلْقِهِ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْها .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

ومِنْ أَعْظَمِ الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ خَلْقُ الإنْسانِ والجِنِّ ، وفي هَذهِ الآياتِ إخْبارٌ عَنْ إحْدى مَراحِلِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَدْ خُلِقَ مِنْ طينٍ يابِسٍ إذا ضَرَبْتَهُ بِيَدِكَ تَسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةً ، وكانَ قَبْلَ هذهِ المَرْحَلةِ طيناً أسودَ فَجَفَّ وَيَبِسَ حتّى صارَ كالصَّلْصالِ ، ثُمَّ صُوِّرَ على هَيْأَةِ الإنْسانِ ، ثُمَّ نَفَخَ اللهُ تَعالى فيهِ الرُّوحَ .

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وكانَ خَلْقُ الجنِّ قَبْلَ خَلْقِ الإنسانِ ، فَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ نارٍ شَديدةِ الحَرارَةِ . وإنَّ خَلْقَ هَذينِ الصِّنْفينِ : الإنْسِ والجِنِّ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ على قُدْرَةِ خالِقِهِما العظيمِ ، الّذي جَعَلَ مِنَ الجَمادِ المَيِّتِ وَمِنَ النّارِ الحارِقَةِ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ كلُّ ما في الكَوْنِ دالٌّ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ .

٢ـ سَبَقَ القُرآنُ إلى تَقْريرِ حَقائِقَ عِلْميَّةٍ لَمْ تَكُنْ مَعْروفَةً لِلنَّاسِ وَقْتَ نُزولِ القُرْآنِ .

٣ـ اللهُ هُوَ الرَّازِقُ لِجَميعِ خَلْقِهِ .

٤ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَبَقاؤُهُ بَعْدَ فَناءِ خَلْقِهِ .

٥ـ اللهُ الّذي بَيَّنَ لَنا أَصْلَ خَلْقِ الإنْسانِ والجانِّ ، ولا يَجوزُ أَنْ نَلْتَفِتَ إلى قَوْلٍ سِواهُ .

٦ـ الدِّلالَةُ على أَنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَصِدْقِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، إذْ ما في القُرْآنِ مِنْ عُلومٍ غَيْبِيَّةٍ لا يَعْلَمُها أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ مِنْ أَوْضَحِ الأدِلَّةِ على ذَلِكَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى .

٢ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ والأَرْضَ مَدَدْناها .

ب ـ وأَلْقَيْنا فيها رَواسِيَ .

ج ـ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقينَ .

د ـ وَأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ .

هـ ـ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنونٍ .

٣ـ اذكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلِي :

أ ـ كُرَوِيَّةُ الأرْضِ .

ب ـ الجِبالُ تَحْمِي الأَرْضَ مِنَ الاضْطِرابِ والاخْتِلالِ .

ج ـ الرِّزْقُ بِيَدِ اللهِ وَلَيْسَ بِيَدِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ .

د ـ أهميَّةُ الرِّياحِ لِتَلْقيحِ السُّحُبِ والنَّباتِ .

هـ ـ لَيْسَ للإنْسانِ قُدْرَةٌ على التَّحَكُّمِ بإنْزالِ المَطَرِ أَوْ على تَخْزِينِهِ في باطِنِ الأَرْضِ .

و ـ لا يَبْقى بَعْدَ فَناءِ الخَلْقِ سِوى اللهِ .

٤ـ بَيِّنْ أَصْلَ خَلْقِ الإنْسانِ ، والجانَّ كَما وَرَدَ في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، قالَتْ : « كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قالَ : اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ خَيْرَها ، وَخَيْرَ ما فِيها وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ بهِ ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ ما فِيها وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ[١] .

نَشاطٌ :

١ـ كَيْفَ تَسْتَدِلُّ مِنْ لَفْظَةِ مَدَدناها على كُرَوِيَّةِ الأَرْضِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثا قُدُسِيّاً رواهُ النَّبيُّ ﷺ عَنْ ربِّهِ يُبَيِّنُ عَظَمَةَ رِزقِ اللهِ وكَثْرَتَهُ الّتي لا تَنْقُصُ .

٣ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ مَشْروعِيَّةِ صلاةِ الاسْتِسْقاءِ ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الرَّحْمنِ الّتي تَدُلُّ على المَعْنى الوارِدِ في الآيةِ (٢٣) .

٥ـ رَتِّبْ مَراحِلَ خَلْقِ الإنْسانِ مُعْتَمِداً على ما وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ ذِكْرٍ لِهذِهِ المَراحِلِ مُسْتَعيناً بِكُتُبِ التَّفْسيرِ ، وَضَعْ ما وَصَلْتَ إليْهِ في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ، رقم الحديث (١٤٩٦) .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبَعونَ

سُورَةُ الحِجْرِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَوَّيْتُهُ : تَمَّمْتُ خَلْقَهُ .

رَجيمٌ : مَطْرودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ .

اللعنةَ : الإبعادَ على سَبيلِ السُّخْطِ .

فَأَنْظِرني : فَأَمْهِلْني .

التفسيرُ :

فِي هَذِهِ الآياتِ الكَريمةِ قِصَّةُ خَلْقِ آدمَ وأَمْرُ المَلائِكَةِ بالسُّجودِ لَهُ ، وعِصْيانُ إبْليسَ لِذلكَ الأَمْرِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في تَفصيلِ قِصَّةِ خَلْقِ آدمَ عَليْهِ السَّلامُ ، أيْ واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ لأُمَّتِكَ وَقْتَ أنْ قالَ

رَبُّكَ لِلْملائِكَةِ ، إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلصالٍ ، وهُوَ الطِّينُ الجافُّ الّذي كانَ قَبْلَ ذَلِكَ طِيناً أسْوَدَ ، فَبَعْدَ أخْذِ طِينَةِ الإنْسانِ مِنْ تُرابِ الأرْضِ تُرِكَ حتَّى تَغيَّرَتْ طِينَتُهُ ثُمَّ سُوِّيَ وتُرِكَ حتَّى جَفَّ وَيَبِسَ ، وسُمِّيَ الإنْسانُ بَشَراً لِظُهورِ بَشَرَتِهِ ، حَيْثُ لا يُغَطِّي الإنْسانَ صُوفٌ ولا وَبَرٌ أو نَحْوَهُما بِخلافِ سائِرِ الحَيوانات .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

فإذا جَعَلْتُ هذا البَشَرَ سَوِيّاً مُعْتَدِلاً بِحَيْثُ يَصْلُحُ لِلْحياةِ ، وَوَضَعْتُ فيهِ ما بِهِ حياتُهُ وحركاتُهُ ، وهُوَ الرّوحُ الّذي لا يَعْلَمُ حَقيقَتَهُ سِواي ، فاسْقُطوا وخِرّوا ساجِدينَ لَهُ سُجودَ تَحيَّةٍ وَتَكْريمٍ ، لا سُجودَ عِبادَةٍ وتَعْظيمٍ ، والمُرادُ بالرُّوحِ هُنا جِبْريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهُوَ الّذي أَرْسَلَهُ اللهُ إلى مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً ، فَنَفَخَ فيها فَحَمَلَتْ بِعيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهذه النَّفْخَةُ هِيَ الّتي جَعَلَتْ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ حَيّاً سَميعاً بَصيراً ، وَكَذلِكَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وأضافَ سُبْحانَهُ الرُّوحَ إليهِ تَكْريماً لِهذا المَخْلوقِ الغَيْبِيِّ ، والرَّوحُ هُوَ قِوامُ الحياةِ وَسِرُّ وُجودِها .

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

امْتَثَلَ المَلائِكَةُ أَمْرَ اللهِ تَعالى لَهُمْ بِالسُّجودِ لآدَم فَسَجَدوا طاعَةً لأمْرِ رَبِّهِمْ ، لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُم مَلَكَ وَلَمْ يَتَأَخَّر مِنْهُمْ أَحَدٌ .

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

هذا اسْتِثْناءٌ مُنْقَطِعٌ ، فإنَّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ وَلَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وكانَ يُقيمُ بَيْنَهُم فَعُدَّ مِنْهُم تَغْليباً ، إلاّ أنّهُ رَفَضَ الاسْتِجابَةَ لأمْرِ رَبِّهِ فَلَمْ يَسْجُدْ مَعَ المَلائِكَةِ تَكَبُّراً منهُ وعِصْياناً لأمْرِ اللهِ . ولَفْظُ إبليسَ مُشْتَقٌّ مِنَ الإبْلاسِ ، وهُوَ الحُزْنُ الناشِيءُ عَنِ اليأسِ .

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ على سَبيلِ الزَّجْرِ والتَّوْبيخِ : أيُّ سَبَبَ حَمَلَكَ على مُخالَفَةِ الأمْرِ وجَعَلَكَ تَمْتَنِعُ عَنِ السُّجودِ الّذي أَمَرْتُكَ بِهِ ؟

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ مُجيبا في تَكَبُّرٍ واسْتِعلاءٍ : لا يَليقُ بي أَنا المَخْلوقُ مِنْ نارٍ أَنْ أَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ .

لَقدْ زَعَمَ إبْليسُ أنَّ النارَ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ ، وظَنَّ أنَّ التَّفاضُلَ بَيْنَ الخَلْقِ يكونُ باعتبارِ المادَّةِ وَحْدَها ، فرَفَضَ السُّجودَ لآدَمَ وعَصى بِذلِكَ أمْرَ اللهِ .

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ بَعْدَ أنْ أعْلَنَ اسْتعلاءَهُ وتَكَبُّرَهُ على آدمَ ورَفْضَهُ أمْرَ اللهِ تَعالى : اخْرُجْ مِنَ السَّماءِ وَمِنَ المَنْزِلَةِ الّتي كُنْتَ فيها مُلْحَقاً بالمَلائِكَةِ ، فإنَّكَ مَرْجومٌ ومَطْرودٌ مِنْ رَحْمَتي .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وإنَّكَ سَتَبْقى بَعيداً عنْ رَحْمَةِ اللهِ ، مُقيماً في غَضَبهِ إلى يَوْمِ الجَزاءِ ، والتَّعْبيرُ بـ﴿عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ للإشْعارِ بتَمكُّنِها مِنْهُ حتَّى لَكأَنَّها فَوْقَهُ مُلازِمَةٌ لَهُ لا تُفارِقُهُ .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أيْقَنَ إبْليسُ أنَّهُ مَرْجومٌ مَلْعونٌ ، طَلَبَ مِنَ اللهِ تَعالى أنْ يُؤَخِّرَ مَوْتَهُ إلى يَوْمِ البَعْثِ فَقالَ : يا رَبِّ أَخِّرْ مَوْتي إلى اليَوْمِ الّذي يُبْعَثُ فيهِ البَشَرُ لِلْحِسابِ . وخاطبَ اللهَ تَعالى بِصِفَةِ الرُّبوبيةِ تَخَضُّعاً وتَذلُّلاً كيْ يُجابَ طَلَبُهُ ، وأرادَ بذلكَ الطَّلبِ أنْ يتَّسِعَ لهُ المَدى لإغواءِ مَنْ طُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِسَببِهِ وأَنْ يَأخُذَ بثأْرِهِ مِنْهُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ فإنّهُمْ فيما يَرى سَبَبُ شَقائِهِ .

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِطَلَبِ إبْليسَ بالإمْهالِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُها لا إكْراماً لإبْليسَ ، فقالَ لَهُ : فإنَّكَ مِنَ المُؤَخَّرينَ الّذينَ أَخَّرْتُ مَوْتَهُم إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلومِ عِنْدَ اللهِ تَعالى ، وهُوَ وَقْتُ النَّفْخَةِ الأُولى ، حَيْثُ تَنْتَهي حياةُ الخَلائِقِ ، فَتَموتَ حِينَئِذٍ مَعَهُمْ ، فَلَيْسَ التَّأْخيرُ إلى يومِ البَعْثِ كما طَلَبَ اللَّعينُ وأَرادَ ، ولكنَّهُ إلى وَقْتِ النَّفْخَةِ الأُولى .

ولِهذا التَّأْخيرِ حِكْمَةٌ بالِغَةٌ ، ودَلالَةٌ على أنَّ الصِّراعَ بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِّ مُسْتَمِرٌّ إلى قيامِ السَّاعةِ ، وأنَّ على كُلِّ ذي عَقْلٍ سليمٍ أنْ يَجْتَنِبَ طريقَ إبْليسَ وأتْباعَهُ ، وأَنْ يَحْذَرَها وأَنْ يَأْخُذَ بأَسْبابِ الهِدايةِ ويُقاوِمَ إغراءاتِ الشَّياطينِ وتَزْيينَهُمُ الباطِلَ لَهُ . فالحَياةُ الدُّنْيا دارُ الابْتِلاءِ والامْتِحانِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِجابَةُ المَلائِكَةِ لأَمْرِ اللهِ تَعالى دُونَ تَأْخيرٍ ولا تَرَدُّدٍ . فَهُمْ خَلْقٌ مُكْرَمونَ لا يَعصونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ ما يُؤْمَرونَ .

٢ـ الَّذي يَصْحَبُ قَوْماً يَدْخُلُ فِيهِمْ ويَكونُ مِنْهُمْ كما كانَ إبْليسُ مَعَ المَلائِكَةِ .

٣ـ ذَمُّ الكِبْرِ والحَسَدِ والغُرورِ ، والحَذَرُ مِمّا يَقودُ إليهِ مِنَ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ .

٤ـ عَدَمُ كِفايَةِ العَقلِ وَحْدَهُ في الحُكْمِ على الأَشْياءِ ، وَعَدَمُ الاحْتِكامِ إلى المَنْطِقِ الظاهِرِ في كُلِّ شَيْءٍ .

٥ـ للهِ حِكْمَةٌ في وُجودِ الصِّراعِ الدَّائِمِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ في الدُّنْيا .

٦ـ قَدْ يَسْتَجِيبُ اللهُ دُعاءَ الكافِرِ والمُتَمَرِّدِ على أَمْرِهِ لِحِكْمَةٍ يُريدُها اللهُ تَعالى .

٧ـ النَّاسُ جَميعاً يَعودونَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَلَمْ يَتَطَّورِ البَشَرُ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ القُرودِ والحَيواناتِ .

٨ـ قَدْ يُجيبُ اللهُ دُعاءَ الكافِرِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُها لا لِكَرامةِ ذَلِكَ الدَّاعِي .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نِسْبَةِ الرُّوحِ إلى اللهِ ؟

٢ـ مَتَى أَمَرَ اللهُ المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ ؟

٣ـ ما نَوْعُ الاسْتِثْناءِ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿إلاّ إبْليسَ﴾ ؟ وَلِماذا ؟

٤ـ ما السَّبَبُ الّذي مَنَعَ إبْليسَ مِنَ السُّجودِ لآدمَ ؟

٥ـ ما الجَزاءُ الّذي اسْتَحَقَّهُ إبْليسُ عَلى عِصْيانِ أَمْرِ رَبِّهِ ؟

٦ـ لِماذا طَلَبَ إبْليسُ الإمْهالَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ؟

٧ـ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى لِطَلَبِ إبْليسَ مِنْ جانِبٍ وَمَنَعَهُ ما يُريدُ مِنْ جانِبٍ آخَرَ ، وَضِّحْ ذَلِكَ ؟

٨ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ تَأخيرِ مَوْتِ إبْليسَ إلى النَّفْخَةِ الأُولَى ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ الكَهْفِ الّتي تُبَيِّنُ أَصْلَ إبْليسَ .

* * *

الدرس السابع والأربعون

سورةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

معاني المُفْردات :

لأُغْوِيَنَّهُمْ	: لأُوقِعَنَّهُمْ في الغِوايةِ والضَّلالِ .
المُخْلَصينَ	: المُخْتارِينَ لِطاعَتِكَ .
صراطٍ	: طريقٍ .
سُلطانٍ	: تَسَلُّطٍ وقُدْرَةٍ .
جُزْءٌ مَقْسومٌ	: فَريقٌ مُعَيَّنٌ .
غِلٍّ	: عَداوةٍ وَحِقْدٍ .
نَصَبٌ	: تَعَبٌ .

التفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ حَصَلَ إبْليسُ على ما يُريدُ مِنَ الإمْهالِ إلى يَوْمِ الدِّينِ ، أَعْلَنَ عَنْ هَدَفِهِ مِنْ طَلَبِ تَأْخيرِ مَوْتِهِ ، فقالَ كما أَخْبَرَنا اللهُ تعالى في قَوله :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ سُبْحانَهُ : يا رَبِّ بِسَبَبِ ما قَضَيْتَ عليَّ مِنَ الغِوايَةِ والضَّلالِ لأُزَيِّنَنَّ لِبَني آدمَ المَعاصِي والسَّيِّئاتِ بأَنْ أُحَسِّنَ القَبيحَ ، وأُزَيِّنَ لَهُمُ المُنْكَرَ وأُحَبِّبَ الشَّهَواتِ إلى نُفوسِهِمْ حَتّى يَتَّبِعوها ، وأَبْذُلُ جُهْدي لإِضْلالِهِمْ وإغْوائِهِمْ جَميعاً دونَ يَأْسٍ ولا فُتورٍ .

وقولُ إبْليسَ لِرَبِّهِ : ﴿بما أغْوَيْتَني﴾ يَدُلُّ على وَقاحَتِهِ وسُوءِ لَفْظِهِ ، فإنَّهُ هُوَ الَّذي اخْتارَ طريقَ الغِوايَةِ حينَ رَفَضَ السُّجودَ لآدَمَ .

وَحَدَّدَ إبْليسُ مَكانَ تَزْيينِهِ السَّيِّئاتِ لِبَني آدمَ وَهُوَ ﴿في الأَرْضِ﴾ لأَنَّهُ مَكانُ إقامَتِهِمْ ومُسْتَقَرِّهِم .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ .

أيْ إنَّ إضْلالي وتَزْييني يَشْمَلُ ذُرِّيَّةَ آدمَ كُلَّهِمْ إلاّ عِبادَكَ الَّذينَ اخْتَرْتَهُم لِطاعَتِكَ مِمَّنْ أَخْلَصَ لَكَ العَمَلَ وتَحَصَّنَ مِنَ الخَضوعِ لِدواعي الشَّرِّ والضَّلالِ والتَّأْثيرِ بِمُغْرياتِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ .

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ اسْتِثْناءَ المُخْلَصينَ مِنْ إغْوائِهِ : هذا الَّذي أَعْلَنْتَهُ مِنْ عَدَمِ قُدْرَتِكَ على إغْواءِ عبادي الصَّالِحينَ أَمْرٌ واضِحٌ ، وطريقٌ بَيِّنٌ أَجْعَلُهُ سُنَّةً ثابِتَةً أَزَلِيَّةً لا تَتَغَيَّرُ ولا تَتَبدَّلُ ، وهذا هُوَ الطَّريقُ المُوصِلُ إلى رَحْمَتي وَرِضْواني .

وهَذا تَفَضُّلٌ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، حِمايَةً لِعبادِهِ الصَّالِحينَ مِنْ إغْواءِ إبْليسَ .

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ .

هذهِ الآيةُ تَأْكيدٌ لِما سَبَقَ تَقْريرُهُ مِنْ حمايةِ اللهِ تَعالى لِلْمُخْلَصينَ مِنْ عِبادِهِ وأَنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطانِ عَلَيْهِم سُلطانٌ .

لَكِنْ مَنِ اتَّبَعَ إبْليسَ مِنَ الضَّالِينَ فإنَّهُ يَخْضَعُ لِسُلْطانِهِ وَيَتْبَعُهُ في تَزْيينِهِ . فالاسْتِثْناءُ في الآيةِ مُنْقطِعٌ لأنَّ الغاوينَ لَيْسوا مِنْ عبادِ اللهِ المُخْلَصينَ .

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وإنَّ نارَ جَهنَّمَ هِيَ المَكانُ الَّذي سَيَلْتَقي فيهِ إبْليسُ وأَتْباعُهُ الغاوونَ كأَنَّهُمْ على مَوْعِدٍ لِلِّقاءِ فيها ، وسَيَدْخُلونَها جَميعاً لا يَتَخَلَّفُ أحَدٌ مِنْهُمْ .

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ .

هذهِ النَّارُ الَّتي يَلْتَقي فيها إبْليسُ وأَتْباعُهُ لها سَبْعَةُ أبوابٍ ، كلُّ بابٍ مِنْها يُؤَدِّي إلى طَبَقةٍ مِنْ

طَبقاتِها ، وَسَيَدْخُلُ الغاوونَ إليْها مِنْ هذهِ الأبوابِ على حَسَبِ تَفاوُتِهِمْ في الغِوايَةِ ، فَلِكُلِّ طَبَقَةٍ في جَهنَّمَ فَريقٌ مَعلومٌ وقِسْمٌ مِنَ الغاوينَ فَيَدْخُلُ كُلٌّ منْهُم في الطَّبَقَةِ الَّتي تُناسِبُ عَمَلَهُ .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ بيانِ سُوءِ مآلِ الغاوينَ تُبيِّنُ هذهِ الآياتُ حُسْنَ عاقبةِ المُخْلَصينَ ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّ المُتَّقينَ الَّذينَ أَطاعوا أمْرَ رَبِّهِم سَيَدْخُلونَ يَوْمَ القيامةِ جَنّاتٍ ذاتَ نَعيمٍ مُقيمٍ ، وفيها العُيونُ واليَنابيعُ الَّتي تَجْري مِياهُها بَيْنَ أَشْجارِ الجَنَّةِ ومَساكِنِها .

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

تَسْتَقْبِلُهُمُ المَلائِكَةُ عِنْدَ أَبوابِ الجَنَّةِ تُحَيِّيهِمْ وَتُخاطِبُهُمْ بِعباراتٍ رَقيقةٍ ، تَدْعوهُمْ فيها إلى دُخولِ الجَنَّةِ سالِمينَ مِنْ جَميعِ الآفاتِ ، آمِنينَ مِنَ المَوْتِ وَمِنْ زوالِ هذا النَّعيمِ .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنونَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ ويَكونُ مِنْ تَكريمِ اللهِ لَهُمْ أَنَّ اللهَ تَعالى أَخْرَجَ ما في صُدورِهِمْ مِنْ حِقْدٍ وَعَداوةٍ كانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنْيا ، فَهُم في الجَنَّةِ إخوانٌ مُتَحابّونَ ، يَجْلِسونَ على الأَسِرَّةِ مُتَقابِلينَ ، فلا تَدابُرَ بَيْنَهُمْ ولا شَحْناءَ ولا ضَغينةَ ولا عَداوَةَ ، وهذا غايةُ ما يُتَمنى ويُرْغَبُ أنْ يَكونَ عَلَيْهِ الحالُ بَيْنَ المُتَجاوِرينَ والمُتَعامِلينَ فيما بَيْنَهُم .

وَيُلْحَظُ ما في لَفْظِ (نَزَعْنا) مِنْ إشارةٍ إلى تَمَكُّنِ الغِلِّ في النُّفوسِ والصُّدورِ حَتّى إنّه يُنْزَعُ مِنْها نَزْعاً ويُقْتَلَعُ اقْتِلاعاً .

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

ومِنْ تَكْريمِ اللهِ تَعالى لَهُمْ أَنَّهُ لا يُصيبُهُمْ فيها أيُّ تَعَبٍ ، فكلُّ ما يرغبُ فيهِ أَحَدُهُم يَحْصُلُ لَهُ بمجرد رَغْبَتِهِ فيهِ ، وقدْ دَنَتْ لَهُمُ الأغْصانُ وذُلِّلَتْ واقْتَرَبَتْ مِنْهُم الثِّمارُ كما يَشْتَهونَ ، وَلَيْسوا بِخارِجينَ مِنَ الجَنَّةِ فإنَّها دارُ الخُلودِ والإقامَةِ الدّائِمَةِ الَّتي لا تَنْقَطِعُ أبداً . جَعَلنا اللهُ تعالى مِنْ أَهْلِها .

دُروسٌ وَعِبَرٌ

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنَّ العَداوةَ بَيْنَ إبْليسَ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَيْنَ بَني آدَمَ مُسْتَمِرَّةٌ دائِمَةٌ إلى قيامِ السَّاعَةِ .

٢ـ إنَّ المُخْلَصينَ مِنْ عِبادِ اللهِ في مَأْمَنٍ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطانِ وإغْوائِهِ .

٣ـ العذابُ في جَهَنَّمَ مُتَفاوِتٌ في نَوْعِهِ وَمِقْدارِهِ ، حَسَبَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ في الدُّنْيا .

٤ـ لا يُوجَدُ في الجَنَّةِ خَوْفٌ ، ولا حِقْدٌ ولا تَعَبٌ ، إنَّما سَلامٌ وَحُبٌّ وراحَةٌ وخُلودٌ .

٥ـ تَفَضُّلُ اللهِ تَعالى على عِبادِهِ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطانِ وإغْوائِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا الْتَزَمَ إبليسُ ؟ وبماذا أَكَّدَ الْتِزامَهُ هَذا ؟

٢ـ زَعَمَ إبْليسُ أنَّ اللهَ تَعالى قَضَى عَلَيْهِ بالغِوايَةِ . ما رَدُّكَ على هذا الادِّعاءِ الشَّيْطانِيِّ ؟

٣ـ لِماذا اسْتَثْنى إبْليسُ العِبادَ المُخْلَصينَ مِنَ الإغْواءِ والضَّلالِ ؟

٤ـ ما العاقِبةُ الَّتي تَنْتَظِرُ الشَّيْطانَ وأَتْباعَهُ ؟

٥ـ اذْكُرْ أَصْنافَ نَعيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ المَذكورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٦ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أ ـ قالَ هذا صِراطٌ عَليَّ مُسْتَقيمٌ .

ب ـ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسومٌ .

ج ـ وَنَزَعْنا ما في صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ .

د ـ لا يَمَسُّهُمْ فيها نَصَبٌ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي سَعيدِ الخُدْريِّ وابي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالا : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ « إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنَّةَ يُنادي مُنادٍ : إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحيَوْا فلا تَموتوا أَبَداً ، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحّوا فلا تَسْقَموا أَبَداً وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشبُّوا فَلاَ تَهْرَموا أَبَداً وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعُموا فَلا تَبْأَسوا أَبَداً »[١] .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورَةِ النَّحْلِ الدَّالَّةَ على تَسلُّطِ الشَّيْطانِ على أعْوانِهِ وَعَدمِ تَسلُّطِهِ على المُؤْمنينَ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها باب في دوام نعيم أهل الجنة رقم الحديث (٧٠٨٦) .

الدرس الثامن والأربعون

سورة الحجر - القسم السادس

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَبِّىءْ : خَبِّرْ وبَلِّغْ .

وَجِلونَ : خائِفونَ .

القانِطينَ : اليائِسينَ .

فَما خَطْبُكُمْ : فما شَأْنُكُمُ الخطيرُ .

قَدَّرْنا : قَضَيْنا .

الغابِرينَ : الباقينَ في العَذابِ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخبارُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ الواسِعَةِ ، وقِصَّةُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ المَلائِكَةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) ﴾ .

أيْ : أخبِرْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ عِبادِيَ المُؤْمِنينَ بي أنّي أنا الغفورُ ، الكَثيرُ المَغْفِرَةِ لِذُنوبِهِمْ ، الواسِعُ الرَّحْمَةِ لِمُسيئِهِمْ .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) ﴾

ونَبِّئْهُمْ كَذلكَ أَنَّ عذابي هُوَ العَذابُ الشَّديدُ الأليمُ البالِغُ الغايَةِ في الشِّدَّةِ والإِيلامِ .

وفي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الإخْبارُ بِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ ، وبِعَذابِهِ الأليمِ ، جَمَعَ اللهُ تَعالى بَيْنَ الوَعْدِ والوَعيدِ ، والتَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ . وفي تَقْديمِ الرَّحْمَةِ على العذابِ طَمْأَنَةٌ لِلْمُومِنينَ ، فَرَحْمَةُ اللهِ تَسْبِقُ عَذابَهُ ، وفي تأْكيدِ الرَّحْمَةِ أَكْثَرَ مِنَ العذابِ باسْتِخْدامِ (أَنّي) وَ(أنا) وفي المُقابِلِ لَمْ يَقُلْ : وأَنا المُعَذِّبُ ، طَمْأَنَةٌ كذلكَ ، وفي الآيَتَيْنِ تَشْريفٌ لِلْعِبادِ حَيْثُ نَسَبَهُمُ اللهُ تَعالى لِنَفْسِهِ ، وأَمَرَ رَسولَهُ ﷺ أنْ يُبَلِّغَهُمْ هذا المَعْنى لِيَعْرِفوهُ ويَعْمَلوا بِناءً عَلَيْهِ ، ويَجْمعوا بَيْنَ الرَّجاءِ والخَوْفِ دُونَ مُبالَغَةٍ في أَحَدِهِما على حِسابِ الآخَرِ .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) ﴾ .

أَيْ : وأَخبِرْ أيُّها الرَّسولُ أُمَّتَكَ عَنْ ضَيْفِ إبْراهِيمَ وهُمْ رُسُلٌ مِنَ المَلائِكَةِ جاءوا إليْهِ على هَيْئَةِ بَشَرٍ .

ولَفْظُ الضَّيْفِ يُسْتَخْدَمُ لِلواحِدِ ولِلْجَمْعِ ، وأَصْلُهُ مِنَ المَيْلِ ، فالضَّيْفُ مَنْ مالَ إليْكَ نازِلاً عِنْدَكَ .

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) ﴾ .

واذْكُرْ وَقْتَ دُخولِهِمْ على إبْراهيمَ ، فَقالوا لَهُ على سَبيلِ التَّحِيَّةِ : سلاماً ، قالَ إبْراهيمُ عليْهِ السَّلامُ بَعْدَ أنْ رَدَّ على تَحِيَّتِهِمْ : إنَّا مِنْكُم خائِفونَ . وَوَجْهُ الخَوْفِ مِنْهُم دُخولُهُمْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ سابِقَةٍ لَهُمْ ، وأَنَّهُ قَدَّمَ لَهُمُ الطعامَ فَلَمْ يَأْكُلوا مِنْهُ ، كما جاءَ في سُورةِ هُودٍ : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود : ٧٠] . والتَّعْبيرُ عَنْ حُصولِ الخَوْفِ بِصيغَةِ الجَمْعِ لِبيانِ أنَّ الخَوْفَ اعْتَراهُ وأَهْلَهُ كَذلِكَ .

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) ﴾ .

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ : لا تَخَفْ مِنّا ، فإنّا جِئْنا إليْكَ لِنُدْخِلَ السُّرورَ على قَلْبِكَ ونُبَشِّرَكَ بابنٍ يَهَبُهُ اللهُ لكَ وسَيَكونُ ذَلِكَ الابنُ ذا عِلْمٍ غَزيرٍ ، والمَقْصودُ بالبِشارَةِ إسْحاقُ عَلَيْهِ

السَّلامُ ، وقَدْ وَرَدَ التَّصْريحُ بهِ في آيةٍ أُخْرى : قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] فالبِشارَةُ بهذا الخَبَرِ السَّارِّ حَصَلَتْ لإبراهيمَ ولامْرَأَتِهِ .

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ .

قالَ إبْراهيمُ لِلْملائِكَةِ مُتَعَجِّباً مِمّا بَشْروهُ بهِ : كَيْفَ تُبَشِّرونَني أَنْ يُولَدَ لي وَلَدٌ مَعَ تَقَدُّمِ سِنِّي ، فبأَيِّ أَمْرٍ عَجيبٍ تُبَشِّرونَني ؟ قالَ ذَلِكَ تَعَجُّباً واسْتِبْعاداً لِما بَشَّروهُ به .

﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ .

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ : بَشَّرْناكَ بِشَيْءٍ مُحَقَّقٍ لا لُبْسَ فيهِ ولا رَيْبَ فلا تَكُنْ مِنَ اليائِسينَ مِنْ حُصولِ أَمْرٍ أرادَهُ اللهُ تَعالى ، واللهُ تَعالى قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ .

قالَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ : إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إلاَّ الخاطِئونَ ، الَّذينَ لَمْ يَعْرِفوا الحَقَّ وَلَمْ يَعْلَموا سَعَةَ عِلْمِ اللهِ تَعالى وَرَحْمَتِهِ .

أرادَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهذا نَفْيَ حُصولِ اليَأْسِ عِنْدَهُ ، وأَنَّهُ إنَّما اسْتَبْعَدَ ما بَشَّرَ بهِ حينَ فُوجِىءَ بالبِشارَةِ ، وإلاَّ فَهُوَ على يَقينٍ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ على ما أرادَ .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ .

بَعْدَ أَنِ اسْتَأْنَسَ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِهِمْ سَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ مَجيئِهِمْ ، وكأَنَّهُ أَدْرَكَ بِفِراسَتِهِ أَنَّ لِمَجيئِهِمْ أمراً آخَرَ ذا شَأْنٍ فقالَ لَهُمْ : ما الشَّأْنُ الخَطيرُ والأَمْرُ العَظيمُ الَّذي جِئْتُمْ مِنْ أَجْلِهِ ؟

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ .

قالَ المَلائِكَةُ لإبْراهيمَ : إنَّ اللهَ تَعالى أَرْسَلَنا إلى قَوْمٍ اشْتَهَروا بالإجْرامِ وعُرِفوا بِهِ لِنُهْلِكَهُمْ ونُدَمِّرَ مَدينَتَهُم ، وَهُمْ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

إلاَّ أَنَّ لوطاً ومَنِ اتَّبَعَهُ وآمَنَ مَعَهُ غَيْرُ مَشْمولينَ بالعَذابِ والهَلاكِ ، فَهؤلاءِ سَنُنْجيهِمْ جَميعاً .

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ .

إلاَّ امرأةَ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فإنَّها لَيْسَتْ مِمَّنْ سَنُنَجّيهِ مِنَ العذابِ ، وقَدْ قَضَينا أَنْ تَهْلِكَ مَعَ الهالِكينَ ، وأَنْ تَبْقى مَعَ المُعَذَّبينَ . وذلكَ لأَنَّها لم تَكُنْ مِمَّنِ اتَّبَعَ لُوطاً وآمَنَ بهِ فاسْتَحَقَّتِ العَذابَ والهَلاكَ .

وأَسْنَدَ المَلائِكَةُ القَضاءَ لأَنْفُسِهِمْ لأَنَّهُمُ المُنَفِّذونَ لَهُ القائِمونَ بِهِ . وفي الحقيقة أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ، وما المَلائِكَةُ إلاّ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللهِ يُنَفِّذونَ أوامِرَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ على الدُّعاةِ تَعْريفُ العِبادِ باللهِ وَصِفاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ .

٢ـ التَّعْريفُ بالرُّسُلِ وأَخْبارِهِم ، وَقَصَصِهِمْ مَنْهَجٌ أَصيلٌ .

٣ـ قُدْرَةُ الملائِكَةِ على التَشَكُّلِ في صُورَةِ بَشَرٍ كما فَعَلوا عِنْدَما جاءوا إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ ضَرورَةُ الجَمْعِ بَيْنَ الرَّجاءِ والخَوْفِ ، والعِلْمُ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ .

٥ـ اسْتِحْبابُ التَبْشيرِ بالأَمْرِ الحَسَنِ لإِدْخالِ السُّرورِ على قَلْبِ المُؤْمِنِ .

٦ـ المُؤْمِنُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى .

٧ـ لا يَنْفَعُ الإنْسانَ قَرابَةٌ ولا نَسَبٌ إنَّما تَنْفَعُهُ أَعْمالُهُ الصَّالِحَةُ التَّي بِها يَرْحَمُهُ اللهُ .

٨ـ الإِسْراعُ بِتَوْصيلِ الأَخْبار السارَّةِ ، والتَّلَطُّفُ في تَبْليغِ الأَخْبارِ السَّيِّئَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأُمورَ الّتي تُفيدُ سَبْقَ رَحْمَةِ اللهِ لِغَضَبِهِ مِنْ خِلالِ ما وَرَدَ في الآيتَيْنِ ٤٩ و٥٠ .

٢ـ ما سَبَبُ خَوْفِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ضُيوفِهِ ؟

٣ـ بِماذا بَشَّرَ المَلائِكَةُ إبْراهيمَ ؟ وما سَبَبُ اسْتِغْرابِهِ ؟

٤ـ مَنِ القَوْمُ الّذينَ أُرْسِلَ المَلائِكَةُ لإِهْلاكِهِمْ ؟ ومَنِ الّذينَ سَيَنْجونَ مِنَ العَذابِ ؟

٥ـ ما سَبَبُ اسْتِثْناءِ امْرَأَةِ لُوطٍ مِنَ النَّجاةِ مَعَ النَّاجينَ ، وما العِبْرَةُ في ذَلِكَ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ أَهَمِّيَةَ الرَّجاءِ والخَوْفِ في حياةِ المُؤْمِنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ نَبيٍّ وَهَبَهُ ربُّهُ وَلَداً وهو كَبيرٌ وامْرَأَتُهُ كانتْ لا تَلِدُ ، واكْتُبْ كذلكَ اسْمَ هذا المَوْلودَ النَّبِيِّ .

٣ـ ارْجِعْ إلى سُورَةِ هُودٍ ، وتَدَبَّرِ الآياتِ الّتي بيَّنَتْ خَبَرَ المَلائِكَةِ مَعَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وقارِنْ بَيْنَها وَبَيْنَ آياتِ الدَّرْسِ ، وبَيِّنْ ماذا أَفَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، ودوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدرس التاسع والأربعون

سورة الحِجْرِ - القِسْمُ السابِعُ

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

معاني المُفْرَدات :

مُنْكَرونَ	: مَجْهولونَ غَيْرُ مَعْروفينَ .
يَمْتَرونَ	: يَشُكّونَ .
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ	: سِرْ بِهِمْ لَيْلاً .
بِقِطْعٍ	: بِجُزْءٍ .
قَضَينا إليْهِ	: أوْحَيْنا إليْهِ .
دابرَ هؤلاءِ	: آخِرَهُمْ .
مُصْبِحينَ	: داخِلينَ في الصَّباحِ .
ولا تُخْزون	: ولا تُهينوني .
لعَمْرُكَ	: قَسَمٌ مِنَ اللهِ بِحياةِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ .
سَكْرَتِهِمْ	: ضَلالَتِهِمْ .
يَعْمَهونَ	: يَتَرَدَّدونَ .



في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإِخْبارُ عَمَّا حَصَل بَيْنَ لوطٍ والمَلائِكَةِ الكِرامِ ، قالَ اللهُ تَعالى .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ خَرَجَ المَلائِكَةُ مِنْ عِنْدِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ اتَّجَهوا إلى المَدينةِ الّتي يَسْكُنُها لُوطٌ عَلَيْهِ السلامُ وقَوْمُه ، ونَزَلوا ضُيوفاً عَلَيْهِ .

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

قالَ لوطٌ لِلْمَلائِكَةِ : إنَّكُمْ غَيْرُ مَعْروفينَ لَديَّ ، فَمَنْ أنْتُمْ ؟ ولماذا حَضَرْتُمْ ، وإنَّما قالَ لَهُمْ ذَلِكَ لِما خَشِيَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ قَوْمِهِ ، فإنَّهُم إنْ عَلِموا بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ سَيَحْضرونَ لِلاعْتِداءِ عَلِيهِمْ وَيَخْشى أنْ لا يَسْتَطيعَ الدِّفاعَ عَنْهُم وَحِمايَتَهُمْ .

﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

قالَ المَلائِكَةُ لِلوطٍ : ما جِئناكَ بما يَسُوؤُكَ ، بَلْ جِئناكَ بالأَمْرِ الّذي يَشُكُّ فيهِ قَوْمُكَ وهُوَ إيقاعُ العَذابِ الشَّديدِ الَّذي كُنْتَ تَتهدَّدَهُمْ بهِ .

﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

هذا تَأْكيدٌ لِكلامِهِمُ السابقِ حَيْثُ قالوا لَهُ : وأَتيناكَ بالأَمْرِ المُتَيَقَّنِ حُصولُهُ دُونَ رَيْبٍ ، ونَحْنُ صادِقونَ فيما نَقولُهُ لَكَ مِنْ إرادةِ إنْزالِ العَذابِ بِقَوْمِكَ ، لأَنَّهُ أَمْرُ اللهِ تَعالى الّذي لابُدَّ وأَنْ يَقعَ .

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أَخْبَرَتِ المَلائِكَةُ لُوطاً عَلَيْهِ السَّلامُ بِمُهِمَّتِهِمْ وهِيَ إهْلاكُ قَوْمِهِ ، أَخْبَروُه بما يَنْبَغي عَلَيْهِ فِعْلُهُ لِيَنْجُوَ مِنَ العَذابِ فقالوا لَهُ : اخْرُجْ أنْتَ ومَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِكَ وَقَوْمِكَ بَعْدَ أنْ يَمْضِيَ جُزْءٌ مِنَ اللّيلِ ، وأَمَروهُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَهْلَهُ أمامَهُ ويَسيرَ خَلْفَهُمْ لِيَعْرِفَ أحْوالَهُمْ ويَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ ، ولا يَنْظُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ خَلْفَه حتَّى لا يَرى مَشْهَدَ العذابِ الهائِلِ المُخيفِ الّذي سَيَنْزِلُ بالمُجْرِمينَ ، خَشْيَةَ أَنْ يُصيبَهُ ما أصابَهُمْ ، وَسيروا إلى الجِهَةِ الّتي أمَرَكُمُ اللهُ بالمَسيرِ إليْها دونَ تَأَخُّرٍ ولا تَباطُؤٍ .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

أيْ : وأوْحينا إلى لُوطٍ ذلكَ الأمْرَ ، وهُوَ أنَّ قَوْمَهُ سَيُهْلَكونَ جَميعاً وسَيَنْتَهي أمْرُهُمْ ، وَسَيُقْضى عَلَيْهِمْ مَعَ دُخولِ وَقْتِ الصَّباحِ فلا يَبْقى مِنْهُم أَحَدٌ .

وفي إبهامِ الأمْرِ أوّلاً ثُمَّ إيضاحُهُ دِلالةٌ على شِدَّةِ العذابِ وعَظَمتِهِ وقُوَّتِهِ .

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

لمَّا سَمِعَ قومُ لُوطٍ بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ جاءوا إلى بَيْتِهِ ، يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بوجودِ هَؤلاءِ الضُّيوفِ ، فَقَدْ كانَ من عادةِ قَوْمِ لُوطٍ أنَّهُمْ يَعْتَدونَ على الغُرَباءِ بالفاحِشَةِ ، وهي فِعْلَةُ قَوْمِ لُوطٍ القبيحةُ : إتيانُ الرِّجالِ .

وَتُشيرُ الآيةُ الكَريمةُ إلى ما أصابَ نُفوسَ القَوْمِ مِنْ انْحِرافٍ وَشُذوذٍ ، حَيْثُ يأْتونَ جَميعاً فَرِحينَ دونَ إبْطاءٍ ، مُعْلِنينَ عَنْ غايَتِهِمُ الشَّنيعةِ دونَ حَياءٍ .

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

قالَ لُوطٌ عليْهِ السَّلامُ لِمَنْ جاءوا مِنْ قَوْمِهِ إلى بَيْتِهِ لارْتكابِ الفاحِشَةِ مَعَ ضُيوفِهِ : إنَّ هؤلاءِ المُوجودينَ عِنْدي ضُيوفِي الّذين يَلْزَمُني حِمايَتُهُمْ وحِفْظُهُمْ فلا تَفْضَحوني أمامَهُمْ بِفْعْلِكُمُ المُشينِ ومَطْلَبِكِمُ السَّيِّي .

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وخافوا مِنْ عَذابِ رَبِّكُمْ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ ، ولا تُهينوني بإهانةِ ضُيوفي والتَّعَرُّضِ لَهُمْ بالسُّوءِ والفاحِشَةِ .

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

قالَ الحاضِرونَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ لَهُ بَعْدَ أَنْ نَصَحَهُمْ فَلَمْ يُؤَثِّر نُصْحُهُ فيهِمْ : أَوَلَمْ يَسْبِقْ لنا أنَّا نَهيناكَ عَنِ اسْتِضافَةِ أَحَدٍ ؟ وحَذَّرناكَ مِنْ مَنْعِنا مِنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ مَعَ مَنْ نَشاءُ ؟

وهذا الكلامُ مِنْهُمْ يَدُلُّ على مَدى وَقاحَتِهِمْ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهو النَّبيُّ الكَريمُ الَّذي أرْسَلَهُ اللهُ إليْهِم لِهِدايَتِهِمْ وتَطْهيرِهِمْ مِنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ وإبْعادِهِمْ عَنْها ، وهُمْ مَعَ باطِلِهِمْ وضَلالِهِمْ يَنْهَوْنَهُ عنِ الحَقِّ وعَنِ الأَمْرِ بِالمَعْروفِ بغايةِ الوَقاحَةِ والعِنادِ على فِعْلِ المُنْكَرِ ، فيا لَهُ مِنْ مَنْطِقٍ مُنْحَرِفٍ وتَفْكيرٍ غيرِ سَوِيٍّ .

﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

حاولَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ صَرْفَ قَوْمِهِ عَنْ ضُيوفِهِ بطريقةٍ أُخْرَى ، إذْ لَمْ يَنْفَعْ مَعَهُمْ وَعْظُهُ السَّابِقُ ، فقالَ لَهُمْ : هؤلاءِ نِساؤُكُمُ اللّاتِي هُنَّ بِمنزلَةِ بَناتي فَتَزوجوهُنَّ واقْضوا مَعَهُنَّ شَهْوَتَكُمْ ، وابْتَعِدوا عنِ الحرامِ والفاحِشَةِ إنْ كُنْتُمْ تُريدونَ قَضاءَ شَهْوَتَكُمْ على الوَجْهِ المَشْروعِ الصَّحيحِ .

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَهَذا قَسَمٌ بِحَياتِهِ ﷺ ، ولَمْ يُقْسِمْ سُبْحانَهُ بِحياةِ أَحَدٍ سِواهُ ، على أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ كانوا في ذَلِكَ الوَقْتِ الَّذي جادلوا فيهِ نَبِيَّهُمْ في نَشْوَةٍ عارمَةٍ كحالِ السَّكْرانِ ، الَّذي فَقَدَ قُواهُ العَقْلِيَّةَ وأَخَذَتْهُ نَشْوَةُ السُّكْرِ حالَ كَوْنِهِ ضالاً حائِراً لاعِباً ، وهذا وَصْفٌ لِلْحالِ الّذي كانوا عَلَيْها عِنْدَما أَخَذَهُمُ العَذابُ واسْتَأْصَلَهُمْ ، شَأْنُهُمْ في ذَلِكَ شَأْنُ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ المُكَذِّبينَ كَقَوْمِ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ وغَيْرِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على كَبيرِ القَوْمِ أَنْ يَسيرَ خَلْفَهُمْ لِتَفَقُّدِ أَحْوالِهِمْ والاطْمِئنانِ عَلَيْهِم ، أَوْ أَنْ يُكَلِّفَ بِمَنْ يَقومُ بِهذِهِ المُهِمَّةِ .

٢ـ قُبْحُ فِعْلِ قَوْمِ لوطٍ ، وهُو إِتْيانُ الرِّجالِ شَهْوَةً ، وهُو جَريمَةٌ مُنْكَرَةٌ ، وَفِعْلٌ مُخالِفٌ لِلْفِطْرَةِ الإنْسانِيَّةِ .

٣ـ الوَقاحَةُ في مَنْعِ الدَّاعِي إلى الخَيْرِ مِنْ أداءِ رِسالَتِهِ وَعَدمِ تَمْكينِهِ مِنْ تَبْليغِ النُّصْحِ والخَيْرِ .

٤ـ عَظيمُ مَنْزِلَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ اللهِ ، فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحانَهُ بِحَياةِ نَبِيِّهِ ﷺ تَكْريماً لَهُ وَرَفْعاً لِمَنْزِلَتِهِ السامِيَةِ .

التَّقْويمُ :

١ـ لِماذا واجَه لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ضَيْفَهُ بِقَوْلِهِ ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرونَ﴾ ؟

٢ـ اذْكُرْ ما قالَهُ ضُيوفُ لوطٍ لَهُ حَوْلَ سَبَبِ حَضورِهِمْ إِلَيْهِ ، وماذا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ ؟

٣ـ لماذا جاءَ أَهْلُ المَدينَةِ إلى مَنْزِلِ لوطٍ بَعْدَ أَنْ عَلِموا بِوُجودِ الضُّيوفِ عِنْدَهُ ؟

٤ـ اذْكُرْ ما قالَهُ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ لِدَفْعِهِمْ عَنْ فِعْلِ الفاحِشَةِ ؟

٥ـ على أَيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ حَلْفُ اللهِ تَعالى بِحياةِ رَسولِهِ ﷺ ؟

٦ـ هل يَجوزُ لِلْبَشَرِ أَنْ يُقْسِموا بِغَيْرِ اللهِ تَعالى ؟ وَلِماذا ؟

٧ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمّا يلي :

أ ـ قالوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانوا فيهِ يَمْتَرونَ .

ب ـ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ .

ج ـ واتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ .

د ـ وَقَضَيْنا إليهِ ذَلِكَ الأَمْرَ .

هـ ـ قالوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العالَمينَ .

و ـ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ في سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهونَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثةً مِنَ الأَضْرارِ النَّاجِمَةِ عَنِ انْتِشارِ اللِّواطِ في المُجْتَمَعِ .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً نَبوِيّاً شَريفاً يَنْهَى المُؤْمِنَ عَنِ الحَلْفِ بِغَيْرِ اللهِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخَمسونَ

سورةُ الحِجْرِ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الصَّيْحَةُ : الصوتُ الشّديدُ .

مُشْرِقينَ : داخِلينَ في وَقْتِ شُروقِ الشّمْسِ .

سِجّيلٍ : طينٍ مُتَحَجِّرٍ .

لِلْمُتَوسِّمينَ : لأَصْحابِ الفِراسَةِ ، وهِيَ مَعْرِفَةُ حَقيقةِ الشّيْءِ مِنْ علاماتِهِ .

لِبَسبيلٍ مُقيمٍ : لَفي طَريقٍ بَيِّنٍ واضِحٍ .

الأيكةِ : البُستانِ كَثيفِ الأشْجارِ .

لَبِإمامٍ مُبينٍ : لَفي طَريقٍ بَيِّنٍ واضِحٍ .

الحِجْرِ : دِيارِ ثَمودَ .

مُصْبِحينَ : داخِلينَ في الصَّباحِ .



التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لِما يَلْحَقُ الكافِرينَ المُكَذِّبينَ مِنَ العَذابِ في الدُّنْيا ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

أيْ : بَعْدَ أَنْ خَرَجَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلامُ والمُؤْمِنونَ مِنَ المَدينةِ ، وحانَ وَقْتُ إِهْلاكِ أَهْلِ المَدينةِ الكافِرينَ ، أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ العَذابِ ، وهِيَ صَيْحَةٌ مُهْلِكَةٌ مُدَمِّرَةٌ وكانَ ذَلِكَ عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ .

﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ دَمَّرَتِ الصَّيْحَةُ مَدينَتَهُمْ ، جَعَلَ اللهُ تَعالى عاليَ هذهِ المَدينةِ سافِلَها بِأَنْ قَلَبَها ، فَقَدْ رَفَعَها أحدُ المَلائِكَةِ عَنْ مَوْضِعِها مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ أَلْقاها مَرَّةً أُخْرى ، كَما جاءَ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النجم : ٥٣] وأَرْسَلَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم طِيناً مُتَحَجِّراً كالمَطَرِ المُتَتابِعِ زِيادَةً في عَذابِهِمْ وإِتْماماً لِهَلاكِهِم فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم أَحَدٌ وأُهْلِكوا جَميعاً .

وفي إهْلاكِهِمْ بِهذِهِ الطَّريقَةِ إشارةٌ إلى انْقِلابِ فِطَرِهِمْ ، فَهُمْ يُريدونَ الأُمورَ السَّيِّئةَ حَسَنَةً ، وَيُريدونَ الشُّذوذَ صَواباً ، فاسْتَحَقّوا التَّعْذيبَ بِقَلْبِ مَدينَتِهِمْ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ ذَلِكَ العَذابَ الَّذي دَمَّرَ قَوْمَ لُوطٍ لَعلاماتٍ بَيِّنَةٍ واضِحَةٍ على أَخْذِ اللهِ تعالى لِلْمُكَذِّبينَ المُنْحَرِفينَ عَنِ الفِطْرَةِ والصَّوابِ ، يَرى هَذهِ العَلاماتِ وَيَنْتَفِعُ بها أَهْلُ الفِطْنَةِ والفِراسَةِ ، الَّذينَ يُدْرِكونَ الأُمورَ بِعلاماتِها وبالإشاراتِ الدَّالَّةِ عَلَيْها . وفي الآيةِ امْتِداحٌ لأَهْلِ الفِطْنَةِ والذَّكاءِ والاسْتِدْلالِ على الأُمورِ بِمُقَدِّماتِها ، وَيَدُلُّ ذلكَ على ذَمِّ الَّذينَ يَرَوْنَ الآياتِ فلا يَعْتَبِرونَ بِها ولا يَتَفكَّرونَ فِيها ولا يَنْتَفِعونَ مِنْها .

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

أيْ : وإِنَّ مَدينةَ قَوْمِ لُوطٍ تَقَعُ في طَريقٍ واضِحٍ ظاهِرٍ يَسْلُكُهُ النَّاسُ في أَسْفارِهِمْ ، وَيَجْتازونَهُ ويَمُرّونَ بالقُرْبِ مِنْها ، كما قالَ تعالى ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات : ١٣٧ـ١٣٨] وذَلِكَ لِوُقوعِها في الطَّريقِ بَيْنَ مَكَّةَ والشَّامِ ، في الجِهَةِ الجَنوبيةِ مِنَ المَكانِ المَعْروفِ قديماً باسْمِ : بُحَيْرةِ لُوطٍ ، والمَعْروفِ حالياً باسْمِ : البَحْرِ المَيِّتِ . فَلْيَعْتَبِرِ المارّونَ مِنْ

هذا السَّبيلِ بما حَصلَ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ عَذابٍ وهَلاكٍ وَلْيَبْتَعِدوا عَنْ أسْبابِهِ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ فيما ذُكِرَ مِنْ قِصَّةِ قَوْمِ لُوطٍ لآيةً عَظيمةً لِلْمُؤْمِنينَ الَّذينَ يَعْتَبِرونَ بِمَنْ سَبَقَهُمْ ، ويَعْلَمونَ أنَّ حُسْنَ العاقِبَةِ لِلْمُتَّقينَ ، وأنَّ سُوءَ العذابِ لِلْمُكَذِّبينَ الكافِرينَ .

وتَخْصيصُ المُؤْمِنينَ بالذِّكْرِ لأنَّهُمْ هُمُ الّذينَ يَنْتَفِعونَ بالآياتِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وإفرادُ لَفْظِ الآيةِ هُنا بَعْدَ جَمْعِهِ في الآيةِ قَبْلَ السَّابِقَةِ لِلإشارَةِ إلى فَضْلِ الإيمانِ ، وأنَّ المُؤْمِنَ تَكْفيهِ آيةٌ واحِدَةٌ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ جانِباً مِنْ قِصَّةِ أصْحابِ الأَيْكَةِ ، فَقالَ :

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

أيْ : وإنَّ الحالَ والشَّأْنَ أنَّ أصْحابَ الأيْكَةِ ـ وهِيَ البُسْتانُ ـ وهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ كانوا ظالِمينَ لأَنْفُسِهِمْ بِعَدَمِ الإيمانِ باللهِ ، وَظالِمينَ لِغَيْرِهِمْ بِتَطْفيفِ المِكْيالِ والمِيزانِ .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

فَأَهْلَكناهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِم ، وكانَ إهْلاكُهُمْ كما جاءَ في آياتٍ أُخْرى : بالرَّجْفَةِ وبِعذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ مكانَ أصْحابِ الأيْكَةِ مِثْلُ مَكانِ قَوْمِ لُوطٍ يَقَعُ في الطَّريقِ البَيِّنِ الواضِحِ الَّذي يَسْلُكُهُ أَهْلُ مَكَّةَ في طريقِهِمْ إلى الشَّامِ .

فَقَوْمُ شُعَيْبٍ قَريبونَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ في الزَّمانِ وفي المَكانِ ، وَلِذا جَمَعَ بَيْنَهُما سُبْحانَهُ في هذه الآيةِ ، ويَدُلُّ على ذَلِكَ قَولُ شُعَيْبٍ لِقَوْمِه : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [هود : ٨٩] وتَقَعُ مَساكِنُ قَوْمِ شُعَيْبٍ في مَنْطِقَةِ شَرْقَ خَليجِ العَقَبةِ وشَمالَ الحِجازِ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ جانِباً مِنْ قِصَّةِ ثَمودَ فَقالَ :

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ ثَمودَ رَسولَهُمْ صالِحاً عَلَيْهِ السَّلامُ فكانوا بِتَكْذيبِهِمْ لَهُ كَأَنَّهُمْ كَذَّبوا جَميعَ المُرْسَلينَ ، لأنَّ رِسالَتَهُمْ واحِدَةٌ وهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ وَعِبادَتِهِ وَتَرْكِ الأَفْعالِ السَّيِّئَةِ .

والحِجْرُ : وادٍ بَيْنَ المَدينةِ المُنَوَّرَةِ والشَّام كانَ قَوْمُ ثَمودٍ يَسْكُنونَ فيهِ ، وما يَزالُ يُسَمَّى إلى الآنَ بِمدائِنِ صالحٍ ، ويَقَعُ على بُعْدِ نَحْوِ عِشرينَ كيلو متراً شَمالَ مَدينةِ خَيْبَر .

﴿ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وأظْهَرْنا لَهُمْ آياتِنا العَظيمةَ الدَّالَّةَ على صِدْقِ نَبِيِّهِمْ صالحٍ في دَعْوَتِهِ ولَكِنَّهُم أعْرَضوا عَنْ هَذهِ الآياتِ إعْراضاً كُلِيّاً ولَمْ يَنْتَفِعوا بها .

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

بَلَغَ قَوْمُ صالحٍ مِنَ القُوَّةِ والمَهارَةِ دَرَجَةً كَبيرةً ، حيْثُ كانوا يَقْطَعونَ حِجارَةَ الجِبالِ ويَنْحِتونَ فيها بُيوتاً لَهُمْ لِيَعيشوا فيها آمِنينَ مُطْمَئِنينَ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى بِصَيْحةٍ عَظيمةٍ أَخَذَتْهُمْ وَقْتَ الصُّبْحِ جزاءَ كُفْرِهِمْ وَعَدمِ إيمانِهِمْ .

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ ما كانوا يَفْعلونَهُ مِنْ نَحْتِ البُيوتِ في الجِبالِ وما كانوا يَكْسِبونَ مِنَ الأَمْوالِ وَغَيْرِها .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّهُ ما خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما عَبَثاً وباطِلاً ، بَلْ خَلَقَهُما بالحِكْمَةِ والعَدْلِ ، وإنَّ يَوْمَ القيامةِ آتٍ لا رَيْبَ فيهِ ، فَيُعَذِّبُ اللهُ مَنْ كَفَرَ بهِ وعَصى أَمْرَهُ ، ويُثيبُ مَنْ آمَنَ بهِ وأطاعَهُ ، فاعْفُ أيُّها النَّبيُّ الكَريمُ عَمَّنْ كَذَّبَكَ وآذاكَ عَفْواً جَميلاً لا لَوْمَ فيهِ ولا عَتْبَ ، حتَّى يَأْتيَ أَمْرُ اللهِ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

إنَّ رَبَّكَ اللهُ هُو خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ والعليمُ بِما خَلَقَ ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمورِ مَخْلوقاتِهِ على كَثْرَتِها وتَنَوُّعِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ كانَ عذابُ قَوْمِ لُوطٍ شديداً قَوِيّاً مُدَمِّراً مُتَناسِباً مَعَ فِعْلِهِمُ القَبيحِ .

٢ـ امْتِداحُ أَهْلِ الفِطْنَةِ والفِراسَةِ ، فَعلى المَرْءِ اللَّبيبِ السَّعْيُ لِتَحْصيلِهِما .

٣ـ ضَرورَةُ الاعْتِبارِ والاتِّعاظِ عِنْدَ المُرورِ بِأَرْضِ المُهْلَكينَ .

٤ـ إذا أرادَ اللهُ إهْلاكَ أُمَّةٍ فإنَّ قُوَّتَها المادِيَّةَ لا تُغْنِي عَنْها شَيْئاً .

٥ـ الصَّفْحُ الجميلُ مِنْ مَحاسِنِ الأَخْلاقِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ كَيْفيَّةَ إهْلاكِ قَوْمِ لُوطٍ .

٢ـ مَنِ المُتَوسِّمونَ ؟ وَلِماذا امْتُدِحوا في الآيَةِ ؟

٣ـ مَنْ أَصْحابُ الأَيْكَةِ ؟ وَكَيْفَ أُهْلِكوا ؟

٤ـ أيْنَ تَقَعُ دِيارُ كُلٍّ مِنْ : قَوْمِ لُوطٍ ، وقَوْمِ شُعَيْبٍ ؟ وما فائِدَةُ الإِعْلامِ عَنْ مَكانِهِم ؟

٥ـ لِماذا سُمِّيَ أَصْحابُ الحِجْرِ بِذَلِكَ ؟ وما اسْمُ رَسولِهِمْ ؟

٦ـ لماذا كانَ أَصْحابُ الحِجْرِ يَنْحِتونَ البيُوتَ في الجِبالِ ؟ وكَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى ؟

٧ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أ ـ فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها .

ب ـ وإنَّها لَبِسبيلٍ مُقِيمٍ .

ج ـ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانوا يَكْسِبونَ .

د ـ فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَميلَ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بالحِجْرِ قالَ :

« لا تَدْخُلوا مَساكِنَ الّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ إلاَّ أَنْ تكونوا باكينَ أَنْ يُصيبَكُمْ ما أصابَهُمْ » ، وأَمَرَ

الصَّحابَةَ ألاَّ يَشْرَبوا مِنْ بِئْرِها ولا يَسْتَقوا مِنْها فَقالوا : قَدْ عَجَنَّا مِنْها واسْتَقَيْنا ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرحوا ذَلِكَ العَجينَ ، ويُهريقُوا ذَلِكَ الماءَ[1] .

نَشاطٌ :

١ـ كانتْ مُعْجَزةُ صالحٍ عَليْهِ السَّلامُ النَّاقةَ . وتَنْطَوي هذهِ المُعْجِزَةُ على عَدَدٍ مِنَ المُعْجِزاتِ ، عَدِّدْها بِمُشارَكَةِ زُملائِكَ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ حدِّدْ على خارِطَةِ الجَزيرَةِ العَربيَّةِ وبلادِ الشَّامِ مَوْقعَ كُلٍّ مِنْ : قُرى قومِ لُوطٍ ، أصحابِ الأَيْكَةِ ، أَصْحابِ الحِجْرِ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب رقم ١٩ ، رقم الحديث ٣١٩٨ ، ورو‍ه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم .

الدَّرسُ الحادي والخمسونَ

سورةُ الحِجْرِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبْعاً مِنَ المَثانِي : سورَةَ الفاتِحَةِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأنَّها سَبْعُ آياتٍ ، وسُمِّيَتِ المَثاني ، لأَنَّها تُقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ في الصَّلاةِ .

أزْواجاً : أَصْنافاً .

اخْفِضْ جَناحَكَ : تَواضَعْ .

المُقْتَسِمينَ : الَّذين قَسَموا كِتابَ اللهِ .

عِضينَ : أَجْزاءً .

فاصْدَعْ : اجْهَرْ .

التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ بيانٌ لِما امْتَنَّ اللهُ بهِ على رَسولهِ ﷺ ، وتَوجيهاتٌ رَبَّانيةٌ لَهُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ أَنْعَمنا عَلَيْكَ نِعْمَةً عُظْمى ، إذْ أَنْزلنا عَلَيْكَ سُورَةَ الفاتِحَةَ الّتي هِيَ سَبْعُ آياتٍ ، وتُثَنّى وتُكَرَّرُ في الصَّلواتِ الخَمْسِ وغَيْرِها ، وتَحْتَوي على الثّناءِ على اللهِ تَعالى ، وأَنْزَلنا عَلَيْكَ القُرآنَ العَظيمَ الّذي يَهْدي إلى كُلِّ خَيْرٍ . وَعَطْفُ القُرْآنِ الكريمِ على سورَةِ الفاتِحَةِ مِنْ بابِ عَطْفِ الكُلِّ على البَعْضِ . وإفْرادُ الفاتِحَةِ بالذِّكْرِ مَعَ تَقْديمِها لِمَزيدِ فَضْلِها ورَفيعِ مَكانَتِها وعَظيمِ مَنْزِلَتِها ، فَقَدِ اشْتَمَلَتْ على مَقاصِدِ القُرْآنِ كُلِّهِ ، وهِيَ أَفْضَلُ ما نَزَلَ في الكُتُبِ جَميعاً .

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

هذا نَهْيٌ لِلْمُسْلِمينَ مِنْ خِلالِ نَهْيِهِ ﷺ عَنِ التَّطَلُّعِ إلى زينَةِ الحياةِ الدُّنْيا ، فيقولُ سُبْحانَهُ : لا تَنْظُرْ بِبَصَرِكَ نَظَرَ الطامِحِ الرّاغِبِ في المَتاعِ الزّائِلِ الّذي مَتَّعْنا بِهِ أَصْنافاً مِنَ المُشْرِكينَ ، فإنَّهُ إلى زَوالٍ وَذَهابٍ ، وَقَدْ آتَيْناكَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ وأَبْقى وهُوَ القُرْآنُ العَظيمُ . ولا تَحْزَنْ لِكُفْرِ مَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِكَ وَلإعْراضِهِمْ عَنِ الحَقِّ وأَلِنْ جانِبَكَ وَتَواضَعْ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ .

﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

وَقُلْ لِلنّاسِ جَميعاً : إنّي أَنا المُنْذِرُ لَكُمْ ، المُوَضِّحُ لِما أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ أَجْلِكُمْ ، والاقْتِصارُ على ذِكْرِ الإنْذارِ مَعَ أَنَّهُ ﷺ بَشيرٌ ونَذيرٌ ، لأنَّ المَقامَ مَقامُ تَحْذيرٍ وتَخْويفٍ .

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

أيْ : أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ كما أَنْزَلْنا على أَهْلِ الكِتابِ التَّوراةَ والإنْجيلَ .

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُقْتَسِمونَ جَعَلوا القُرْآنَ أَجزاءً مُتَفَرِّقَةً وَقالوا فيهِ أَقْوالاً مُخْتَلِفَةً ، وآمَنوا بِبَعْضِهِ وَكَفروا بِبَعْضِهِ . وشابَهَهُمْ في هذا السُّلوكِ والعَمَلِ السَّيىءِ نَفَرٌ مِنَ المُشْرِكينَ ، كانوا يَقولونَ في القُرْآنِ أَقْوالاً مُخْتَلِفَةً ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقولُ هُوَ سِحْرٌ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقولُ هُوَ شِعْرٌ ، أو كَهانَةٌ ، أو أَساطيرُ الأَوَّلينَ ، فَجَميعُ هَؤلاءِ مُسْتَحِقٌّ لِغَضَبِ اللهِ وَعذابِهِ على مَوْقِفِهِمْ هذا مِنَ القُرْآنِ العَظيمِ .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

يُقْسِمُ سُبْحانَهُ بِنَفْسِهِ على أَنَّهُ سَيَسْأَلُ هَؤلاءِ المُقْتَسِمينَ كما سَيَسْأَلُ الخَلْقَ أَجْمعينَ عمَّا كانوا يَعْملونَ في دُنْياهُمْ . والسُّؤالُ مِنْهُ سُبْحانَهُ لَيْسَ سُؤالَ اسْتِفْهامٍ واسْتِعْلامٍ وإنَّماهُوَ سُؤالُ تَقْريرٍ وتَأْكيدٍ .

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

أيْ : اجْهَرْ بِرِسالَتِكَ وبِما أَمَرَكَ اللهُ بِهِ ولا تُبالِ بِالمُشْرِكينَ وأَذاهُمْ ، فاللهُ حافِظُكَ وناصِرُكَ عَلَيْهِم . رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ جَهَرَ بالدَّعْوَةِ بَعْدَ ثَلاثِ سِنينَ مِنَ الإِسْرارِ بها ، وكانَ نُزولُ هذهِ الآيةِ إيذاناً بانْتِهاءِ المَرْحَلَةِ السِرِّيَّةِ .

﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّا كَفَيْناكَ الانْتِقامَ مِنَ المُسْتَهْزِئينَ بِكَ وَبِدَعْوَتِكَ ، وَسَنَنْتَقِمُ لكَ مِنْهُم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُسْتَهْزِئينَ بِكَ يَتَّخِذونَ مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ فَيُشْرِكونَ مَعَهُ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ ، فَسَوفَ يَجِدونَ عاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ومآلَ شِرْكِهِمْ . وهذا وَعيدٌ لَهُمْ بِسُوءِ المَصيرِ لَعَلَّهُمْ يَرْتَدِعونَ عَنْ شِرْكِهِمْ وَيُؤْمِنونَ باللهِ .

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

ونَحْنُ نَعْلَمُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ أَنَّ أَقوالَ المُشْرِكينَ الباطِلَةَ واسْتِهْزاءَهُم بِكَ يُحْزِنُ نَفْسَكَ ، ويُؤَدِّي إلى انْقِباضِ صَدْرِكَ وَضيقِهِ ، فلا يَمْنَعْكَ ذَلِكَ عَنْ تَبْليغِ الرِّسالةِ ، ولْيَكُنْ دافِعاً لَكَ لِلْمَزيدِ مِنَ العَمَلِ والطَّاعَةِ والذِّكْرِ .

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

فافْزَعْ إذا ضاقَ صَدْرُكَ وأصابَكَ هَمٌّ وغَمٌّ إلى تَسْبيحِ اللهِ تَعالى وَذِكْرِهِ والصَّلاةِ لِيَذْهَبَ عَنْكَ الضِّيقُ والغَمُّ .

وَتَخْصيصُ السُّجودِ بالذِّكْرِ لأَهَمِّيَّتِهِ ، ولأَنهُ أظْهَرُ ما يَدُلُّ على الخُضوعِ في الصَّلاةِ ، وفي الحديثِ : « أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وهُوَ ساجِدٌ فَأَكْثِروا الدُّعاءَ »[1] .

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

وَدُمْ على ما أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ رَبِّكَ والتَّقَرُّبِ إليْهِ بما يُرْضيهِ ما دُمْتَ حَيّاً ، حتَّى يَأْتِيَكَ الأَمْرُ اليَقينُ الَّذي لا شَكَّ فيهِ وهُوَ المَوْتُ . اللَّهمَّ أَعِنَّا على دَوامِ العَمَلِ الصَّالِحِ ما دُمْنا أَحْياءً وَتَوَفَّنا وأَنْتَ راضٍ عَنَّا .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم الحديث ١٠٨٣ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ فَضْلُ سورَةِ الفاتِحَةِ فَهِيَ أَفْضَلُ سورَةٍ في القُرْآنِ الكَريمِ .

٢ـ على الدُّعاةِ إلى اللهِ أَنْ لا يَلْتَفِتوا إلى ما بِأَيْدي النَّاسِ مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا وَزينَتِها وَيَقْنَعوا بما عِنْدَ اللهِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ التَّعامُلِ مَعَ الآخَرين بلينٍ وَلُطْفٍ وَتَواضُعٍ .

٤ـ الجَهْرُ بالدَّعْوَةِ في مُواجَهَةِ المُشْرِكينَ ، واحْتمالُ أَذاهُمْ في سَبيلِ اللهِ تَعالى .

٥ـ الُّلجوءُ إلى اللهِ سُبْحانَهُ بالصَّلاةِ يُزيلُ الهَمَّ والغَمَّ وضيقَ الصَّدْرِ .

٦ـ أَهَمِيَّةُ المُداوَمَةِ على طاعَةِ اللهِ وَعِبادَتِهِ إلى المَماتِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ الفاتِحَةِ : السَّبعَ المَثانِي ؟

٢ـ في قَوْلِهِ تَعالى ﴿لا تَمُدَّنَّ . . . . .﴾ ثَلاثةُ أَوامِرَ ، بيِّنْها ؟

٣ـ ما المُرادُ بالمُقْتَسِمينَ ؟ وكَيْفَ جَعَلوا القُرْآنَ عِضينَ ؟

٤ـ مَتَى نَزَلَ قَولُهُ تَعالى ﴿فاصْدَعْ بما تُؤْمَرْ﴾ ؟ وما مَعْناهُ ؟

٥ـ بماذا سَيَكْفِي اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ المُسْتَهْزِئينَ ؟

٦ـ ما التَّوْجيهُ الّذي أُمِرَ بِهِ رَسولُ اللهِ ﷺ حينَ يَضيقُ صَدْرُهُ بِكلامِ المُشْرِكينَ ؟

٧ـ على ماذا يَدُلُّ قولُه تَعالى ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حتَّى يَأْتِيَكَ اليَقينُ﴾ ؟

٨ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ المَوْتِ يقيناً ؟

٩ـ ما الدُّروسُ المُسْتَفادَةُ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أ ـ واخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنينَ .

ب ـ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمعينَ عمَّا كانوا يَعْمَلونَ .

ج ـ فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ .

د ـ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدينَ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي سَعيدِ بن المُعَلّى قالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعاني النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ . قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ إنّي كُنْتُ أُصَلِّي ، قالَ : أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿اسْتَجيبوا للهِ ولِلرَّسولِ إذا دَعاكُمْ﴾ ، ثُمَّ قالَ : أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سورَةٍ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ، فَأَخَذَ بِيَدي ، فَلَمّا أَرَدْنا أنْ نَخْرُجَ قُلْتُ : يا رسولَ اللهِ ، إنّكَ قُلْتَ لأُعلِمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرآنِ ، قالَ : « الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ هِيَ السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظيمُ الّذي أُوتيتُهُ »[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَرْبَعَةً مِنْ أَسْماءِ سورَةِ الفاتِحَةِ .

٢ـ اكْتُبْ آيةَ سُورَةِ الفَتْحِ الّتي تُبَيِّنُ مُهِمَّةَ الرَّسولِ ﷺ .

٣ـ بَيِّنْ سُنَّةَ الرَّسولِ ﷺ عِنْدَما كانتْ تَشْتَدُّ عَليْهِ الأَحْوالُ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٤ـ ارْجِعْ إلى سِيرَةِ ابنِ هِشامٍ وتَفْسيرِ ابنِ كَثيرٍ لِهذِهِ الآيَةِ ، اسْتَخْرِجْ مِنْهُما ثلاثَ حَوادِثَ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى فيها عَدَداً مِنْ صَناديدِ الكُفْرِ لاسْتِهْزائِهِمْ بِرَسولِ اللهِ ﷺ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب ، رقم الحديث ٤٧٢٠ وفي هذا الحديث إطلاق اسم القرآن الكريم على الفاتحة ، وهو من باب تسمية البعض باسم الكل ، وفيه إشارة إلى عظيم منزلة سورة الفاتحة واشتمالها على مقاصد القرآن كله .



الْجُــزْءُ الثّاني

مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ - نِهايَةِ سُورَةِ الإسْراءِ

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ النَّحْلِ مَكيَّةٌ . وسُمِّيتَ بِهذا الاسْمِ لِذِكْرِها النَّحْلَ وما تُنْتِجهُ مِنْ عَسَلٍ ، وما في ذَلِكَ مِنَ العِبْرَةِ والدَّلالَةِ على الخالِقِ العَظيمِ ، وتُسَمَّى : سُورةَ النِّعَمِ لِتَذْكيرِها بالعَديدِ مِنَ النِّعَمِ المُحيطةِ بالإنْسانِ .

وفي السُّورَةِ مَوْضوعاتٌ مُتَعدِّدَةٌ مِنْها : تَكْذيبُ المُشْرِكينَ بالسَّاعَةِ وَبالوَحْي واسْتِعْجالُهُمْ نُزولَ العَذابِ ، وتَقْريرُ وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى مِنْ خِلالِ لَفْتِ النَّظَرِ إلى ما في الكَوْنِ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ ، والتَّذْكيرِ بِعاقِبَةِ الكُفْرِ وَعَدَمِ شُكْرِ اللهِ تَعالى ، والأَمْرُ بالدَّعْوَةِ إلى اللهِ بالحِكْمَةِ والصَّبْرِ على أذى المُشْرِكينَ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَعالى	: تَعاظَمَ بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ الجليلةِ .
بِالرُّوحِ	: بالوَحْيِ .
أَنْذِروا	: حَذِّروا وخَوِّفوا .
خَصيمٌ	: شَديدُ المُخاصَمَةِ بالباطِلِ .
الأنعامِ	: الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .
دفءٌ	: ما تَتَدفَّأُونَ بهِ مِنَ البَردِ .
تُريحونَ	: تُرْجِعونَها مِنَ المَراعِي إلى الحَظائِرِ آخِرَ النَّهارِ .
تَسْرَحونَ	: تَذْهبونَ بها إلى المَراعي أَوّلَ النَّهارِ .
أَثْقالَكُم	: أَمْتِعَتَكُمُ الثّقيلَةَ .
بِشِقِّ الأَنْفُسِ	: بِمَشَقَّةٍ وَتَعَبٍ .

التَّفْسيرُ :

كانَ المُشْرِكونَ كَثيراً ما يَسْتَعْجِلونَ العَذابَ الَّذي يُخَوِّفُهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ إيّاهُ ، تَكْذيباً لَهُ واسْتِبْعاداً لِنُزولِهِ ، فافْتُتِحَتْ هذهِ السُّورَةُ بالإِخْبارِ عَنْ حُصولِ العذابِ الَّذي سَيَنْزِلُ بِهِمْ قَطْعاً . وَذُكِرَ العَذابُ بِصيغةِ الماضي تأْكيداً لِوُقوعِهِ وكأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ فِعْلاً . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ .

أيْ نَزَلَ قَضاءُ اللهِ تَعالى وَأَمرُهُ بنَصْرِ المُؤمنينَ وَتَعْذيبِ الكافِرينَ ، والمَقْصودُ أنهُ سَيَأْتي قَريباً في الوَقْتِ الّذي يُريدُهُ اللهُ ، وذلِكَ حينَ تَقومُ السّاعَةُ ، فلا داعيَ لأنْ يَسْتَعْجِلَهُ أَحَدٌ فإنّهُ حاصِلٌ قَطْعاً ، تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى وتَعاظَمَ بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ عمّا يَقولُهُ المُشْرِكونَ وَيَفْتَرونَهُ مِنْ زَعْمِ الشَّريكِ لَهُ .

وفي هَذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَهْويلُ أَمْرِ الحِسابِ وَتَفْخيمُهُ ، بِالتَّعبيرِ عنهُ بالماضي تأْكيداً لِحُصولِهِ ، وإضافَتِهِ إلى اللهِ الّذي لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ ، ونَهْيُ المُشْرِكينَ عَنِ اسْتِعْجالِهِ فإنّهُ لا جَدوى مِنَ الاسْتِعْجالِ لِحُصولِهِ قَطْعاً .

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

المُرادُ بالرُّوحِ الّتي يُنزلُ اللهُ الملائِكَةَ بِها على المُخْتارينَ مِنَ البَشَرِ وَهُمُ الرُّسُلُ والأَنْبياءُ ، هُوَ الوَحْيُ ، سُمِّيَ رُوحاً لأنّهُ يُحْيي القُلوبَ ، كما قالَ اللهُ تَعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] .

وَيَتضَمَّنُ الوَحْيُ إلى الأَنْبياءِ تَحذيرَ النَّاسِ مِنَ الشِّرْكِ وتَبْيينَ وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى وَعَظَمَتِهِ والدَّعْوَةِ إلى عِبادَتِهِ والخَوْفِ مِنْ عقابِهِ ، فَعَلَيْكُم أَيُّها الكافِرونَ أَنْ تَكُفُّوا عَنْ كُفْرِكُمْ وأَنْ تَخافوا عَذابَ رَبِّكُمْ وأَنْ تُؤْمنوا بِهِ ، فَقَدْ أقامَ لَكُمْ كَثيراً مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِهِ ومِنْها أَنَّهُ :

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

أيْ أَنَّهُ سُبْحانَهُ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بالحَقِّ الثَّابِتِ خَلْقاً مُحْكَماً لِحِكْمَةٍ عَظيمةٍ ، ولَمْ يَخْلُقْهُما عَبَثاً ولَهْواً ، تَعاظَمَ اللهُ تَعالى بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ عَمَّا يَقولُ المُشْرِكونَ الَّذينَ يَجْعَلونَ للهِ أَنْداداً ، وَهَذهِ الحِكْمَةُ هِيَ أنْ تَكونَ مُعَبَّداً للهِ ، يُطاعُ فيهِ وَيُقَدَّسُ وَيُعَظَّمُ .

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ .

أَخْبَرَ اللهُ تَعالى أنّهُ خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ ماءٍ مَهينٍ وهُوَ المَنِيُّ فإذا بِهِ بَعْدَ تَكامُلِهِ بَشَراً وامْتِلاكِهِ القُوَّةَ الجِسْمِيَّةَ يَنْسى ضَعْفَهُ ويُخاصِمُ خالِقَهُ ، وَيُكابِرُ ويُعانِدُ بَدَلاً مِنْ أنْ يَعْبُدَ اللهَ وَيَشْكُرَهُ على نِعَمِهِ .

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

وَخَلَقَ اللهُ تَعالى الأَنْعامَ وَهِيَ الإِبِلُ والغَنَمُ والبَقَرُ لِيَنْتَفِعَ مِنْها الإنْسانُ . ومِنْ أَوْجُهِ الانْتِفاعِ بِها : أَنَّكُمْ تَتَدَفَّأونَ مِنَ البَرْدِ بِما تَتَّخِذونَهُ مِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها مَلابِسَ وأَغْطِيَةً ، وتَسْتَعْمِلونَ الإِبِلَ للرُّكوبِ والارْتِحالِ ، والبَقَرَ لِلْحَرْثِ ، وتَشْرَبونَ مِنْ أَلْبانِها وتَأْكلونَ لُحومَها وتَنْتَفِعونَ مِنْ نَسْلِها .

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ .

وَلَكُمْ في هَذهِ الأَنْعامِ جَمالٌ وَزينَةٌ ، وَقْتَ رُجوعِها إلى مَأْواها مَساءً ، وَوَقْتَ خُروجِها إلى المَرْعى صَباحاً . وَتَخْصيصُ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ بالذِّكْرِ لِظُهورِ الأَنْعامِ واجْتِماعِها فيهِما أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِما ، وقُدِّمَتْ الإِراحَةُ على التَّسْريحِ لأنَّ جَمالَ الأَنْعامِ فيها أَظْهَرُ وَمَنْظَرَها أَبْهَجُ ، لأَنَّها في هَذهِ الحالِ تَكونُ قَدِ امْتَلأَتْ بُطونُها وسَمُنَتْ وحَفَلَتْ ضُروعُها ، وازْدانَتْ مِشْيَتُها ، وعَظُمَ أَصْحابُها في أَعْيُنِ النَّاظِرينَ إليْها .

﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ .

وَتَحمِلُ الأَنْعامُ ـ والمُرادُ بها هُنا الإبِلُ خاصَّةَ ـ أَمْتِعَتَكُمُ الثَّقيلَةَ إلى بَلَدٍ لم تَكونوا لِتَصِلوا إليْهِ مِنْ دُونِها إلاَّ بِتَعَبٍ وَمَشقَّةٍ . إنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤوفٌ رَحيمٌ بِكُمْ ، حَيْثُ خَلَقَ لَكُمْ هَذهِ الأَنْعامَ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ تَحْمِلونَ هَذهِ الأَثْقالَ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَقْطَعونَ المَسافاتِ الطَّويلةِ على أَرْجُلِكُمْ فَأَوْجَدَ هذهِ الأَنعامَ لِخِدْمَتِكُمْ وَراحَتِكُمْ .

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

وخَلَقَ اللهُ تَعالى لَكُمْ أَصْنافاً أُخْرى مِنَ الدَّوابِّ هِيَ الخَيْلُ والبِغالُ والحَميرُ لِتَسْتَعْمِلوها في الرُّكوبِ عَلَيْها والانْتِقالِ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ ، وفيها زينَةٌ لَكُمْ تَتَمَتَّعونَ بِمَنْظَرِها وَجَمالِها بِخاصَّةٍ الخيلُ الَّتي سُمِّيتْ بِذلكَ لاخْتِيالِها في المَشْي ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعالى عَنْ أَمْرٍ غَيْبِيٍّ تَحقَّقَ في زَمانِنا ، فَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ سَيَخْلُقُ ما لا يَعْلَمُهُ النَّاسُ مِمَّا يُؤَدِّي دَوْرَ الإِبِلِ والخَيْلِ والبِغالِ والحمير ، لِنَسْتَعْمِلَهُ في الرُّكوبِ وَحَمْلِ الأَثْقالِ ، ويَكونُ زينَةً في نَفْسِهِ أَيْضاً ، وقَدِ ابْتَكَرَ النَّاسُ اليَوْمَ السَّياراتِ والطَّائراتِ والسُّفُنَ والغَوَّاصاتِ والبَرْمائِيّاتِ وصَواريخَ الفَضاءِ ، وَغَيْرَها مِمَّا سَيَتَوَصَّلُ الإِنْسانُ لاخْتِراعِهِ واسْتِعْمالِهِ لِلرُّكوبِ وَلِلزّينَةِ .

وفي هذا الإِخبارِ دَليلٌ على إعْجازِ القُرْآنِ وأَنَّ مُنَزِّلَهُ يَعْلَمُ ما سَيكون . وَقَدْ جَمَعتْ هذه العِبارَةُ جَميعَ وَسائِلِ النَّقْلِ الحَديثَةِ الَّتي وُجِدَتْ أَوْ سَتوجَدُ مُسْتَقْبَلاً بِعبارةٍ مُوجَزَةٍ بَليغَةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإِخْبارُ عَنِ الأَمْرِ المُسْتَقْبَلِ بِصيغَةِ الماضي لِتَأْكيدِ حصُولِهِ كأَنَّهُ حَصَلَ فِعْلاً .

٢ـ قُرْبُ يَوْمِ القِيامَةِ وَحَتْمِيَّةُ وُقوعِهِ بلا رَيْبٍ ولا شَكٍّ .

٣ـ تَسْمِيَةُ الوَحْيِ رُوحاً لأَنَّ فيهِ حَياةَ القُلوب .

٤ـ كَثْرَةُ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ تعالى وَقُدْرَتِهِ .

٥ـ تَنَوُّعُ أَشْكالِ انْتِفاعِ الإِنْسانِ مِنَ الأَنْعامِ والدَّوابِّ واسْتِمْتاعِهِ بِجَمالِها .

٦ـ إِخْبارُ القُرْآنِ عَنْ أُمورٍ لَمْ تَكُنْ مَوْجودَةً وَقْتَ نُزولِ القُرْآنِ بِعباراتٍ مُوجَزَةٍ تُفْهَمُ في كُلِّ عَصْرٍ بِما يُناسِبُهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ ما تَضَمَّنَتْه الآيَة الأُولى مِنْ وَسائِلِ تَهْويلِ أَمْرِ يَوْمِ القِيامَةِ .

٢ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَسْتَعْجِلونَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ ؟

٣ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ أَدِلَّةِ عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ .

٤ـ عَدِّدْ فَوائِدَ الأَنْعامِ والدَّوابِّ للإِنْسانِ .

٥ـ ما سَبَبُ تَقديمِ ذِكْرِ إراحَةِ الأَنْعامِ على تَسْريحِها ؟

٦ـ ما المَعاني الّتي يَتَضَمَّنُها قَوْلُه تَعالى : ﴿ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمونَ﴾ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ قُرْبِ يَوْمِ القِيامَةِ .

ب ـ اسْتِعْجالِ المُشْرِكينَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ .

ج ـ تَنَزلُ الملائِكَةُ بالوَحْي على الرُّسُلِ .

د ـ مُهِمَّةُ الرُّسُلِ الدَّعْوَةُ إلى التَّوْحيدِ والطَّاعَةِ .

هـ ـ أَصْلُ الإِنْسانِ نُطْفَةٌ .

و ـ يَتَدفَّأُ الإِنْسانُ بِصُوفِ الأَنْعامِ وَأَوْبارِها .

ز ـ مِنْ أَوْجُهِ انْتِفاعِ الإِنْسانِ بالأَنْعامِ : أَكْلُ لُحومِها .

ح ـ يَسْتَمْتِعُ الإِنْسانُ بِمَنْظَرِ الأَنْعامِ والدَّوابِّ .

ط ـ يَسْتَخْدِمُ الإِنْسانُ الدَّوابَّ والإِبِلَ لِنَقْلِ أَمْتِعَتِهِ والرُّكوبِ عَلَيْها .

ي ـ مِنْ نِعَمِ اللهِ على الإِنسانِ تَمْكينُهُ مِنَ اخْتِراعِ وَسائِلِ المُواصَلاتِ الحَديثَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ المَلَكِ المُوَكَّلِ بِتَبْليغِ وَحْيِ اللهِ تَعالى إلى رُسُلِهِ الكِرامِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أُمورٍ أُخْرى يَنْتَفِعُ بها النَّاسُ مِنَ الأَنْعامِ .

٣ـ في سُورَةِ المَعارِجِ ، والأَنْفالِ ، والحَجِّ والشُّورى وَغَيْرِها آياتٌ تُبَيِّنُ اسْتِعْجالَ المُشْرِكينَ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ . اجْمَعْ خَمْساً مِنْ هذهِ الآياتِ وَدَوِّنْها في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ الثَّاني

سورةُ النَّحلِ ـ القِسْمُ الثّاني

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَصْدُ السَّبيلِ : بَيانُ الطَّريقِ المُسْتَقيم .

جائِرٌ : مائِلٌ عَنِ الاسْتِقامَةِ .

تُسيمونَ : تَرْعوْنَ دَوابَّكُمْ .

ذَرَأَ : خَلَقَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى عَدَداً مِنَ النِّعَمِ الّتي أَنْعَم بِها على عِبادِهِ لِتكونَ دَليلاً على وَحْدانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ أَتْبَعَها بِبيانِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ كَفيلٌ بِإرْشادِ العِبادِ إلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ المُوصِلِ إليْهِ وإلى رِضوانِهِ وَجنّاتِهِ ، وبَيَّنَ مَزيداً مِنْ نِعَمِهِ ، فقالَ سُبحانَهُ :

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

أيْ : وَمِنْ فَضْلِ اللهِ تَعالى وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يُبيِّنَ لَكُمُ الطَّريقَ المُسْتَقيمَ الَّذي يُوصِلُ إلى سَعادَةِ الدُّنْيا والآخِرَةِ وهُو الإسْلامُ ، وأنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَذلكَ أَنَّ مِنَ الطُّرُقِ ما هُوَ مائِلٌ عَنِ الاسْتِقامَةِ ، وهِيَ طُرُقُ أهْلِ الضَّلالِ والفَسادِ الَّتي يَنْبَغي اجْتِنابُها والبُعْدُ عَنْها ، وَلَوْ شاءَ اللهُ تَعالى لَهَدى النَّاسَ جَميعاً ، وَلأَلْزَمَهُمْ طريقَ الهِدايَةِ ، ولكنِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أنْ يَتْرُكَ لِلنَّاسِ حَريَّةَ الاخْتيارِ ، لِيُجازِيَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ على أعْمالِهِمُ الّتي اخْتاروا فِعْلَها دونَ إلْزامٍ ولا إجْبارٍ .

ثُمَّ أَوْرَدَ اللهُ تَعالى مَزيداً مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى الّتي أَنْعَمَ بها على خَلْقِهِ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السُّحُبِ المَطَرَ الّذي تَشْرَبونَ مِنْهُ ماءً عَذْباً فُراتاً وَتَسْقونَ الشَّجَرَ الّذي تَرْعى فيهِ أَنْعامُكُمْ .

ولَفْظُ الشَّجَرِ يُطْلَقُ على ما لَهُ ساقٌ صُلْبٌ مِنْ أَنْواعِ النَّباتِ ، ويُطْلَقُ على العُشْبِ والكَلأ ، وهُوَ المُرادُ هُنا لأَنَّهُ طَعامُ الأنْعامِ .

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

ويُنْبِتُ اللهُ تَعالى لَكُمْ بِماءِ المَطَرِ أنْواعَ الزُّروعِ المُتَعدِّدَةِ ، الّتي تَتَغَذّونَ بِها وتَأْكلونَ مِنْها كالقَمْحِ والذُّرَةِ ، ومِنَ الأشْجارِ المُثْمِرَةِ : الزَّيْتونُ ، والنَّخيلُ ، والأعْنابُ . بالإضافَةِ إلى أنْواعِ الثَّمَراتِ الأُخرى المُخْتَلِفَةِ في أَلوانِها وأَشْكالِها ومَذاقِها وَرائِحَتِها . إنَّ في إنْباتِ هذه الثِّمارِ المُتَنوِّعَةِ الّتي تُسْقى بِماءٍ واحِدٍ ، وَتَنْمو في أَرْضٍ واحِدَةٍ وتَخْتَلِفُ هَذا الاخْتلافَ البيِّنَ ، لآيَةً بيِّنَةً واضِحَةً لِمَنْ يَتفكَّرُ ويَتأمَّلُ في ذَلِكَ ، فَيَقودُهُ التَفكُّرُ إلى الإيمانِ باللهِ العَظيمِ .

وَفي تَخْصيصِ الزيْتونِ والنَّخيلِ والأَعْنابِ بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الثِّمارِ إشارةٌ إلى أهميَّةِ هذهِ الأَنْواعِ ، وتَعدُّدِ فَوائِدِها وكَثْرَةِ وُجوهِ الانْتِفاعِ بها .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ أنّهُ سَخَّرَ لَهُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ يَتعاقَبانِ بِصورَةٍ دائِمَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، يَتِمُّ بِها نِظامُ حياةِ الإنْسانِ ، الَّذي يَرْتاحُ في اللّيْلِ مِنْ عَناءِ النَّهارِ ، وَيَغْتَنِمُ النَّهارَ لِقَضاءِ مَصالِحِهِ وأُمورِ

مَعاشِهِ ، وسَخَّرَ الشَّمْسَ لِتَمُدَّ الأَرْضَ بالنّورِ والحَرارَةِ في أثناءِ النَّهارِ ، وسَخَّرَ القَمَرَ لِيَمُدَّ البَشَرَ بالضّوءِ لَيْلاً ، وَجَعَلَهُما دَليلَيْنِ على الأَوْقاتِ والشُّهورِ والأَعْوامِ ، وتُعْلَمَ بهما مواقيتُ العِباداتِ المُتَعدِّدَةِ ، وسَخَّرَ النُّجومَ لِيَهْتَديَ بها المُسافِرونَ في الظُّلُماتِ ، ويَسْتَدِلّونَ مِنْ خِلالِها على طُرُقِ سَيْرِهِم بَرّاً وبَحْراً ، لِيَتَأَمَّلوا في أَشْكالِها وأَحْجامِها ومَواقِعِها وإنارَتِها مُسْتَدِلّينَ بها على عَظَمَةِ اللهِ وَرَوْعَةِ خَلْقِهِ سُبْحانَهُ ، إنَّ في تَسْخيرِ اللّيلِ والنَّهارِ والشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ لآياتٍ ودلالاتٍ واضحةً لِمَنْ يُعْمِلُ عَقْلَهُ وَيَهْتَدي بها إلى الخالِقِ القَديرِ المُبْدِعِ .

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ومِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ أنَّهُ سَخَّرَ لَهُم ما أَوْجَدَهُ على الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ مَنْفَعَتِهِم وقَضاءِ مصالِحِهِمْ ، مِنْ مَخلوقاتٍ مُتَنوِّعَةِ الفَوائِدِ ومُخْتَلِفَةِ الأَلوانِ والأَشْكالِ ، كالحيواناتِ والمَعادنِ وما يُسْتَخْرَجُ مِنْ باطِنِ الأَرْضِ مِنْ ثَرَواتٍ كَثيرةٍ ، كُلُّها مُسَخَّرَةٌ لِلإنْسانِ وَمِنْ أَجْلِهِ ، إنَّ في ذلكَ التَّسْخيرِ والتَّنْويعِ في الأَصْنافِ والأَشْكالِ والألوانِ لآيةً عَظيمةً لِمَنْ يَتَذَكَّرُ وَيتدبَّرُ وَيتأَمَّلُ في نِعَمِ اللهِ المُتنوِّعَةِ فَيَشْكُرُهُ عَلَيْها ويَخْلُصُ في عِبادَتِهِ لَهُ .

وَقَدْ خُتِمَتْ هذهِ الآياتُ الثَّلاثُ بقولِهِ تَعالى : ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً لِقَوْمٍ يتفكّرونَ﴾ ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَذَّكَرونَ﴾ فَأُفْرِدَ لفظُ (آيَةً) في المَوْضِعِ الأَوّلِ والثالثِ وجُمِعَ في الثّاني ، لأَنَّهما أي الآيتانِ الأُولى والثالثةُ تتحدَّثانِ عَنْ مَخلوقاتٍ مَوْجودةٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّهَا آيةٌ واحِدَةٌ لِتَبعِيَّتِها للأَرْضِ ، أَمّا الآيةُ الثّانيةُ فَتتحدَّثُ عَنِ الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ ، ولِكُلٍّ مِنْها نِظامُهُ وكُلٌّ مِنها بِمَنْزِلَةِ الآيةِ المُسْتَقِلَّةِ .

وخُتِمَتِ الآيَةُ الأُولى بِلَفْظِ ﴿يتفكَّرونَ﴾ والثانيةُ بِلَفْظِ ﴿يَعْقِلونَ﴾ والثالثةُ بلفظِ ﴿يَذَّكَرونَ﴾ لِمُراعاةِ اخْتلافِ شِدَّةِ الحاجَةِ إلى قُوَّةِ التَّأَمُّلِ في الآياتِ المَذْكورَةِ ، وللإشارَةِ إلى ضَرورةِ التَّرقّي في حالِ الإنْسانِ عِنْدَ تَأَمُّلِهِ في مَخلوقاتِ اللهِ ، فإنَّ التَّفكُّرَ فيها يَقودُ إلى التَعقُّلِ ، وكِلاهُما يَقودُ إلى التَّذَكُّرِ ، فَسُبْحانَ مَنْ أَحْكَمَ كلامَهُ وجَعَلَهُ على أَحْسَنِ نِظامٍ وأَدقِّ بيانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَفَضُّلُ اللهِ على خَلْقِهِ بإرْشادِهِمْ إلى الطَّريقِ المُسْتَقيمِ كَرَماً مِنْهُ وَرَحْمَةً .

٢ـ حِكْمَةُ اللهِ تَعالى بإعْطاءِ الإنسانِ حُرِّيَّةَ الاخْتِيارِ لِيَسْلُكَ السَّبيلَ الَّذي يَشاءُ .

٣ـ تَنَوُّعُ النِّعَمِ المُحيطَةِ بالإنْسانِ ، وكُلُّها تَدُلُّ على خالِقٍ واحِدٍ مُبْدِعٍ عَظيمٍ .

٤ـ كُلُّ ما في هذا الكَوْنِ مِنْ مَخْلوقاتٍ مُسَخَّرٌ للإِنْسانِ ، فَعَلَيْهِ شُكْرُ نِعَمِ اللهِ المُتَعَدِّدَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما أنواعُ السُّبُلِ الّتي بَيَّنَتْها الآيةُ رَقْم (٩) ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ في عَدَمِ إلْزامِ النَّاسِ جَميعاً بالهِدايَةِ ؟

٣ـ عَدِّدْ فَوائِدَ المَطَرِ .

٤ـ ما المُرادُ بِتَسْخيرِ اللَّيْلِ والنَّهارِ والشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجوم ؟

٥ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ الزَّيْتونِ والنَّخيلِ والأَعنابِ بالذِّكْرِ بَيْنَ أنواعِ الزَّرْعِ ؟

٦ـ ما سَبَبُ إفْرادِ لَفْظِ (آية) في الآيَتيْنِ الأُولى (١١) والثَّالِثَةِ (١٣) وجَمْعِهِ في الآيَةِ الثّانِيَةِ (١٢) مِنْ آياتِ الدّرْسِ ؟

٧ـ أ ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ الألفاظِ : يَتفكَّرونَ ، يَعْقِلونَ ، يَذَّكَّرونَ ، الّتي اخْتُتِمَتْ بها الآياتُ الثّلاثُ ؟

ب ـ ما حِكْمَةُ إيرادِها على هذا التَّرْتيبِ في الآياتِ ؟

٨ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ ومِنْها جائِرٌ .

ب ـ فيهِ تُسيمونَ .

ج ـ والنَّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ .

د ـ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبيِّنُ أنَّ طريقَ الحَقِّ واحِدٌ ، وطُرُقَ الشَّيْطانِ كَثيرةٌ .

٢ـ اكْتُبْ ثَلاثَ فوائِدَ لِكُلٍّ مِنَ : الزَّيتونِ والنَّخيلِ والأعْنابِ ، وقارِنْ ما تَذْكُرُهُ مَعَ ما يَذْكُرُهُ زُمَلاؤُكَ .

٣ـ أَقْسَمَ اللهُ تَعالى في سُورَةِ الواقِعَةِ بِمَواقعِ النُّجومِ ، اكْتُبِ الآيَةَ الّتي فيها هذا القَسَمُ .

٤ـ عَدِّدْ عَشَرَةَ أنْواعٍ مِنَ الحيواناتِ الأَليفَةِ ، وعَشَرَةَ أَنْواعٍ مِنَ الحيواناتِ المُفْتَرِسَةِ ، وَعَشَرَةَ أنواعٍ مِنَ الطُّيورِ المُتنَوِّعَةِ ، وَعَشَرَةَ مَعادِنَ مُسْتَخْرَجةً مِنَ الأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِها النَّاسُ ، لِيَظْهَرَ لَكَ كَثْرَةُ التنوُّعِ في المَخْلوقاتِ المُسَخَّرَةِ للإِنْسانِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حِلْيَةً : ما يَتحلَّى الإنْسانُ بِهِ كاللُّؤْلؤِ والمَرْجانِ .

الفُلْكِ : السُفُنِ .

مواخِرَ فيهِ : تَشُقُّ الماءَ وتَجْري في البَحْرِ .

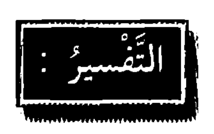
رَواسِيَ : جِبالاً ثوابِتَ .

تَميدَ : تَتحرَّكَ وتَضْطَرِبَ .

سُبُلاً : طُرُقاً .

لا تُحْصوها : لا تُطيقوا حَصْرَها .

أيّانَ : مَتى .



بَعْدَ أنْ ذَكَّرَ سُبْحانَهُ بِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِهِ على الإنْسانِ في البَرِّ والسَّماءِ ، أَتْبَعَها بالتَّذْكيرِ بِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِهِ في البَحْرِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي ذَلَّلَ لَنا البَحْرَ ، ومَكَّننا مِنَ الانْتِفاعِ بهِ ، فَمِنْهُ نَصْطادُ الأسْماكَ ذاتَ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ الشَّهِيِّ ، وذاتَ الأصْنافِ المُتَنَوِّعَةِ والأحْجامِ المُتَعَدِّدَةِ والطُّعومِ المُخْتَلِفَةِ . ومِنَ البَحْرِ نَسْتَخْرِجُ أنْواعَ اللُّؤلؤِ والمَرْجانِ التي نَتَّخِذُ مِنْها حُلِيّاً تَتحلّى بهِ النّساءُ وتَلْبَسُهُ لِلزِّينةِ والتَّجمُّلِ ، وفي البَحْرِ تَسيرُ السُّفنُ تَشقُّ مِياهَهُ ، حامِلَةً الناسَ والبَضائِعَ ، كلُّ ذلكَ مُسَخَّرٌ لَنا لِيَسْهُلَ عَلَيْنا السَّفَرُ طَلباً لِلرِّزْقِ ، ولِنَتمكَّنَ مِنَ الصَّيْدِ والغَوْصِ لاسْتِخراجِ اللُّؤلؤِ والمَرْجانِ ، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ نَشْكُرَ اللهَ تَعالى على ما سَخَّرَ لَنا وَهيَّأَ مِنْ وَسائِلِ الانْتِفاعِ والارْتِزاقِ .

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

واللهُ تَعالى هُوَ الَّذي جَعَلَ في الأرْضِ جِبالاً ثابِتةً كَيْ تَحْفَظَ تَوازُنَ الأرْضِ فلا تَضْطَرِبُ في سَيْرِها ولا تَنْحَرِفُ عَنْ مسارِها ، وجَعَلَ في الأرْضِ أنهاراً ذاتَ مِياهٍ عَذْبَةٍ تَجْري مِنْ مَنابِعِها إلى مَصابِّها ، لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِها شُرْباً لَهُمْ ولأنْعامِهِمْ وَسُقيا لِزَرْعِهِمْ واصْطِيادِهِمْ ، وانْتِقالاً مِنْ مكانٍ لآخَرَ، ومَنْظَراً بَهيجاً يَسُرُّ النَّاظِرينَ ، وجَعَلَ في الأرْضِ طُرُقاً كثيرةً يَنْتَقِلُ عَبْرَها الناسُ مِنْ مكانٍ لآخَرَ وَيَهْتَدونَ إلى غايَتِهِمْ بِسُلوكِها .

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

واللهُ تَعالى جَعَلَ في الأرْضِ مَعالِمَ وأماراتٍ يَهْتَدي بها المُسافِرونَ في أسْفارِهِمْ وَتُعينُهُمْ على الوُصولِ إلى غايَتِهِمْ ، ومِنْ هذهِ المَعالِمِ : الجِبالُ ذاتُ الأشْكالِ المُتَميِّزةِ ، والوِدْيانُ ذاتُ العلاماتِ الفارِقَةِ ، والآكامُ والسُّهولُ ونَحْوها ، وجَعَلَ اللهُ تَعالى النُّجومَ الّتي في السَّماءِ علاماتٍ يَهْتَدي بِها المُسافِرونَ في البَحْرِ والبَرِّ ويَعْرِفونَ مِنْ خِلالِها اتّجاهاتِهِمْ ومكانَ وُجودِهِمْ .

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ هذ البَيانِ الإلَهِيِّ لِهذهِ النِّعَمِ الكَثيرةِ جاءَ هذ السُّؤالُ والاسْتِفْهامُ للإنْكارِ والتَّوْبيخِ لِمَنْ عَبَدَ

غَيْرَ اللهِ ، أيْ أَفَمَنْ يَخْلُقُ هذهِ الأشياءَ البَديعةَ المُتْقَنَةَ في صُنْعِها وإحْكامِها كَمَنْ لا يَخْلُق شَيْئاً مِثْلَها بَلْ هُوَ مَخْلوقٌ ضَعيفٌ لا يَمْلِكُ القُدْرَةَ على الخَلْقِ والإيجادِ ، فَكَيْفَ تُساوونَ أيُّها المُشْرِكونَ بَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ ومَنْ لا يَخْلُقُ ، وأيْنَ عُقولُكُمْ لِتَبَيَّنَ لَكُمْ خَطأَ فِعْلِكُمْ ، أفلا تَتذكَّرونَ فَتَعْرِفونَ خَطأَ ما أَنْتُم عليْهِ مِنْ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ثُمَّ يُبَيِّنُ اللهُ تعالى أنَّ نِعَمَهُ الَّتي جَعَلَها لِعبادِهِ لا تُحْصى ، فإذا حاوَلْتُم أَنْ تَعُدّوا نِعَمَ اللهِ الّتي أَنْعَم بِها عَلَيْكُمْ فَلَنْ تَسْتَطيعوا الإحاطَةَ بِها أوْ حَصْرَها ، وهِيَ أَكْبَرُ وأكْثَرُ مِنْ قُدْرَتِكُمْ على إحْصائِها فَضْلاً عَنِ القِيامِ بِحَقِّ شُكْرِها ، وإِنَّ النِّعْمَةَ الواحِدَةَ لَتَنْطَوي على نِعَمٍ كَثيرةٍ في ثَناياها ، وكَمْ مِنْ نِعَمٍ خافِيَةٍ غائِبَةٍ عَنِ الأَعْيُنِ والأذهانِ ، ﴿إِنَّ اللهَ لَغفورٌ رَحيمٌ﴾ وهذهِ واحِدَةٌ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ ، فاللهُ تَعالى غَفورٌ لِعبادِهِ يَعفو عَنْ سَيِّئاتِهِمْ ، رَحيمٌ بِهِم حَيْثُ يُنْعِمُ عَلَيْهِم مَعَ تَقْصيرِهِمْ .

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

واللهُ تَعالى وَحْدَهُ يَعْلَمُ ما تُسِرّونَهُ مِنْ أَقْوالٍ وأَفْعالٍ ، ويَعْلَمُ ما تُظْهِرونَهُ مِنْها ، فَهُوَ سُبْحانَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ أعمالِكُمْ أقوالِكُمْ ولا مِمَّا تُخْفونَهُ في نُفوسِكُمْ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

أَمَّا هذه الآلِهَةُ الَّتي يَعْبُدُها المُشْرِكونَ مِنْ دُونِ اللهِ فإنَّها لا تَخْلُقُ شَيْئاً مَهْما كانَ صَغيراً أَوْ حَقيراً ، لأَنَّها مَخْلوقةٌ ، بَلْ مِنْها ما هُوَ مَصْنوع بِأَيْديكُمْ كَبَعْضِ الأَصْنامِ ، فَمَنْ كانَ هذهِ حالُهُ كَيْفَ يُعْبَدُ ويُعَظَّمُ ؟

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

وهذهِ الآلِهَةُ المَزْعومةُ مُجرَّدُ أمواتٍ لا أَثَرَ لِلحياةِ فِيهِمْ . فلا هُمْ يَسْمَعونَ كلاماً ولا يُبْصِرونَ عابِداً ولا يَتَحرَّكونَ مِنْ أماكِنِهِم ولا يَمْلِكونَ لأَنْفُسِهِم ولا لِغَيْرِهِمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً ، وهِيَ مُجَرَّدُ جَماداتٍ وحِجارةٍ لا يَشْعرونَ ولا يَدْرونَ مَتى يُبْعَثُ عابِدوهُمْ ولا مَتى يُبْعَثونَ هُمْ ، وهذا تَهَكُّمٌ بِهذهِ الآلِهَةِ وبِمَنْ يَعْبُدُها وهُو يَرى حالَها وعَجْزَها عنِ الإدراكِ ، ومَعَ ذَلِكَ يُصِرُّ على عِبادَتِها وتَعْظيمِها ، وقَدْ تَكونُ هذه الآلِهَةُ مِنَ البَشَرِ الأَحْياءِ أوِ الأَمْواتِ . وَجَميعُ ما ذُكِرَ في هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِم فَهُمْ مَخْلوقونَ ، لا يَسْتَطيعونَ خَلْقَ شَيْءٍ ، وهُمْ إمّا أمواتٌ وإمَّا أحْياءٌ مآلُهُم إلى المَوْتِ قَريباً ، ولا أَحَدَ مِنْهُم يَعْلَمُ مَوْعِدَ بَعْثِهِ وعِقابِهِ إنْ كانَ راضِياً بِعبادَتِهِ مِنْ دونِ اللهِ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ راضِياً بِذلكَ مِثْلَ عِيسى عليْهِ السلامُ فإنّهُ سَيتبرَّأُ مِمَّنْ عَبَدَهُ وعَظَّمَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ كَثْرَةُ مَنافعِ البِحارِ والأَنْهارِ وَتَنَوُّعِها ، مِمَّا يَقْتَضي شُكْرَ المُنْعِمِ بِها ، والمُحافَظَةَ عَلَيْها والاعْتِناءَ بِها .

٢ـ في البِحارِ كَثيرٌ مِنَ الأَسْرارِ والمَنافِعِ الَّتي تُوجِبُ عَلَيْنا المَزيدَ مِنَ البَحْثِ عَنْها .

٣ـ الحَثُّ على طَلَبِ الرِّزْقِ والسَّعْيِ في البَحْثِ عَنْهُ .

٤ـ جوازُ المُقارَنَةِ بَيْنَ مَظاهِرِ قُوَّةِ الخَلْقِ وَضَعْفِ المَخْلوقِ لِتَقْريرِ بُطلانِ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ .

٥ـ عَجْزُ الإِنْسانِ عَنْ إِحصاءِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، يَقْتَضي مِنْهُ شُكْرَهُ عَلَيْها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ أَرْبَعةً مِنْ الفوائِدِ الّتي تَحْصُلُ للإِنْسانِ مِنَ البَحْرِ .

٢ـ ما فائِدَةُ وُجودِ الجبالِ على الأَرْضِ ؟

٣ـ ما أَوْجُهُ الانْتِفاعِ مِنَ الأَنْهارِ ، والسُّبُلِ ، والعلاماتِ ، والنُّجوم ؟

٤ـ أ ـ لِماذا يَعْجَزُ الإِنْسانُ عَنْ إِحصاءِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ؟

ب ـ وَعَلى ماذا يَدُلُّ ذَلِكَ ؟

٥ـ ما الأَثَرُ الّذي يُحْدِثُهُ عِلْمُ اللهِ بِما نُسِرُّ وَبِما نُعْلِنُ ؟

٦ـ في الآياتِ الكَريمَةِ مُقارَنَةٌ بَيْنَ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى الخالِقِ ، وَبَيْنَ ضَعْفِ المَعْبوداتِ الأُخْرى المَخْلوقةِ ، اذْكُرْ أَوْجُهَ المُقارَنَةِ ، وما نَتيجَتُها .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ الصَّافّاتِ الّتي تُبَيِّنُ أَنَّ المُشْرِكينَ كانوا يَنْحِتونَ الأَصْنامَ الّتي يَعْبدونَها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نَوْعاً آخَرَ مِنَ المَخْلوقاتِ عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللهِ دُونَ إرادَتِها وَرِضاها .

٣ـ نَظِّمْ على لَوْحَةٍ كَرْتونِيَّةٍ نِعَمَ اللهِ تَعالى الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ حَسَبَ المجالاتِ الآتيةِ ، وضَعْها في مَكْتَبَةِ المَدْرَسَةِ :

أ ـ الجَوُّ والسَّماءُ .

ب ـ الأرضُ اليابِسَةُ .

ج ـ البِحارُ والأَنْهارُ .

د ـ الحيواناتُ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعُ

سُورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا جَرَمَ	: حَقّاً .
أساطيرُ الأَوّلينَ	: أَباطيلُ وَخُرافاتٌ سَطَّرَها الأَقْدَمونَ .
أوزارَهُمْ	: ذُنوبَهُمْ .
القواعِدَ	: الدَّعائِمَ والأُسُسَ .
يَخْزيهِمْ	: يُذِلّهُمْ وَيُهينُهُمْ .
تُشاقّونَ	: تُخاصِمونَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ اللهُ تَعالى في الآياتِ السَّابِقَةِ عِبادَةَ غَيْرِهِ وكَشَفَ زَيْفَ الآلِهَةِ الَّتي تُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ، أَتْبَعَ ذلكَ بِبَيانِ أَنَّهُ لا مَعبودَ بحقٍّ إلاّ هُوَ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

أيْ إلٰهُكُمُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ والطَّاعَةِ هُوَ إلهٌ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ ، فاعْبُدوهُ ، ولا تُشْركوا بهِ شَيْئاً ، لَكِنَّ المُشْرِكينَ لا تُقْنِعُهُمُ البَراهينُ والأدِلَّةُ ، فالَّذينَ لا يُصَدِّقونَ بالآخِرَةِ قُلوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ لِوَحْدانِيَّةِ اللهِ مَعَ كَثْرَةِ الأدِلَّةِ عَلَيْها ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرونَ عنْ سَماعِ الحَقِّ واتِّباعِهِ . ومَنِ اجْتَمَعَتْ فيهِ هاتانِ الصِّفتانِ : الجُحودُ والاسْتِكْبارُ ، كانَ مِنْ أَهْلِ الخَسارةِ والبَوارِ .

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾

أيْ : أَنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ جَميعَ أحْوالِهِمْ ، ما يُسِرّونَهُ مِنْها وما يُعْلِنونَهُ وَسَيُجازيهِمْ عَلَيْها بما يَسْتَحِقّونَ مِنْ عُقوبةٍ ، واللهُ تَعالى لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرينَ ، لأنَّ المَخْلوقَ لا يَليقُ بِهِ أن يَتَكَبَّرَ ، فالكِبْرِياءُ مِنْ خَصائصِ الخالِقِ العَظيمِ ، وفي الحَديثِ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ، قالَ اللهُ تَعالى : « الكِبْرِياءُ رِدائِي ، والعَظَمَةُ إزارِي ، فَمَنْ نازَعَني واحِداً مِنْهُما قَذَفْتُه في النّارِ »[١] ،

وقولُه تَعالى ﴿إنّه لا يُحِبُّ المُسْتَكْبرينَ﴾ وَعيدٌ عامٌّ في الكافِرينَ والمُؤْمِنينَ يَنالُ كُلاًّ مِنْهُم بِحَسَبِ دَرَجَةِ تَكَبُّرِهِ وتَعالِيهِ ، فَمَنْ تَكَبَّرَ أَبْغَضَهُ اللهُ وَلَمْ يُدْخِلْهُ في عِدادِ مَنْ يُحِبُّهُم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

في هَذِه الآيةِ الكَريمَةِ تَبْيينُ بَعْضِ ما كانَ يَدورُ مِنْ حَديثٍ بَيْنَ المُشْرِكينَ وَماذا كانوا يُجيبونَ الحاضِرينَ إلى مَكَّةَ مِنَ النّاسِ ، فإذا قالَ قائِلٌ لِهؤلاءِ الكّافِرينَ المُتَكَبِّرينَ : ما الَّذي أَنْزَلَهُ رَبُّكُم على نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ قالوا رَدّاً على هذا السُّؤالِ : إنَّ ما يَقولُهُ هذا الرَّجُلُ هُوَ مُجَرَّدُ أباطيلَ وخُرافاتٍ سَطَّرَها القُدَماءُ في كُتُبِهم ، ويَزْعُمُ أَنَّها أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، وهُمْ يَعْلَمونَ كَذِبَ مَقالَتِهِمْ هذهِ ، وَلِذا تَوَعَّدَهُمُ اللهُ تَعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ .

اللّامُ في ﴿لِيَحْمِلوا﴾ هي لامُ العاقِبَةِ ، أي عاقِبَةُ أَمْرِهِم يَوْمَ القِيامةِ أَنْ يَحْمِلوا آثامَهُم كُلَّها تامَّةً غَيْرَ مَنْقوصَةٍ ، ومُضافاً إلَيْها مِنْ عِقابٍ أَليمٍ ، ألا بِئْسَ ما يَحْمِلونَ مِنْ آثامٍ وَذُنوبٍ نَتيجةَ كُفْرِهِمْ وضَلالِهِمْ وإضْلالِهِمْ غَيْرَهُمْ .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس ، رقم الحديث ٣٥٦٧ .

وتُصوِّرُ الآيةُ الكَريمةُ الأَوْزارَ على أنَّها أَثْقالٌ تُرْهِقُ النُّفوسَ وَتُتْعِبُ حامِليها ، وهِيَ صُورَةٌ مُنَفِّرَةٌ مِنَ الأوزارِ والآثامِ .

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ مَسوقَةٌ لِتَسْلِيةِ النَّبيِّ ﷺ ومَنْ اتَّبَعهُ في مُقابِلِ مَكْرِ الكافِرينَ بهِم ، فَيُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ قَدْ سَبَقَ هؤلاءِ الكافِرينَ أقوامٌ آخَرونَ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ وآذَوْهُمْ ، فَكانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنْ هَدَمَ اللهُ تَعالى بُنْيانَهُمُ الّذي بَنَوْهُ مِنْ قَواعِدِهِ وَأُسُسِهِ ، فَسَقَطَ عَلَيْهِمْ سَقْفُ هذا البُنيانِ مِنْ فَوْقِهِم فَأَهْلَكَهُم .

فَما كانوا يَظُنُّونَهُ حامِياً لَهُمْ مِنَ المَهالِكِ كانَ سَبَباً في هَلاكِهِمْ وتَدْميرِهِمْ ، وَرَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ في نَحْرِهِمْ وعادَتْ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وأَصْبَحَ بِناؤُهُمُ المُحْكَمُ الّذي أَرادوا بهِ حِمايَةَ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْصينَها سَبَبَ هَلاكِهِمْ ومَقْبَرَتِهِمْ ، وكانَ عذابُهُمْ مِمَّا لَمْ يَحْسِبوا حِسابَهُ ، ولَمْ يَتوقَّعوا أنْ يَكونَ سَبَباً في هلاكِهِمْ والقَضاءِ عَلَيْهِمْ .

وَيجوزُ حَمْلُ ما أَوْرَدَتْهُ الآيةُ مِنْ وَصْفِ تَهدُّمِ البناءِ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ على أَنَّهُ تَشْبيهٌ بَليغٌ لِحالِهِمْ ، ويَكونُ مَعنى الآيةِ عَلَيْهِ : أَنَّ المُشْرِكينَ السَّابقينَ قَدْ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ ودَبَّروا حِيَلاً لِذلكَ ، وكانَ حالُهُمْ في فِعْلِهِمْ في هذا كَحالِ قَوْمٍ بَنَوْا بُنياناً وَجَعلوا فيهِ الأَعْمِدَةَ والأَساطِينَ ، فانْهَدَمَ وَتهاوَتْ أَعْمِدَتُهُ وسَقَطَ سَقْفُهُ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ ، فما أَعدُّوهُ لِيَكونَ سَبَبَ بَقائِهِمْ صارَ سَبَبَ فَنائِهِمْ .

هَذ ما بَيَّنَتْهُ الآيةُ حَوْلَ مَصيرِهِمْ في الدُّنْيا ، أَمَّا مَصيرُهُم في الآخِرَةِ فبيَّنَهُ قولُهُ تَعالى :

﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى سَيُذِلُّ هؤلاءِ الّذينَ مَكَروا بِرُسُلِهِمْ وبِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أقوامِهِمْ يَوْمَ القيامةِ ، ويَسْأَلُهُمْ : أَيْنَ الّذينَ جَعَلْتُموهُمْ شُرَكاءَ لِي وَكُنْتُمْ تَعْبدونَهُمْ مِنْ دوني ، وكُنْتُمْ تُخاصِمونَ المُؤْمِنينَ في شَأْنِهِمْ ، أينَ هُمْ ؟ لِمَ لا يَحْضرونَ لِيَدفَعوا عَنْكُمُ العَذابَ ؟ ولا يَمْلِكُ المُجْرِمونَ الإجابَةَ عَنِ السُّؤالِ مِنْ رَهْبَةِ المَوْقِفِ والنَّدَمِ على ما فَعَلوا ، فَيقولُ الّذينَ يَعْلَمونَ الحَقَّ وهُمُ المُؤْمِنونَ وأَتْباعُهُمْ : إنَّ الذُّلَّ والمَهانَةَ والخِزْيَ واقِعٌ اليومَ على الكافِرينَ الّذينَ كانوا يُنْكِرونَ هذا اليَومَ ويَجْحَدونَهُ ويُكَذِّبونَهُ ، وفي سَماعِ الكافِرينَ لِهذا القَوْلِ زيادةٌ في حَسْرَتِهِمْ وأَلَمِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذَمُّ الاسْتِكْبارِ الّذي هُوَ سَبَبُ كَثيرٍ مِنَ الذُّنوبِ والسَّيِّئاتِ .

٢ـ المُشْرِكونَ جَمَعوا مَعَ الكُفْرِ جَريمَةَ الكَذِبِ والافْتِراءِ والقَوْلِ على اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

٣ـ بيانُ عَظيمِ إثْمِ مَنْ يُضِلُّ غَيْرَهُ عَنِ الهُدى ، حَيْثُ سَيُشارِكُ مَنْ أَضَلَّهُم في حَمْلِ أَوْزارِهِمْ .

٤ـ لا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهْلِهِ ، فَلْيَحْذَرِ المُؤْمِنُ مِنَ المَكْرِ والكَيْدِ بالآخَرينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلَةِ التاليَةِ :

١ـ وَصَفَتِ الآيَةُ (٢٢) المُشْرِكينَ بِصِفَتَيْنِ ، ما هُما ؟

٢ـ ما سَبَبُ عَدَمِ مَحبَّةِ اللهِ تَعالى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ؟ وَهَلْ ذَمُّ الكِبْرِ خاصٌّ بالكافِرينَ أَمْ يَشْمَلُ المُؤْمِنينَ مَعَهُمْ ؟

٣ـ ما المَقْصودُ بِأَساطيرِ الأَوَّلينَ ؟

٤ـ ماذا سَيَحْمِلُ الكافِرونَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٥ـ ما السَّبَبُ في حَمْلِ الكافِرينَ أَوْزارَ الَّذينَ يُضِلّونَهُمْ ؟

٦ـ كَيْفَ بَيَّنَتِ الآيَةُ (٢٦) مَكْرَ الكاذِبينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ بِرُسُلِهِمْ وَعاقِبَةَ ذَلِكَ المَكْرِ ؟

٧ـ بِماذا يُجيبُ الكافِرونَ يَوْمَ القِيامَةِ على السُّؤالِ عَمَّنْ كانوا يَعْبدونَهُمْ في الدُّنْيا ؟

٨ـ ما فائِدَةُ تَقْريرِ المُؤْمِنينَ يَوْمَ القيامَةِ أَنَّ الذِّلَّةَ والمَهانَةَ على الكافِرينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الحَديثَ القُدُسِيَّ الَّذي يُبَيِّنُ ثِمارَ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ .

٢ـ اذْكُرْ حديثاً نَبَوِيّاً يَدُلُّ على أَنَّ مَنْ دَعا إلى ضَلالَةٍ كانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ أَضَلَّهُ دونَ أَنْ يَنقُصَ مِنْ وِزْرِهِ شَيءٌ .

الدرس الخامس

سورة النّحلِ - القِسْمُ الخامِسُ

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فالقَوْا السَّلَمَ : أَظْهروا المُسالَمَةَ والخُضوعَ .

مَثْوى : مَقامٌ .

جَنّاتِ عَدْنٍ : جَنّاتِ إقامَةٍ دائِمَةٍ .

طَيّبينَ : صالحِينَ .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بتَبْيينِ حالِ الكافِرينَ عِنْدَ نَزْعِ أرْواحِهِمْ ، ومَصيرِهِمْ بَعْدَ ذلكَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ الّذينَ سَيُصيبُهُمُ الخِزْيُ والسُّوءُ يومَ القِيامَةِ ، تَتوفّاهُمُ المَلائِكَةُ المُوَكَّلَةُ

بِقَبْضِ أرْواحِهِمْ وهُمْ على حالِهِمْ مِنَ الكُفْرِ وظُلْمِ أنْفُسِهِمْ ، فَتَجِدُهُمْ حينَ يُعانونَ المَوْتَ يُظْهِرونَ المُسالَمَةَ والخُضوعَ ، ويَزْعُمونَ أنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلوا في حَياتِهِمْ سوءاً قَطُّ ، فَيُكَذِّبُهُمُ اللهُ تَعالى في قَوْلِهِم هذا ويُقالُ لَهُم : بَلى كُنْتُمْ تَعْمَلونَ السُّوءَ وتَأْتونَهُ ، ولا يَنْفَعُكُمْ إنْكارُكُمْ ذلكَ الأمرَ شَيْئاً ، لأنَّ اللهَ تَعالى العَليمَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، يَعْلَمُ كُلَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَهُ في حياتِكُمْ ، وسَيُجازيكُمْ عَلَيْهِ بما تَسْتَحِقّونَ .

﴿ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

فادْخُلوا أيُّها الكافِرونَ إلى جَهَنَّمَ مِنْ أبوابِها ، حالَ كَوْنِكُمْ خالِدينَ فيها لا تَخْرجونَ مِنْها ولا يُخَفَّفُ عَنْكُم مِنْ عَذابِها ، وما أَسْوأَ المَقَرَّ الَّذي أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْمُتَكَبِّرينَ الَّذينَ آثَروا الكُفْرَ على الإيمانِ ، والمَعْصِيَةَ على الطَّاعةِ ، وماتوا على هذهِ الحالِ .

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ حالَ المُشْرِكينَ الَّذينَ قالوا عَنِ القُرْآنِ لَمَّا سُئِلوا عَنْه : ﴿أساطيرُ الأوَّلينَ﴾ فكانَ جزاؤُهُمْ جَهَنَّمَ خالدينَ فيها ، تَلَتْها هذهِ الآياتُ لِبيانِ حالِ الفَريقِ الآخَرِ ، الّذينَ أحْسَنوا القَوْلَ والعَمَلَ فاسْتَحَقّوا على ذَلِكَ خَيْرَ الآخِرَةِ والأُولَى ، هؤُلاءِ المُتَّقونَ إذا قِيلَ لَهُمْ : ماذا أنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ ﴿قالوا خَيْراً﴾ أيْ أنْزَلَ خَيْراً كثيراً ، وهُوَ القُرْآنُ ففيهِ كُلُّ الخَيْرِ ، وهُوَ كِتابُ الهِدايةِ والإرْشادِ إلى كُلِّ خَيْرٍ ، والّذينَ يَسْأَلونَ : ماذا أنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟ هُمْ إمّا القادِمونَ إلى مَكَّةَ فَيسأَلونَ عَمَّا أنْزَلَهُ اللهُ تَعالى على نَبِيِّهِ ﷺ حينَ يَسْمَعونَ بِأَمْرِ البَعْثَةِ والرِّسالَةِ ، وإمَّا المُؤْمِنونَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِيُقَوِّيَ السّائِلُ إيمانَهُ حينَ يَسْمَعُ الجَوابَ الّذي يَعْلَمُهُ فَيزدادُ يَقيناً على يَقينِه ، وإمّا الكافِرونَ يَسألونَ لِلسُّخْرِيَةِ والتَّهَكُّمِ .

ثُمَّ أخْبَرَ سُبْحانَه عمّا أعَدَّهُ لِعبادِهِ المُتَّقينَ مِنْ حُسْنِ الجَزاءِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، فَقالَ : ﴿لِلّذينَ أحْسَنوا في هذهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾ أيْ لِلَّذينَ كانوا مُحْسِنينَ في قَوْلِهِمْ وعَمَلِهِمُ الجَزاءُ الحَسَنُ على ذَلِكَ في الدُّنْيا ، حَيْثُ يَنْصُرُهُمُ اللهُ ويُمَكِّنُ لَهُمْ في الأرْضِ ويُحييهِمْ حياةً طَيِّبَةً كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل : ٩٧] هذا في الدُّنيا ، أمّا في الآخِرَةِ فَلَهُمْ أعْظَمُ الأجْرِ وأحْسَنُهُ ، وما في الدّارِ الآخِرَةِ لَهُمْ مِنْ جَزاءٍ عَظيمٍ أفْضَلُ لَهُمْ وأطْيَبُ مِنْ جزاءِ الدُّنْيا الّذي يَنْتَهي ويَنْقَطِعُ ، أمّا جَزاءُ الآخِرَةِ فَهُو دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ ، ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقينَ تِلْكَ الدّارُ ، الّتي مِنْ صِفَتِها أنها :

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فَهِيَ جنّاتٌ ذاتُ أشْجارٍ كَثيرةٍ مُتنوِّعَةٍ ، يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً لا تَنْقَطِعُ ، وتَجْري مِنْ تَحْتِ

أشْجارِها وقُصورِها الأنْهارُ زِيادةً في جَمالِها وَكَمالِها ، وَلِيَتِمَّ بذلكَ سُرورُ أَهْلِها ، وَلأَهْلِها فيها ما يَشاؤونَ مِنْ أنْواعِ المُشْتَهَياتِ الَّتي تَخْطُرُ ببالِهِمْ فَيَجِدونَها حاصِلَةً لَهُمْ على الوَجْهِ الَّذي يَرْغَبونَهُ ، كما قالَ تَعالى : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف : ٧١] ومِثْلُ هذا الجَزاءِ العَظيمِ يُعْطِيهِ اللهُ تَعالى كُلَّ مَنِ اتَّقاهُ وَعَمِلَ بما أمَرَ بِهِ واجْتَنَبَ ما نَهى عَنْهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ هَؤلاءِ المُتَّقينَ عِنْدَ قَبْضِ أرْواحِهِمْ . فَقالَ :

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ .

أيْ : إنَّ هؤلاءِ المُتَّقينَ عِنْدما تَتوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ المُؤَكَّلَةُ بِذلكَ ، يَكونونَ بِحالٍ صالِحَةٍ ، طاهِرينَ مِنْ ظُلْمِ أَنْفُسِهِم وغَيْرِهِمْ ، ومِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وتَقولُ المَلائِكَةُ لَهُمْ : سَلامٌ عَلَيْكُمْ وأمانٌ لَكُمْ ، وأَبْشِروا بِدُخولِ الجَنَّةِ الَّتي أُعِدَّتْ وَهُيِّئَتْ لَكُمْ وَوُعِدْتُمْ بِنَعيمِها ، بِسَبَبِ ما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ مِنْ أَعْمالٍ صالِحَةٍ حَسَنَةٍ ، اسْتَحْقَقْتُمْ بِها رِضْوانَ اللهِ ودُخولَ جَنَّتِهِ .

وفي الآيَةِ حَثٌّ لِلمُتَّقينَ كَيْ يُحافِظوا على تَمَسُّكِهِمْ بِها حَتَّى المَماتِ لِيَنْطَبِقَ عَلَيْهِم ما ذُكِرَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تُوَبِّخُ المَلائِكَةُ المُشْرِكينَ عِنْدَ قَبْضِ أَرْواحِهِمْ وَتُنْذِرُهُمْ بِالعَذابِ ، وَتُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ بالرِّضا والنَّعيمِ .

٢ـ يُحاوِلُ المُشْرِكونَ إنْكارَ أَعْمالِهِمْ في الدُّنْيا في مُحاوَلَةٍ مِنْهُمْ لِلْهُروبِ مِنْ جَزائِها وَلكِنْ بلا فائِدَةٍ .

٣ـ أَعَدَّ اللهُ تَعالى الجَزاءَ الحَسَنَ في الدُّنْيا وَفي الآخِرَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ .

٤ـ دارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الحياةِ الدُّنْيا ، والجَزاءُ فيها أَتَمُّ مِنَ الجَزاءِ في الدُّنْيا .

٥ـ الأعمالُ الصالِحَةُ سَبَبٌ لِدُخولِ الجَنَّةِ ، والتَّوْفيقُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ وَفَضْلٌ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيفَ يَكونُ حالُ الكافِرينَ عِنْدَما تَتَوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ؟

٢ـ لماذا يُحاوِلُ الكافِرونَ إنْكارَ أَعْمالِهِمُ السَّيِّئَةَ عِنْدَ المَوْتِ ؟

٣ـ ماذا يَقولُ المُتَّقونَ حِينَ يُسْأَلونَ : ماذا أنْزَلَ رَبُّكُمْ ؟

٤ـ بيِّنْ جزاءَ المُتَّقينَ كما وَرَدَ في هَذِه الآياتِ الكَريمَةِ .

٥ـ قارِنْ بَيْنَ حالِ الكافِرينَ والمُتَّقينَ عِنْدما تَتوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ .

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ يَعْرِفُ الكافِرُ ما يَنْتَظِرُهُ مِنْ عذابٍ عِنْدَ مَوْتِهِ .

ب ـ يَجْزِي اللهُ تَعالى المُحْسِنينَ خَيْراً على إحْسانِهِمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ج ـ ثَوابُ الآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ثَوابِ الدُّنْيا .

د ـ في الجَنَّةِ كُلُّ ما يَتَمنَّى المَرْءُ .

هـ ـ تُبَشِّرُ المَلائِكَةُ المُؤْمِنَ بِدُخولِ الجَنَّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبيِّنُ كَيفَ يَقْبِضُ مَلَكُ المَوْتِ أرْواحَ النّاسِ عِنْدَ مَوْتِهِم .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَلْ يَنْظُرونَ	هَلْ يَتوقَّعونَ .
حاقَ بِهِمْ	أحاطَ بِهِمْ .
من دُونِهِ	مِنْ غَيْرِهِ .
فَهَلْ على الرُّسُلِ	فما على الرُّسُلِ .
البلاغُ المُبينُ	التَبليغُ الواضِحُ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ عَوْدٌ إلى الحَديثِ عَنِ المُشْرِكينَ وتَهْديدِهِمْ وَبيانِ بُطلانِ شُبُهاتِهِمُ الّتي يُثيرونَها وَيَزْعُمونَ أَنّهم على حَقٍّ وصَوابٍ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

هذا تَهْديدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ يُوَبِّخُهُمُ اللهُ تَعالى بهِ لِعَدمِ إيمانِهِمْ : فماذا يَنْتَظِرُ هؤلاءِ المُشْرِكونَ وماذا يَتوقَّعونَ ، فَهُمْ مُسْتَمِرّونَ على كُفْرِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ لِقَبْضِ أرْواحِهِمْ فَيَموتوا على الكُفْرِ والضَّلالِ ، أَوْ يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ تَعالى بِإهْلاكِهِمْ والانْتِقامِ مِنْهُمْ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ أَوْ بِزِلْزالٍ مُدَمِّرٍ ، أَوْ بِطوفانٍ مُغْرِقٍ أَوْ بِصَيْحَةٍ مُهْلِكَةٍ كما حَصَلَ مَعَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الّتي تَمادَتْ في كُفْرِها وأَصَرَّتْ عَلَيْهِ ، وهذا المَوْقِفُ مِنَ المُشْرِكينَ شَبيهٌ بِفِعْلِ المُشْرِكينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الّتي أَهْلَكَها اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ إهْلاكُهُمْ ظُلْماً لَهُمْ ولا تَعَدّياً عَلَيْهِمْ ، ولَكِنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ لِكُفْرِهِمْ باللهِ تَعالى وإشْراكِهِمْ بِهِ ، فاسْتَحقّوا العَذابَ .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

هَذِهِ الجُمْلَةُ مَعْطوفَةٌ على قَوْلِهِ تَعالى : ﴿كَذلكَ فَعَلَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾ وما بَيْنَهُما جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ ، أيْ : إنَّ الكافرينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ تَمادوْا في كُفْرِهِمْ وَضَلالِهِمْ ، وأَصَرّوا على عَدَمِ الإيمانِ فَأَصابَهُمْ جَزاءُ أَعْمالِهِمُ السَّيِّئَةِ وأَحاطَ بِهِمُ العَذابُ مِنْ كَلِّ جانِبٍ ، وقَدْ كانوا قَبْلَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ يَسْتَهْزِئونَ بهِ وَيَسْخَرونَ مِنْهُ كُلّما تَوعَدَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِهِ إنِ اسْتَمرّوا في كُفْرِهِمْ .

فَفِي قَوْلِهِ تَعالى ﴿فَأَصابَهَمْ سَيِّئاتُ﴾ مُضافٌ مَحْذوفٌ تَقْديرُهُ : فَأَصابَهُمْ جَزاءُ سَيِّئاتِ ما عَمِلوا .

وفي اسْتِخدامِ الفِعْلِ ﴿حاقَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ العَذابَ لَمْ يَقْتَصِرْ على مُجرَّدِ إصابَتِهِمْ بَلْ شَمَلَهُمْ وَعَمَّهُمْ وأحاطَ بِهِمْ وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُم أَحَداً .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

هذهِ حُجَّةٌ باطِلَةٌ واهِيَةٌ احْتَجَّ بِها المُشْرِكونَ السَّابِقونَ ، ويَحْتَجُّ بِها عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ لإمْضاءِ ما هُمْ فيهِ مِنْ باطِلٍ وَضَلالٍ وَجَعْلِهِ مُوافِقاً لإرادَةِ اللهِ تَعالى .

أَيْ : وقالَ المُشْرِكونَ مِنْ أهْلِ مَكَّةَ لِلرَّسولِ ﷺ مُحْتَجِّينَ لِما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ : لَوْ شاءَ اللهُ عَدَمَ عِبادَتِنا لِشَيْءٍ غَيْرِهِ لَما حَصَلَ مِنّا ذَلِكَ وَلَعَبَدْناهُ وَحْدَهُ دونَ غَيْرِهِ ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً نَحنُ ولا آباؤُنا الّذينَ سَبَقونا وكانوا على هذا الدِّينِ ، ونَحْنُ نَقْتَدي بِهِم ونَتَّبِعُهُمْ في طَريقَتِهِمْ .

وكذلكَ لَوْ شاءَ اللهُ تَعالى ألاّ نُحَرِّمَ شَيْئاً مِمَّا حَرَّمنا على أنْفُسِنا لَتَمَّتْ مَشيئَتُهُ وَلَما حَرَّمْنا شَيْئاً لَمْ

يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ لَمْ يَشَأْ ذلكَ ، بَلْ شاءَ لَنا أنْ نُشْرِكَ مَعَهُ في العِبادَةِ هذهِ الأَصْنامَ ، وأنْ نُحَرِّمَ على أنفُسنا بَعْضَ الأَنْعامِ ، وَرَضِيَ لَنا ذَلِكَ ، فَلِماذا تُطالِبُنا أَيُّها الرَّسولُ بِتَغْيِيرِ مَشيئَةِ اللهِ وَتَدْعونا إلى الدُّخولِ في الإِسْلامِ ، واللهُ لا يريدُ مِنّا ذلِكَ ؟

وَهَذِهِ المَقولَةُ مِنْ كُفّارِ مَكَّةَ قالَها المُشْرِكونَ الّذينَ سَبَقوهُمْ فَأَشْرَكوا باللهِ وَكَذَّبوا رُسُلَهُ ، وَحَرَّموا ما أَحَلَّهُ وجادَلوا بِالباطِلِ لِيَدْحضوا بِهِ الحَقَّ .

وَهَذِهِ الحُجَّةُ باطِلَةٌ ، لأنَّ المُشْرِكينَ يَجْعَلونَ شِرْكَهُمْ وَباطِلَهُمْ بِإذنٍ مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يُطْلِعْهُمْ على مَشيئَتِهِ حتَّى يَزْعُموا مُوافَقَتَها على ما يَفْعَلونَ . وَقَدْ أَعْلَمنا اللهُ تَعالى عَنْ مَشيئَتِهِ مِنْ خِلالِ رُسُلِهِ الّذينَ يُبَلِّغونَ ما أُمِروا بِهِ ، وَيَقومونَ بِتَبْليغِ الرِّسالَةِ على أَحْسَنِ وَجْهٍ وَأَتَمِّ حالٍ تَبْليغاً ظاهِراً واضِحاً لا لُبْسَ فيهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَشيئَةَ اللهِ تَعالى اقْتَضَتْ أَنْ لا يُلْزِمَ أَحَداً بِإيمانٍ ولا بِكُفْرٍ ، إِنَّما جَعَلَ في طَبيعَةِ البَشَرِ الاسْتِعْدادَ لِلْخَيْرِ والاسْتِعْدادَ لِلشرِّ ، وَوَهَبَهُمُ العَقْلَ الّذي يُمَيِّزونَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيُرْشِدوهُمْ إلى طريقِ الصَّوابِ ، فهذِهِ مَشيئَةُ اللهِ أَنْ يَتْرُكَ لِلنّاسِ حُرِّيَّةَ الاخْتِيارِ ، وَكُلُّ إنْسانٍ مُؤاخَذٌ على اخْتيارِهِ ، لأنَّهُ هُوَ الّذي اخْتارَ لِنَفْسِهِ ولَمْ يُلْزِمْهُ اللهُ تَعالى بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يُجْبِرْهُ على هُدىً ولا عَلى ضَلالٍ . وَمَعَ كَوْنِ العِبادِ مُخْتارينَ فيما يَأْتونَ وَيَشاؤونَ ، فإِنَّ اخْتِيارَهُمْ لا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِ اللهِ وَمَشيئَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَوافُقُ المُشْرِكينَ في جَميعِ العُصورِ على عَدَمِ الإيمانِ وَنِسْبَةِ شِرْكِهِمْ وضَلالِهِمْ لِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى .

٢ـ جَزاءُ عَدَمِ الإيمانِ العَذابُ الأَليمُ في الآخِرَةِ ، وَقَدْ يَسْبِقُهُ الإِهْلاكُ في الدُّنْيا .

٣ـ كُلُّ إنْسانٍ مُحاسَبٌ على عَمَلِهِ الّذي اخْتارَ القِيامَ بِهِ بِمَحْضِ إرادَتِهِ .

٤ـ اقْتِصارُ مُهِمَّةِ الأَنْبياءِ الكِرامِ على التَّبْليغِ والإِنْذارِ ، لا على الإِلْزامِ والإِجْبارِ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ وَجْهَ التَّهديدِ لِلْمُشْرِكينَ في الآيةِ (٣٣) .

٢ـ ما وَجْهُ اعْتبارِ المُشْرِكينَ شِرْكَهُمْ مُوافِقاً لِمَشيئَةِ اللهِ ؟ وما الرَّدُّ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعالى ﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في آياتِ هذا الدَّرْسِ مَرَّتَيْنِ ، ما دَلالَةُ ذَلِكَ ؟

٤ـ بَيِّنْ ما في الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ تَسْلِيَةٍ لِلرَّسولِ ﷺ أمامَ تَكْذيبِ قَوْمِهِ لَهُ .

٥ـ بَيِّن مَعنى ما يَلِي :

أ ـ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ .

ب ـ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلوا .

ج ـ وحاقَ بِهِمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ .

د ـ ولا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ .

هـ ـ فَهَلْ عَلى الرُّسُلِ إلاّ البَلاغُ المُبينُ .

نَشاطٌ :

ـ اقْرَأ الآيةَ (١٠٣) من سورَةِ المائِدَةِ والآيتَيْنِ (١٣٨/ ١٣٩) مِنْ سورَةِ الأَنْعامِ، واسْتَخْرِجْ مِنْها ما حَرَّمَهُ المُشْرِكونَ على أنْفُسِهِمْ ، واكْتُبْ ذَلِكَ في دفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اجْتَنبوا الطَّاغُوتَ : اتْرُكوا كُلَّ مَعْبودٍ سوى اللهِ .

حَقَّتْ : ثَبَتَتْ .

تَحْرِصْ : تَجْتَهِدْ .

جَهْدَ إيمانِهِمْ : أَغْلَظَ الإيمانِ وَأَوْكَدَها .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَأْكيدُ الرَّدِّ على المُشْرِكينَ في زَعْمِهِمْ أَنَّ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ مُوافِقٌ لِمَشيئَةِ اللهِ تَعالى . قالَ سُبحانَهُ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أيْ : لَقَدِ اقْتَضَتْ مَشيئَتُنا وَحِكْمَتُنا أنْ نَبْعَثَ في كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ رَسولاً مِنْهُم يبلِّغُهُمْ رسالَةَ رَبِّهِ ، ويُرْشِدُهُمْ إلى ما فيهِ خَيرُهُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بعبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ عِبادَةِ كُلِّ ما سِواهُ مِنْ أَصْنامٍ وَتَماثيلَ أَوْ كُهّانٍ وَطَواغيتَ ، والطَّاغوتُ : اسْمٌ لِكُلِّ ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ .

وانْقَسَمَ الأَقْوامُ المُرْسَلُ إلَيْهِمْ أمامَ دَعْوَةِ الرُّسُلِ إلى : مُهْتَدينَ طائِعينَ لأَمْرِ رَبِّهِمْ مُلْتَزِمينَ بِتَوْجيهِ رَسولِهِمْ ، وَضالِّينَ لَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِ اللهِ وَلَمْ يُطيعوا رَسولَهُمْ ، وكانَ عاقِبَةُ ذَلِكَ نَجاةَ المُؤْمِنينَ وهَلاكَ الكافِرينَ المُكَذِّبينَ ، وإنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ أيُّها المُشْرِكونَ ، فَسيروا في الأَرْضِ وانْظُروا فيها مُعْتَبرينَ بِما حَدَثَ لِلْمُكَذِّبينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وشاهِدوا آثارَهُمُ الدَّالَّةَ على هَلاكِهِمْ وإبادَتِهِمْ ، واحْذَروا أَنْ يُصيبَكُمْ مِثْلُ ما أصابَهُم إنِ اسْتَمْرَرتُمْ في كُفْرِكُمْ وضَلالِكُم .

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

هذا خِطابٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ يَقولُ لَهُ : إنْ تَحْرِصْ أيُّها الرَّسولُ على هِدايةِ قَوْمِكَ فاعْلَمْ أنَّ حِرْصَكَ لا يَنْفَعُهُمْ ولا يُغَيِّرُ مِنْ حالِهِمْ ، فإنَّ حِكْمَةَ اللهِ اقْتَضَتْ أَنْ لا يَهْدِيَ مَنِ اخْتارَ الضَّلالَةَ وسارَ في طَريقِها ، فلا يُجْبَرُ أحَدٌ على الهِدايةِ وَهُوَ لا يَرْغَبُ فيها ، ولَيْسَ لِهؤلاءِ الضَّالِّينَ الَّذينَ اخْتاروا هَذا الطَّريقَ مِنْ ناصِرينَ يُنْجونَهُمْ مِنْ عذابِ اللهِ ، أوْ يَنْفَعونَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الأَشْياءِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ إشارَةٌ إلى ما كانَ عَلَيْهِ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ ، والحِرْصِ والاجْتِهادِ على هِدايةِ قَوْمِهِ مَعَ ما لَقِيَهُ مِنْهُم مِنْ أذىً وَتَكْذيبٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أمراً آخَرَ مِنَ افْتراءاتِ المُشْرِكينَ وأَباطيلِهِمْ ، فَقالَ :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أيْ : وَأَقْسَمَ المُشْرِكونَ باللهِ ، وَبالَغوا في تَأْكيدِ أَيْمانِهِمْ وتَوْثيقِها بأنَّ اللهَ تَعالى لا يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ ، والعَجَبُ مِنَ المُشْرِكينَ أَنَّهُمْ يُظْهِرونَ تَعْظيمَ اللهِ تَعالى ، فَيُقْسِمونَ بِهِ ثُمَّ يُعجزونَهُ عَنْ بَعْثِ الأَمْواتِ ، وهُمْ يَعْلَمونَ ما في البَعْثِ مِنْ تَحقيقِ العَدالَةِ بَيْنَ الخَلْقِ ، حَيْثُ يُجْزى المُحْسِنُ بِإِحْسانِهِ والمُسيءُ بإساءَتِهِ .

وَلِذا رَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ رَدّاً مُؤَكِّدا حُصولَ البَعْثِ ﴿بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ أيْ : بَلى سَيَبْعَثُ اللهُ الخَلْقَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وقَدْ وَعَدَ بِذلكَ وَعْداً صادِقاً لا بُدَّ مِنْ إنْجازِهِ ، ﴿ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾

أَنَّهم سَيُبْعَثون ويُحاسَبونَ ، لِجَهْلِهِمْ ضَرورَةَ البَعْثِ لِتَحقيقِ العَدْلِ واسْتِبْعادِهِمْ إعادَةَ الحياةِ إلى الأجْسادِ بَعْدَ أَنْ بَلِيَتْ وَفَنِيَتْ ، وَلِذا فَهُمْ يُنْكِرونَهُ ، ويُبالِغونَ في إنْكارِهِ ويُكَذِّبونَ الرُّسُلَ فيما يَدْعونَهُمْ إليهِ مِنْ إثباتِهِ وتأْكيدِ حُصولِهِ .

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّ اللهَ تَعالى يَبْعَثُ النَّاسَ مِنْ قُبورِهِمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الحَقَّ فيما اخْتَلَفوا فيهِ مِنْ أَمْرِ البَعْثِ وَغَيْرِهِ على آكَدِ وَجْهٍ ، فها هُوَ البَعْثُ الّذي كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بهِ أَيُّها المُؤْمِنونَ قَدْ حَصَلَ تُشاهِدونَهُ بأَعْيُنِكُمْ فَيَحْصُلُ لَكُمْ بذلكَ يَقينُ الإيمانِ بهِ ، أَمَّا الَّذينَ كَفَروا فَها هُمْ يَرَوْنَ بأَعْيُنِهِمْ ما كانوا يُنْكِرونَ ويُبالِغونَ في إنْكارِهِ قَدْ حَصَلَ ، فَلْيَعْلَموا أَنَّهُمْ كانوا كاذِبينَ حِينَ أَقْسَموا على أَنَّ اللهَ لا يَبْعَثُ مَنْ يَموتُ ، كما كانوا كاذِبينَ في سائِرِ أَقْوالِهِمُ الباطِلَةِ وفي تَكْذيبِهِمْ أَنْبياءَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَبيينُ مُهِمَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وَنَبْذِ الشِّرْكِ والكُفْرِ .

٢ـ على المَرْءِ أَنْ يَعْتَبِرَ بِما حَصَلَ مَعَ مَنْ سَبَقَهُ وأَنْ يَتَجَنَّبَ سَبَبَ عِقابِهِ لِئَلاَّ يُعاقَبَ مِثْلَهُ .

٣ـ الهُدى بِيَدِ اللهِ تَعالى فَلا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ هِدايَةَ مَنْ لَمْ يُرِدِ اللهُ هِدايَتَهُ .

٤ـ البَعْثُ حَقٌّ وَضَرورَةٌ لِتَحْقيقِ العَدالَةِ بَيْنَ الخَلْقِ .

٥ـ يُبَيِّنُ اللهُ لِلنَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ الصَّوابَ فيما اخْتَلَفوا فيهِ في الدُّنْيا .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ أَيْنَ تَجِدُ مَعنى (لا إلهَ إلاّ اللهُ) في آياتِ الدَّرْسِ ؟

٢ـ اذْكُرْ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ في أَقْوامِهِمْ .

٣ـ ما فائِدَةُ السَّيْرِ في الأَرْضِ والنَّظَرِ في عاقِبَةِ المُكَذِّبينَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ حِرْصِ الرَّسولِ ﷺ على هِدايَةِ قَوْمِهِ ؟

٥ـ بَيِّنْ وَجْهَ التَّناقُضِ عِنْدَ المُشْرِكينَ في إقْسامِهِمْ باللهِ على إنْكارِ البَعْثِ .

٦ـ ذكرتِ الآيةُ (٣٩) حِكْمَتينِ لِلْبَعْثِ ، ما هُما ؟ وهَلْ لِلْبَعْثِ حِكَمٌ أُخْرَى ؟ اذْكُرْها .

٧ـ أ ـ ما الهِدايَةُ الّتي يَمْلِكُها الرَّسولُ ﷺ ؟

ب ـ ما الهِدايَةُ الَّتي هِيَ مِنْ خَصائِصِ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ جَعَلَ اللهُ تَعالى آثارَ بَعْضِ الأَقْوامِ الَّتي عُذِّبَتْ بِسَببِ كُفْرِها على طُرِقِ النَّاسِ ظاهِرَةً ، اكْتُبِ اسْمَ مَكانَيْنِ يَدلاّنِ على ذَلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ على مُجادَلَةِ الكافِرينَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ في قَضِيَّةِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ .

* * *

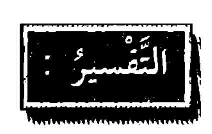
الدَّرسُ الثامن

سورَةُ النَّحْلِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

لَنُبَوِّئَنَّهُمْ	: لَنُنزِلَنَّهُمْ .
بالبَيِّناتِ	: بالحُجَجِ والبَراهينِ الواضِحاتِ .
الزُبُرِ	: الكُتُبِ السّماويَّةِ .
مَكَروا السَّيئاتِ	: عَملوا السّيئاتِ بِمَكْرٍ .
يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأرْضَ	: يَجْعَلَ اللهُ الأرْضَ تَنْشَقُّ وَتَبْتَلِعُهُمْ .
في تَقَلُّبِهِمْ	: في حَرَكَتِهِم .
بِمُعْجِزينَ	: بِمُمْتَنِعينَ على اللهِ أَوْ هاربينَ مِنْ بَأْسِهِ .
تَخَوُّفٍ	: على مَخافَةٍ وَحَذَرٍ .



التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبْيينٌ أَنْ قُدْرَةَ اللهِ مُطْلَقَةٌ وأَنَّ إرادتَهُ نافِذَةٌ ، وَفيها مَدْحُ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ ، وَتَهْديدٌ وَوَعيدٌ لِمَنْ يكيدُ لِهذا الدِّينِ وَيُحارِبُهُ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

تَأْتِي هذهِ الآيَةُ الكريمةُ عَقِبَ الآياتِ الّتي تَتَحدَّثُ عَنِ البَعْثِ ، لِتُبيِّنَ أَنَّ بَعْثَ الخَلْقِ يَسيرٌ على اللهِ تَعالى ، كما أَنَّ أيَّ أمْرٍ إذا أرادَهُ اللهُ فإنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيكونُ هذا الأَمْرُ كما أَرادَهُ اللهُ ، بِلا تَأَخُّرٍ ولا إِبْطاءٍ ودونَ حاجَةٍ إلى تأْكيدٍ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

فِي هَذهِ الآيَةِ الكريمَةِ امْتِداحُ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ والّذينَ تَرَكوا دِيارَهُمْ وَأَوْطانَهُمْ وأَمْوالَهُم وَخَرَجوا مِنْها لِإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ وَرَفْعِ رايَتِهِ وَنَشْرِ دينِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَمَّلوا الكَثيرَ مِنَ الظُّلْمِ والأَذى والاعْتِداءِ . وَتُبَيِّنُ الآيَةُ ما أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِهؤلاءِ المُهاجِرينَ مِنْ أجْرٍ وَمَثوبةٍ ، مِنْها ما هُوَ في الدُّنْيا وَهُوَ : أَنْ يُنْزِلَهُمُ اللهُ منازِلَ حَسَنَةً يَرْضَوْنَها ومَساكِنَ طَيِّبَةً يَسْتَقِرّونَ فيها ، وأَنْ يُعْطِيَهُم عَطاءً حَسَناً وأنْ يَنْصُرَهُمْ على عَدوِّهِمْ ويُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ ، أَمَّا أَجْرُهُمْ في الآخِرَةِ فَهُوَ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ مِنْ أَجْرِ الدُّنْيا ، ولَوْ كانوا يَعْلَمونَ ما أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ نَعيمٍ في الآخِرَةِ لَما حَزِنوا على مُفارَقَةِ الأَوْطانِ والأَمْوالِ ، ولازْدادوا اجْتِهاداً في الهِجْرَةِ ، وَلَوْ عَلِمَ أَعْداؤُهُمُ الظّالِمونَ ما لِلْهِجْرَةِ مِنْ أَجْرٍ عَظيمٍ في الآخِرَةِ لَدَخلوا في الإسْلامِ ولأَقْلَعوا عَنِ الظُّلْمِ وإجْبارِ النَّاسِ على الهِجْرَةِ .

وَقَدْ رَأى المُهاجِرونَ السَّابِقونَ تَحَقُّقَ وَعْدِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، حينَ هاجَروا وَتَركوا دِيارَهُمْ ، وَهاجَروا إلى الحَبَشَةِ ثُمَّ هاجَروا إلى المَدينةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَبوَّأَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ المَنازِلِ في مَدينةِ رَسولِ اللهِ ﷺ ونَصَرَهُمْ على أعْدائِهِمْ وَفَتَحَ لَهُمُ البِلادَ ، وما لَهُمْ مِنْ ثَوابٍ عِنْدَ اللهِ في الآخِرَةِ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ .

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

أيْ هَؤلاءِ المُهاجِرونَ هُمُ الّذينَ صَبَروا على ما أَصابَهُمْ مِنْ شِدَّةٍ وظُلْمٍ ، وَصَبروا على تَرْكِ الأَهْلِ والأَوْطانِ في سَبيلِ اللهِ ، وتَوكَّلوا على رَبِّهِم وَحْدَهُ وأَسْلَموا أَمْرَهُمْ إليْهِ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ رَدٌّ على المُشْركينَ الّذينَ أَنْكَروا أَنْ يَكونَ الرّسولُ بَشَراً ، فَيُخْبرُ سُبْحانَهُ أنّهُ لَمْ يُرْسِلْ قَبْلَ الرّسولِ ﷺ إلاّ رِجالاً مِثْلَهُ ، يَحْمِلونَ الرِّسالَةَ إلى أَقْوامِهِمْ وَيَدْعونَهُم إلى الهُدَى والخَيْرِ وَيَتَلقَّوْنَ وَحْيَ اللهِ الّذي يُوحيهِ إلَيْهِمْ ، ويُبَلِّغونَهُ بِكُلِّ أمانَةٍ وإخْلاصٍ ، وإنْ كُنْتُمْ لا تَعْلمونَ ذلِكَ أَوْ تَشُكّونَ فيهِ أيُّها المُشْرِكونَ ، فاسْأَلوا عُلَماءَ أَهْلِ الكِتابِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارَى وَسَيُبَيِّنونَ لَكُمْ أَنَّ الرُّسُلَ جَميعاً كانوا مِنَ البَشَرِ وَلَمْ يَكونوا مِنَ المَلائِكَةِ .

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

الجارُّ والمَجْرورُ مُتَعَلِّقانِ بِقَوْلِهِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاّ رجالاً نوحي إليْهِمْ﴾ وتَتِمَّةُ الآيةِ السَّابِقَةِ ﴿فاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمون﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُما ، لِلْمُبادَرَةِ إلى تَوْبيخِ المُشْرِكينَ وإبْطالِ شُبْهَتِهِمْ .

ومَعْنى الآيةِ : أَنَّ الرُّسُلَ الّذينَ أَرْسَلناهُمْ قَبْلَكَ أَيُّها الرّسولُ الكَريمُ كانوا مُؤَيَّدينَ بالحُجَجِ والبَراهينِ الواضِحاتِ ، وبِالمُعْجِزاتِ القاطِعاتِ ، وأَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الكُتُبَ لِتَبْيينِ الشَّرائِعِ والتَّكاليفِ ولإرْشادِ النَّاسِ إلى ما فيهِ سَعادَتُهُمْ وخَيْرُهُم . وأَنْزَلْنا عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ القُرْآنَ لِيَعْرِفَ النَّاسُ ما فيهِ مِنْ أَحْكامٍ وآدابٍ وتَشْريعاتٍ ، ولَعَلَّهُمْ يَتفكَّرونَ في هذا القُرْآنِ فَيَتَّعِظونَ وَيَنْتَفِعونَ بما فيهِ .

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

هذهِ الآيَةُ وَعيدٌ لِلْمُشْرِكينَ المُحارِبينَ لِدينِ اللهِ وفي مُقَدِّمَتِهِمْ مُشرِكو مَكَّةَ ، الّذينَ مَكَروا بِرَسولِ اللهِ ﷺ وآذَوْهُ ، والاسْتِفْهامُ في الآيَةِ للإنْكارِ ، والمَعْنى : هَلْ أَمِنَ الكُفَّارُ أَصْحابُ المَكْرِ والأَفْعالِ السَّيِّئَةِ أَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ بالخَسْفِ ، بِأَنْ يَجْعَلَ الأَرْضَ تَنْشَقُّ وتَبْتَلِعُهُمْ فيغيبونَ فيها ، أَوْ أَنْ يُهلَكوا بِعذابٍ يَأْتيهِمْ فَجأَةً مِنْ جِهَةٍ لا يَتوقَّعونَ حُصولَ العذابِ مِنْها ، ولا يَتوقَّعونَ الشَّرَّ مِنْ ناحِيَتِها .

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أَوْ هَلْ أَمِنوا أَنْ يُهْلِكَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَتَنَقَّلونَ مِنْ مكانٍ لآخَرَ خلالَ سَفَرِهِمْ أَوْ إقامَتِهِمْ ، فإنَّهُمْ في جَميعِ الأَحْوالِ لا يَسْتَطيعونَ الإفْلاتَ أَوِ الفِرارَ مِنْ عَذابِ اللهِ .

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

أَوْ هَلْ أَمِنوا أَنْ يَأْخُذَهَمْ وَهُمْ عَلى مَخافَةٍ وَحَذَرٍ مِنَ العَذابِ والهَلاكِ ، فَيكونُ إهْلاكاً شديداً لِوُقوعِهِ بَعْدِ خَوْفٍ وتَرَقُّبٍ .

إلاّ أنَّ حِكْمَةَ اللهِ الرَّؤوفِ الرَّحيمِ اقْتَضَتْ أَنْ لا يُعاقِبَكُمْ بِعذابٍ عامٍّ شامِلٍ كما كانَ عذابُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، فإنْ عَذَّبَ طائِفَةً ، فإنَّهُ يُبْقي أُخْرى رَأْفَةً مِنْهُ ورَحْمَةً مَعَ اسْتِحْقاقِكُمْ لِلْعُقوبَةِ .

ولَيْسَ المُرادُ مِنَ الاقْتِصارِ على صُوَرِ الإهْلاكِ الأَرْبَعِ الحَصْرُ بَلِ التَّمْثيلُ ، وَبَيانُ قُدْرَةِ اللهِ على إهْلاكِهِمْ بِأَيَّةِ وَسيلَةٍ شاءَ وعَلى أيِّ حالٍ كانوا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ في الخَلْقِ والإيجادِ ، فإنَّهُ يَأْمُرُ ما يُريدُ خَلْقَهُ بِقَوْلِهِ كُنْ فَيَكونُ كما أرادَ .

٢ـ فَضلُ الهِجْرَةِ وعَظيمُ ثَوابِها في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٣ـ جَميعُ الرُّسُلِ كانوا بَشَراً لِيَتَمكَّنوا مِنْ تَبْليغِ رِسالَةِ رَبِّهِمْ إلى النَّاسِ .

٤ـ سؤالُ أَهْلِ العِلْمِ ، لِمَعْرِفَةِ الصَّوابِ واجِبٌ على المُسْلِمينَ .

٥ـ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَفْصيلُ ما أُجْمِلَ في القُرْآنِ وَتَوْضيحُ مَعانيهِ ، فلا غِنى عَنْها .

٦ـ قُدْرةُ اللهِ على إهْلاكِ أعْدائِهِ بِطُرُقٍ مُتعدِّدةٍ وَوسائِلَ مُتنوِّعَةٍ ، وَلَكِنَّ رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ اقْتَضَتْ تَأْجيلَ عَذابِ بَعْضِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتوبونَ وَيَنْتَهونَ عَنْ باطِلِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ بإيجازٍ مَعنى قَوْلِهِ تَعالى : ﴿إنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾ .

٢ـ بَيِّنْ ثَوابَ المُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ .

٣ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ الرُّسُلِ بَشَراً ؟

٤ـ بماذا أَيَّدَ اللهُ تَعالى رُسُلَهُ ؟ وما دَليلُ ذَلِكَ ؟

٥ـ بيِّنْ أَهَمِّيَةَ السُّنَّةِ وَمَنْزِلَتَها بالنِّسْبَةِ لِلقُرْآنِ .

٦ـ عَدِّدْ أَوْجُهَ العَذابِ الّتي يُمْكِنُ أَنْ يُهْلِكَ اللهُ تَعالى بِها الكافِرينَ والمَذْكورَةَ في الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ يس الدَّالَّةَ على هذا المَعْنى الواردِ في الآية (٤٠) .

٢ـ اكْتُبْ في دفتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ حُكْمَ الهِجْرَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتْينِ مِنْ سُورَةِ المُلْكِ الدَّالَّتيْنِ على المَعْنى الواردِ في الآياتِ (٤٥ـ٤٧) .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ

سُورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَتفيأُ ظِلالُهُ : يَنْتَقِلُ ظِلُّ الشّيْءِ مِنْ جانِبٍ إلى آخَرَ .

داخِرونَ : مُنْقادونَ .

لَهُ الدِّينُ : الطّاعَةُ والانْقِيادُ للهِ .

واصِباً : واجِباً دائِماً .

تَجْأَرونَ : تَرْفَعونَ أَصْواتَكُمْ بالاسْتِغاثَةِ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ الإخْبارُ عَنْ سُجودِ المَخلوقاتِ كُلِّها للهِ ، والأَمْرُ بتَوْحِيدِهِ واللّجوءِ إلَيْهِ لِقَضاءِ الحاجاتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ خَوَّفَ اللهُ تَعالى المُشْركينَ بِقُدْرتِهِ على إهْلاكِهِمْ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بما يَدُلُّ على عَظَمَتِهِ وجَلالِهِ ، فَقالَ : ألا يَرى هؤلاءِ المُشْركونَ أَنَّ كُلَّ المَخْلوقاتِ الّتي لَها جِسْمٌ كالأشْجارِ والجبالِ ونَحْوِها ، يَنْتَقِلُ ظِلُّها مِنْ جانِبٍ إلى آخَرَ تَبَعاً لِحَرَكَةِ الشَّمْسِ واخْتِلافِ الأَوْقاتِ ، فَفي أَوَّلِ النَّهارِ يَكونُ الظِّلُّ على حالٍ وَجِهَةٍ ، ثُمَّ يَتَقلَّصُ الظِّلُّ عِنْدَ الظَّهيرةِ ثُمَّ يَعودُ إلى حالٍ أُخْرى وَجِهَةٍ مُعاكِسَةٍ لِلْجِهَةِ السَّابِقَةِ ، وهذهِ الظِّلالُ مُنْقادَةٌ لأَمْرِ اللهِ ومُسْتَسْلِمَةٌ لَهُ ، وسُمِّيَ انْقِيادُها هَذا سُجوداً ، كَما أَنَّ أَصْحابَ هذهِ الظِّلالِ مُنْقادونَ لأَمْرِ اللهِ ومُلْتَزِمونَ بِحُكْمِهِ يَسْتَوي في ذَلِكَ العُقَلاءُ وَغَيْرُهُمْ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فَكُلُّ ما في السَّماواتِ مِنْ مَخْلوقاتٍ وما في الأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ ، تَسْجُدُ للهِ تَعالى خاضِعَةً لأَمْرِهِ مُعَظِّمَةً لِشَأْنِهِ ، إمَّا سُجودَ طاعةٍ وَعِبادةٍ كَسُجودِ المُؤْمِنينَ والمَلائِكَةِ ، وإمَّا سُجودَ انْقِيادٍ وَخُضوعٍ كَسُجودِ سائِرِ المَخْلوقاتِ ، ويَكونُ المُرادُ بهذا السُّجودِ الانقيادُ لأَمرِهِ ، والالْتِزامُ بِحُكْمِهِ في قَوانينِ الكَوْنِ الّتي لا تُخالَفُ .

وقَوْلُهُ تَعالى ﴿مِنْ دابَّةٍ﴾ بيانٌ لِما في الأَرْضِ ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكونَ بَياناً لِما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ .

وَتَخْصيصُ الملائِكَةِ بالذِّكْرِ لِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِمْ ﴿وهُمْ لا يَسْتَكْبِرونَ﴾ أيْ الملائكةُ لا يَسْتَكْبِرونَ عَنِ السُّجودِ للهِ تَعالى مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَعَظيمِ قُوَّتِهِمْ .

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّ الملائِكَةَ يَخافونَ رَبَّهُمُ الّذي هُوَ فَوْقَهُمْ بالذَّاتِ والقَهْرِ ، ويَخْشَوْنَهُ ويُطيعونَهُ في جَميعِ ما يَأْمُرُهُمْ بهِ ولا يَعْصونَ لَهُ أَمْراً .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ عَنْ خُضوعِ كُلِّ ما في الكَوْنِ لَهُ ، أَتْبَعَهُ بالأَمرِ بِتَوْحيدِهِ ونَفْيِ الشَّريكِ عَنْهُ ، فَقالَ اللهُ تَعالى لِعِبادِهِ لا تَجْعَلوا لِيَ شَريكاً فَإِلهُ هذا الكَوْنِ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ فارْهَبوني وَحْدي وَخافوني في جَميعِ أُمورِكُمْ .

فالمَقْصودُ مِنَ الآيَةِ النَّهْيُ عَنِ الإشْراكِ باللهِ مُطْلَقاً . وخَصَّ عَدَدَ (الاثْنينِ) بالذِّكْرِ لأَنَّهُ أَقَلُّ عَدَدٍ بَعْدَ الواحِدِ ، فَنَفْيُهُ يُلْزِمُ نَفْيَ ما فَوْقَهُ مِنْ أَعدادٍ .

وَتقديمُ (إيَّايَ) لإرادةِ الاختِصاصِ ، وحَذْفُ مفعولِ (فارْهَبونَ) لإرادةِ العُمومِ أيْ في كُلِّ شَيْءٍ ، والالْتِفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ لِلْمُبالَغَةِ والتَّخْويفِ .

﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

أيْ : وَللهِ وحْدَهُ دُونَ سِواهُ جَميعُ ما في السَّماواتِ وما في الأرْضِ ، ولَهُ وَحْدَهُ الطَّاعَةُ دائِمَةً وَثابِتَةً ، أفَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ تَخافونَ غيرَ اللهِ وتَعْبدونَهُ ؟ فالاسْتِفْهامُ في (أفَغَيْرَ) يُفيدُ الإنْكارَ .

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عِنْدَكُمْ فَهِيَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ المُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِجَميعِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ ، الجَليلةِ والدَّقيقةِ ، ومِنْ واجِبِكُمْ شُكْرُ المُنْعِمِ على ما أَنْعَمَ وَحَمْدُهُ على ما أَعْطى وأَسْبَغَ ، ولَكِنَّ مُعْظَمَكُمْ أيُّها النَّاسُ يَغْفلونَ عَنِ المُنْعِمِ وَيَنْسَوْنَ فَضْلَهُ عَلَيْهِم ما داموا في سَعَةٍ وَيُسْرٍ ، فإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ رَفَعْتُمْ أَصْواتَكُمْ بالتَّضرُّعِ والدُّعاءِ إلى اللهِ وَحْدَهُ ، لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ ما أصابَكُمْ مِنْ ضُرٍّ وتَنْسَوْنَ سِواهُ مِمَّا تَعْبدونَ .

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ إنَّكُم بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عَنْكُمُ الضُّرَّ الَّذي أصابَكُمْ ، سُرْعانَ ما يَعودُ مُعْظَمُكُمْ إلى شِرْكِهِمْ باللهِ ناسينَ أَوْ مُتناسِينَ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِكَشْفِ الضُّرِّ وإزْالَتِهِ .

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

اللَّامُ في (لِيَكْفُروا) لامُ العاقِبَةِ ، أيْ أَنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يُرْجِعونَ فَضْلَ ذهابِ الضُرِّ عَنْهُمْ لِغَيْرِ اللهِ ، لِتَكونَ عاقِبَةُ أمْرِهِمْ إنْكارَ فَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَعَدَمَ الاعْتِرافِ بما آتاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ إذْهابِ البَلاءِ وإحْلالِ العافِيَةِ مَكانَها ، فَتَمَتَّعوا أيُّها المُشْرِكونَ في هذه الدُّنْيا إلى وَقْتِ انْتِهاءِ آجالِكُمْ ، فَسَوْفَ تَعْلَمونَ عاقِبَةَ أَمْرِكُمْ حينَ يَحِلُّ بِكُمُ العَذابُ الشَّديدُ في الآخِرَةِ .

وَهذا وَعيدٌ لِكُلِّ مَنْ فَعَلَ هذا الفِعلَ وَأَسْنَدَ الفَضْلَ في النِّعْمَةِ والرَّخاءِ لِغَيْرِ اللهِ ، وَنَسِيَ شُكْرَ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، فالأَمْرُ في (فَتَمَتَّعوا) لِلْوعيدِ ، والالْتِفاتُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخطابِ لِزيادَةِ الوعيدِ والمُبالَغَةِ فيه .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ كُلُّ ما في الكَوْنِ مُسْتَسْلِمٌ للهِ تَعالى ، خاضِعٌ لِسُنَنِهِ الكَوْنية .

٢ـ وُجوبُ الرَّهْبَةِ مِنَ اللهِ تَعالى دُونَ سِواهُ ، فَكُلُّ ما في الكَوْنِ مِنْ صُنْعِ اللهِ .

٣ـ الواجِبُ على الإنْسانِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ على نِعَمِهِ وأَنْ يَذْكُرَهُ في حالِ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على أيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ سُجودُ الظِّلالِ للهِ تَعالى ؟

٢ـ ما فائِدَةُ الإِخْبارِ بِسُجودِ كُلِّ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ للهِ ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ المَلائِكَةِ بالذِّكْرِ ؟ وما صِفاتُهُمْ الّتي ذَكَرَتْها الآيَةُ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَقديمِ لَفْظِ (إيّايَ) في قَوْلِهِ تَعالى (فإيّايَ فارْهَبونَ) وما سَبَبُ الانْتِقالِ في الآيَةِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ .

٥ـ ماذا يَفْعَلُ مُعْظَمُ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عَنْهُمُ الضُّرَّ ؟

٦ـ بيِّنْ معنى ما يَلِي :

أ ـ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمينِ والشَّمائِلِ سُجَّداً للهِ .

ب ـ يَخافونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ .

ج ـ وقالَ اللهُ لا تَتَّخذوا إلهَيْنِ اثْنَيْنِ .

د ـ ولَهُ الدِّينُ واصِباً .

هـ ـ وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ .

و ـ فَتَمَتَّعوا فَسَوْفَ تَعْلَمونَ .

تَعَلَّمْ :

الالْتِفاتُ هُوَ نَقْلُ الكَلامِ مِنْ أُسلوبٍ إلى آخَرَ ، كالانْتِقالِ مِنَ التَّكَلُّمِ إلى الخِطابِ ، أو مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبَةِ ، وَمِنْ فَوائِدِهِ : تَحْسينُ الكلامِ ، وَصِيانَةُ السَّمْعِ عَنِ الضَّجَرِ والمَلَلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ نُوَظِّفُ هذهِ الظِّلالَ في تَحديدِ مَواعيدِ صَلاةِ النَّهارِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفِيَّةَ سُجودِ التِّلاوَةِ داخِلَ الصَّلاةِ وخارِجَها .

الدَّرسُ العاشِرُ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَفْتَرونَ : تَكْذِبونَ .

كَظيمٌ : مُمْتَلِىءٌ غَيْظاً .

يَتوارى : يَسْتَخْفي .

هُونٍ : هَوانٍ وذُلٍّ .

يَدُسُّهُ : يُخْفيهِ .

مَثَلُ السَوْءِ : الصِّفَةُ القَبيحَةُ .

لا جَرَمَ : حَقّاً .

مُفْرَطونَ : مُعَجَّلُ بِهِمْ إلى النَّارِ .



في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تَبيينُ مَزيدٍ مِنْ أَفْعالِ المُشْرِكينَ السَّيِّئَةِ وَضلالاتِهِمُ القَبيحةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

أيْ : ويَجْعَلُ هؤلاءِ المُشْرِكونَ لِلأَصْنامِ الّتي لا تَعْلَمُ شَيْئاً لأنَّها جَماداتٌ ، نَصيباً مِنَ الرِّزْقِ الّذي رَزَقَهُمُ اللهُ إيّاهُ ، فَيَذْبَحونَ لَها الأَنْعامَ ، وَيُهْدونَ إلَيْها الهَدايا ، ويُقَدِّمونَ لَها مِنْ نَتاجِ زَرْعِهِمْ ، وهذا الّذي يُقَدِّمونَهُ لأَصْنامِهِمْ هُوَ مِنْ رِزْقِ اللهِ لَهُمْ ، وكانَ الأَوْلى بِهِمُ التَّقرُّبُ بِهِ لِخالِقِهِمْ ورازِقِهِمْ لا إلى الجَماداتِ والحِجارَةِ ، أَوْ غَيْرِها مِنَ الآلِهَةِ الّتي لا تَمْلِكُ لِنَفْسِها ضَرّاً ولا نَفْعاً .

﴿تاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُم تَفْتَرونَ﴾ أَقْسَمَ اللهُ تَعالى بِذاتِهِ العَلِيَّةِ أَنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ شِرْكِهِمْ وَكَذِبِهِمْ بِشُكْرِ غَيْرِ الرّازِقِ ، وسَيُجازيهِمْ على ذَلِكَ أَشَدَّ الجَزاءِ وَيُذيقُهُمْ أَعْظَمَ العذابِ .

والالْتِفاتُ في الآيَةِ لِزيادَةِ الوَعيدِ لأَنَّ تَوْبيخَ الحاضِرِ أَشَدُّ وأَقْسى مِنْ تَوْبيخِ الغائِبِ .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وَمِنْ ضلالاتِ المُشْرِكينَ زَعْمُهُمْ أَنَّ الملائِكَةَ بَناتُ اللهِ وَلِذا فَهُمْ يَتَّجِهونَ إلى المَلائِكَةِ بِالعِبادَةِ والتَّعْظيمِ ، سُبْحانَ اللهَ وتنزَّهَ عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، وتَعالى أَنْ يَكونَ لَهُ بَناتٌ أَوْ بَنونَ ، ومِنْ سَفَهِ المُشْرِكينَ وَضَعْفِ عُقولِهِمْ أَنَّهُم يَنْسِبونَ إلى اللهِ تَعالى مالا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ ، فَتَجِدُهُمْ يَكْرهونَ البَناتِ ويُحِبّونَ البَنينَ ، ولَكِنَّهُمْ يَنْسِبونَ للهِ البَناتِ ـ تَعالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ـ ويَخْتارونَ لأَنْفُسِهِمْ أَفْضَلَ مِمَّا يَخْتارونَ لِرَبِّهِمْ .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ الّذين زَعَموا أَنَّ المَلائِكَةَ بناتُ اللهِ ، إذا أُخْبِرَ أَحُدُهُمْ بأَنَّهُ وَلَدَ لَهُ أُنْثى صارَ وَجْهُهُ قاتِمَ اللَّونِ ، يَعْلوهُ سَوادٌ وظُلْمَةٌ مِنْ شِدَّةِ الكَرْبِ والحُزْنِ وَقَدِ امْتَلأَ غَيْظاً بِسَبَبِ مَجيءِ هَذهِ الأُنْثى لَهُ .

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وَتَجِدُهُ مِنْ شِدَّةِ خِزْيِهِ يُحاوِلُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، لِئلاّ يَروْا حُزْنَهُ وكآبَتَهُ وأَلَمَهُ بِسَبَبِ وِلادَةِ الأُنْثى لَهُ ، وَيَقَعُ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، فَهَلْ يُبْقي هَذهِ البِنْتَ حَيَّةً ويَتَحَمّلُ الهَوانَ والعارَ والمَذَلَّةَ أَمْ يُخْفيها في التُّرابِ ويُنْهي بذلِكَ مُعاناتَهُ وأَلَمَهُ ؟ أَلاَ ما أَقْبَحَ حُكْمَهُمُ الّذي يُصْدِرونَهُ بِحَقِّ بَناتِهِمْ

وما أعْظَمَ ظُلْمِهِمْ لَهُنَّ! وما ذَنْبُ المَولودةِ البَريئَةِ حتَّى تُقْتَلَ بِهذهِ الطَّريقةِ البَشِعَةِ ، أوْ تُعامَلُ تِلْكَ المُعامَلَةَ المُهينَةَ ، وما أشَدَّ افْتراءَهُمْ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ المَلائِكَةَ بناتُ اللهِ! سُبْحانَهُ وتَعالى عمَّا يَصِفونَ .

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

أيْ : لِهؤلاءِ الّذينَ لَمْ يُصَدِّقوا بالآخِرَةِ وَنَسَبوا للهِ البناتِ وَوَأَدوا بَناتِهِمْ وَجَعلوا لِلأَصْنامِ نَصيباً مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ ، لَهُمْ صِفَةُ السّوءِ القَبيحةُ ، وللهِ تَعالى الصِّفَةُ العُلْيا والكَمالُ المُطْلَقُ والتَّنْزيهُ عَنْ مُشابَهَةِ المَخْلوقينَ ، وهُوَ العَزيزُ في مُلْكِهِ المُنْفَرِدُ بِكمالِ القُدْرَةِ ، الحكيمُ في كُلِّ أَقوالِهِ وأفْعالِهِ .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

أيْ : لَوْ أرادَ اللهُ تعالى أَنْ يُعَجِّلَ لِلنّاسِ عُقوبَةَ ما يَرْتَكِبونَهُ مِنْ كُفْرٍ وظُلْمٍ لأَهْلَكَهُمْ ، وَلَهَلَكَ بِسَبَبِهِمْ جَميعُ دَوابِّ الأَرْضِ ، ولَما بَقِيَ عَلى الأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ مِنْ أيِّ صِنْفٍ أَوْ نَوْعٍ ، ولكِنَّ اللهَ يُمْهِلُهُمْ إلى الوَقْتِ المُقَدَّرِ لِمَوْتِهِمْ أَوْ لِهَلاكِهِمْ ، فإذا جاءَ هذا الوَقْتُ المُحَدَّدُ لِهَلاكِهِمْ فإِنَّهُمْ لا يَتَأَخَّرونَ عَنْهُ بُرْهَةً قَصيرةً مِنَ الزَّمَنِ ولا يَتقدَّمونَ عَلَيْهِ .

وهَذا دَليلٌ على رَحْمَةِ اللهِ بِعبادِهِ . وتَأْخيرُهُ مُؤاخَذَتَهُمْ وَعِقابَهُمْ لِيَتوبَ مِنْهُمْ مَنْ أرادَ التَّوْبَةَ .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ .

أيْ أَنَّ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ يَنْسِبونَ للهِ ما يَكْرهونَ وما لا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ نِسْبَةِ البَناتِ إليهِ ، وَمِنْ جَعْلِ أفْضَلِ أمْوالِهِمْ لأَصْنامِهِمْ وأَردئِها للهِ ، وَمِنْ نِسْبَتِهِمُ الشّريكَ إليْهِ وَهُمْ يَكْرهونَ أَنْ يَشْرُكَهُمْ أَحَدٌ في أَمْوالِهِمْ ومُلْكِهِمْ . ويَخْتَلِقونَ الكَذِبَ بِأَلْسِنَتِهِمْ حينَ يَزْعمونَ أَنَّهم إنْ بُعِثوا بَعْدَ المَوْتِ فإِنَّ لَهُمُ المَنْزِلَةَ الحُسْنى وَسَيَكونونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ولَكنّ الحَقيقةَ لَيْسَتْ كَذلِكَ ، فَقَدْ ثَبَتَ وحَقَّ أَنَّ لَهُمْ في الآخِرَةِ عَذابَ النّارِ ، وأَنَّهُمْ سابِقونَ إليْها ومُقَدَّمونَ إليْها دُونَ إمْهالٍ أَوْ إبْطاءٍ ، وَسَيُتْرَكونَ فيها كما يُتْرَكُ الشَّيْءُ الّذي لا قيمةَ لَهُ ولا اهْتِمامَ بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَهْلُ المُشْرِكينَ وسوءُ فِعْلِهِمْ بِتَقْديمِ الأَمْوالِ لأَصْنامِهِمْ وآلِهَتِهِمْ ونِسْبَةِ البناتِ إلى اللهِ تَعالى .

٢ الأُنثى نَفْسٌ إنْسانِيَّةٌ وإهانَتُها إهانَةٌ لِلْجِنْسِ البَشَرِيِّ .

٣ـ الرِّضا بالفِعْلِ القَبيحِ والسكوتُ عَلَيْهِ وعَدَمُ مَنْعِهِ مَعَ القُدْرَةِ على ذَلِكَ يَكونُ بِمَنْزِلَةِ فِعْلِهِ .

٤ـ عذابُ الكافِرِ يَتناسَبُ مَعَ دَرَجَةِ كُفْرِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ عَدَداً مِنْ أَفْعالِ المُشْرِكينَ الشَّنيعةِ . عَدِّدْها .

٢ـ بيِّنْ حالَ المُشْرِكِ عِنْدَما يُبَشَّرُ بالأُنْثى وكَيْفَ يَتَصرَّفُ .

٣ـ ماذا كانَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ لو عاجَلَ اللهُ الظَّالِمينَ بالعُقوبَةِ ؟

٤ـ بماذا رَدَّ اللهُ تَعالى على المُشْرِكينَ الَّذينَ زَعَموا أَنَّ لَهُمْ في الآخِرَةِ الحُسْنى ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أ ـ ويَجْعَلونَ لِما لا يَعْلَمونَ نَصيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ .

ب ـ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وهو كَظيمٌ .

ج ـ يَتوارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ .

د ـ فإذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرونَ ساعةً ولايَسْتَقْدِمونَ .

هـ ـ لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النّارَ وأنَّهُم مُفْرَطونَ .

نَشاطٌ :

١ـ مِنْ صِيَغِ القَسَمِ (تاللهِ) ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ صِيغَتينِ أُخْرَيينِ لِلْقَسَمِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ آيَةً مِنْ سورَةِ التَّكْويرِ تُبَيِّنُ سُؤالَ المَوْءودَةِ عَنْ سَبَبِ وَأْدِها .

* * *

الدَّرسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

زَيَّنَ : حَسَّنَ .

وَلِيُّهُمْ : مُتَوَلِّي أُمُورِهِمْ .

لَعِبْرَةٌ : لَعِظَةٌ بليغةٌ .

فَرْثٍ : ما في بَطْنِ الدابَّةِ مِنَ الطَّعامِ .

سائغاً : سَهْلَ البَلْعِ .

سَكَراً : خَمْراً :

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بإخْبارِهِ عَنْ بَعْضِ ما كان عَلَيْهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ مِنْ قَبْلِهِ ، وفيها ذِكْرٌ لِعَدَدٍ مِنَ النِّعَمِ الإلِهيَّةِ عَلى الخَلْقِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يُقْسِمُ اللهُ تَعالى بِذاتِهِ العَلِيَّةِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إلى الأُمَمِ السابِقَةِ لِيَدْعُوَها إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى وطاعَتِهِ ، فاتَّبَعَهُمْ بَعَضُ تِلْكَ الأمَمِ ، وحَسَّنَ الشَّيْطانُ لِمُعْظَمِهِمْ ما كانوا عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وسُوءٍ ، وتَوَلَّى إغْواءَهُمْ وكانَ مُوَجِّهَهُمْ إلى ما هُمْ فيه مِنْ باطِلٍ وضَلالٍ ، فَكَذَّبوا رُسُلَهُمْ وأَعْرَضوا عَنِ اتِّباعِهِمْ وحارَبوهُمْ ، فاسْتَحَقّوا على ذَلِكَ العَذابَ الأَليمَ في الآخِرَةِ .

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ ما لِلْقُرآنِ الكَريمِ مِنْ دَوْرٍ كَبيرٍ في الهِدايَةِ والإرْشادِ ، فَيَقولُ سُبْحانَهُ : وما أَنْزَلنا عَلَيْكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ هذا الكتابَ وهُوَ القُرْآنُ الكريمُ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لِمَنْ أُرْسِلْتَ إلَيْهِمُ الصَّوابَ والحَقَّ في الأُمورِ الّتي اخْتَلفوا فيها ، فَهُوَ الحَكَمُ والمُبَيِّنُ لِما اخْتُلِفَ فيهِ مِنْ أُمورِ العَقيدَةِ والأَحْكام وغَيْرِها ، فَفيهِ الخَيْرُ والعَدْلُ والصَّوابُ ، وهُوَ كتابُ الهدايَةِ والرَّحْمَةِ لِمَنْ يُؤْمِنونَ بهِ وَيُقِرّونُ بِما تَضَمَّنَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعالى وَنَهْيِهِ ويَعْمَلونَ بِهِ .

ثُمَّ انتقلتِ الاياتُ إلى التَّذْكيرِ بِبَعْضِ النِّعَمِ الإلهيَّةِ على الخَلْقِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الّذي أَمَرَ بِنُزولِ الماءِ مِنَ السَّحابِ ، فارْتَوَتِ الأَرْضُ بهِ وأَنْبَتَتْ مُخْتَلَفَ أَنْواعِ النَّباتِ والأَشْجارِ بَعْدَ أَنْ كانَتْ يابِسَةً مُجْدِبَةً بِسَبَبِ فَقْدِها لِلْماءِ ، إنَّ في تَأَمُّلِ هذهِ الظَّاهِرَةِ الَّتي تَتكَرَّرُ أمامَ أَعْيُنِ البَشَرِ كَثيراً لَدَلالَةً واضِحَةً أَكيدَةً على وَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ ، لِمَنْ أَقْبَلَ على آياتِ اللهِ تَعالى يَسْمَعُها سَماعَ تَدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ لا مُجَرَّدَ سَماعٍ بالأُذُنِ دُونَ وَعْيٍ ولا تَأَمُّلٍ ، فإنَّه في هذهِ الحالِ كَعَدَمِهِ لا قيمَةَ لَهُ ولا فائِدَةَ فيهِ .

وفي ذِكْرِ إنْزالِ الماءِ بَعْدَ إنْزالِ القُرْآنِ إشارَةٌ إلى وَجْهِ الشَّبَهِ بَيْنَهُما ، فإنْزالُ الماءِ أَحْيا الأَرْضَ فازْدَهَرَتْ وأَنْبَتَتْ ، وإنْزالُ القُرْآنِ أحيا القُلوبَ فآمَنَتْ واهْتَدَتْ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الأَنْعامَ تَأْكُلُ مِنْ نَباتِ الأَرْضِ فَتَنْتَفِعُ بِهِ وَتَنْفَعُ الإنْسانَ بِلَبَنِها ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

هذهِ آيةٌ عَظيمَةٌ واضِحَةٌ ، ظاهِرَةُ الدَّلالَةِ على إتْقانِ الخَلْقِ ورَوْعَتِهِ ، فيقولُ سُبْحانَهُ : وإنَّ لَكُمْ

أيُّها البَشَرُ في الإِبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ لَعِظَةً بَليغَةً تَدْعوكُمْ إلى التَّفَكُّرِ في دِقَّةِ الخَلْقِ وجَوْدَتِهِ ، حَيْثُ نَسْقيكُمْ مِمَّا في بُطونِ هذهِ الأنْعامِ شَراباً مُسْتَخْلَصاً مِنْ بَيْنِ الفَرْثِ والدَّمِ ، فالفَرْثُ هُوَ الطَّعامُ الكائِنُ في الكَرْشِ ، والدَّمُ هو السّائِلُ الذي يَجْري في العُروقِ ، ومِنْ بَيْنِ الفَرْثِ والدَّمِ يَتَكَوّنُ اللَّبنُ خالِصاً مِنْ شَوائِبِ الفَرْثِ ومِنْ لَوْنِ الدَّمِ ، سائِغاً لِلشّارِبينَ يَجْري في الحَلْقِ سَهْلاً ، لَذيذاً هَيِّناً لا يَغَصُّ بِهِ الشّارِبُ .

ومَنْ يَتَأَمَّلُ في مَراحِلِ تَكَوُّنِ اللَّبَنِ وكَيفيَّةِ حُصولِهِ ، وخُروجِهِ نَقيّاً صافِياً مِنْ بَيْنِ هذهِ الأكْدارِ ، تَتَبيَّنُ لَهُ عَظَمَةُ الخالِقِ ، ودِقَّةُ صُنْعِهِ ، وعَظيمُ قُدْرَتِهِ .

ويَحْتَوي اللَّبنُ على نِسْبَةٍ عالِيَةٍ مِنَ البُروتينِ الغَنيِّ بالكبريتِ والكالسيوم وبَعْضِ الفيتاميناتِ ، مِمّا يَجْعَلُهُ أَهَمَّ غِذاءٍ لِلنُّموِّ وسَلامَةِ العِظامِ والأَسْنانِ ، فَهُوَ غِذاءٌ كامِلٌ لَذيذُ الطَّعْمِ ، سَهْلُ الهَضْمِ ، مُتَعَدِّدُ الفوائِدِ ، وفي الحَديثِ عَنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : أُتِيَ رسولُ اللهِ ﷺ بِلبنٍ فَشَرِبَ ، ثُمَّ قال : « إذا أكَلَ أحَدكُمْ طعاماً فَلْيَقُلْ : اللهمَّ بارِكْ لنا فيهِ وأَطْعِمْنا خَيْراً مِنهُ ، وإذا سُقِيَ لَبَناً فَلْيَقُل : اللهمَّ بارِكْ لَنا فيهِ وَزِدْنا مِنْهُ فإنَّهُ لَيْس شَيءٌ يُجْزِىءُ عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ إلاّ اللبنُ »[1] .

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .

امْتَنَّ اللهُ على عبادِهِ بما تُخْرِجُهُ أشْجارُ النَّخيلِ والأَعْنابِ مِنْ ثمارٍ ، وهذانِ الصِّنْفانِ : التَّمْرُ والعِنَبُ مِنْ أفْضَلِ أصْنافِ النَّباتِ وأكْثَرِها نَفْعاً ، وَمِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ بِها أنْ تَصْنَعوا مِنْها الخَمْرَ وهُوَ الشَّرابُ المُسْكِرُ الّذي يُذْهِبُ العُقولَ . وَمِنْ وُجوهِ الانْتِفاعِ اتِّخاذُ الأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ .

وَقَدْ عَطَفَ الرِّزْقَ الحَسَنَ وَهُوَ سائِرُ ما يُتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ والعِنَبِ منْ أطْعِمَةٍ وأَشْرِبَةٍ : كالخَلِّ والدِّبْسِ والزَّبيبِ ، على السَّكَرِ الَّذي لَمْ يوصَفْ بالحُسْنِ ، وفي ذَلِكَ إشارةٌ إلى أنَّ هذا الشَّرابَ غَيْرُ حَسَنٍ ، وكانَتْ هذهِ أُولى خُطواتِ تَحْريمِ الخَمْرِ وأَوّلُ ما نَزَلَ فيهِ .

﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ أيْ إنَّ فيما ذَكَرْناهُ لَكُمْ مِنْ إخْراجِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، وفي انْتِفاعِكُمْ مِنَ النَّخيلِ والأَعْنابِ بِمُخْتَلَفِ أَنْواعِ الانْتِفاعِ لآيةً ظاهِرةً ودَلالَةً قَوِيَّةً على عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ لِمَنْ تَفَكَّروا بِعُقولِهِمْ وأَدْرَكوا عَظَمَةَ الخالِقِ المُبْدِعِ سُبْحانَهُ .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأشربة ، باب ما يقول إذا شرب اللبن .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَوْرُ الشَّيْطانِ في إغْواء الإنْسانِ وتَزْيينِ الباطِلِ لَهُ .

٢ـ أرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ لِتَخْليصِ البَشَرِ مِنَ الضَّلالِ .

٣ـ القُرْآنُ الكريمُ مُبينٌ لِما اخْتَلَفَ النَّاسُ فيهِ ، وهُوَ كِتابُ الهِدايَةِ والرَّحْمَةِ لِلْمُومِنينَ .

٤ـ كانتِ الخَمْرُ مُباحَةً في أوَّلِ الإسْلامِ ثُمَّ حُرِّمَتْ .

٥ـ أَهَمِيَّةُ اللَّبَنِ وَعَظيمُ فَوائِدِهِ .

٦ـ امْتِداحُ اتِّخاذِ الرِّزْقِ الحَسَنِ الطَّيِّبِ مِنَ الثَّمَراتِ المُخْتَلِفَةِ ، وَذَمُّ اتِّخاذِ السَّكَرِ ونَحْوِهِ مِمّا فيهِ ضَرَرٌ للإِنْسانِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ كانَ الشَّيْطانُ وَلِيّاً لأَتْباعِهِ ؟

٢ـ بَيِّنْ مَهَمَّةَ الكِتابِ كَما بَيَّنَتْها الآيةُ (٦٤) .

٣ـ ما فائِدَةُ الماءِ لِلأَرْضِ ؟ وما العِبْرَةُ مِنَ التَّذْكيرِ بِذَلِكَ ؟

٤ـ ما مَعنى تَكَوُّنِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ؟ وما مَعْنى كَونِهِ خالِصاً سائِغاً لِلشّارِبينَ ؟

٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ النَّخيلِ والأَعْنابِ وَتَخْصيصِهِما بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الثَّمَراتِ ؟

٦ـ كَيْفَ تَسْتَنْبِطُ مِنَ الآيَةِ ذَمَّ اتِّخاذِ السَّكَرِ مِنَ العِنَبِ والتَّمْرِ ؟

نَشاطٌ :

ـ اجْمَعْ آياتِ تَحْريمِ الخَمْرِ ، واكْتُبْها على لَوْحَةٍ كَرْتونيةٍ ، وعَلِّقْها على لَوْحَةِ النَّشاطِ في المَدْرَسَةِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَأَوْحى رَبُّكَ إلى النَّحلِ : أَلْهَمَها .

يَعْرِشونَ : يَبْنونَ خَلايا النَّحلِ .

ذُلُلاً : مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً .

أرذلِ العُمُرِ : الهَرَم .

مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ : عَبيدُهُمْ .

حَفَدَةً : أبناءَ الأبناءِ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكريمةِ حَديثٌ عَنِ النَّحلِ ، وما يَخْرُجُ مِنْها مِنَ العَسَلِ وَتَكْوينِهِ وأَنَّهُ شِفاءٌ للنَّاسِ ، وفيها بَيانٌ لِجانبٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ على البَشَرِ في تَدرُّجِ نُموِّهِمْ والتَّفاضُلِ بَيْنَهُمْ في الرِّزْقِ والأَبْناءِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

لَقَدْ أَلْهَمَ رَبُّكَ النَّحلَ أَنْ تَتَّخِذَ لِنَفْسِها بُيوتاً ، تَتَجَمَّعُ فيها وتَعيشُ وتَتكاثَرُ وَتُنْتِجُ العَسَلَ ، هذهِ البيوتُ قَدْ تكونُ في فَجَواتِ الجِبالِ أَوْ في تَجاويفِ الشَّجَرِ ، أَوْ مِمّا يَبْنيهِ النّاسُ لَها مِنْ خَلاَيا وأَكْوارٍ .

﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

وأَلْهَمَها أَنْ تأْكُلَ مِنْ مُخْتَلَفِ أَنْواعِ الأَزْهارِ والثَّمَراتِ ، وأَنْ تَسْلُكَ الطُّرُقَ الَّتي تُوصِلُها إلى مُبْتَغاها مِنَ الثَّمَراتِ المُتَنوِّعَةِ ، فإنَّها سُبُلٌ مُذَلَّلَةٌ مُيَسَّرَةٌ ، لِلْوُصولِ إليْها والعَوْدَةِ إلى خَليَّتِها ، دونَ أَنْ تَضِلَّ أَوْ تُخْطِىءَ مَهْما بَعُدَتْ عَنْها ، وَبِقُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَبِنِعْمَتِهِ على خَلْقِهِ يَخْرُجُ مِنْ بُطونِ النَّحْلِ العَسَلُ ، وَهُوَ شَرابٌ طَيِّبُ الطَّعْمِ عَظيمُ الفائِدَةِ ، مُتَنَوِّعُ الأَلْوانِ ، مُحتوٍ على عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الموادِّ الَّتي لها دَورٌ فَعَّالٌ في صِحَّةِ الجِسْمِ وَدَفْعِ الأَمْراضِ عَنْهُ .

وفي كُلِّ هذهِ الأُمورِ وهِيَ : إلْهامُ اللهِ للنَّحْلِ أَنْ تَخْتارَ وتَنْتَقِيَ مَكانَ إقامَتِها وأَنْ تَسْلُكَ السُّبُلَ المُذَلَّلَةَ لَها ، وأَنْ تُنْتِجَ العَسَلَ ، آيةٌ عَظيمةٌ وَعِبْرَةٌ قَوِيَّةٌ تَدلُّ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وحِكْمَتِهِ ، لِمَنْ يَتفكَّرُ وَيتدَبَّرُ .

والتَّنْكيرُ في لَفْظِ (شِفاءٌ) يُفيدُ عَدَمَ العُمومِ ، فالعَسَلُ شِفاءٌ لِكَثيرٍ مِنَ الأَمْراضِ لا لِجَميعِها ، ويُنتفَعُ بِهِ مُسْتقلاً أَوْ مُشْتَرَكاً مَعَ غَيْرِهِ .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

وتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ جَوانبَ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على البَشَرِ ، فاللهُ تَعالى هُوَ الَّذي خَلَقَ هذا الإنْسانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً ، ويَسَّرَ لَهُ سُبُلَ العَيْشِ والنُّموِّ ، فإذا جاءَ وَقْتُ مَوْتِهِ أَمرَ اللهُ مَلائِكَتَهُ فَتوَفَّتْهُ في الوَقْتِ الَّذي أَرادَهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ ، وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ آجالٌ واحِدَةٌ ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَموتُ صَغيراً وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَدُّ بِهِ الأَجَلُ وَيُرَدُّ إلى أَسْوَأَ العُمُرِ وأَرْذَئِهِ فَلا يَعودُ قادِراً على قَضاءِ مَصالِحِه بِنَفْسِهِ ، وَتَضْعُفُ ذاكِرَتُهُ أَوْ تَزولُ ، ويَعودُ كالطِّفْلِ مُحْتاجاً إلى الرِّعايَةِ والاعْتِناءِ ، إنَّ اللهَ عَليمٌ بِأَحْوالِ خَلْقِهِ وَبِمقاديرِ أَعْمارِ عِبادِهِ ، قَديرٌ على كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيَةِ الكَريمةِ تَبْيينٌ أَنَّ الرِّزْقَ وَتَصْريفَهُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ الَّذي يُعْطِي وهُوَ الَّذي

يَمْنَعُ ، وكَمْ مِنْ عالِمٍ وصاحِب عَقْلٍ مَحْدُودُ الرِّزْقِ والمالِ ، وكَمْ مِنْ جاهِلٍ سَفيهٍ مُوَسَّعٌ عليْهِ رزْقُهُ ، فَتفاضُلُ النَّاسِ في الرِّزْقِ لَيْسَ حَسَبَ رَغْباتِهِم ولا اسْتِحْقاقاتِهِمْ ولَكِنَّهُ تابِعٌ لِحِكْمَةِ اللهِ تَعالى الَّذي جَعَلَ في التَّفاضُلِ في الرِّزْقِ دَليلاً على عِلْمِهِ بما يَنْفَعُ عِبادَهُ .

ثُمَّ تُبيِّنُ الآيَةُ أن الَّذينَ رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى رِزْقاً كَثيراً زائِداً عَنْ حاجَتِهِمْ ، لا يُعْطونَ ما يَزيدُ عَنْ حاجَتِهِمْ لِعَبيدِهِمْ وَمَماليكِهِمْ لِيُصْبحوا جَميعاً مُتَساوينَ فيما يَمْلِكونَ ، فإذا كانوا لا يَرْضَوْنَ لِعبيدِهِمْ أَنْ يُساووهُمْ وَهُمْ مَخْلوقونَ مِثْلَهُمْ ، فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ أَنْ يُساووا الأَصْنامَ والأَوْثانَ باللهِ تَعالى فَيَعْبُدوها مِنْ دونِ اللهِ ؟

إنَّ هذا جُحودٌ لِنِعْمَةِ اللهِ الَّذي رَزَقَهُمْ ، فَهُمْ يَعْبدونَ غَيْرَهَ وَيَشْكُرونَ سِواهُ ، وَهذا ذَمٌّ لِلْمُشْرِكينَ وَتَسْفيهٌ لِضلالِهِمْ حَيْثُ رَضوا أَنْ يَنْسِبوا لِخالِقِهِمْ ما لا يَرْضَوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعالى عَلَيْكُمْ أَيُّها البَشَرُ ، أَنْ جَعَلَ لَكُمْ أَزْوجاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ لآدَمَ زَوْجَةً مِنْ ضِلْعِهِ كما صَحَّ في الحديثِ ، وَخَلَقَ اللهُ لنا أزْواجاً مِنْ أَنْفُسِنا لِيكونَ ذَلك آنَسَ وأَقْرَبَ لِلْمَوَدَّةِ والائْتِلافِ ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ زَوْجاتِكُمْ أولاداً وَأَوْلادَ أَوْلادٍ يُسارِعونَ إلى خِدْمَتِكُمْ وطاعَتِكُمْ برضىً وسُرورٍ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَصْنافاً كَثيرةً ، مُتَعدِّدَةَ الأَشكالِ والأَنْواعِ ، وأَباحَ لَكُمْ التَّمَتُّعَ بِها والانْتِفاعَ مِنْها ، أَبَعْدَ كُلِّ هذهِ النِّعَمِ يُؤْمِنُ المُشْرِكونَ بالباطِلِ فَيَعْبُدونَ الأَصْنامَ وَيُعَظِّمونَ غَيْرَ اللهِ ، وَيَقومونَ بالأَفْعالِ المُخالِفَةِ لِلحَقِّ والصَّوابِ وَيَكْفُرونَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فلا يَشْكُرونَهُ عَلَيْها ، ولا يَقومونَ بِما أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طاعَتِهِ ؟ والاسْتِفْهامُ في هذهِ الآيَةِ لِلإِنْكارِ والتَّوْبيخِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ في خَلْقِ النَّحْلِ وإلْهامِهِ بِناءَ خلاياهُ بِطَريقَةٍ في غايةِ الإتْقانِ ، وَصُنْعِهِ العَسَلَ لِيَنْتَفِعَ النَّاسُ مِنْهُ ، عِبْرَةٌ عَظيمَةٌ ودَلالَةٌ على قُدْرَةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٢ـ إذا هَرِمَ الإنسانُ عادَ كالطِّفْلِ مُحْتاجاً إلى الرِّعايَةِ والاعْتناءِ فَلْيَتَذَكَّرْ قُدْرَةَ اللهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِ .

٣ـ سَعَةُ الرِّزْقِ لَيْسَتْ دَليلاً على رضى اللهِ ، كما أَنَّ ضِيقَ الرِّزْقِ لَيْسَ دَليلاً على عَدَمِ رِضاهُ ، إِنَّما هُوَ ابْتِلاءٌ لِلْعِبادِ وامْتِحانٌ لَهُمْ .

٤ـ فَضْلُ اللهِ على آدَمَ وَبَنيهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَزْواجاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَوَهَبَهُمُ الأَوْلادَ والأَحْفادَ .

٥ـ عَظيمُ إساءَةِ الجاحِدينَ الَّذين يَتَقلَّبونَ في نِعَمِ اللهِ ويَعْبدونَ سِواهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ أ ـ ما مَعْنى الوَحْيِ إلى النَّحْلِ ؟

ب ـ ما الَّذي أَوْحاهُ اللهُ تَعالى إلى النَّحْلِ ؟

ج ـ ما معنى تَذْليلِ السُّبُلِ للنَّحْلِ ؟

د ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى الشَّرابَ الَّذي يَخْرُجُ مِنْ بُطونِ النَّحْلِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بالرَّدِّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ؟

٣ـ ما الَّذي يَمْنَعُ الغنِيَّ مِنْ إنْفاقِ جَميعِ ما زادَ عَنْ حاجتِهِ ؟

٤ـ ما معنى الحَفَدَةِ ؟

٥ـ ما المُرادُ بالباطِلِ في قَوْلِهِ تَعالى (أَبِالباطِلِ يُؤْمِنونَ) ؟

تَعَلَّمْ :

عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَأْمُرُ بِهؤلاءِ الخَمْسِ ويُحَدِّثُ بِهِنَّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ : « الهمَّ إني أعوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وأعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ ، وأعوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا ، وأعوذُ بِكَ مِنَ عَذابِ القَبْرِ »(١) .

نَشاطٌ :

١ـ صِفْ خَلِيَّةَ النَّحْلِ واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً نبوياً شَريفاً يَدلُّ على أنَّ في العَسَلِ شِفاءً .

---

(١) رواه الخباري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من البخل ، رقم الحديث ٦٠٠٩ .

الدرسُ الثالثَ عشرَ

سورةُ النَّحلِ - القِسمُ الثالثَ عشرَ

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَبْكَمُ : لا يَقْدِرُ على الكَلامِ .

كَلٌّ : عالةٌ وَعِبْءٌ .

يُوجِّهْهُ : يَبْعَثْهُ في أَمْرٍ مُهِمٍّ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ مُواصَلَةُ الحَديثِ عَنِ المُشْركينَ وإبْطالُ شِرْكِهِمْ ، وَضَرْبُ مَثَلَيْنِ يُظْهِرانِ الفَرْقَ الكَبيرَ بَيْنَ الخالِقِ العَظيمِ والمَمْلوكِ العاجِزِ ، فَهَلْ مِنْ مُعْتَبِرٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

هذهِ الآيَةُ مَعْطوفَةٌ على ما خُتِمَتْ بِهِ الآيَةُ السَّابِقَةُ : ﴿أَفَبِالباطِلِ يُؤْمِنونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرونَ﴾ أيْ أنَّ هؤلاء المُشْركينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ باللهِ ويَكْفُرونَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، يَزيدونَ على ذلِكَ أنَّهُمْ

يَعْبُدونَ أَوْثاناً وأَصْناماً مِنَ الحِجارَةِ أَوْ مِنَ البَشَرِ لا يَقْدِرونَ أَنْ يَرْزُقُوهُمْ أَيَّ شَيءٍ مِنَ السَّماواتِ كالمَطَرِ أَوِ الضِّياءِ أَوِ الحَرارَةِ ، ولا مِنَ الأَرْضِ كإِنْباتِ الزَّرْعِ وَتَكوينِ المَعادِنِ ، فَهذِهِ المَعْبوداتُ الباطِلَةُ لا تَمْلِكُ الرِّزْقَ ، وإِذا كانَتْ لا تَمْلِكُهُ فَهِي عاجِزَةٌ عَنْ أَنْ تَمْنَحَهُ . والتَّنْكيرُ في (رِزْقاً) وَ(شَيئاً) لِلتَّقْليلِ ، فَهذِهِ المَعْبوداتُ لا تَمْلِكُ أَيَّ شَيءٍ مِنَ الرِّزْقِ وَلَوْ كانَ قَليلاً يَسيراً .

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

فإذا كانَتْ آلِهَتُكُمْ المَزْعومَةُ لا تَمْلِكُ الرِّزْقَ ولا تَمْنَحُهُ وَلاَ تَنْفَعُكُمْ وَلاَ تَضُرُّكُمْ ، فلا تَجْعَلوا للهِ مَثيلاً وَشَريكاً ، وَلاَ تُشَبِّهوهُ بِخَلْقِهِ فإِنَّهُ سُبْحانَهُ لا مَثَلَ لَهُ ولا نَظيرَ ، ولا تُطْلِقوا لَفْظَ الإِلهِ على أَصْنامِكُمْ ، ولا تَعْتَقِدوا أَنَّها شافِعَةٌ لَكُمْ عِنْدَهُ أَوْ تُقَرِّبُكُمْ إِلَيْهِ ، أَوْ تَتوسَّطُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ كحالِ النَّاسِ مَعَ الأُمَراءِ والمُلوكِ ، فإِنَّ اللهَ تَعالى يَعْلَمُ عَجْزَ هذهِ المَخْلوقاتِ وَعَدَمَ قُدْرَتِها على شَيءٍ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمونَ قَدْرَ عَظَمَةِ الخالِقِ .

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تَعالى عِبادَهُ عَنِ الشِّرْكِ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَيْنِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مِنْ خلالِهِما بُطْلاَنَ عِبادَةِ المَخلوقاتِ .

المَثَلُ الأَوَّلُ لِعَبْدٍ مَمْلوكٍ لاَ يَسْتَطيعُ التَّصرُّفَ بأيِّ شَيءٍ ولا يَمْلِكُ مالاً ولا مَتاعاً ، وَهُوَ مُؤْتَمِرٌ بِأَمْرِ سَيِّدِهِ ، وفي مُقابِلِ هذا العَبْدِ : رَجُلٌ يَمْلِكُ الكَثيرَ مِنَ المالِ ويَتَصَرَّفُ فيهِ كما يَشاءُ ، ويُنْفِقُ مَنْهُ في أَيِّ وَقْتٍ يَرْغَبُ في الإِنْفاقِ وعلى أَيِّ حالٍ يُريدُ ، فإذا كانَ هذا الفارِقُ بَيْنَ مَخلوقٍ ومَخْلوقٍ فَكَيْفَ الفارِقُ بَيْنَ الخالِقِ والمَخْلوقِ ؟ وَكَيْفَ يُسَوَّى بَيْنَ الأَوْثانِ والواحِدِ الدَّيَّانِ ؟

﴿الحمدُ للهِ﴾ أي الحَمْدُ التَّامُ والثَّناءُ الكامِلُ للهِ تَعالى ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ دُونَ سِواهُ ، ولكنَّ أَكْثَرَ المُشْرِكينَ لا يَعْلَمونَ الحَق ولا يُمَيِّزونَهُ عَنِ الباطِلِ ، ولا يَعْلَمونَ ما يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عَذابِ جَزاءَ شِرْكِهِمْ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) إِشارةٌ إلى أَنَّ بَعْضَهُم يَعْرِفُ الحَقَّ ولكنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ ، جُحوداً وحَسَداً وعِناداً .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

المَثَلُ الثَّاني لِرَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُما لا يَقْدِرُ على الكلام لأَنَّهُ أَبْكَمُ ، ولا يَسْتَطيعُ التَّصرُّفَ بأيِّ

شَيءٍ ، ولا يَمْلِكُ جَلْبَ النَّفْعِ لِنَفْسِهِ ولا دَفْعَ الضُّرِّ عَنْها ، وهُوَ عالَةٌ على سَيِّدِهِ الَّذي يتولّى شُؤونَهُ وَرِعايَتَهُ ، وأيْنَما يُرْسِلْهُ مَوْلاهُ في مُهِمَّةٍ لا يَأْتِ بِمْنفَعَةٍ ولا يُحقِّقُ خَيْراً ، لأنَّهُ لا يَعِي ما يُقالُ لَهُ ولا يَقْدِرُ أنْ يُعَبِّرَ عَمَّا في نَفْسِهِ ، والرَّجُلُ الآخَرُ كامِلُ الحواسِّ ، نافِعٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ ، يَأْمُرُ بالعَدْلِ وَيَسيرُ على مَنْهَجِ الحَقِّ والدِّينِ القَويمِ ، هَلْ يَستوي هذانِ الرَّجُلانِ ؟ لاشكَّ أنَّ أيَّ عاقِلٍ ومُنْصِفٍ يَحْكُمُ بِعَدمِ اسْتِوائِهما ، فإذا كانَ هَذا هُوَ الفارِقُ بَيْنَ هَذينِ ، فإنَّ الفارِقَ بَيْنَ المَخْلوقِ واللهِ تَعالى الواحِدِ أعظَمُ وأكْثَرُ ، فإنَّ اللهَ تَعالى لَهُ المَثَلُ الأعْلى ، فهُوَ الَّذي يَدعو إلى الخَيْرِ ويأْمُرُ بالعَدْلِ ويَنْفَعُ الآخَرينَ ، فَفِي هذا المَثَلِ بَيانُ الفَرْقِ الكَبيرِ بَيْنَ الخالِقِ المُسْتَحِقِّ لِلْعِبادَةِ ، وبَيْنَ الصَّنَمِ الأبْكَمِ الَّذي لا يُغْنِي عَنْ عابديهِ شَيْئاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ النَّهْيُ عَنْ ضَرْبِ الأَمْثالِ للهِ ، وَعَنْ تَشْبيهِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى بِخَلْقِهِ .

٢ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ على أَنْ يَكونَ ضارِبُ المَثَلِ عالِماً ، فَفيها تَقْريبٌ وتَوْضيحٌ لِلْمَعنى .



أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصفَتِ الآيةُ (٧٣) ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِنَهْيِ المُشْرِكينَ عَنْ ضَرْبِ الأمثالِ للهِ ؟

٣ـ قارِنْ بَيْنَ المَثَلَيْنِ المَضْروبَيْنِ في الآيَتيْنِ (٧٥) و(٧٦) ، لِكُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ العاجِزِ والرَّجُلِ القادِرِ ، وما المُرادُ بِضَرْبِ المَثَلِ بِهِما في الآيَتَيْنِ ؟

٤ـ لِضَرْبِ الأمْثالِ فَوائدُ مُتَعدِّدَةٌ ، اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْها .

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنّا رِزْقاً حَسَناً .

ب ـ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ .

ج ـ أحدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيءٍ .

د ـ وَهُوَ كَلٌّ على مَوْلاهُ .

نَشاطٌ :

ـ ارْجِعْ إلى سُورَةِ الشُّعَراءِ ، واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بيانَ سَيِّدِنا إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِصفاتِ اللهِ تَعالى ، ودَوِّنْ تَفْسيرَها كَذلك .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعَ عشَرَ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَلَمْحِ البَصَرِ : النَّظَرُ بِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ .

مُسْخَّراتٍ : مُذَلّلاتٍ لِلطَّيرانِ .

الأنعام : الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .

تَسْتَخِفُّونَها : تَجدونَها خَفيفةَ الحَمْلِ .

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ : يومَ رَحيلِكُمْ .

أثاثاً : مَتاعاً لِبيُوتِكُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبْيينُ سَعَةِ عِلْمِ اللهِ ، وقُرْبِ حُصولِ السَّاعَةِ والتَّذْكِيرُ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى على خَلْقِهِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أيْ : واللهُ تَعالى وَحْدَهُ يَعْلَمُ جَميعَ الأُمورِ الغائِبَةِ عَنْ مَدارِكِ المَخْلوقينَ في السَّمواتِ والأَرْضِ ، والَّتي لا يُمْكِنُ لِلْمَخْلوقينَ مَعْرِفَتُها أَوِ العِلْمُ بِها لِعَدَمِ انْدِراجِها فيما يُمْكِنُهُمْ إِدْراكُهُ بِحِسِّهِمْ ، وما أَمْرُ مَجيءِ السَّاعَةِ وَحُصولِها إلاَّ كَنَظْرَةٍ خاطِفَةٍ ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، فإِنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعالى على فِعْلِ ما يَشاءُ مُطْلَقَةٌ ، وَهُوَ قَديرٌ على كُلِّ شَيءٍ أرادَهُ .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ عَدَداً مِنْ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ ، والَّتي تَدُلُّ على عَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وقُدْرَتِهِ ، فاللهُ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ الَّذي خَلَقَ الإنسانَ وصَوَّرَهُ في الرَّحِمِ كَيْفَ يَشاءُ ، فإذا اكْتَمَلَ نُمُوُّهُ وحانَ وَقْتُ الوِلادَةِ يَسَّرَ أمْرَها وأعانَ على حُصولِها ، فَخَرَجَ المَوْلودُ بَشَراً سَوِيّاً ، لا يَعْلَمُ شَيْئاً عَنِ الدُّنيا ، فَيَسَّرَ اللهُ لَهُ وسائِلَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ، وأنْعَمَ عَلَيْهِ بالسَّمْعِ والبَصَرِ والفُؤادِ ، لِيَتَعَلَّمَ ويُدْرِكَ حَقائِقَ الأَشْياءِ مِنْ خِلالِ السَّمْعِ والبَصَرِ ، والتَّفْكيرِ ، والتَّأَمُّلِ في كُلِّ ما حَوْلَهُ ، فَهذِهِ نِعَمٌ جَليلةٌ يَنْبَغي عَلى الإِنْسانِ أَنْ يَشْكُرَ خالِقَهُ عَلَيْها بِطاعَتِهِ ، فيما أَمَرَ ، واسْتِعْمالِ هَذِهِ الأَعْضاءِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ وغَيْرِها فيما يُرْضيهِ سُبْحانَهُ .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أَلَمْ يَرَ هؤلاءِ المُشْرِكونَ الَّذين لَمْ يَسْتَعْمِلوا أَبْصارَهُمْ لِتَدُلَّهُمْ على الخالِقِ الحَكيمِ ، أَنَّ أَنْواعَ الطُّيورِ المُتَعدِّدَةِ ، وقابِلِيَّتَها للطَّيرانِ تدلُّ على أنَّ اللهَ تَعالى هُوَ الَّذِي مَنَحَها الأَجْنِحَةَ والرِّيشَ والذَّيْلَ والقُدْرَةَ على التَّحْليقِ ، وَهُوَ الَّذي أَلْهَمَها كَيْفِيَّةَ العَمَلِ عِنْدَ إرادةِ الصُّعودِ أَوِ الهُبوطِ أوالاسْتِقرارِ في الجَوِّ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ صاحبُ الأمْرِ ، وهُوَ الَّذي سَخَّرَ الأسْبابَ كُلَّها وَذَلَّلَها لِتَتَمَكَّنَ هذهِ الطُّيورُ مِنَ الطَّيْرانِ ، إنَّ في هَذا الأَمْرِ اللاَّفِتِ لِلنَّظَرِ لآياتٍ عَديدةً تَدُلُّ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَحِكْمَتِهِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ باللهِ ، ويَقومونَ بِمُقْتَضياتِ هذا الإيمانِ مِنْ عَمَلٍ صالِحٍ وطاعةٍ لِلْخالِقِ العَظيمِ.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيَةِ الكَريمةِ بَيانٌ لِعَدَدٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى على الإِنْسانِ ، وأَوَّلُ هَذهِ النِّعَمِ أَنَّهُ سُبْحانَهُ هَدانا لِبناءِ البُيوتِ لِتَكونَ لَنا مَكانَ الرَّاحَةِ والهُدوءِ والسُّكونِ والاسْتِقْرارِ ، وَمِنْ نِعَمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّهُ

هَدانا لاسْتِخْدامِ جُلودِ الأنْعامِ في بِناءِ البُيوتِ الخَفيفةِ المُتَنَقِّلَةِ ، وهِيَ البُيوتُ الَّتي يَسْتَخْدِمُها الأَعْرابُ الَّذين يَنْتَقِلونَ مِنْ مَكانٍ لآخرَ طَلَباً لِلْمَرْعى وَلِلْماءِ ، وهِيَ مُتَّخَذَةٌ مِنْ جُلودِ الأنْعام وأَصْوافِها وَشَعْرِها وتُسَمّى : بُيوتَ الشَّعَرِ ، وبيُوتَ الصُّوفِ ، والخِيام ، وَمِنْ مِيزةِ هذهِ البيوتِ خِفَّةُ حَمْلِها وَسُهولَةُ إزالَتِها عِنْدَ إرادَةِ الرَّحيلِ والانْتقالِ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وسُهولَةُ بِنائِها عِنْدَ إرادَةِ الاسْتِقْرارِ والمُكْثِ .

ومِنْ نِعَمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّهُ هَدانا إلى اسْتِخْدام وَبَرِ الجَمَلِ ، وصُوفِ الضَّأْنِ وشَعَرِ الماعِزِ في أثاثِ البُيوتِ ، فَنَتَّخِذُ مِنْها البُسُطَ والأَغْطِيَةَ والمَفارِشَ ونَنْسُجُ مِنْها أنواعاً مُتَعدِّدةً مِنَ الثِّيابِ الفاخِرَةِ ، ونَنْتَفِعُ مِنْها بالبَيْعِ والتَّصْنيعِ إلى غَيْرِ ذلكَ مِنْ أَوْجُهِ الانْتِفاعِ المُتَعَدِّدَةِ (إلى حينٍ) أيْ إلى وَقْتٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ بِحَسَبِ كُلِّ إنْسانٍ إمَّا بِمَوْتِهِ وإمَّا بِفَقْدِ تِلْكَ الأَشْياءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ تَرَقُّبِ السَّاعَةِ وانْتِظارِ حُصولِها ، والاسْتِعْدادِ لها بالعَمَلِ الصَّالِحِ .

٢ـ وُجوبُ تَسْخيرِ الأَعْضاءِ في طاعَةِ اللهِ والانْتفاعِ مِنْها فيما يُرْضيهِ .

٣ـ التَأَمُّلُ في مَخْلوقاتِ الله تعالى سَبيلٌ إلى الإيمان بهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ التَأَمُّلُ في الطُّيورِ وأَشْكالِها وأَنْواعِها وأَحْجامِها وَكَيْفِيَّةِ طَيرانِها وما في ذَلِكَ مِنَ العِبَرِ والآياتِ .

٤ـ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى على الإنْسانِ هِدايَتُهُ إلى اتِّخاذِ البُيوتِ مِنْ الحَجَرِ وَمِنَ الشَّعَرِ ، وإلى الانْتِفاعِ بِوَبَرِ الأَنْعامِ وَشَعْرِها وَصُوفِها في الأثاثِ والمَتاعِ ، وهي نِعَمٌ تَحْتاجُ إلى الثَّناءِ والشُّكْرِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأُمورَ الّتي بَيَّنَتْها الآيةُ (٧٧) ؟

٢ـ بَيِّنْ وَجْهَ الامْتِنانِ على البَشَرِ بإِخْبارِهِمْ أَنَّهمُ لَمْ يَكونوا يَعْلَمونَ شَيْئاً .

٣ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ السَّمْعِ والأَبْصارِ والأَفْئِدَةِ بالذِّكْرِ دُونَ سائِرِ الأعضاءِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ اتِّخاذِ البُيوتِ ؟

٥ـ اذكُرْ أَنْواعَ البُيوتِ الّتي يَتَّخِذُها النَّاسُ لِلْمَعيشَةِ .

٦ـ ما مَعْنى قَوْلِهِ تَعالى (وَمَتاعاً إلى حينٍ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ تَقْديمِ السَّمْعِ على البَصَرِ في الآيةِ (٧٨) وفي غَيْرِها مِنَ الآياتِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ المُلْكِ الَّتي تَذْكُرُ الطُّيورَ ، وحَرَكَتَها في الهواءِ .

٣ـ عَدِّدْ عَشَرَةَ أَصْنافٍ مِنَ الأثاثِ المَنْزِليِّ يَدْخُلُ في تَكْوينِها جُلودُ الأَنْعامِ أَوْ شُعورُها أَوْ أَصْوافُها ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٤ـ راقِبْ حَرَكَةَ أَحَدِ الطُّيورِ في طَيَرانِهِ ، وَحَرَكَتِهِ في الجَوِّ ، وحالَهُ عِنْدَ الهُبوطِ وَعِنْدَ بَدْءِ الطَّيرانِ ، وَقارِنْ مُلاحظاتِكَ بما دَوَّنَهُ زُملاؤُكَ عَنْ طائِرٍ آخَرَ ، واسْتَخْرِجْ أَوْجُهَ الاخْتِلافِ والاتِّفاقِ بَيْنَ أنواعِ الطُّيورِ المُتَعَدِّدةِ .

* * *

الدَّرسُ الخامسَ عشَرَ

سورةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عشَرَ

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ظِلالاً : أشياءَ تَسْتظِلّونُ بها مِنَ الشَّمْسِ .

أَكْناناً : أماكِنَ تَسْتَتِرونَ فيها وَتَسْكُنون فيها .

سَرابيلَ : ما يُلْبَسُ مِنَ الثّيابِ .

بَأْسَكُمْ : ما تُلاقونَهُ مِنْ شِدةٍ في الحَرْبِ والقِتالِ .

لا يُسْتَعْتَبونَ : لا يُطْلَبُ مِنْهُمْ إرْضاءُ رَبِّهِم .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ استِمْرارٌ في تَبْيينِ عَدَدٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى البَشَرِ ، مَعَ كُفْرِ كَثيرٍ مِنْهُمْ بِهذهِ النِّعَمِ وَعَدَمِ شُكْرِهِمْ لِلرَّازِقِ الكَريمِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

أيْ واللهُ تعالى أنْعَمَ عَلَيْكُمْ أيُّها البَشَرُ بِأنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الأشْجارِ والجِبالِ وغيْرِها ظِلالاً تَسْتَظِلّونَ بها مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ ، وجَعَلَ لَكُمْ في الجِبالِ أماكِنَ تَسْتَقِرّونَ فِيها وتأمَنونَ مِنَ الحرِّ والبَرْدِ والمَطَرِ والعَدُوِّ ، كالكُهوفِ والمَغاراتِ ونَحوِها ، وجَعَلَ لَكُمْ ثِياباً تَصْنَعونَها مِنَ الصُّوفِ والقُطْنِ ونَحْوِها تَقْيكُمْ شِدَّةَ الحَرِّ وَشِدَّةَ البَرْدِ ، وَجَعَلَ لَكُمْ أنْواعاً أُخرى مِنَ الثِّيابِ تَقيكُمْ شِدَّةَ القِتالِ ، والطَّعْنَ بالسُّيوفِ والرِّماحِ والرَّصاصِ وغَيْرِها ، وهِيَ الدُّروعُ الَّتي تَتَّخِذونَها لِلْوِقايَةِ والاحْتِماءِ بها مِنْ طَعَناتِ السُّيوفِ والسِّهامِ وَمِن مُخْتَلِفِ أنْواعِ الأسْلِحَةِ ، وَكَما أنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهذِهِ الأشْياءِ فَكَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بالدِّينِ القَيِّمِ لِكَيْ تَخْضَعوا لَهُ بالطَّاعَةِ وَتُخْلِصوا لَهُ العِبادَةَ دُونَ غَيْرِهِ .

وقالَ سُبْحانَهُ (سَرابيلَ تَقيكُمُ الحَرَّ) مَعَ أَنَّها تَقِي مِنَ البَرْدِ أيْضاً ، اكْتِفاءً بِذِكْرِ أَحَدِ الضِّدينِ عَنِ الآخَرِ ، وكانَ المَذكورُ الحَرُّ لأنَّهُ الأهَمُّ عِندَ العَرَبِ وَقْتَئذٍ ، فَمَكَّةُ مَدينةٌ يَغْلُبُ عَلَيْها الحَرُّ أكْثَرَ مِنَ البَرْدِ ، وأَيّامُ الحَرِّ في مَكَّةَ والجَزيرةِ أكْثَرُ مِنَ البَرْدِ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

أيْ : فإنْ لَمْ يُؤْمِنِ النَّاسُ بَعْدَ هذا البَيانِ العَظيمِ لِلنِّعَمِ ، وإن اسْتَمَرَّ المُشْرِكونَ في إعْراضِهِمْ عَنِ الإيمانِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ الكَريمُ مِنْ حَرَجٍ ، وَلَسْتَ مَسؤولاً عَنْ عَدَمِ اهْتِدائِهِمْ ، إنَّما عَلَيْكَ تَبيينُ رِسالَتِكَ وتَبْيينُ أُصولِ دَعْوَتِكَ .

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُشْرِكينَ المُعْرِضينَ عَنِ الإيمانِ يَعْلَمونَ في قَرارَةِ نُفوسِهِمْ أنَّ اللهَ هُوَ المُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِجَميعِ أنْواعِ النِّعَمِ الَّتي يَعْرِفونَها ويَعيشونَها ، ولَكِنَّهُم يَتنكَّرونَ لِلْجَميلِ ولا يَشْكرونَ المُنْعِمَ المُتَفَضِّلَ ، بَلْ يَكْفُرونَ بِهِ بِعَدَمِ شُكْرِ النِّعْمَةِ وَعِبادَةِ غَيْرِهِ ، هذا حالُ أكْثَرِ الخَلْقِ ، وقَليلٌ مِنْهُمْ المُؤْمِنونَ .

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآيةُ الكَريمةُ لِتُبَيِّنَ حالَ الكافِرينَ والمُنْكِرينَ لِنِعَمِ اللهِ في الآخِرَةِ ، فَفي ذَلِكَ اليَوم يَشْهَدُ كُلُّ نَبيٍّ عَلى قَوْمِهِ شَهادَةَ صِدْقٍ ، وَحَقٍّ ، يَشْهَدُ على مَنْ أطاعَهُ وآمَنَ بِهِ وَعَلى مَنْ عَصاهُ وَكَفَرَ بِهِ ، وفي ذَلِكَ اليَوم لا يُسْمَحُ لِلْكافِرينَ بإبْداءِ الحُجَّةِ أوِ الدِّفاعِ عَنْ أنْفُسِهِمْ فَقَدْ ظَهَرَ أنْ لا حُجَّةَ لَهُمْ ،

ولا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يُزيلوا غَضَبَ رَبِّهِمْ وسَخَطَهُ عَلَيْهِم بأيِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكالِ ، فَقَدْ غَضِبَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ سُوءِ فِعْلِهِمْ في الدُّنْيا فَلَمْ يَبْقَ أمامَهُم إلاّ تَرَقُّبُ العَذابِ الأليمِ جَزاءَ ما كَسَبَتْ أَيديهِمْ .

وتُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ عَدَمَ الإذْنِ لِلْمُشْرِكينَ بالدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وتُبَيِّنُ آياتٌ أُخْرى أَنَّهُمْ يَدْفَعونَ عَنْ أنْفُسِهِمْ ويَكْذِبونَ ويَجْتَهِدونَ في التَّنَصُّلِ مِنْ أَعْمالِهِمْ .

والجَمْعُ بَيْنَ الآياتِ بأَنَّهُمْ يُسْمَحُ لَهُمْ أَوَّلاً بالدِّفاعِ والرَّدِّ ، ثُمَّ لَمَّا تَقومُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ وتَنْقَطِعُ بِهِمُ الحِيلَةُ ، لا يُسْمَحُ لَهُمْ بالحَديثِ ، ولا يُسْمَحُ بالاعْتِذارِ لِفَواتِ وَقْتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على المَرْءِ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ ، فَيَنْتَفِعَ مِنَ الظِّلالِ والكُهوفِ والصُّوفِ .

٢ـ على المَرْءِ العاقِلِ أَنْ يَشْكُرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ وأَنْ يُسَخِّرَها فيما يُرْضي خالِقَهُ .

٣ـ النَّبِيُّ لَيْسَ مَسْؤولاً عَنْ هِدايَةِ قَوْمِهِ ، وَمُهِمَّتُهُ البَلاغُ والتَّبيينُ .

٤ـ أَكْثَرُ النّاسِ لا يَعْبدونَ اللهَ تَعالى ولا يَشْكُرونَ نِعَمَهُ ، وقَليلٌ مِنْهُمُ الشّاكِرُ العابِدُ .

٥ـ حِسابُ الله تَعالى لِعبادِهِ يَوْمَ القيامَةِ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ حَتَّى لا يَبْقى لَهُمْ حُجَّةٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ أَنْواعَ النِّعَمِ المَذْكورَةِ في الآية (٨١) .

٢ ـ لماذا يُنْكِرُ أَكْثَرُ النّاسِ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ولا يَشْكُرونَها ؟

٣ـ ما دَوْرُ الأَنْبياءِ مَعَ أُمَمِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٤ـ لماذا لا يُؤْذَنُ لِلْكافِرينَ يوْمَ القِيامَةِ بالاعْتِذارِ وإبْداءِ الحُجَّةِ ؟

٥ـ ذَكَرَتِ الآيَةُ أَنَّ السَّرابيلَ تَقي البَشَرَ مِنَ الحَرِّ ولَمْ تَذْكُرْ أَنَّها تَقيهِمْ مِنَ البَرْدِ ، لِماذا ؟



نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاَثَةَ أَشْياءَ تُسْتَخْدَمُ في الحَرْبِ لِلْوِقايَةِ مِنَ الضَّرْبِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تَدُلُّ على أنَّ المُشْرِكينَ يَعْرِفونَ أنَّ الخالِقَ والمُنْعِمَ هُوَ اللهُ .

* * *

الدرس السادس عشر

سورةُ النَّحْلِ - القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنْظُرونَ : يُمْهَلونَ .

نَدْعو : نَعْبُدُ .

السَّلَمَ : الاسْتِسْلامَ .

وَضَلَّ عَنْهُم : غابَ وَبَطُلَ .

يَفْترونَ : يَكْذِبونَ .

صدّوا : مَنَعوا .

التَّفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ مُواصَلَةُ الحَديثِ عَنْ يَوْمِ القِيامَةِ وأحْوالِ المُشْرِكينَ فيهِ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَتِ الآيَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ الأنْبياءَ يَشْهَدونَ على أُمَمِهِمْ ، قالَ اللهُ تَعالَى :

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ ما يَنْتَظِرُ كُلَّ فَريقٍ مِنْهُم مِنْ نَعيمٍ أَوْ عَذابٍ ، يُذْهَبُ بِكُلٍّ مِنْهُمْ إلى مَصيرِهِ ، فإذا رأَى الظَّالِمون والكافِرونَ ما يَنْتَظِرهُمْ مِن عذابٍ وعايَنوا رَهْبَتَهُ وعَظَمَتَهُ ، فَزِعوا وَخافوا ، وَطَلبوا تأْخيرَ العَذابِ عَنْهُمْ وتَخْفيفَهُ ، وإمْهالَهُمْ وَقْتاً لِيَتوبوا ويُراجِعوا أَنْفُسَهُمْ ، وَلَكنَّهُ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ولا يُؤَخَّرُ ، ولا مجالَ في الآخِرَةِ لِتَوْبَةٍ أَوْ عَمَلٍ .

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

وإذا أَبْصَرَ المُشْرِكونَ يَوْمَ القِيامَةِ مَعْبوداتِهِمُ الَّتي كانوا يَعْبُدونَها في الدُّنْيا ، وَهِيَ الأَصْنامُ ، والأَوْثانُ والشَّمْسُ ، والشَّياطينُ والبَشَرُ ، والمَلائِكَةُ وَجَميعُ ما كان يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، قالَ المُشْرِكونَ مُخاطِبينَ رَبَّهُمْ : يا رَبَّنا هَذهِ هِيَ الآلِهَةُ الَّتي عَبَدْناها مِنْ دُونِكَ ، نَعْتَرِفُ بِعبادَتِنا لَها بِسَبَبِ إضْلالِها إيَّانا ، فارْفَعْ عَنَّا العَذابَ ، وأَنْزِلْهُ بِها ، فَهِيَ المُسْتَحِقَّةُ لِلْعُقوبَةِ لا نَحْنُ ، فَرَدَّ أُولئِكَ المعْبودونَ على عابديهِمْ كلامَهُمْ وقالوا لَهُمْ : إنَّكم أيُّها المُشْرِكونَ لكاذِبونَ فيما تَتَّهِمونَنا مِنْ إضْلالِكُمْ أو دَعْوَتِكُمْ إلى عِبادَتِنا أَوْ إجبارِكُمْ على ذَلِكَ ، فَنَحنُ لَمْ نَأْمُرْكُمْ بِذَلكَ ولا رَضينا بِهِ ، ولَكنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ طَريقَ الشِّرْكِ واتِّباعَ الهَوَى ، فأَنْتُمُ المُخْطِئونَ المُسْتَحِقّونَ لِلْعُقوبَةِ على ما فَعَلْتُمْ ، ويكونُ نُطْقُ الأَصْنامِ والجَماداتِ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى لَها بِذَلِكَ .

وَهذا القَوْلُ مِنَ الصَّالِحينَ الَّذين عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ كالمَلائِكَةِ والأَنْبياءِ صَحيحٌ على إطْلاقِهِ ، لأَنَّهُمْ لا يَأْمُرونَ إلاَّ بعبادَةِ اللهِ ولا يَرْضَوْنَ بأَنْ يُعْبَدوا مِنْ دُونِ اللهِ ، أَمَّا مَنْ رَضِيَ بالعِبادَةِ كالشَّيْطانِ فإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطانٌ على إجْبارِ البَشَرِ على عِبادَتِهِ .

﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ المُشْرِكونَ رَدَّ شُرَكائِهِمْ وَمَعْبوداتِهِمْ لا يَمْلِكونَ إلاَّ أَنْ يُذْعِنوا وَيَسْتَسْلِموا لِحُكْمِ اللهِ ، فَقَدْ قامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ الظَّاهِرَةُ ، وَلَمْ يَسْتَطيعوا دَفْعَ العَذابِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وبَطَلَ ما كانوا يَخْتَلِقونَهُ مِنْ أكاذيبَ وافْتِراءاتٍ مِنْ أَنَّ للهِ شُرَكاءَ ، وأَنَّهُمْ يَنْصُرونَهُمْ ويَشْفَعونَ لَهُمْ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

أي : إنَّ الذَّينَ كَفَروا وزادوا على كُفْرِهِمْ أَعْمالاً سَيِّئَةً أُخْرَى فَمَنَعوا غَيْرَهُمْ عَنِ الإيمانِ ، وأَبْعَدوهُمْ عَنْهُ وَزَيَّنوا لَهُمُ البَقاءَ على الكُفْرِ ، وحارَبوا الدَّعْوَةَ إلى الخَيْرِ وَوَقَفوا في سبيلِ الهُدى

والإِصْلاحِ ، هؤلاءِ لَهُمْ عَذابٌ زائِدٌ مُضاعَفٌ ، عَذابٌ لِكُفْرِهِمْ ، وآخَرُ لِصَدِّهِمْ عن سَبيلِ اللهِ وإِفْسادِهِمْ في الأَرْضِ ودَعْوَتِهِمْ إلى الفَسادِ والضَّلالِ .

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

في بدايةِ هذهِ الآيةِ تأكيدٌ لِما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا . . . ﴾ [النحل : ٨٤] أيْ : وفي يَوْمِ القِيامَةِ يَقومُ الأَنْبياءُ بالشَّهادَةِ على أُمَمِهِمْ ، كُلُّ نَبيٍّ يَشْهَدُ على أُمَّتِهِ أَنَّهُ بَلَّغَها دَعْوَةَ اللهِ ، ويَشْهَدُ لِمَنْ آمَنَ ، كما يَشْهَدُ على مَنْ كَذَّبَ وأَعْرَضَ ، وتكونُ شهادَةُ الأنبياءِ قاطِعَةً لِكُلِّ حُجَّةٍ وخاتِمَةً لِكُلِّ بَيِّنَةٍ ، فَهُمْ أَصْحابُ شَهادَةِ الحَقِّ والصِّدْقِ ، ويَشْهَدُ رَسولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ على أُمَّتِهِ كَشَهادَةِ الأَنْبياءِ على أُمَمِهِمْ ، ويَشْهَدُ لِلأَنْبياءِ السَّابِقينَ لَهُ مُؤَكِّداً شَهادَتَهُمْ مُقِرّاً لِكُلِّ نَبيٍّ أَنَّهُ بَلَّغَ رِسالَةَ رَبِّهِ ، فَتَكْتَمِلُ بِشَهادَتِهِ شَهاداتُ الأَنْبياءِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ نَزَّلَ الكِتابَ على رَسولِهِ ﷺ لِيَكونَ مُبَيِّناً لِكُلِّ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ المُسْلِمُ مِنْ أُمورِ دِينِهِ ، وَلِيَكونَ هِدايَةً لِلنَّاسِ إلى طَريقِ الحَقِّ والخَيْرِ ، ورَحْمَةً لَهُمْ مِنْ عذابِ اللهِ وَعِقابِهِ ، وَبِشارَةً بِحُسْنِ الجَزاءِ لِمَنْ أَسْلَموا للهِ وأَخْلَصوا لَهُ العِبادَةَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَبَرُّؤُ المَتْبوعينَ والمَعْبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ أَتْباعِهِمْ وعابِديهِمْ .

٢ـ زِيادَةُ العَذابِ لِمَنْ دَعا إلى الكُفْرِ والشِّرْكِ .

٣ـ تَكَرُّمُ النَّبيِّ ﷺ بِشَهادَتِهِ على أُمَّتِهِ وعلى سائِرِ الأُمَمِ .

٤ـ اشْتِمالُ القُرْآنِ الكَريمِ على كُلِّ عِلْمٍ نافِعٍ وَعلى ما يَحْتاجُهُ النَّاسُ في دينِهِمْ ودُنْياهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلَةِ التاليةِ :

١ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ حالَ المُشرِكينَ يَوْمَ القِيامَةِ ، في مَواقِفَ عِدَّةٍ اذْكُرْها .

٢ـ لِماذا يَعْتَرِفُ المُشْرِكونَ بِشِرْكِهِمْ حينَ يَرَوْا آلِهَتَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٣ـ بِماذا يَرُدُّ المَعبودونَ على عابديهِمْ حينَ يَعْتَرِفون بأَنَّهمُ كانوا يَعْبُدونَهُمْ ؟

٤ـ لَيْسَ كُلَّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ الله يَكونَ راضِياً عَنْ ذَلِكَ أَوْ عالِماً بهِ . أَيِّدْ إجابَتَكَ بالأَمْثِلَةِ .

٥ـ لماذا يَكونُ عَذابُ الَّذينَ كَفَروا وصَدَّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ زائِداً ؟

٦ـ بماذا يَشْهَدُ الأَنبياءُ على أُمَمِهِمْ ؟

٧ـ عَدِّدْ صِفاتِ القُرْآنِ الكريمِ المَذْكورةَ في الآية (٨٩) .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ مِنْ سُورةِ غافِرٍ ، الّتي تُبَيِّنُ أَنَّ المشْرِكينَ يَطْلُبونَ تَخْفيفَ عذابِ النّارِ عَنْهُمْ ولا يُسْتَجابُ لَهُمْ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بَعْضَ مَنْ دَعا إلى عِبادَتِهِ مِنَ البَشَرِ بادِّعائِهِ الأُلوهِيَّةَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ النِّساءِ الَّتي تَحْمِلُ مَعَنى هذهِ الآيَةِ [٨٩] .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العَدْلِ	: الإِنْصافِ .
الإحْسانِ	: إتْقانِ العَمَلِ .
الفَحْشاءِ	: الذُّنوبِ القَبيحَةِ .
المُنْكَرِ	: ما أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ .
البَغْيِ	: الظُّلْمِ .
لا تَنْقُضوا الأَيْمانَ	: لا تَحْنِثوا في الأيْمانِ .
كَفيلاً	: شاهِداً ورَقيباً .
نَقَضَتْ غَزْلَها	: حَلَّتْهُ بَعْدَ غَزْلِه .
مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ	: مِنْ بَعْدِ إحْكامٍ وإبْرام .

أَنْكاثاً	: مُفَكَّكاً كما كانَ قَبْلَ الغزْلِ .
دَخلاً	: مَكْراً وخديعَةً .
أَرْبَى	: أَكْثَرُ وأَعزُّ .
يَبْلُوكُمْ	: يَخْتَبِرُكُمْ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَتِ الآيَةُ السَّابِقَةُ أَنَّ في القُرْآنِ الكَريمِ تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وأَنَّهُ هُدَىً وَرَحْمَةٌ وبُشْرى لِلْمُسْلمينَ ، جاءَتْ هذهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ بَعْضَ ما حَواهُ القُرْآنُ الكريمُ مِنْ تَوْجيهاتٍ سامِيَةٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ اللهَ يأْمُرُكُمْ أَيُّها المُسْلِمونَ بالعَدْلِ والإنْصافِ في جَميعِ مُعامَلاتِكُمْ ، ويَأْمُرُكُمْ بالإحسانِ ، وهُوَ إتْقانُ العَمَلِ والإتيانُ بالمَأْمورِ بهِ على الوَجْهِ اللّائِقِ ، ويَأْمُرُكُمْ بصِلَةِ الأَقارِبِ وإعْطائِهِم حُقوقَهُمْ مِنَ البرِّ والصِّلَةِ وإعانَةِ المُحْتاجِ مِنْهُمْ ، وأَفْرَدَ هذا الأمْرَ بالذِّكْرِ مَعَ انْدراجِهِ ضِمْنَ الإِحْسانِ اعْتناءً بِهِ واهْتِماماً بِشَأْنِهِ .

وإنَّ اللهَ تعالى يَنْهاكُمْ أَيُّها المُسْلِمونَ عَنِ الفَحْشاءِ وَهِيَ الأَقْوالُ والأَفْعالُ القَبيحةُ والسَّيئاتُ المُنْكَرَةُ الَّتي لا يَليقُ بِكُمْ فِعْلُها ، ويَنْهاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَهُوَ كُلُّ ما أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ ونَهى عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، ويَنْهاكُمْ عَنِ البَغْيِ وَهُوَ الظُّلْمُ والاعْتِداءُ على الآخَرينَ والاسْتعلاءُ عَلَيْهِمْ .

(يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ) العِظَةُ تَعْني القَوْلَ البَليغَ المُؤَثِّرَ في المُخاطَبِ ، أَيْ يُنَبِّهُكُمُ اللهُ إلى ما يُصْلِحُ أُمورَكُمْ ويَنْفَعُكُمْ عَنْ طَريقِ اتِّباعِ أَمْرِهِ واجْتنابِ ما نَهاكُمْ عَنْهُ ، لَعَلَّكُمْ تَتَّعِظونَ بِذَلكَ وتَذْكُرونَ فَضْلَهُ عَلَيْكُمْ في تَوْجيهِكُمْ إلى الخَيْرِ ونَهْيكُمْ عَنِ الشَّرِّ .

وفي الآيَةِ الكَريمَةِ اسْتِخْدامُ الفِعْلِ المُضارِعِ (يأْمرُ . . . ويَنْهى) لإفادَةِ التَجدُّدِ والاسْتِمْرارِ ، وفي الأَثَرِ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ في هذهِ الآية : هِيَ أَجْمَعُ آيةٍ للأَمْرِ بالخَيْرِ والنَّهْيِ عَنِ الشَّرِّ .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

العَهْدُ : المِيثاقُ ، وعَهْدُ الله ما أَخَذَهُ اللهُ على النَّاسِ مِنَ الالْتِزام بِعِبادَتِهِ وطاعَتِهِ ، ونَحْنُ نَقْطَعُ هذا العَهْدَ مَعَ اللهِ في كُلِّ رَكْعَةٍ في الصَّلاةِ ، قالَ تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ويَدْخُلُ فيهِ كُلُّ ما يَجِبُ الوَفاءُ بِهِ مِنْ أَحْكامِ الإِسْلامِ والوُعودِ والالْتِزاماتِ مَعَ اللهِ تَعالى أَوْ مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ النَّفْسِ ، وَبِهذا يَظْهَرُ مَدى شُمولِ هذا اللَّفْظِ وَسَعَتِهِ ، وقَدْ أَخَذَ اللهُ العُهودَ على كُلِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وأَتْباعِهِمْ بِعِبادَتِهِ وطاعَتِهِ .

والآية تُبَيِّنُ وُجوبَ الوَفاءِ بالعَهدِ وأدائِهِ على الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَكْمَلِ ، ونِسْبَةُ العَهْدِ إلى اللهِ لِتَأْكيدِهِ وإِظْهارِ مَدى أَهَمِّيَتِهِ ، فإذا الْتَزَمَ الإِنْسانُ بِعَهْدٍ تَعيَّنَ عَلَيْهِ الوفاءُ بِهِ .

﴿ولا تَنْقُضوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكيدِها﴾ أيْ : لا تَحْنَثوا في الأَيْمانِ الَّتي تُقْسِمونَها ، وتُؤَكِّدونَها بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعالى ، أَوْ تُؤَكِّدونَها بإعادَةِ اليَمينِ ، وإِنَّ نَقْضَ اليَمينِ المُؤَكَّدَةِ أَقْبَحُ مِنْ نَقْضِ غَيْرِها .

(وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً) هَذِهِ الجُمْلَةُ لِزِيادَةِ التَحْذيرِ مِنْ عَدَمِ الوَفاءِ بالعُهودِ ، أَوْ نَقْضِ الإِيمانِ ، فإِنَّكُمْ حينَ عاهَدْتُمْ وأَقْسَمْتُمْ باسِمِ اللهِ ، جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَحْتَ شهادةِ اللهِ تَعالى وَرَقابَتِهِ ، فإِيَّاكُمْ وَمُخالَفَةَ ما الْتَزَمْتُمْ بِهِ (إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعلونَ) مِنَ الوفاءِ بالعُهودِ أَوْ نَقْضِها ، أَوْ مُحاوَلَةَ الالْتِفافِ عَلَيْها بالحِيَلِ والتَّأْويلاتِ ، وسَيُجازِيكُمْ على فِعْلِكُمْ بما تَسْتَحِقّونَ .

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

كانَ في مَكَّةَ امْرَأَةٌ حَمقاءُ تَغْزِلُ ثُمَّ تَحُلُّ ما غَزَلَتْهُ وتُفْسِدُ ما أَحْكَمَتْ إبْرامَهُ ، فَجُعِلَتْ مَثَلاً لِمَنْ يُبْرِمُ العَهْدَ ويُقْسِمُ اليَمينَ ثُمَّ يَنْقُضُهُ ، فَحالُهُ كحالِ هذهِ الحَمْقاءِ فإِيَّاكُمْ أَنْ تَفْعلوا ذَلِكَ ، وإِيَّاكُمْ أَنْ تَجْعَلوا أَيْمانَكُمْ وَسيلةً لِلغْدر والخِيانَةِ ، فَتَمْكُرونَ بِمَنْ عاهَدْتُمْ أَوْ أَقْسَمْتُمْ لَهُمْ وَقَدْ أَمِنوا جانِبَكُمْ بِسَبَبِ ما أَقْسَمْتُمْ بِهِ ، ولا تَنْقُضوا العُهودَ طَمَعاً في التَّحالُفِ مَعَ جَماعةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَكْثَرَ عَدَداً وأَقْوى مَكانَةً ، وإِنَّ الوَفاءَ بالعَهْدِ نَوْعٌ مِنَ الابْتِلاءِ ولا يَنْبَغي الالْتِفاتُ إلى ما يَحْصُلُ لِلْمَرْءِ مِنْ صَوارِفَ عَنِ الوفاءِ بِهِ ، ومُغْرياتٍ لِنَقْضِهِ ، وَلَوْ كانَ العَرْضُ مِنْ جماعَةٍ أَكْثَرَ أَوْ أَقْوى تَدْعو لِلتَّحَوُّلِ إِلَيْهِمْ وتَرْكِ مَنْ سَبَقَ مُعاهَدَتُهُمْ ، وسَوْفَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ يَوْمَ القيامَةِ ما كُنْتُمْ تَخْتَلِفونَ فيهِ مِنْ أُمورِ العُهودِ والأَيْمانِ وغَيْرِها ، لِيُظْهِرَ مَنْ أَوْفى بِها ومَنْ نَقَضَها ويُجازي كُلاً حَسَبَ عَمَلِهِ .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ .

أيْ : وَلَوْ شاءَ اللهُ لجَعَلَ النَّاسَ جَميعاً على مِلَّةٍ واحِدَةٍ مُسْلِمينَ مُلْتَزِمينَ بِطاعَتِهِ ، ولَكِنِ اقْتضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَتْرُكَ لِلنَّاسِ حُرِّيَّةَ الاخْتيارِ ، فَمِنْهُمْ مَنِ اخْتارَ طَريقَ الضَّلالِ وسارَ فيهِ ، ومِنْهُمْ مِنْ اختارَ طَريقَ الهِدايَةِ والخَيْرِ والْتَزَمَهُ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعٌ على أَفْعالِ العِبادِ كُلِّهِمْ ، عالِمٌ بِمَنِ اخْتارَ الضَّلالَ وَمَنِ اخْتارَ الهِدايَةَ ، وسَيُحاسِبُهُمْ جَميعاً يَوْمَ القِيامَةِ على أَعْمالِهِمْ ويَجْزيهِمْ بِما يَسْتَحِقّونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ العَدْلِ والإِحْسانِ والقِيامِ بِحُقوقِ ذوي القُرْبَى .

٢ـ تَحْريمُ كُلِّ فِعْلٍ قَبيحٍ شَرْعاً وَعَقْلاً وَتَحْريمُ الاعْتِداءِ على الآخَرينَ وظُلْمِهِمْ .

٣ـ وُجوبُ الوَفاءِ بالعُهودِ والمَواثيقِ والأَيْمانِ .

٤ـ تَحْريمُ الغَدْرِ والمَكْرِ في اليَمينِ .

٥ـ تَحريمُ نَقْضِ العَهْدِ للْحُصولِ على مَنافِعَ دُنْيويَّةٍ ، أَوْ مَصالِحَ شَخْصِيَّةٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ أَمَرَتِ الآيَةُ (٩٠) بِثلاثَةِ أَشْياءَ وَنَهَتْ عَن ثَلاثَةِ أَشْياءَ ، بَيِّنْها .

٢ـ ما المُرادُ بالعَهْدِ ؟ وما فائِدَةُ نِسْبَتِهِ إلى اللهِ تَعالى ؟

٣ـ ما المَثَلُ الَّذي ضَرَبَتْهُ الآيَةُ لِمَنْ يَنْقُضُ عَهْدَهُ ؟

٤ـ لماذا لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعالى النَّاسَ جَميعاً مُسْلِمينَ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أ ـ يَعْظُكم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ .

ب ـ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً .

ج ـ تَتَّخِذونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ .

د ـ إنَّما يَبْلوكُمُ اللهُ بِهِ .

تَعَلَّمْ :

إذا حَلَفَ المَرْءُ على شَيْءٍ وَرَأى غَيْرَهُ خَيْراً مِنْهُ فَعَلَ الَّذي هُوَ خَيْرٌ وكَفَّرَ عَنْ يَمينِهِ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ على يَمينٍ وَرَأى غَيْرَها خَيْراً مِنْها فَلْيأتِ الَّذي هُوَ خَيْرٌ ثُمَّ لِيُكَفِّرْ عَنْ يَمينِه »[1] .

فائدةٌ :

كانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ يَخْتِمُ الخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ يَوْمَ الجُمُعَةِ بقولهِ تَعالى : ﴿إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعلَّكُمْ تَذَكَّرونَ﴾ وما يزالُ عَدَدٌ مِنَ الخُطَباءِ يَفْعلونَ ذَلِكَ إلى الآنَ ، وَذَلِكَ لِعَظيمِ مَكانَةِ هذهِ الآيةِ وشُمولِ مَعْناها مَعَ الإيجازِ والاخْتِصارِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ فيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ مَعْنى الإحْسانِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَكونُ الحالِفُ قَدْ جَعَلَ اللهَ عَلَيْهِ كَفيلاً .

* * *

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث ٣١١٥ .

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنْفَدُ : يَفنى .

فاسْتَعِذْ باللهِ : فاعْتَصِم باللهِ .

سُلْطانٌ : تَسلُّطٌ وَوِلايَةٌ .

يَتَوَلَّوْنَهُ : يَتَّخِذونَهُ وَلِيّاً مُطاعاً .

التَّفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَأكيدُ الأَمْرِ بالوَفاءِ بالعَهْدِ واليَمينِ ، وتَبْيينُ جَزاءِ العَمَلِ الصّالِحِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، والأَمْرُ بالاسْتِعاذَةِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ عِنْدَ تِلاوَةِ القُرْآنِ الكَريمِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

هَذا نَهْيٌ صريحٌ عَنْ جَعْلِ الأَيْمانِ وَسيلةً لِلْمَكْرِ والخَديعةِ بَعْدَ أَنْ عَرَّضَتْ آيةٌ سابِقَةٌ بِهِ ، وَذَلِكَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ ﴾ [النحل: ٩٢] ، أيْ : لا تَجْعَلوا الأَيْمانَ الّتي تُقْسِمونَها وَسيلةً إلى خَديعَةِ النَّاسِ والمَكْرِ بِهِمْ لِتَحصُلوا عَلى بَعْضِ مَنافعِ الدُّنْيا الفانِيَةِ ، وإنَّ هَذا الفِعْلَ مِنْكُمْ يَقودُ إلى أن تَزِلَّ قَدَمُكُمْ عَنْ طريقِ الاسْتِقامَةِ بَعْدَ ثَباتِها عَلَيْهِ ، وتُعاقَبوا بالعِقابِ السَّيِّءِ على ذَلِك ، لأنَّهُ يُؤَدِّي إلى الصَّدِّ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، وتَنْفيرِ النَّاسِ مِنْكُمْ وَمِنْ دينِكُمْ ، فإنَّ النَّاسَ إذا رأَوْا المُؤْمِنَ لا يَفِي بِيَمينِهِ ، ويَغْدُرُ في تَعامُلِهِ مَعَهُمْ ويَخْدَعُهُمْ ، لا يَبْقى لَهُمْ وُثوقٌ بِهِ ولا بِدينِهِ ، فَيَسْتَحِقُّ على ذَلِكَ العذابَ السَّيِّءَ في الدُّنْيا ، والعَذابَ العَظيمَ في الآخِرَةِ .

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

هَذا نَهْيٌ عَنْ نَقْضِ العُهودِ والمَواثيقِ بَعْدَ الأَمْرِ بالوَفاءِ بِعَهْدِ اللهِ في قَوْلِه تَعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ [النحل: ٩١] لِتَأْكيدِ الأَمْرِ والاعْتِناءِ بِهِ ، فَلاَ تَسْتَبْدِلوا بِعَهْدِ اللهِ عَرَضاً قَليلاً مِنْ أَعْراضِ الدُّنْيا ، بِأَنْ تَنْقُضوا عُهودَكُمْ في مُقابِلِ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ مَهْما كانَتْ كَثيرةً فإنَّها قَليلةٌ إذا قِيسَتْ بما عِنْدَ اللهِ تعالى مِنْ ثَوابٍ عَظيمٍ على الوفاءِ بالعَهْدِ . فإنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والفِطْنَةِ فاخْتاروا الأَفْضَلَ والأَكْثَرَ والأَدْوَمَ .

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَرغيبٌ آخَرُ بما عِنْدَ اللهِ تَعالى ، فإنَّ ما تَمْلِكونهُ أيُّها البَشَرُ مِن مالِ الدُّنْيا وزَينَتِها يَنْتَهِي ويَفْنَى مَهْما طالَ بِهِ الأَمَدُ ، وما عِنْدَ اللهِ تَعالى مِنْ ثَوابٍ لِلْمُطيعينَ وأَجْرٍ عَظيمٍ باقٍ لا يَفْنى ولا يَنْقَطِعُ ، وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَعالى جَزاءً كَريماً لِلْصَّابِرينَ الَّذينَ صَبَروا على طاعَتِهِ وأَوْفوا بِعُهودِهِمْ ، وَلَمْ يَشْتَروا بآياتِ اللهِ ثَمَناً قَليلاً ، وَهُوَ جَزاءٌ أَحْسَنُ وأَكْثَرُ مِنْ عَمَلِهِمْ .

وأَكَّدَ سُبْحانَهُ هَذِهِ البِشارَةَ بلامِ القَسَمِ ونُونِ التَوْكيدِ لِلتَّرْغيبِ في الصَّبْرِ والثَّباتِ على الحَقِّ .

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ جَزاءَ الصَّابِرينَ ، بَيَّنَ أَمْراً أَعَمَّ مِنْهُ ، وُهَو جَزاءُ العَمَلِ الصَّالِحِ لِيَحُثَّ عِبادَهُ على الإِكْثارِ مِنَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ .

ومَعْنى الآيةِ : أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يَعْمَلُ عَمَلاً صالِحاً ذَكَراً كانَ أَو أُنْثَى ، فإِنَّ لَهُ في الدُّنْيا حَياةً طَيِّبَةً هَنيئةً ، حَيْثُ يَنْعَم فيها بِطاعَةِ اللهِ والرِّضَى بقضائِهِ ، ولَوْ كانَ مُعْسِراً فَهُوَ في راحةِ بالٍ واطْمِئانٍ ، ولَهُ في الآخِرَةِ أَجْرٌ على أَعْمالِهِ الحَسَنَةِ الطَّيِّبَةِ ، أَمَّا أَعْمالُهُ السَّيِّئَةُ فَيَتَجاوزُ اللهُ عَنْها ، ولا يَكونُ العَمَلُ صالِحاً حتَّى يَكونَ على وَفْقِ ما شَرَعَهُ اللهُ في كِتابِهِ أَوْ جاءَ بِهِ رَسولُهُ ﷺ في سُنَنِهِ ، والعَمَلُ لا يَكونُ صالِحاً ما لَمْ يَكُنْ صاحِبُهُ مُؤْمِناً وَلِذلَكَ قالَ اللهُ تَعالى : (وهُوَ مُؤْمِنٌ) ، والحياةُ الطَّيِّبَةُ الَّتي يَحياها مَنْ يَفْعَلُ الصَّالحاتِ مِنَ المُؤْمِنينَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ على أعمالِهِ الحَسَنَةِ في الآخِرَةِ أمرانِ مُؤَكَّدانِ ، وَقَدْ جاءَ التَّأْكيدُ على كُلٍّ مِنْهُما باللَّامِ والنُونِ المُشَدَّدَةِ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ. . . . . وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) لِيَطْمَئِنَّ المُؤْمِنُ إلى حُصولِهِ .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

وَجْهُ ارْتباطِ هذهِ الآيَةِ بما قَبْلَها ، أَنَّهُ بَعْدَ تَبْيينِ ثَوابِ العَمَلِ الصَّالحِ لَزِمَ تَبيينُ ما يَصونُ هَذا العَمَلَ ويَحْفَظُهُ ، وَهُوَ الاسْتِعاذَةُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ، أَيْ : اللُّجوءُ إلى اللهِ تعالى والاسْتِعانَةُ بِهِ على كَيْدِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ وَهُوَ المَرْجومُ المَطْرودُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، فإذا أرادَ المَرْءُ مُباشَرَةَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ وفي مُقَدِّمَتِها قِراءةُ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَلَفَّظَ بعبارَةِ (أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ) لِئَلا يُوَسْوِسَ الشَّيْطان لَهُ في أثناءِ القِراءَةِ فَيَصُدَّ القارِىءَ عَنْ تَدُّبرِ القُرْآنِ والعَمَلِ بما فيهِ .

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ الشَيْطانَ لَيْسَ لَهُ تَسلُّطٌ واسْتيلاءٌ على المُؤْمنينَ بِرَبِّهِمْ ، المُتَوكِّلينَ عَلَيْهِ في جَميعِ أُمورِهِمْ ، فَهُمْ في حِصْنٍ حَصينٍ مِنَ الشَّيْطانِ لإيمانِهِمْ بِرَبِّهِم وَتَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ ، وإذا وَسْوَسَ لَهُمْ أَوْ حاوَلَ إغْواءَهُم سارَعوا إلى الاسْتِعاذَةِ باللهِ تَعالى مِنْهُ ، لِيَحْميَهُمْ ويَحْفَظَهُم مِنْ مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ .

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ تَسَلُّطَ الشَيْطانِ وتأثيرَهُ مَحصورٌ في أَتْباعِهِ الّذين يَتَّخِذونَهُ وَلِيّاً يُطيعونَ أَمْرَهُ ويَتَّبِعونَ وَساوِسَهُ ، ويُشْرِكونَهُ مَعَ اللهِ تَعالى بِسَببِ اتِّباعِهِمْ وطاعَتِهِمْ لَهُ ، فَهُوَ الَّذي يُزَيِّنُ لَهُمُ الشِّرْكَ والسُّوءَ ، فَيَفْعَلونَ ما يَأْمُرُهُمْ بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ حُرْمَةُ اتِّخاذِ القَسَمِ باللهِ طَريقاً إلى الغِشِّ والخَديعَةِ .

٢ـ أَجْرُ الآخِرَةِ ونَعيمُها أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيا وَمَتاعِها الزّائِلِ .

٣ـ التَّرْغيبُ في الصَّبْرِ لِيَحْصُلَ الصّابِرُ على أَحْسَنِ الجَزاءِ وأَطْيَبَهُ .

٤ـ التَسْوِيَةُ بَيْنَ الذَّكَرِ والأُنثى في الدَّعْوَةِ إلى العَمَلِ الصَّالِحِ والإثابَةِ عَلَيْهِ .

٥ـ المُؤْمِنُ في الدُّنْيا يَحيا حياةً طَيِّبَةً وَلَوْ أحاطَتْ بِهِ المَصائِبُ ، لِعَمَلِهِ بِشَرْعِ اللهِ وَرِضاهُ بِقَضائِهِ .

٦ـ مِنَ الأَدَبِ الَّذي على المُؤْمِنِ أَنْ يأْخُذَ نَفْسَهُ بِهِ الاسْتِعاذَةُ عِنْدَ البَدْءِ بِقراءَةِ القُرْآنِ الكَريمِ .

٧ـ تَبْشيرُ المُؤْمنينَ بِحِفْظِهِمْ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ باتِّخاذِ الأَيْمانِ دَخَلاً ؟ وما نتيجَةُ هذا الفِعْلِ القَبيحِ ؟

٢ـ كَيْفَ بيَّنَتِ الآياتُ الكريمَةُ أَنَّ ما عِنْدَ اللهِ تَعالى أَفْضَلُ وأَحْسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ ؟

٣ـ هَلْ يُقْبَلُ العَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ غَيْرِ المُؤْمِنِ ؟ وما دَليلُ إجابَتِكَ ؟

٤ـ لماذا يُؤْمَرُ المُسْلِمُ بالاسْتِعاذَةِ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ عِنْدَ قِراءَةِ القُرْآنِ ؟

٥ـ مَنِ الَّذينَ لَيْسَ لِلشَّيْطانِ سُلْطانٌ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَنْ الَّذينَ لَهُ سُلطانٌ عَليهِم ؟

٦ـ هَلْ لِحِفْظِ اللهِ تَعالى عَبْدَهُ مِنَ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ عَلاماتٌ أَوْ دَلائِلُ ؟ ما هِيَ ؟

نَشاطٌ :

ـ وَرَدَ في هذهِ الآيةِ (٩٧) التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساءِ في الأَجْرِ ، وَضِّحْ ذَلِكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

سورة النحل - القسم التاسع عشر

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

مُفْتَرٍ : مُخْتَلِقٌ كاذِبٌ .

رُوحُ القُدُسِ : جبريلُ عَلَيْهِ السّلامُ .

يُلْحِدونَ إلَيْهِ : يَميلونَ إليْهِ ويَنْسِبونَ إليْهِ أَنَّه يُعلِّمُهُ .

أَعْجَمِيٌّ : غَيْرُ عَرَبِيٍّ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ رَدٌّ على طُعونِ المُشْرِكينَ في القُرْآنِ وتَشْكيكِهِمْ في مَصْدَرِهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

أيْ : وإذا نَسَخْنا حُكْمَ آيةٍ بآيةٍ أُخْرى ، واللهُ أَعْلَمُ بما يُنْزِلُهُ مِنَ القُرْآنِ ، اتّخَذَ المُشْرِكون ذَلِكَ

ذَريعَةً إلى الطَّعْنِ بالقُرْآنِ ، وَقالوا : لَوْ كانَ القُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَمْ يَتَبَدَّلْ ، إنَّما هو اخْتِلاقٌ وكَذِبٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحابَهُ بِأَمْرٍ ثُمَّ يَنْهاهُمْ عَنْهُ ، ويَقولُ اليَوْمَ كَلاماً ويَقولُ غَيْرَهُ غَداً ، وَقائِلو هَذا الكَلامِ جَهَلَةٌ لا يَعْلَمونَ ما في النَّسْخِ وتَبْديلِ الأَحْكامِ مِنْ حِكْمَةٍ ومَصْلَحَةٍ للنَّاسِ .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

أيْ قُلْ لَهُمْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ : إنَّ القُرْآنَ هُوَ كَلامُ اللهِ تَعالى ، نَزَلَ بِهِ أمينُ الوَحْيِ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ عِنْدِ اللهِ بالصِّدْقِ والعَدْلِ ، لِيَزيدَ المُؤْمِنينَ إيماناً وَيُثَبِّتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلِيَكُونَ هِدايَةً وبِشارَةً لِكُلِّ مَنْ أَسْلَمَ للهِ وَخَضَعَ لَهُ وانْقادَ لِحُكْمِهِ وأَطاعَ أَمْرَهُ .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : كانَ في مَكّةَ غُلامٌ نَصْرانيٌّ مِنَ الرُّوم ، وكانَ بائِعاً يَبيعُ عِنْدَ الصَّفا ، ورُبَّما جَلَسَ إليْهِ رَسولُ اللهِ ﷺ أحياناً ، فَقالَ المُشْرِكونَ : واللهِ ما يُعَلِّمُ مُحَمَّداً ﷺ كَثيراً مِمّا يَأْتي بِهِ إلاّ هذا الغُلامُ ، فأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هذه الآيَةَ [1] .

وَقَدْ فَضَحَ اللهُ مَقالَةَ المُشْرِكينَ هذِهِ ، وَكَشَفَ زَيْفَها ، وجاءَ بِحُجَّةٍ دامِغَةٍ تَدُلُّ على بُطْلانِ ما جاءوا بِهِ ، فَهذا الرَّجُلُ الَّذي نَسَبوا إلَيْهِ القُرْآنَ غَيْرُ عَرَبيٍّ ؛ لا يُفْصِحُ في كَلامِهِ ، وهذا القُرْآنُ مُنَزَّلٌ بِلُغَةٍ عَرَبيّةٍ في غايَةِ الفَصاحَةِ وأَعْلَى دَرَجاتِ البَلاغَةِ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِذَلكَ الرَّجُلِ الأَعْجَمِيِّ أَنْ يُعَلِّمَ النَّبيَّ ﷺ الكلامَ الفَصيحَ الَّذي أَعْجَزَكُمْ وَلَمْ تَتَمَكَّنوا مِنَ الإتْيانِ بِمِثْلِهِ وأَنْتُمْ أَهْلُ الفَصاحَةِ ؟

وَهذِهِ المَقالَةُ مِنَ المُشْرِكينَ غايَةٌ في الافْتِراءِ ، وَهِيَ ظاهِرَةُ البُطْلانِ ، فَلَوْ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ الأَعْجَمِيَّ كانَ يَعْلَمُ هذا الكَلاَمَ البَليغَ الفَصيحَ ، فَلِماذا يُعَلِّمُهُ لِغَيْرِهِ ويَرْضَى بِنِسْبَتِهِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ مِنْهُ ؟ وَهُوَ أَوْلى بِهِ لأَنَّهُ كَلامُهُ ، وَلِمَ أَخَّرَ إظْهارَهُ كُلَّ هذا الوَقْتِ ؟ ولِمَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ فُصَحاءِ مَكَّةَ وبُلَغائِهِمْ وشُعَرائِهِمْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مَعَ تَحدِّيهِ لَهُمْ بِذلكَ ؟ ألا ساءَ ما يَفْتَرونَ وَبِئْسَ ما يَصْنَعونَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ المُعْرِضينَ عَنْ آياتِ اللهِ والمُكَذِّبينَ بِها الَّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ بَشَرٍ ، أوْ أَنَّهُ أساطِيرُ الأَوَّلينَ ، أَوْ أَنَّها افْتِراءٌ ، لا يَهْديهِمُ اللهُ بِسَبَبِ زَيْغِهِمْ وإعْراضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عذابٌ أليمٌ ، جَزاءَ كُفْرِهِمْ بآياتِ اللهِ تَعالى .

---

(١) رواه الطبراني في جامع البيان ، ٤/١٧٨ ، والحاكم في المستدرك ، ٢/٣٥٧ .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ .

أيْ لا يُقْدِمُ على الكَذِبِ والافْتِراءِ إلا مَنْ كانَ كافِراً غَيْرَ مُؤْمِنٍ باللهِ ، لأَنَّهُ لا يَخافُ العقابَ الَّذي يَرْدَعُهُ عَنِ الكَذِبِ ، وأُولئِكَ الكافِرونَ بِرَبِّهِمْ وآياتِهِ هُمُ الكاذِبونَ دُونَ غَيْرِهِمْ ، ولا كَذِبَ أَعْظَمَ مِنَ التَّكْذيبِ بآياتِ الله ، والزَّعْمِ بافْترائِها أَوْ بِأَنَّها مِنْ تَعليمِ بَشَرٍ .

فهذِهِ الآيَةُ رَدٌّ على المُشْرِكينَ في قَوْلِهِمْ (إنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ) وقَوْلِهِمْ (إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) وفي سائِرِ افْتِراءاتِهِمُ الباطِلَةِ ، وما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيَفْعَلَ ذلِكَ وَهُوَ الصَّادِقُ الأَمينُ عِنْدَهُمْ ، ولكِنَّهُمْ هُمُ المُفْتَرونَ دُونَ غَيْرِهِمْ فالكَذِبُ مَحصورٌ فيهِمْ لِشِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وُهمُ المَوْصوفونَ بالكَذِبِ المُسْتَحِقّونَ لِعذابِ اللهِ على جُرْأَتِهِمْ في افْتِراءِ الكَذِبِ على اللهِ تَعالى وعلى رَسولِهِ ﷺ وعلى كِتابِهِ وآياتِهِ ، وهذا وَعيدٌ عَظيمٌ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الشَّرْعُ جاءَ بالحُجَجِ الَّتي تُخاطِبُ العُقولَ وتُلْزِمُها بالبُرْهانِ .

٢ـ كَثيرٌ مِنْ حُجَجِ الكَفَرَةِ تُرّهاتٌ وأَباطيلُ لا تَقْوى على الوُقوفِ أَمامَ الحَقِّ والحَقيقةِ .

٣ـ كانَ القُرْآنُ ولا يزالُ أَقْوى سِلاحٍ في مُواجَهَةِ الخُصومِ الأَلِدّاءِ مِنَ الكَفَرةِ والمُشْرِكينَ .

٤ـ حِرْمانُ المُكَذِّبين بآياتِ اللهِ مِنَ الهِدايَةِ لِعَدَمِ اسْتِحقاقِهِمْ لَها .

٥ـ الجُرْأَةُ على الكَذِبِ مِنْ خِصالِ الكافِرِينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِعقابٍ على كَذِبِهِمْ ، أَمَّا المُؤْمِنُ فلا يَكْذِبُ لأنهُ يَعْلَمُ بِوُجودِ عِقابٍ شَديدٍ لِلكاذِبينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِتَبديلِ الآياتِ ؟ وما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنْهُ ؟

٢ـ بماذا رَدَّتِ الآيَةُ على زَعْمِ المُشْرِكينَ وقَوْلِهِمْ (إنّما أَنْتَ مُفْتَرٍ) ؟

٣ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقولونَ إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ؟

٤ـ بماذا رَدَّتِ الآيَةُ على زَعْمِ المُشْرِكينَ تَعَلُّمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ القُرْآنَ مِنْ أَحَدِ النّاسِ ؟

٥ـ مَنِ الّذَين يَجْرؤونَ على الكَذِبِ ويَفْتَرونَهُ ؟

٦ـ لماذا يَكْذِبُ الكافِرُ ولاَ يَكْذِبُ المُؤْمِنُ ؟

٧ـ بيِّن مَعنى ما يَلِي :

أ ـ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ .

ب ـ لِسانُ الّذي يُلْحِدونَ إِليْهِ أَعْجَمِيٌّ .

ج ـ إنَّ الَّذين لا يُؤْمِنونَ بآياتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ .

تَعَلَّمْ :

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إلى البِرِّ وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّى يَكونَ صِدِّيقا ، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدي إلى الفُجورِ ، وإنَّ الفُجَور يَهْدي إلى النَّارِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً »[1] .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ الَّتي تَحدَّثَتْ عَنِ النَّسْخِ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الصِّفاتِ الَّتي كان يُوصَفُ بِها رَسُولُ اللهِ ﷺ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب ، رقم الحديث ٥٦٢٩ .

الدرس العشرون

سورة النحل - القسم العشرون

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

اسْتَحَبّوا : اخْتارُوا .

طَبَعَ : خَتَمَ .

لا جَرَمَ : حَقَّ وَثَبَتَ .

فُتِنوا : عُذِّبوا .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينُ حُكْمِ مَنْ كَفَرَ مُكْرِهاً كانَ أَوْ مُخْتاراً راضِياً ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَذَّبَ المُشْرِكونَ عَمّارَ بْنَ ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِشِدَّةٍ وَعُنْفٍ ، حَتّى وافَقَهُم في

بَعْضِ ما أرادوا ، فَشَكا ذَلِكَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ .

فقالَ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟ قالَ : مُطْمئِنّاً بالإيمانِ ، قالَ النبيُّ ﷺ : فإنْ عادوا فَعُدْ[1] .

ومَعنى الآية : مَنْ كَفَرَ باللهِ تَعالى بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ ، ما لَمْ يَكُنْ مُكْرَهاً على الكُفْرِ فَتَلَفَّظَ بِكَلِمَةِ الكُفْرِ دُونَ اعْتقادٍ لَهُ ، وكانَ قَلْبُهُ مُوقِناً بالإيمانِ مُطْمَئِنّاً بِهِ ، فَهَذا لا حَرَجَ عَلَيْهِ ، ولَكِنْ مَنْ طابَتْ نَفْسُهُ بالكُفْرِ وانْشَرَحَ صَدْرُهُ لَهُ كُفْرُهُ عَنْ رَضِيَ ، فَهؤلاءِ مُسْتَحِقّونَ لِغَضَبِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عذابٌ عَظيمٌ .

فالآيةُ تُبَيِّنُ رَفْعَ الحَرَجِ عَمَّنْ نَطَقَ بالكُفْرِ لِيَنْجُوَ مِنْ عذابِ عَدوِّهِ ، وهُوَ مُتَمَسِّكٌ بإيمانِهِ ثابتٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ ما في قَلْبِهِ مِنْ إيمانٍ ويَقينٍ ، فَقَدْ يَتَعَرَّضُ المُؤْمِنُ لإيذاءٍ عَظيمٍ لا يَحْتَمِلُهُ فَيضطرُّ إلى التَلَفُّظِ بكلامِ الكُفْرِ لِيوقِفَ تَعْذيبَهُ ، وَقَدْ حَدَثَ مِثْلُ هذا مَعَ صَحابةِ رَسولِ اللهِ ﷺ وغيْرِهِمْ ، وإنِ احْتَمَلَ المُسْلِمُ التَّعْذيبَ وَصَبَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَوْلى مِنَ التَلَفُّظِ بكلامِ الكُفْرِ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

ذَلِكَ الغَضَبُ مِنَ اللهِ والعَذابُ العَظيمُ على الَّذينَ ارْتَدّوا بَعْدَ إيمانِهِمْ كُفّاراً عَنْ رَضِيَ ورَغْبَةً ، لأَنّهُمْ قَدَّموا حُبَّ الدُّنْيا على الآخِرَةِ وتَعَلَّقوا بزينَةِ الدُّنْيا ونعيمِها الزّائِلِ ، وأَحَبّوهُ واخْتاروهُ وفَضَّلوهُ على الآخِرَةِ ، واللهُ تَعالى لا يَهْدي أَمْثالَ هَؤلاءِ الَّذينَ قَدَّموا الكُفْرَ على الإيمانِ واسْتَحبوا الدُّنْيا على الآخِرَةِ .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

أُولئكَ الَّذينَ شَرَحوا صُدورَهُمْ لِلْكُفرِ وَطابَتْ بِهِ نُفوسُهُمْ ، وارْتَدّوا إلَيْهِ بَعْدَ الإيمان ، خَتَمَ اللهُ على قُلوبِهِمْ وسَمْعِهِمْ وأبْصارِهِمْ فَلَمْ تَعُدْ قُلوبُهُمْ تَقْبَلُ الحَقَّ ، وَلَمْ تَعُدْ آذانُهُمْ تَنْتَفِعُ بما تَسْمَعُ مِنَ الخَيْرِ ، وامْتَنَعَتْ أَعْيُنُهم عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ الظّاهِرِ ، وأُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ غَفْلَةً تامَّةً عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعَنْ عواقِبِ كُفْرِهِمْ وارْتِدادِهِمْ .

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

حَقّاً أنَّ هؤلاءِ المُرْتَدّينَ عَنِ الإسْلام سَيكونونَ يَوْمَ القيامَةِ مِنَ الخاسِرينَ ، لأَنَّهُمْ ضَيَّعوا أَعْمارَهُمْ في غَيْرِ ما يَنْفَعُهُم فَخَسِروا دُنْياهُمْ وآخِرَتَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ١٤/ ١٨٢ .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حُكْمَ المُرْتَدّينَ عَنْ رِضَىً وانْشراحِ صَدْرٍ وَمَصيرَهُمْ ، بيَّنَ حُكْمَ الَّذينَ فُتِنوا في دِينِهِمْ واضْطرّوا للتلفُّظِ بِكلامِ الكُفرِ مُكْرَهينَ عَلَيْهِ ، ولَمْ يَسْتَمِرّوا على الكُفْرِ بَلْ هاجَروا مِنْ ديارِهِمْ وتَركوا مَساكِنَهُمْ وغادروها إلى ديارٍ يَأْمَنونَ فيها على دِينِهِمْ ، ويَبْتَعِدونَ عَن أَذى المُشْركينَ ، وبَعْدَ هِجْرَتِهِمْ جاهدوا في سَبيلِ اللهِ وَصبروا على مَشاقِّ الجِهادِ والهِجْرَةِ ، فإِنَّ اللهَ غَفورٌ لِذُنوبِهِمْ رَحيمٌ بِهِمْ لا يُؤاخِذُهُمْ على ما أُكْرِهوا عَلَيْهِ ، وَسَيَجزيهِمْ على صَبْرِهِمْ وَجِهادِهِمْ أَحْسَنَ الجَزاءَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لا يُؤاخَذُ الإِنْسانُ بِقَوْلٍ ما أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَوْ فِعْلِهِ إذا كانَ غَيْرَ راضٍ عَنْهُ .

٢ـ الرِّدَّةُ عَنِ الدِّين مِنْ أَخْطَرِ الأُمورِ وأَسْوَأ الأَعْمالِ ، وفاعِلُها مُسْتَحِقٌّ لِغَضَبِ اللهِ تَعالى وَعِقابهِ العَظيمِ .

٣ـ اخْتِيارُ الإِنْسانِ لِطَريقِ الضَّلالِ والكُفْرِ يُؤَدّي إلى أَنْ يَخْتِمَ اللهُ عَلى قَلْبِهِ ، وَيَصْرِفَهُ عَنْ مَعْرِفَةِ الحَقِّ .

٤ـ الصَّبْرُ على الأَذى في سَبيلِ اللهِ تَعالى والثَّباتُ على الدِّين دَليلُ الإِيمانِ وَحُبِّ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ. . . . ﴾ ؟

٢ـ وَصَفَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مَنْ كَفَرَ باللهِ بَعْدَ إيمانِهِ بِصِفاتٍ عِدَّةٍ ، اذْكُرْها .

٣ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ .

ب ـ أُولئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وسَمْعِهِم وأَبْصارِهِمْ .

ج ـ لا جَرَمَ أَنَّهُم في الآخِرَةِ هُمُ الخاسِرونَ .

د ـ إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغفورٌ رَحيمٌ .

٤ـ أجِبْ بِـ(نَعَمْ) أَوْ (لا) على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ مَنْ كَفَرَ باللهِ مُكْرَهاً وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ .

ب ـ مَنْ كَفَرَ باللهِ راضِياً مُخْتاراً ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فلا يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَتَهُ .

ج ـ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرَهُ فَعَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ تَعالى .

د ـ يَغْفِرُ اللهُ تَعالى لِمَنْ تابَ إليْهِ وأطاعَ أَوامِرَهُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما دارَ بَيْنَ بَعْضِ الصَّحابَةِ ومُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ ، ونَتيجَةَ ذَلِك .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والعِشْرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تُوَفَّى : تُعطى جَزاءَ عَمَلِها وافِياً .

رَغَداً : طَيِّباً واسِعاً .

لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ : جَعَلَ الخَوْفَ والجُوعَ لِمُلازَمَتِهِما لَهُمْ كَأَنَّهما ثَوْبانِ يَلْبِسانِهِما .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانُ جانِبٍ مِنْ حالِ النَّاسِ يَوْمَ القيامةِ ، ومَثَلاً لِسوءِ عاقِبَةِ الَّذينَ يَجْحَدونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ، والأَمْرُ بالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

هذا تَذْكيرٌ بِبَعْضِ أَحْداثِ يَوْمِ القيامَةِ ، حيْثُ تَأْتي كُلُّ نَفْسٍ تَسْعى في خلاصِها وتُدافِعُ عَنْ

ذاتِها ، لا يَهُمُّها أَحَدٌ آخَرُ ، ولا تُفَكِّرُ إلاّ في شأْنِ نَفْسِها ونَجاتِها ، وفي ذَلِكَ اليَوم تُعْطى كُلُّ نَفْسٍ جَزاءَ عَمَلِها وافياً تامّاً لا نَقْصَ فيهِ ، ولا يَنْفَعُها مُجادَلَتُها عَنْ ذاتِها واعْتِذارُها عَنْ فِعْلِها ، ولا يُظْلَمُ أَحَدٌ في ذَلِكَ اليَوم .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

هَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لأَهْلِ مَكَّةَ ومَنْ كانَ على شاكِلَتِهِمْ ، ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً بِقَوْمٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمِ فَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعَمُ وَكَفَروا فَبَدَّلَ اللهُ نِعْمَتَهُم إلى نِقْمَةٍ ، وكانَ أَهْلُ تِلْكَ القَرْيَةِ يَعيشونَ في أَمْنٍ واسْتِقْرارٍ وتأْتِيهِمُ الأَرْزاقُ طَيِّبَةً كَثيرةً مِنْ جَميعِ الجِهاتِ ، فَكَفَروا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَشْكروهُ على ما آتاهُمْ مِنْ خَيْرٍ ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ نِعْمَةَ الأَمْنِ والاْطِمئْنانِ وأذاقَهُمْ آلامَ الجُوعِ والخَوْفِ والحِرْمانِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ ومَعاصيهِمْ .

وحالُ أَهْلِ هذهِ القَرْيةِ شَبيهٌ جِدّاً بحالِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَدْ كانوا في نِعْمَةٍ وأَمْنٍ ، تُجْبَى إليْهِمْ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بإرْسالِ مُحَمَّدٍ ﷺ فكَفَروا بِهِ وبالَغوا في إيذائِهِ فَعَذَّبَهُمُ اللهُ بالجوعِ والقَحْطِ ، ثُمَّ بالهَزيمةِ والانْدِحارِ على أَيْدي المُسْلِمينَ .

وَفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوعِ والخَوْفِ﴾ اسْتِعارَتانِ ، الأُولى : اسْتِعارَةُ لَفْظِ اللّباسِ لِما أَصابَهُمْ مِنْ جُوعٍ وخَوْفٍ حَتَّى لازَمَهُمْ وَأَحاطَ بِهِمْ كَما يُحيطُ اللِّباسُ بلابِسِهِ .

الثانيةُ : اسْتِعادةُ لَفْظِ الإذاقَةِ لِما أَحَسُّوهُ مِنْ أَلَمٍ وأَذَىً إحْساساً مَكيناً قَوِيّاً ، كَتَمَكُّنِ تَذوّقِ الطَّعامِ في فَمِ ذائِقِهِ .

والغايةُ مِنْ هذا المَثَلِ : وُجوبُ الإيمانِ باللهِ ورُسُلِهِ ، وشُكْرِهِ على نِعَمِهِ الكَثيرَةِ وتَجنُّبِ سَبيلِ الجُحودِ والكُفْرانِ .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

ولَقَدْ جاءَ أَهلَ تِلْكَ القَرِيَةِ رسولٌ مِنْ جِنْسِهِمْ يَعْرِفونَهُ ويَعْرِفُ طِباعَهُمْ وأَحْوالَهُمْ وَلُغَتَهُمْ ، فَبَلَّغَهُمْ ما أُرْسِلَ بِهِ إلَيْهِمْ ، وأَمَرَهُمْ بطاعَةِ اللهِ وشُكْرِ نِعَمِهِ فَلَمْ يَسْتَجيبوا لَهُ وَكَذَّبوهُ ، فاسْتَحَقّوا أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذابُ اللهِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ .

وفي عَطْفِ تَكْذيبِهِمْ على مَجيءِ الرَّسولِ إلَيْهِمْ بالفاءِ إشارةٌ إلى مُسارَعَتِهِمْ بِتَكْذيبِهِ دُونَ تَدبُّرٍ لِدَعْوَتِهِ ولا تَأَمُّلٍ فيها .

وَفي تَبْيينِ أَنَّهُ (مِنْهُم) تَأْكيدٌ لِحالِ جَميعِ الرُّسُلِ ، فَقَد كانوا مِنْ أَقْوامِهِمْ لِيَكونوا أَقْدَرَ على تَبْليغِ الرِّسالَةِ إلَيْهِمْ ، وأَدْعَى لأَنْ يُسْتَجابَ لَهُمْ ويُتَّبَعوا فيما يَدْعونَ إلَيْهِ .

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

الفاءُ لِلتّفريعِ على ما تَقَدَّمَ مِنَ المَثَلِ ، أيْ : لَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ حالُ الّذينَ كَفروا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ وَكَذَّبوا رَسولَهُ وما حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فاحْذَروا أَنْ تَسيروا على طَريقَتِهِمْ وَكُلوا مِنَ الحَلالِ الطَّيِّبِ الَّذي رَزَقَكُمْ اللهُ إيّاهُ ، واشْكُروا اللهَ على نِعَمِهِ التَّي أَنْعَمَ بِها عَلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُخْلِصينَ في عِبادَتِكُمْ لَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ انْشِغالُ كُلِّ إنسانٍ بِنَفْسِهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٢ـ الأَمْنُ والطُّمَأْنينَةُ نِعْمتانِ عَظيمتانِ تَحْتاجانِ إلى شُكْرِ المُنْعِمِ بِهِما سُبْحانَهُ .

٣ـ مِنْ أَنْواعِ العُقوبَةِ اسْتِبْدالُ النِّعْمَةِ بِنَقيضِها ، فأَهْلُ هَذهِ القَرْيَةِ عُوقِبوا بالجُوعِ بَعْدَ الشّبَعِ ، والخَوْفِ بَعْدَ الأَمْنِ .

٤ـ تَكذيبُ الرَّسولِ يُؤَدّي إلى العَذابِ والبَلاءِ .

٥ـ ضَرْبُ اللهِ الأَمْثالَ في كِتابِهِ لِلتَّوْضيحِ والبَيانِ .

٦ـ تَحَرّي الحَلالِ الطَّيِّبِ مِنَ الطَّعامِ ، والابْتِعادُ عَنِ الحَرامِ الخَبيثِ .

٧ـ وُجوبُ شُكْرِ النِّعْمَةِ وأداءِ حَقِّ اللهِ تَعالى فيها ، فإنَّ الشُّكْرَ يَزيدُ النِّعَمَ وَيُبارِكُ فِيها .

التَّقْويم :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ مُجادَلَةِ النَّفْسِ عَنْ ذاتِها فَقَطْ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٢ـ وَضِّح المَثَلَ الَّذي ضَرَبَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ لِمَنْ يَكْفُرُ بِنِعَمِ اللهِ ويَجْحَدُها .

٣ـ كَيْفَ كانَ حالُ أَهْلِ تِلْكَ القَرْيَةِ قَبْلَ التَّكْذيبِ وَكَيْفَ أَصْبَحَ بَعْدَهُ ؟

٤ـ ما دَلالَةُ الفاءِ في قَوْلِهِ تَعالى (فَكُلوا . . .) ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ وَتُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ .

ب ـ وَهُمْ لا يُظْلَمونَ .

ج ـ يَأْتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ .

د ـ فَأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ .

هـ ـ فَأَخَذَهُمُ العَذابُ وَهُمْ ظالِمونَ .

و ـ فَكُلوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حلالاً طَيِّباً .

ز ـ واشْكُروا نِعْمَةَ اللهِ إنْ كُنْتُم إياهُ تَعْبدونَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ماذا يَقولُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ القِيامةِ ، حينَ يَقولُ كُلُّ إنْسانٍ : اللهمَّ نَفْسِي نَفْسِي .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورةَ قُريشٍ الّتي تُبَيِّنُ بَعْضَ نِعَمِ اللهِ على أَهْلِ مَكَّةَ .

٣ـ اذْكُرْ آيةً تتحدَّثُ عَنْ أَحَدِ الرُّسُلِ وَتُبيِّنُ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ قَوْمِهِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والعِشرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ :	ما ذُكِرَ اسْمُ غَيْرِ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ .
غَيْرَ باغٍ	غَيْرَ طالِبٍ لِلْمُحَرَّمِ مَعَ وُجودِ غَيْرِهِ .
ولا عادٍ	ولا مُتَجاوِزٍ ما يَدْفَعُ جوعَهُ .
بِجَهالَةٍ	بِجَهْلٍ وسَفاهَةٍ .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينُ ما يَحْرُمُ مِنَ الطَّعامِ ، والنَّهيُ عَنِ القَوْلِ على اللهِ تَعالى بِغَيْرِ عِلْمٍ ، والإِخْبارُ بِأَنَّ ما حُرِّمَ على بَني إِسْرائيلَ كانَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ ، وأَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَسَعُ كُلَّ تائِبٍ مُقْبِلٍ على رَبِّهِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ سُبْحانَهُ عِبادَهُ بالأَكْلِ مِنَ الحلالِ الطَّيِّبِ ، نَهاهُمْ عَنْ أَكْلِ المُحَرَّم ، وَذَكَرتِ الآيةُ مِنَ المُحرَّماتِ : المَيْتَةَ أيْ ما ماتَ مِنَ الحَيَوانِ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ ، والدَّمَ المَسْفوحَ الَّذي يَسيلُ مِنَ الحيوانِ وَهُوَ حَيٌّ أو بَعْدَ ذَبْحِهِ ، ولَحْمَ الخِنزيرِ ودمَهُ وشَحْمَهُ ، وخَصَّ لَحْمَهُ بالذِّكْرِ لِلدَّلالَةِ على حُرْمَتِهِ مُطْلَقاً ذُكِّيَ أَوْ لَمْ يُذَكَّ ، وما ذُكِرَ اسْمُ غَيْرِ اللهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ ، سواءً كانَ اسْمَ صَنَمٍ مِنْ الأَصْنامِ أَوْ شَخْصٍ مُعَظَّمٍ مِنَ النَّاسِ .

وتَحْريمُ هذهِ الأَصْنافِ لِما فيها مِنْ أمْراضٍ وَقَذارةٍ ، وبِخاصَّةِ الخِنْزيرُ ؛ فَقَدْ ثَبَتَ احْتِواءُ جِسْمِهِ على طُفَيْلِيّاتٍ مُتَعِّددةٍ ضارّةٍ بالإنْسانِ ، وأنَّهُ عُرْضَةٌ للإصابةِ بِعَدَدٍ مِنَ الأمْراضِ تَنْتَقِلُ إلى آكِلِهِ وَتُؤْذيهِ ، أمَّا تَحْريمُ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فلأَنَّ فيهِ تَعْظيمَ غَيْرِ اللهِ ، ولا يَجوزُ لِمَنْ يُعَظِّمُ اللهُ أَنْ يَأْكُلَ مِمَّا ذُبِحَ لِتَعْظيمِ غيرِ اللهِ ، سَدّاً لِبابِ الشِّرْكِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ مَنْ دَعَتْهُ الضَّرورَةُ الشَّديدةُ إلى الأَكْلِ مِنْ أَحَدِ هذهِ الأَصْنافِ مُضْطَرّاً لِذَلِكَ ، وَهُوَ غَيْرُ طالِبٍ لِهذا الطَّعامِ المُحَرَّمِ مَع وُجودِ غَيْرِهِ ، ولا مُتَجاوِزٍ بِهِ قَدْرَ الضَّرورَةِ ، وهُوَ ما يَسُدُّ جُوعَهُ ويَحْفَظُ حَياتَهُ ، فإنَّ اللهَ تَعالى واسِعُ المَغْفِرَةِ لَهُ ، عظيمُ الرَّحْمَةِ بِهِ .

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا نَهْيٌ لِلنّاسِ عَنِ التَجرّؤِ على التَّحْليلِ والتَّحْريمِ دُونَ بَيِّنَةٍ ولا دَليلٍ ، فَيكونُ التَّحْليلُ أَوِ التَّحْريمُ في هذه الحالِ كَذِباً وافْتِراءً على الله ، فلا يَجوزُ لأَحَدٍ أَنْ يُحَلِّلَ أَوْ يُحَرِّمَ مِنْ غَيْرِ دَليلٍ ولا حُجَّةٍ ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كانَ مِنَ الكاذِبِيَن على اللهِ تَعالى ، ومَنْ كَذَبَ على اللهِ فإنّهُ لا يَفوزُ بِخَيْرٍ مُطْلَقاً .

﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

أَيْ إنَّ ما يَحْصُلُ عَلَيْهِ هؤلاءِ مِنْ مُتْعَةٍ وَسُرورٍ بِسَبَبِ تَحْليلِهِمُ الحرامَ أَوْ تَحْريمِهِمُ الحَلالَ ، هُوَ مَتاعٌ قَليلٌ ، لأنهُ سُرعانَ ما يَزولُ مَعَ انْقِضاءِ آجالِهِمْ وَرَحيلِهِمْ عَنِ الحَياةِ الدُّنْيا ، ولَهُمْ بِسَبَبِ هذا الفِعْلِ القَبيحِ عذابٌ مُؤْلِمٌ في الآخِرَةِ .

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ ما حَرَّمَهُ على هَذِهِ الأُمَّةِ ، بَيَّنَ لَنا أَنَّهُ حَرَّمَ على اليَهودِ دُونَ غَيْرِهِمْ ما سَبَقَ

تَبْيِينَهُ في سورةِ الأنعام في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ولَمْ يَكُنْ هذا التَّحْريمُ ظُلْماً مِنَ اللهِ لَهُمْ بَلْ كانَ عُقوبَةً لَهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأنْفُسِهِم بِتَعدِّي حُدودِ اللهِ ومُعاداةِ رُسُلِهِ وتَكْذيبِهِمْ .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذِه الآيَةِ عَنْ سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وأنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبادِهِ الَّذينَ عَمِلوا الأَعْمالَ السَّيِّئَةَ بِدافِعِ الجَهالَةِ والسَّفاهَةِ والطَيْشِ ، ثُمَّ تابوا بَعْدَ ذَلِكَ تَوْبَةً صادِقَةً عَنْ تِلْكَ الأعْمالِ السَّيِّئَةِ ، وأَصْلَحوا سُلوكَهُمْ وأعْمالَهُمْ .

فإنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ كَثيرُ المَغْفِرَةِ لِعِبادِهِ التَّائِبينَ ، عَظيمُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ .

وَفِي تَقْييدِ عَمَلِ السوءِ كَوْنِهِ (بِجَهالَةٍ) إشارةٌ إلى أَنْ فِعْلَ المَعْصيَةِ لا يَكونُ إلاَّ بِجَهالَةٍ وَغَفْلَةٍ مِنَ العاصي ، فَكُلُّ مَنْ عَصى اللهَ فَهُو جاهِلٌ حَتَّى يَتْرُكَ مَعْصِيَتَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الحِكْمَةُ العَظيمَةُ في تَحْريمِ ما يَضُرُّ ويُسْتَقْذَرُ .

٢ـ مِنْ يُسْرِ الإسْلامِ وَسَماحَتِهِ عَدَمُ مُؤاخَذَةِ المُضطرِّ إذا أَكَلَ مِنْ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ بِقَدْرِ الضَّرورَةِ .

٣ـ التَّحليلُ والتَّحْريمُ حَقُّ اللهِ وَحْدَهُ ؛ لا يَجوزُ بِغيرِ دَليلٍ ولا بُرْهانٍ ، فَهُوَ كَذِبٌ وافْتِراءٌ على اللهِ .

٤ـ الظُّلْمُ يُؤَدِّي إلى الحِرْمانِ مِنَ النِّعَمِ وَفُقْدانِها .

٥ـ سَعَةُ رَحْمَةِ اللهِ وَقَبولُهُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبادِهِ التّائِبينَ بِصِدْقٍ وإقْبالٍ .



أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَصْنافُ الّتي حَرَّمَها اللهُ عَلَيْنا ؟ وما الحِكْمَةُ مِنْ تَحْريمِها ؟

٢ـ مَتَى يَجوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَناولَ شَيئاً مِنَ المُحَرَّماتِ ؟ وما حدودُ ذَلِكَ الأكلِ ؟

٣ـ هَلْ يَجوزُ للإنْسانِ أَنْ يَحْكُمْ على شَيءٍ بالتَّحْريمِ أَوْ بالتَّحْليلِ دُونَ بَيِّنَةٍ ؟

٤ـ ما عُقوبَةُ الَّذينَ يَفْتَرونَ على اللهِ الكَذِبَ ؟

٥ـ ما الأُمورُ الَّتي حَرَّمَها اللهُ تَعالى على اليَهودِ ؟

٦ـ لماذا حَرَّمَ اللهُ تَعالى على اليَهودِ أُموراً زائِدةً عَنْ غَيْرِهِمْ ؟

٧ـ ما شُروطُ قَبولِ التَّوْبَةِ ؟

٨ـ ما فائِدَةُ تَقييدِ عَمَلِ السُّوءِ أَنَّهُ (بِجَهالَةٍ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ أَنَّ الضَّرورةَ تُبيحُ المَحْظورَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ ١٤٦ من سُورَةِ الأنْعامِ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتينِ من سورةِ النِّساءِ اللَّتَيْنِ تُبَيِّنانِ لِمَنْ تَكونُ التَّوْبَةُ ولِمَنْ لا تَكونُ .

٤ـ ارْجِعْ إلى بَعْضِ الكُتُبِ العِلميَّةِ الَّتي عُنِيَتْ بِأُمورِ الحَياةِ ، واكْتُبْ مَوضوعاً تُبَيِّنُ فِيه أَضْرارَ كُلٍّ مِما يَلِي ، وضَعْهُ في مَجلةِ المَدْرَسَةِ :

١ـ المَيْتَةُ .

٢ـ الدَّمُ .

٣ـ لَحْمُ الخِنزيرِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سورَةُ النَّحْلِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ والعِشْرونَ

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كانَ أُمةً : المُرادُ بالأُمَّةِ في هَذِهِ الآيَةِ الإمامُ الجامِعُ لِخِصالِ الخَيْرِ .

قانِتاً للهِ : مُطيعاً لَهُ .

حَنيفاً : مائِلاً عَنِ الباطِلِ إلى الدِّينِ الحَقِّ .

اجْتَباهُ : اصْطَفاهُ واخْتارَهُ .

مِلَّةَ : دِينَ .

جُعِلَ السَّبْتُ : فُرِضَ تَعْظيمُهُ .

ضيقٍ : حَرَجٍ .



التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبْيينُ مَنْزِلَةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ عِنْدَ رَبِّهِ ، والأَمْرُ باتِّباعِ مِلَّتِهِ ، وتَبْيينُ مَنْهَجِ الدَّعْوَةِ إلى الإسْلامِ والصَّبْرِ على ذَلِكَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

وَصفَ اللهُ تَعالى في هذِهِ الآياتِ خَليلَهُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِعِدَّةِ صِفاتٍ . أَوَّلُها : أَنَّهُ كانَ أُمَّةً ؛ أيْ إماماً جامِعاً لِخِصالِ الخَيْرِ والأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، فَكانَ بِمَنْزِلَةِ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ . وثانِيها : أَنَّهُ كانَ قانِتاً للهِ مُطيعاً لَهُ خاضِعاً لأَوامِرِه ، وثالِثُها : أَنَّهُ كانَ حَنيفاً مائِلاً عَنِ الباطِلِ والشِّرْكِ إلى دينِ الحَقِّ ، ورابِعُها : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُشْرِكينَ باللهِ تَعالى ، بَلْ كانَ مِنَ المُوَحِّدينَ المُخْلِصينَ في عِبادَتِهِمْ للهِ تَعالى .

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

وخامِسُها : أَنَّهُ كانَ شاكِراً لِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ مُعْتَرِفاً بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ ، وسادِسُها : أَنَّ اللهَ تَعالى اصْطَفاهُ واخْتارَهُ لِلنُّبوَّةِ والخُلَّةِ فَهُوَ نَبِيُّ اللهِ تَعالى وَخليلُهُ ، وسابِعُها : أَنَّ اللهَ تَعالى هَداهُ إلى صِراطِهِ المُسْتَقيمِ ووَفَّقَهُ لِعبادَتِهِ والدَّعوةِ إلى دينِهِ الحَقِّ .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

وثامِنُها : أَنَّ اللهَ أعطاهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا كُلَّ ما يَحْتاجُ إليْهِ ، وحَبَّبَهُ إلى جَميعِ الخَلْقِ فَكُلُّهُمْ يُباهِي بالانْتِسابِ إليْهِ ، وتاسِعُها : أَنَّهُ في الآخِرَةِ مِنْ أَصْحابِ الدَّرجاتِ الرَّفيعةِ ، وفي أَعْلى مَقاماتِ الصَّالحينَ .

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ ذِكْرِ هذهِ الصِّفاتِ لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ودينَهُ ، وُهَو تَوْحيدُ اللهِ تَعالى والبُعْدُ عَنِ الشِّرْكِ ، فإنَّ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كانَ حنيفاً مائِلاً عَنِ الأديْانِ الباطِلَةِ إلى الدِّينِ الحَقِّ ، وما كان إبْراهيمُ مِنَ المُشْرِكينَ ، وفي هذا رَدٌّ على اليَهودِ والنَّصارَى والمُشرِكينَ الَّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّهُمْ على مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ تَعْظيمَ يَوْم السَّبْتِ وتَرْكَ العَمَلِ فيهِ لَمْ يُفْرَضْ إلاّ عَلى اليَهودِ فَقَطْ ، وفي هذا رَدٌّ عَلَيْهِمْ في زَعْمِهِمْ أَنَّ تَعْظيمَ السَّبْتِ مِنْ مِلّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وفي الآيةِ تأكيدٌ أَنَّ اليَهودَ اخْتَلفوا في يَوْم السَّبْتِ بَعْدَ أَنْ فُرِضَ عَلَيْهِم تَعْظيمُهُ وَعَدمُ العَمَلِ فيهِ ، فَمِنْهُمْ مِنْ أَطاعَ والتَزَمَ الأَمْرَ ، ومِنْهُم مَنْ عَصى وَتَعدّى حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وإنَّ اللهَ تعالى سَيَحْكُمُ بَيْنَ هؤلاءِ المُخْتَلِفينَ في يَوْمِ السَّبْتِ يَومَ القِيامَةِ بِحُكْمِهِ العَدْلِ ، فَيُجازِي كُلاًّ مِنْهُمْ بِما يَسْتَحِقُّ على عَمَلِه .

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ مُحمّداً ﷺ ومَنْ يَسيرُ على هَدْيِهِ أَنْ يَدْعُوَ إلى دينِ اللهِ وَشَريعَتِهِ بالقَوْلِ المُحْكَمِ المُوَضِّحِ لِلْحَقِّ والمُبْطِلِ لِلْباطِلِ ، الواقعِ في النَّفْسِ أَجْمَلَ مَوْقعٍ ، وأَنْ يَسْتَعْمِلَ في دَعْوَتِهِ المَوْعَظَةَ الحَسَنَةَ والكَلِمَةَ المُؤَثِّرَةَ في القُلوبِ ، الدّاعِيَةَ إلى طاعَةِ اللهِ تَعالى ، وأَنْ يُجادِلَ المَدْعوّينَ بِأَحْسَنِ الطُّرُقِ وأَلْيَنِها ، وأَنْ يَتَلطَّفَ في خِطابِهِمْ ويُقابِلَ إساءَتَهُمْ بالإحْسانِ والصَّفْحِ ، ويَقْصُدُ مِنْ مُجادَلَتِهِمُ الوُصولَ إلى الحَقِّ .

وقَدْ جَمَعَتْ هذهِ الآيةُ أساليبَ الدَّعْوَةِ المُتَنوِّعَةِ ، وَدَرَجاتِها المُتَعَدِّدَةِ ، المُراعِيَةِ لِظُروفِ النّاسِ وأَحْوالِهِمْ ، فَمِنْهُم مَنْ تَكْفيهِ الدَّعْوَةُ بالحِكْمَةِ فَيَسْتَجيبُ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَحتاجُ إلى المَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعانِدُ ويُجادِلُ فَيَحْتاجُ إلى الجِدالِ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ ، فَعَلى الدّاعي إلى اللهِ تَعالى أَنْ يَتَعرَّفَ على طِباعِ النّاسِ ، وأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُخاطِبُ كُلاًّ مِنْهُمْ لِتَكونَ دَعْوَتُهُ لَهُمْ ناجِحَةً مُثْمِرَةً .

﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بالْمُهْتَدينَ﴾ أيْ إنَّ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ العالِمُ بِمَنْ سَيَسْتَمِرُّ على ضَلالِهِ مِنَ المَدْعوّينَ ، وهُوَ العالِمُ بِمَنْ سَيَسْتَجيبُ ويَهْتَدي ، فما على الرَّسولِ إلاّ البَلاغُ والتَبيينُ ، وأداءُ الرِّسالَةِ على الصُّورَةِ المُثْلَى ، واللهُ تَعالى يَتولّى حِسابَ الخَلْقِ ومُجازاتِهِم على أَعْمالِهِم .

هذهِ هِيَ الصُّورَةُ المُثْلى في الدَّعْوَةِ والخِطابِ ، ولَكِنْ إنْ حَصَلَ الاعْتِداءُ عَلَيْكُمْ مِنَ الآخَرينَ وجَبَ إزالَتُهُ :

﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

أيْ إنْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ اعْتِداءٌ فَعاقِبوا مَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ ما فَعَلَ بِكُمْ دوَن أَنْ تَزيدوا في عِقابِهِ

شَيْئاً ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ على أذى عَدوِّكُمْ فإنَّ الصَبْرَ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللهِ ، وأَدْعى لأنْ يَكُفَّ المُعْتَدي اعْتِداءَهُ ويُقْلِعَ عَنْهُ .

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

هذا أمْرٌ بالصَّبْرِ بَعْدَ التَّرْغيبِ فيهِ ، يَأْمُرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَصْبِرَ على أَذى قَوْمِهِ ، وعلى ما يُلاقيهِ مِنْهُم . ﴿وما صَبْرُكَ إلاّ باللهِ﴾ أيْ إنَّ اللهَ تَعالى سَيُعينُكَ على الصَّبْرِ ويُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ ، فلا تَحْزَنْ على إعْراضِ المُشْرِكينَ عَنْ دَعْوَتِكَ ، ولا تَكُنْ في غَمٍّ وَضيقِ صَدْرٍ مِنْ مَكْرِهِمْ وكَيْدِهِمْ لَكَ ، ومُحاوَلَتِهِمُ الإساءَةَ إلَيْكَ ، فإنَّه ناصِرُكَ عَلَيْهِم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

إنَّ اللهَ مَعَ عبادِهِ الَّذينَ اتَّقَوْهُ وراقَبوهُ في أَعْمالِهِمْ ، وأَحْسَنوا في أدائِها على الوَجْهِ الأَكْمَلِ ، فَمَنْ لازمَ تَقوى اللهِ تَعالى والإحْسانَ في العَمَلِ نالَ مَعيَّةَ اللهِ بالنَّصْرِ والتَّأْييدِ والحِفْظِ ، جَعَلَنا اللهُ تَعالى مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ عَظيمُ مَكانَةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعُلوُّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ .

٢ ـ الأَمْرُ باتِّباعِ مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، والاقْتِداءُ بِهِ في دينِهِ وَهُوَ الإسْلامُ .

٣ ـ تَكْذيبُ اليَهودِ والنَّصارَى والمُشْرِكينَ في زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ على مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ ـ الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تَعالى بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ دُونَ قَسْوَةٍ ولا عُنْفٍ ولا غِلْظَةٍ .

٥ ـ على الدَّاعِي مُراعاةُ حالِ المَدْعُوّينَ ، وَمُخاطَبَتُهُمْ بما يُناسِبُهُمْ وَيُؤَثِّرُ فيهِمْ .

٦ ـ الرَّدُّ على الاعْتِداءِ بِمِثْلِهِ دونَ زِيادَةٍ ولا تَعَدٍّ ، والعَفْوُ والصَّفْحُ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ أَجْراً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى نَبِيَّه إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ رَتِّبْ هذهِ الصِّفاتِ كَما جاءَتْ في آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبيهُ مُحَمَّداً ﷺ باتِّباعِ مِلَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ اخْتلافِ اليَهودِ في السَّبْتِ ؟ وما جَزاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ ؟

٤ـ اذْكُرْ أَساليبَ الدَّعْوةِ الَّتي أَمَرَتْ بِها الآيَةُ الكَريمَةُ ، وَلِماذا تَعَدَّدَتْ هذهِ الأَساليبُ ؟

٥ـ ما المَوْقِفُ المَطْلوبُ في حالِ التَّعرُّضِ للاعْتِداءِ ؟

٦ـ ما الأُمورُ الَّتي أَمَرَ اللهُ تَعالى بِها رَسولَهُ ﷺ في الآيَةِ (١٢٧) ؟

تَعَلَّمْ :

١ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « نَحْنُ الآخِرونَ السَّابِقونَ يَوْمَ القيامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِنا ، ثُمَّ هَذا يَوْمُهُمُ الَّذي فُرِضَ عَلَيْهِم فاخْتَلَفوا فِيهِ ، فَهدانا اللهُ ، فالنَّاسُ لَنا فيهِ تَبَعٌ : اليهودُ غداً والنَّصارى بَعْدَ غَدٍ »[1] .

٢ـ رُوِيَ أَنَّهُ لمَّا مَثَّلَ المُشْرِكونَ يَوْمَ أُحُدٍ بِحَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، غَضِبَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَتَأَثَّرَ لِتَمْثيلِهِم بِعمِّهِ فَقالَ : « لأُمَثِّلَنَّ بِسَبعينَ مِنْهُمْ مَكانَكَ ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ ﷺ الآيَةَ ﴿وإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرينَ﴾ قال : نَصْبِرُ ولا نُعاقِبُ »[2] .

نَشاطٌ :

١ـ أُكتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الَّتي تُبَيِّنُ أَنَّ إبْراهيمَ لَمْ يَكُنْ يَهودياً ولا نَصْرانِياً بَل كانَ حَنيفاً مُسْلِماً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ على تَحايُلِ بَني إسْرائيلَ وانْتِهاكِهِمْ لِحُرْمَةِ السَّبْتِ .

* * *

---

(١) رواه البخاريّ في كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ، رقم الحديث ٨٣٦ . ورواه مسلم في كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، برقم ١٩٧٥ ـ ١٩٧٩ .

(٢) رواه الحاكم ٢/٣٥٩ ، وجعل عدد من المفسرين الحادثة سبباً لنزول الآية ويَرُدُّهُ أن الآية مكية .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ الإِسْراءِ سُورةٌ مَكِّيَّةٌ ، سُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ لافْتِتاحِها بِذِكْرِ حادِثَةِ إِسْراءِ النَّبيِّ ﷺ مِنَ المَسْجِدِ الحَرام إلى المَسْجِدِ الأَقْصى .

وَتُسَمّى سُورَةَ بَني إِسْرائِيلَ ، لِحَديثِها عَنْهُمْ وَعَنْ إِفْسادِهِمْ في الأَرْضِ في آياتِها الأُولى . وَمِنْ مُوضوعاتِ السُّورَةِ الأُخْرى : لَفْتُ النَّظَرِ إلى ما في الكَوْنِ مِنْ آياتٍ دالَّةٍ على عَظَمَةِ الخالِقِ وَقُدْرَتِهِ ، والأَمْرُ بِعَدَدٍ مِنَ الأَخْلاقِ والآدابِ الكريمةِ ، والرَّدُّ على ضَلالاتِ المُشْرِكينَ وَطَلَبِهِمْ مُعْجزاتٍ وَخوارِقَ مِنْ بابِ التَعنُّتِ ، وإقامَةُ الأَدِلَّةِ على البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وتَبْيينُ مُعْجِزَةِ القُرْآنِ الخالِدَةِ ، وتَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُبْحانَ	: تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ ما لا يَليقُ بِجلالِهِ .
أَسْرى	: سارَ بِهِ لَيْلاً .
مِنْ آياتِنا	: مِنْ عَجائِبِ قُدْرَتِنا .
وَكيلا	: ناصِراً وَمُعيناً .
وقَضيْنا	: حَكَمْنا وأَعْلَمْنا .
ولَتعْلُنَّ عُلُوّاً كبيراً	: تَسْتَكْبِرونَ وتَظْلِمونَ ظُلْماً كبيراً .
أُولي بَأْسٍ	: أَصْحابِ قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ في الحَرْبِ .
فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ	: فَطافوا في دِيارِكُم يَطْلُبونَكُمْ لِلْقضاءِ عَلَيْكُمْ .
الكَرَّةَ	: الغَلَبَةَ .
أَكْثَرَ نَفيراً	: أَكْثَرَ عدَداً .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ سُورَةُ الإِسْراءِ بِتَنْزِيهِ اللهِ تَعالى ، وَذِكْرِ المُعْجِزَةِ العُظْمَى وَهِيَ الإِسْراءُ بالنَّبِيِّ ﷺ إلى المَسْجِدِ الأقْصى ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ .

افْتَتَحَ اللهُ هذهِ السّورَةَ الكَريمَةَ بِتَقْديسِ نَفْسِهِ لِواقِعَةٍ عَظيمَةٍ خَصَّ بِها رَسولَهُ مُحمَّداً ﷺ وهِيَ إِسْراؤُهُ بِهِ في جُزْءٍ مِنْ لَيْلَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الحرامِ في مَكَّةَ المُكرمَةِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى في بَيْتِ المَقْدِسِ .

وسُمِّيَ المَسْجِدُ الحَرامُ بذلكَ لِحُرْمَتِهِ وَعَدمِ جَوازِ القِتالِ أَوِ الصَّيْدِ فيهِ ، وسُمِّي المَسْجِدُ الأَقْصى بِذلكَ لأَنَّهُ كانَ أَبْعَدَ المساجِدِ عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ أَيُّ مَسْجِدٍ آخَرَ ، وهو المَسْجِدُ الّذي باركَ اللهُ تَعالى فيهِ وباركَ حَوْلَهُ ، ومن خَصائِصِ وَمِيِّزاتِ المَسْجِدِ الأَقْصى أَنَّهُ مَقَرُّ الأَنْبياءِ وَمَهْبِطُ الملائِكَةِ ومَسرى رَسولِ اللهِ ﷺ ومِعْراجُهُ إلى السّماواتِ العُلَى ، وأُولَى القِبْلَتَيْنِ وثالثُ

المساجِدِ المُقَدَّسَةِ الَّتي لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلى غَيْرِها ، والصَّلاةُ فيهِ بِخَمْسِ مائةِ صلاةٍ فيما سِواهُ إلاَّ المَسْجدُ الحرامُ والمَسْجدُ النبويُّ ، وَهُوَ في الأَرْضِ الخِصْبَةِ الطَّيِّبَةِ ذاتِ الأَشْجار والثِّمارِ والمياهِ .

والحِكْمَةُ مِنَ الإِسْراءِ إكْرامُ النَّبيِّ ﷺ بهذهِ الرِّحْلَةِ العَجيبةِ الخارقَةِ ، لِيَرى بِأُمِّ عَيْنَيهِ دلائِلَ عَظَمَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ : ذَهابُهُ ورُجوعُهُ في جُزْءٍ مِنَ اللَّيلِ ، ومُشاهَدَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ ، والالْتِقاءُ بالأَنْبياءِ الكرامِ وَصَلاتُهُ بِهِمْ إماماً ، وعُروجُهُ إلى السَّماواتِ العُلى ورُؤْيَتُهُ ما فيها مِنْ عَظيمِ الآياتِ الباهِراتِ ، إنَّ اللهَ تعالى هُوَ السَّميعُ لأَقْوالِ نَبيِّهِ ﷺ وسائِرِ خَلْقِهِ ، البَصيرُ بأَحْوالِهِمْ وأَحْوالِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ ذِكْرُ الإِسْراءِ دُونَ المِعْراجِ الّذي ذُكِرَ في سُورَةِ النَّجْمِ ، وتَدُلُّ الآيَةُ دَلالَةً واضِحَةً على أنّ الإِسْراءَ بالجَسَدِ والرُّوحِ مَعاً ، واسْتِخْدامُ لَفْظِ (بِعَبْدِهِ) للإشارَةِ إلى شَرَفِ صِفَةِ العبُوديَّةِ ، وتَنْكيرُ (لَيْلاً) للتَّقْليلِ أيْ أن الإِسْراءَ حَصَلَ في جُزْءٍ مِنْ لَيْلَةٍ مَعَ أنَّهُ يَسْتَغْرِقُ مِنَ النَّاسِ مُدَّةَ شَهْرٍ تَقْريباً في ذَلِكَ الوَقْتِ ، وَجَعْلُ الإِسْراءِ مِنْ مَسْجِدٍ إلى مَسْجِدٍ لِبيانِ أَهَمِيَّةِ المَساجِدِ في الإِسْلامِ ولِلرَّبْطِ بَيْنَ هَذينِ المَسْجِدينِ المُقَدَّسَيْنِ بِرِباطٍ وَثيقٍ يُؤَكِّدُ الصِّلَةَ القَوِيَّةَ بَيْنَهُما ، ولِلدَّلالَةِ على أنَّ انْتِقالَ قِيادةِ البَشَرِيَّةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وَمَنْ فُروعِ إسْحاقَ إلى فُروعِ إسْماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ .

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى إكْرامَهُ لِرَسولِهِ ﷺ بالإِسْراءِ ، ذَكَرَ إكْرامَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ بأَنْ آتاهُ التَّوْراةَ فَقالَ : ﴿وآتينا مُوسى الكِتابَ﴾ أيْ وأَنْزَلنا على مُوسى التَّوْراةَ لِتَكونَ كِتابَ الهِدايَةِ لِبَني إسْرائيلَ إلى الخَيْرِ والصَّلاحِ ، والدَّلالةِ على تَوْحيدِ اللهِ وعَدَمِ الإِشْراكِ بِهِ وَعَدمِ طَلَبِ النَّصْرِ والإِعانَةِ إلاَّ مِنْهُ .

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ ﴾

نَصَبَ (ذُرِّيَّةَ) على النِّداءِ ، أي : يا أبناءَ مَنْ أَنْجينا مَعَ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ في السَّفينةِ اشْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وعلى آبائِكُمْ بِهذهِ النِّعْمَةِ الجَليلَةِ ، فإنَّ نُوحاً كانَ عَبْداً كَثيرَ الشُّكْرِ للهِ فاقْتَدوا بِهِ ، ولا تَكْفروا نِعَمَ اللهِ ولا تَجْحَدوها .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ ﴾ .

أيْ : وأَعْلَمْنا بَني إسْرائيلَ في كِتابِهِمُ التَّوْراةِ : أنَّهُم سَيُفْسِدونَ في الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَيَسْتَكْبِرونَ على النَّاسِ بِغيرِ حقٍّ ويَظْلِمونَهُم ظُلْماً كَبيراً .

وَفي إخْبارِهِمْ بِما سَيَحْصُلُ قَبْلَ وُقوعِهِ تَأْكيدٌ لِعِلْمِ اللهِ تعالى المُحيطِ بِكُلِّ شَيءٍ ، وأنَّ عِقابَهُ

سُبْحانَهُ لَهُمْ في مُقابِلِ أفْعالِهِمُ السَّيِّئَةِ وإفْسادِهِمْ ، وأنَّ على عُقَلائِهِمْ أَنْ يَحْذَروا مِنَ الوُقوعِ في ذَلِكَ الإفْسادِ ، ويُنَبِّهوا غَيْرَهُمْ لِذَلِكَ .

والمُرادُ بالأَرْضِ في الآيَةِ : الأَرْضَ كُلَّها ، لا أَرْضَ فِلَسْطينَ أو بلادَ الشَّامِ فَقَطْ ، لِعمومِ إفْساد بَني إسْرائيلَ في الأَرْضِ .

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ .

أي فَإذا جاءَ وَقْتُ إفْسادِهِمُ الأَوَّلِ عاقَبَهُمُ اللهُ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ رِجالاً مُنْتَسِبينَ إلَيْهِ سُبْحانَهُ ، لِطاعَتِهِمْ أَمْرَنا ، ذَوِي بَأْسٍ وَقُوَّةٍ فَطافوا في مَساكِنِكُمْ يَقْتُلونَ رِجالَكُمْ ويَسْلِبونَ أَمْوالَكُمْ ، وكانَ حُصولُ هَذا العِقابِ لَكُمْ وَعْداً مُحَقَّقاً مِنْ اللهِ ، واللهُ تَعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ .

ثُمَّ أَعَدْنا لَكُمُ النَّصْرَ على هَؤلاْءِ العِبادِ الَّذينَ أَرْسَلناهُمْ عَلَيْكُمْ ، وأَعْطيناكُمُ الأَمْوالَ الكَثيرةَ والذُّرِّيَّةِ الوافِرَةِ وجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ عَدداً وقُوَّةً مِنْ أعدائِكُمْ .

وَلِلْمُفَسرينَ أَقْوالٌ مُتَعَدِّدَةٌ في المُرادِ بالإفْسادَيْنِ المَذْكورَيْنِ في هذهِ الآياتِ ، وَهَلْ وَقَعا قَديماً قَبْلَ الإسْلامِ أَوْ بَعْدَهُ ، أَمْ أَنَّهما لَمْ يَقعا بَعْدُ ، أَوْ وَقَعَ أَحَدُهُما وَنَحْنُ بانْتِظارِ ثانيهما ، وكَلُّ هذهِ الأَقْوالُ مُحْتَمَلَةٌ ، والعِبْرَةُ مِنَ الآياتِ الإِخْبارُ عن شُمولِ عِلْمِ اللهِ تَعالى ، وإحاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وحُصولِ ما قَضى بهِ كَما أَرادَهُ ، وتَحْذيرُ هذهِ الأُمَّةِ مِنْ بَني إسْرائيلَ وإفْسادِهِمْ ، وأنَّ ما يَحْصُل لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَكَثْرَةِ أَنْصارٍ لَنْ يَدومُ ، وأَنَّهُ إلى زَوالٍ على أَيْدي عبادِ اللهِ الصَّالِحينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإسْراءُ بالرَّسولِ ﷺ واقِعَةٌ عَظيمَةٌ وآيَةٌ باهِرَةٌ فِيها كَثيرٌ مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ .

٢ـ الإسْراءُ بالرَّسولِ ﷺ والعُروجُ بِهِ إلى السَّمواتِ العُلا فيهِ رِفْعَةٌ وإعْلاءٌ لِمكانَةِ الرَّسولِ ﷺ وتَشْريفٌ لَهُ .

٣ـ حُصولُ البَرَكَةِ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصى وما حَوْلَهُ ، وَهِيَ بَرَكَةٌ مَعنويَّةٌ وماديَّةٌ .

٤ـ انْتِهاءُ دَورِ بَني إسْرائيلَ في حَمْلِ أمانَةِ السَّماءِ ، وانْتقالُ هذهِ الأمانَةِ إلى مُحمَّدٍ ﷺ وأُمّتِهِ .

٥ـ دَعْوَةُ الخَلْقِ إلى شُكْرِ اللهِ تَعالى على نِعَمِهِ .

٦ـ أَصْبَحَ بنو إسْرائِيلَ بَعْدَ حَمْلِهِمُ الأَمانَةَ مُفْسِدينَ في الأَرْضِ ، والإِخْبارُ عن إفْسادَيْنِ عَظيمَيْنِ سَيقعانِ مِنْهُم في مُسْتَقْبَلِ الزَّمانِ ، ولكِنَّ هَذيْنِ الإفْسادَيْنِ سَيَعْقُبُهُما تَدْميرٌ لَهُمْ .

٧ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعالى مُداوَلَةُ الأَيّامِ بَيْنَ عِبادِهِ ورَفْعُ أُمَّةٍ وخَفْضُ أُخْرى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ سُورَةِ الإِسْراءِ بِهذا الاسْمِ ؟ وَلِماذا سُمِّيَتْ سُورَةَ بَني إسْرائِيلَ ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنَ افْتِتاحِ السُّورَةِ بِتَسْبيحِ اللهِ تَعالى ؟

٣ـ ما المُرادُ بِمُبارَكَةِ ما حَوْلَ المَسْجِدِ الأَقْصَى ؟

٤ـ ما وَجْهُ الانْتِقالِ مِنَ الحَديثِ عَنِ الإسْراءِ إلى الحَديثِ عَنْ إيتاءِ مُوسى التَّوْراةَ ؟

٥ـ ما الفائِدَةُ مِنْ إخبْارِ بَني إسْرائِيلَ عَنْ إفْسادِهِمْ في الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ حُصولِهِما ؟

٦ـ ما العُقوبَةُ الّتي عاقَبَ اللهُ تَعالى بِها بَني إسْرائِيلَ بَعْدَ إفْسادِهِمُ الأَوّلِ ؟

٧ـ على ماذا تَدُلُّ إعادَةُ الكَرَّةِ لِبَني إسْرائيلَ بَعْدَ عِقابِهِمْ على الإفْسادِ الأَوَّلِ ؟

٨ـ بَيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمّا يَلِي :

أ ـ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا .

ب ـ ذُرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ .

ج ـ فَجاسوا خِلالَ الدِّيارِ .

د ـ أَلاَّ تَتَّخِذوا مِنْ دُوني وَكيلاً .

هـ ـ عِباداً لنا أُولي بَأْسٍ شَديدٍ .

و ـ وأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وبنينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفيراً .



عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثَلاَثَةِ مَساجِدَ : مَسْجِدِ الحَرامِ ، ومَسْجِدِ الأقْصى ، وَمَسْجِدي »[1] .

وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ : أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوّلاً ؟ قالَ : المَسْجِدُ الحَرامُ ، قُلْتُ ثُمَّ أَيّ ؟ قالَ : المَسْجِدُ الأَقْصى ، قُلْتُ : كَمْ كانَ بَيْنَهُما ؟ قالَ : أربعونَ سَنَةً[2] .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب التطوع ، باب مسجد بيت المقدس ، رقم الحديث ١١٣٩ ، ورواه مسلم في كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد ، رقم الحديث ٣٣٧٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب رقم ١١ ، رقم الحديث ٣١٨٦ ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب رقم ٥٣ ، رقم الحديث ١١٦١ .

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثّاني

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لِيَسوءوا وُجوهَكُمْ : لِيُظْهِروا عَلَيْها السُّوءَ .

لِيُتَبِّروا : لِيُهْلِكوا وَيُدمِّروا .

حصيرا : سِجْناً .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ إفْسادِ بَني إسْرائِيلَ ، وَعَنِ القُرآنِ الكَريمِ كتابِ الهدايةِ لِكُلِّ خَيْرٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ .

هذا خِطابٌ لِبَني إسْرائيلَ يُبَيِّنُ اللهُ تَعالى لَهُمْ فِيهِ أنَّهم إنْ أحْسَنوا والْتَزموا أَمْرَ اللهِ وأَطاعُوهُ فإنَّ جزاءَ إحْسانِهِمْ عائِدٌ عَلَيْهِم بالخَيْرِ والثَّوابِ الجزيلِ ، وأَنَّهُمْ إنْ أساءوا في عَمَلِهِمْ فإنَّ نَتيجةَ عَمَلِهِمْ

السّيىءِ سَتَكُونُ عَلَيْهِمْ دَماراً وَوَبالاً وخُسْراناً ، ولا يكونُ إحْسانُهُمْ إلى أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ بَعْثَةِ الرّسولِ مُحمَّدٍ ﷺ إلاّ باتِّباعِهِ والإيمانِ بما جاءَ بِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعالى أَنَّهُ إذا جاءَ وَقْتَ عِقابِهِمْ على إفْسادِهِمُ الثّاني فإنَّ عِبادَ اللهِ الَّذين وَصَفَهُمُ اللهُ تَعالى فيما سَبَقَ بـ (أولي بأسٍ شديدٍ) سَيَفْعَلونَ بِهِمْ ما يسوءُ وُجوهَهُمْ وَيُخْزِيهِمْ ويَجْعَلُ آثارَ الهَزيمَةِ والحَسْرَةِ باديةً عَلَيْها ، وَسَيَدْخُلونَ المَسْجِدَ الأَقْصى مُنْتَصِرينَ عَلَيْهِم كما دخلوهُ في المَرَّةِ السّابِقَةِ ، وسَيُدمِّرونَ ويُزيلونَ مَظاهِرَ العُلوِّ والاسْتِكْبارِ إزالةً تامَّةً لا تُبْقي مِنْها شَيْئاً ، وهذا كُلُّه جزاءُ إِفْسادِ بني إسْرائِيلَ في الأَرْضِ وَعَدَمِ الْتِزامِهِمْ أَوامِرَ اللهِ تَعالى وَعَدَم طاعَتِهِمْ لَهُ .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ .

هذا تَذْكيرٌ آخَرُ لَهُمْ وَدَعْوَةٌ إلى أَنْ يُصلِحوا عَمَلَهُمْ بالإيمانِ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ويُصْلِحُ عَمَلَهُ ، وبَعْدَ هذا التَّذْكيرِ إنْذارٌ لَهُمْ بأَنَّهُمْ إنْ عادوا إلى الإفْسادِ والعُلوِّ في الأَرْضِ وظُلْمِ الآخَرينَ أعادَ اللهُ تَعالى تَسْليطَ الأَعْداءِ عَلَيْهِمْ وَإِنْزالَ العِقابِ الشَّديدِ بِهِمْ ، ولَهُمْ في الآخِرَةِ عذابُ جَهَنَّمَ الَّتي أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ مِنْ جَميعِ الأُمَمِ لِتَكونَ سِجْناً يُحْصَرونَ فيهِ ، ولا يَسْتَطيعونَ الهَرَبَ مِنْهُ ولا مُغادَرَتَهُ .

وَلَقَدْ عادَ بَنو إسْرائِيلَ إلى الإفْسادِ والتَّخْريبِ مِراراً ، وكأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عاداتِهِمْ ، فَقَدْ أَفْسَدوا زَمَنَ رَسولِ اللهِ ﷺ فكَفَروا بِهِ وهَمّوا بِقَتْلِهِ وحاربوا الإسْلام ، وكانَ عِقابُهُمْ على ذَلِكَ الإفْسادِ القَتْلُ والتَّشْريدُ ، وَهاهُمْ يُفْسِدونَ في هَذِهِ الأَيّامِ إفْساداً عَظيماً باحْتِلالِهِمْ فِلَسْطينَ وسَفْكِهِمُ الدِّماءَ واسْتِخْفافِهِمْ بالمُسْلِمينَ في كُلِّ مكانٍ ، ولَنْ يَكونَ لِهذا الإفْسادِ مِنْ نَتيجةٍ إلاَّ التَّدْميرُ والخِزْيُ والهَزيمَةُ المُنْكَرَةُ وإِذْلالُ الوُجوهِ ، مِصْداقاً لِوَعْدِ اللهِ تَعالى الحَقِّ (وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا) .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبيانِ فَضْلِ القُرآنِ الكَريمِ ، فهُوَ الكِتابُ الّذي يَهْدي جَميعَ الخَلْقِ للأَمْرِ الأَقْوَمِ والأَحْسَنِ ، مِنْ أُمورِ دينِهِمْ ودُنْياهُمْ ، فَفي القُرْآنِ الهِدايَةُ إلى كُلِّ خَيْرٍ ، وتَبْيينُ أَفْضَلِ الأُمورِ وأَصْوَبِها ، وَهُوَ الكِتابُ الّذي يُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ الَّذين آمَنوا باللهِ تَعالى وَرُسُلِهِ وَعَمِلوا الأَعْمالَ الصّالِحَةَ أَنَّ لَهُمْ على ذَلِكَ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ أَجْراً كَبيراً في جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

وفي مُقابِلِ تَبْشيرِ المُؤْمِنينَ جاءَ في القُرْآنِ الكَريمِ إنذارُ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ ، باللهِ ولا بما أَخْبَرَ بِهِ مِنْ وُجودِ يَوْمٍ يُبْعَثُ فِيهِ الناسُ بَعْدَ المَوْتِ ، ويُحاسَبونَ على أَعْمالِهِمْ ويُجْزَوْنَ بِما كانوا يَعْمَلونَ ،

وسَيكُونُ مَصيرُ هَؤلاءِ المُكَذِّبينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ العذابَ الأليمَ في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ .

في هَذِهِ الآيَةِ بيانٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفاتِ الإنْسانِ فَتَراهُ يَدْعو على نَفْسِهِ بالشَّرِّ ، كما يَدْعو لِنَفْسِهِ بالخَيْرِ وَذَلِكَ حالَ غَضَبِهِ أَوِ انْفِعالِهِ ، فَيَدْعو على نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ بالهَلاكِ أَوْ باللَّعْنَةِ ولَو اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ لأَهْلَكَهُ ، وَقَدْ يَدعو الإنسانُ بأَمْرٍ يَظُنُّهُ خَيْراً وَهُوَ في المآلِ والنَّتيجةِ شَرٌّ لَهُ ، والإنْسانُ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَوْ عَلِمَ لَما دَعا بِهذا الأَمْرِ ، ولكنَّهُ عَجولٌ مُتَسَرِّعٌ يَدعو حالَ غَضَبِهِ على نَفْسِهِ ، وَيَدعو طالِباً الأَمْرَ الَّذي يَظُنُّهُ خَيْراً ، وَلَوْ تَرَيَّثَ وتَأَنَّى وتدبَّرَ في عَواقِبِ أُمورِهِ لَمْ يَدْعُ على نَفْسِهِ وَلَمْ يُلِحَّ في طَلَبِ ما تَسوءُهُ عاقِبَتُهُ ، ولم يَدْعُ بِكُلِّ ما يَخْطُرُ على بالِهِ أَوْ يَقَعُ في نَفْسِهِ ، ولاقْتَصَرَ على الدُّعاءِ بما فيهِ الخَيْرُ لَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ سُنَّةُ اللهِ تَعالى في مُعامَلَةِ البَشَرِ واحِدَةٌ لا تَتغيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ .

٢ـ قَدْ يُعَجِّلُ اللهُ تَعالى عُقوبَةَ المُفْسِدِ في الدُّنْيا لِيَكونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ .

٣ـ البِشارَةُ لِلْمُؤْمِنينَ بِأَنَّ كُلَّ إفْسادٍ لبني إسْرائيلَ يُقابِلُهُ الانْتِقامُ مِنْهُمْ .

٤ـ في القُرْآنِ الكَريمِ الهِدايَةُ لِكُلِّ خَيْرٍ ، وَتَبْشيرُ المُؤْمِنينَ بالجَنَّةِ .

٥ـ عَدَمُ جَوازِ أَنْ يَدعوَ الإِنْسانُ على نَفْسِهِ .

٦ـ ذَمُّ العَجَلَةِ والدَّعْوَةُ إلى التَّأَنّي والتَرَيُّثِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلَةِ التاليَةِ :

١ـ لِمَنِ الخِطابُ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ ؟

٢ـ ما الجَزاءُ الَّذي تَذْكُرُهُ الآيَةُ لِبَني إِسْرائِيلَ على إفْسادِهِمُ الثّاني ؟

٣ـ بماذا امْتَدَحَتِ الآياتُ الكَريمَةُ القُرْآنَ الكريمَ ؟

٤ـ ما السَبَبُ الَّذي يَجْعَلُ الإِنْسانَ يَدعو بِالشَّرِّ ؟

٦ ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلِي :

أ ـ لِيَسوءُوا وُجوهَكُمْ .

ب ـ وَلِيَدْخُلوا المَسْجِدَ كَما دَخَلوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

ج ـ وَلْيُتَبِّروا ما عَلَوْا تَتبيرا .

د ـ وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا .

هـ ـ وكانَ الإنْسانُ عَجولا .

تَعَلَّمْ :

عَنْ جابرِ بْنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لا تَدعو على أَنْفُسِكُم ولا تَدْعو على أَوْلادِكُم ولا تَدْعو على خَدَمِكُم ولا تَدْعو على أَمْوالِكُم ، لا تُوافِقوا مِنَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى ساعةَ نَيْلٍ فِيها عَطاءٌ فَيَسْتَجيبَ لَكُمْ »[1] .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الحديثَ الدَّالَّ على حَرْبِ المُسْلِمينَ لِليهودِ وانْتِصارِهِمْ عَلَيْهِمْ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يَنْهى فِيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ عن العَجَلَةِ .

* * *

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١٣٠٩ .

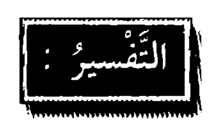
الدَّرسُ السَّادِسُ والعِشرونَ

سورَةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَمَحَوْنا	طَمَسْنا .
مُبْصِرَةً	مُضيئَةً .
طائِرَهُ :	عَمَلَهُ .
في عُنُقِهِ	مُلازِمٌ لَهُ .
مَنْشورا	مَعْروضاً عَلَيْهِ .
حَسيباً	شاهِداً .
لا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخْرى :	لا تَحْمِلُ نَفْسٌ إثْمَ نَفْسٍ أُخرى .
مُتْرَفيها	مُتَنَعِّميها .
فَدَمَّرْناها	اسْتَأْصَلْناها .
القُرونِ	الأُمَمِ .



التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بالتَّذكيرِ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى الَّتي تَدُلُّ على عَظَمَتِهِ سُبْحانَهُ ، وهِي نِعَمٌ يَنْتَفِعُ بِها النَّاسُ في دُنْياهُمْ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تَعالى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ وتَعاقُبَهُما عَلامَتَيْنِ تَدُلاّنِ على بَديع صُنْعِهِ وكمالِ قُدْرَتِهِ ، فَقَدْ جَعَلَ الآيَةَ الأُولى في اللَّيْلِ المُظْلمِ بأنْ مَحا الضُّوءَ فيهِ فَتَخْتَفِي فيهِ الأشْياءُ وتَهْدَأُ وتَسْكُنُ الحَرَكاتُ ، وجَعَلَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ في النَّهارِ المُضِيءِ ، يُبْصِرُ فيهِ النّاسُ ما يَحْتاجونَ إليْهِ ، فَيَقْضون في النَّهارِ مَصالِحَهُمْ ويَطْلُبونَ رِزْقَهُمُ الَّذي تَفَضَّلَ اللهُ تَعالى بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَقَسَمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَمِنْ فَوائِدِ تَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ واخْتِلافِهِما في الطُّولِ والقِصَرِ ، مَعْرِفَةُ الأيامِ والشُّهورِ والسّنينَ ، الّتي يَحْتاجُ الناسُ إلى مَعْرِفَتِها لِتَنْظيمِ أُمورِهِمْ ، وحسابِ مَواعِيدِ العباداتِ كالصَّلاةِ والصِّيامِ والحَجِّ ، والمُعامَلاتِ كَمَواعِيدِ البَيْعِ والتَّسْليمِ وانْقِضاءِ المُدَّةِ وَنَحْوِها مِنَ المُعامَلاتِ المُعْتَمِدَةِ على مَعْرِفَةِ الوَقْتِ والشُّهورِ والسِّنينَ .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصيلا﴾ أيْ وَفَصَّلْنا كُلَّ شَيْءٍ تَحْتاجون إليْهِ في أُمورِ دُنْياكُمْ وآخِرَتِكُمْ تَفْصيلاً واضِحاً جَلِيّاً لا الْتِباسَ فيهِ .

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

المرادُ بالطّائِرِ : العَمَلُ ، فالعَمَلُ الّذي يَعْمَلُهُ كُلُّ إنْسانٍ يُصْبِحُ ملازِماً لَهُ لا يُفارِقُهُ كالطَّوْقِ في عُنُقِهِ ، وسَيُجْزى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ سَيَجِدُ كُلُّ إنسانٍ عَمَلَهُ مَعْروضاً عَلَيْهِ في كتابٍ أحْصى عَلَيْهِ كُلَّ أَعْمالِهِ ، يَلْقاهُ مَبْسوطاً أمامَهُ ويُقال لَهُ :

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

فَيَقْرَأُ كِتابَهُ الَّذي أَحْصى عَلَيْهِ كُلَّ أَعْمالِهِ ، ولا يَحْتاجُ إلى شاهِدٍ أوْ مُحاسِبٍ ، فَكُلُّ أعْمالِهِ مُدَوَّنَةٌ ، وهُوَ أَوَّلُ الشَّاهِدينَ عَلَيْها .

فَعلى كُلِّ عاقِلٍ أَنْ يَسْعى لِفِعْلِ كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ وأَنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ عَمَلٍ لا يَرْضى بِهِ ، وعَلَيْهِ أَنْ يُوقِنَ أَنَّ كُلَّ أعْمالِهِ سَتُدوَّنَ في كتابِ أعْمالِهِ وتُنْشَرُ في صَحيفَتِهِ يَوْمَ القيامَةِ .

﴿ مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

أيْ : مَنِ اهْتَدى بأنْ آمَنَ باللهِ تَعالى وَعَمِلَ صالِحاً فإنَّ ذلكَ يَرْجِعُ إليْهِ ، فَهُوَ يَنْتَفِعُ بِهِ فَيَكْسَبُ الثَّوابَ ودُخولَ الجَنَّةِ ، ومَنْ ضَلَّ عَنِ الطَّريقِ القَويمِ وَلَمْ يُطِعْ أَمْرَ رَبِّه فإنَّ إثْمَ ضَلالِهِ حاصِلٌ لَهُ وَحْدَهُ ، فَكُلُّ إنْسانٍ مُحاسَبٌ على عَمَلِهِ ، ولا تَحْمِلُ نَفْسٌ آثِمَةٌ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى ، ومِنْ رَحْمَةِ اللهِ بالنّاسِ أنَّهُ لا يُعذِّبُ أُمَّةً أَوْ أحداً حَتَّى يُرْسِلَ إلَيْهِمْ رَسولاً يُقيمُ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ ، فلا تَعْذيبَ لِمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ وَلَمْ يَعْلَمِ الحَقَّ .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ تأكيدٌ لِما خُتِمَتْ بهِ الآيةُ السَّابِقَةُ ، مِنْ أَنَّ اللهَ تَعالى لا يُهْلِكُ أُمَّةً ولا يُعَذِّبُها حتَّى يُرْسِلَ إلَيْها رَسولاً يُبيِّنُ لَها الحَقَّ ويأْمُرُها بالخَيْرِ ، فإنْ أطاعَتْهُ نَجَتْ ، وإنْ عَصَتْهُ هَلَكَتْ ودُمِّرَتْ ، وهذا ما بيَّنَتْهُ هذهِ الآيَةُ ، فإنَّ اللهَ تعالى إذا أرادَ إهْلاكَ أَهْلِ قَرْيَةٍ أَوْ أُمَّةٍ بسَبَبِ كُفْرِها بهِ وَعِصْيانِها ، أَمَرَ المُتْرَفينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ القَرْيَةِ وَهُمْ أَصْحابُ الجاهِ والسُّلْطانِ والمالِ بالإيمانِ وبالْعَمَلِ الصَّالِحِ والطَّاعَةِ ، فلَمْ يَسْتَجيبوا لأَمْرِهِ وَفَسقوا وتَمَرَّدوا فَثَبَتَ وتَعَيَّنَ إهْلاكُها فَنَزَلَ بِها العَذابُ ، ودُمِّرَتِ القَرْيَةُ تَدْميراً تامّاً وأُهْلِكَ أَهْلُها جَميعاً .

وتَخْصيصُ المُتْرَفينَ بالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ الأَمْرَ بالطَّاعَةِ عامٌّ بالجَميعِ لأَنَّهُمُ المَتْبوعونَ غالِباً ، وهُمُ القادَةُ والسَّادَةُ فإذا اسْتَجابوا لِلأَمْرِ اسْتَجابَ غَيْرُهُمْ تَبَعاً لَهُمْ ، ولأَنَّهُمْ أَسْرَعُ إلى الفُجورِ وأَقْدَرُ على الوُصولِ إليْهِ .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ الكَريمَةُ أَنَّ الإهْلاكَ بِسَبَبِ الكُفْرِ والمَعْصِيَةِ لَيْسَ خاصّاً بالقَرْيَةِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى أَهْلَكَ كَثيراً مِنَ الأُمَمِ والقُرَى مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ، مِنْهُمْ مَنْ تَعْلَمُهُمْ كعادٍ وثَمودَ وقَوْمِ لُوطٍ ومِنْهُمْ مَنْ لا تَعْلَمُهُمْ ، واللهُ تَعالى مُطَّلِعُ على أَحْوالِ جَميعِ عِبادِهِ وذُنوبِهِمْ ، وكَفى بِهِ سُبْحانَهُ خَبيراً بَصيراً بِها ، فَعِلْمُهُ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ مِنْ أَمْرِ خَلْقِهِ ، وفي هَذا وَعيدٌ لِلْمُشْرِكينَ وإنْذارٌ لَهُمْ .

وتَخْصيصُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ ، لأَنَّ قَوْمَهُ كانوا أَوَّلَ المُهْلَكينَ على الأَرْضِ فَلَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ بَيْنَ آدمَ ونُوحٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ الاعْتِناءِ بالوَقْتِ ، وتَنْظِيمُ شُؤونِ الحياةِ وتَعَلُّمُ الحساب .

٢ـ الحِرْصُ على الإِكْثارِ مِنَ العَمَلِ الصّالِحِ ، وَتَرْكُ العَمَلِ السَّيِىء حَيْثُ يُلازِمُ العَمَلُ صاحِبَهُ ويُعْرَضُ عَلَيْهِ في صِحيفَةِ أعْمالِهِ .

٣ـ لا يُعذَّبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ غَيْرِهِ ولا يُؤاخَذُ بِجريرةِ غَيْرِهِ .

٤ـ لا يُعذِّبُ اللهُ أحداً إلاّ بَعْدَ أَنْ تَقومَ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِمَعْرِفَةِ الحَقِّ ووَصولِ الدَّعْوةِ إليْهِ .

٥ـ الحَذَرُ مِنَ التَّرَفِ المُؤدِّي إلى المَعْصِيَةِ ، وتَرْكِ الطاعَةِ والفُسوقِ عَنْ أَمْرِ اللهِ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِتَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ فَوائِدُ مُتَعدِّدَةٌ ، اذْكُرْها .

٢ـ ما مَعْنى مَحْوِ آيةِ اللَّيْلِ وَجْعلِ آيةِ النّهارِ مُبْصِرَةً ؟

٣ـ كَيْفَ يُعْرَضُ العَمَلُ على صاحِبِهِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٤ـ لِماذا لا تَحْمِلُ نَفْسٌ وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرى ؟ وما فائِدَةُ الإِخْبارِ بِذَلِكَ ؟

٥ـ بَيِّنْ خُطورَةَ التَّرَفِ ، الّذي لا ينضَبِطُ أَصْحابُهُ بِضوابطِ الإيمانِ ، وكَيْفَ يَكونُ سَبَباً في هَلاكِ البَشَرِ ؟

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أـ أهميّةُ تَعَلُّمِ الحِسابِ والمَواقيتِ .

ب ـ العَمَلُ يُلازِمُ الإِنْسانَ مُلازَمَةً تامَّةً .

ج ـ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ غَيْرِهِ .

د ـ نَفْعُ العَمَلِ الصّالِحِ لِصاحِبِهِ وَضَرَرُ العَمَلِ السّيِّىءِ على صاحبِهِ .

هـ ـ لا يُعَذِّبُ اللهُ أَحداً إلاّ بَعْدَ إنْذارِهِ وإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

و ـ التَّرَفُ مَدْعاةٌ لِلْفِسْقِ والعِصْيانِ غالباً .

ز ـ لا يُهْلِكُ اللهُ أُمَّةً حتَّى يُظْهِرَ عِلْمَهُ بِكُفْرِها في سُلوكِ أَفْرادِها .

ح ـ لَمْ تُهْلَكْ أُمَّةٌ بَيْنَ آدمَ ونَوحٍ عَلَيْهِما السَّلامُ .

ط ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِخَلْقِهِ وَبِجَميعِ أَحْوالِهِمْ ومِنْها ذُنوبُهُمْ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ آيةَ سُورَةِ الكَهْفِ الَّتي تُبَيِّنُ معَنى الآية (١٤) .

* * *

الدَّرسُ السَّابِعُ والعِشرونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الرّابِعُ

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العاجِلَةَ : الدُّنْيا .

يَصْلاها : يَدْخُلُها وَيُقاسي حَرَّها .

مَذْموماً : يَذُمّهُ غَيْرُهُ ويَلومُهُ .

مَدْحوراً : مَطْروداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

مَحظوراً : مَمْنوعاً .

مَخْذولاً : غَيْرَ مُعانٍ .

التَّفْسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ مَصيرَ الذينَ يُؤْثِرونَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ ، ومَصيرَ الَّذينَ يُقَدِّمونَ الآخِرَةَ على الدُّنْيا ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

مَنْ كانَ يَبْتَغِي بِعَمَلِهِ مَنافِعَ الحَياةِ الدُّنْيا وشَهَواتِها وَزينَتَها فإنَّ اللهَ تَعالى يُعْطي لِمَنْ يَشاءُ مِنْ هَؤلاءِ بَعْضَ ما يُريدونَ ، فالأَمْرُ مَرْهونٌ بإرادَةِ اللهِ تَعالى وَمَشيئَتِهِ ، وكَمْ مِنْ طالِبٍ لِمَلَذّاتِ الدُّنْيا وَزينَتِها لا يَحْصُلُ على شَيْءٍ فَيَخْسَرُ دُنياهُ وآخِرَتَهُ ، فاللهُ تَعالى قَيَّدَ الإعْطاءَ في الدُّنْيا لِطالِبيها بِما يَشاءُ بالنِّسْبَةِ لِلْمُعْطَى ، وَبِمَنْ يُريدُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُعْطَى لَهُ ، وَلَيْسَ هَذا العطاءُ دَليلَ رِضىً مِنَ اللهِ وَلكِنَّهُ إجْراءٌ لِسُنَّةِ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ ، بأنْ يُصَرِّفَ الرِّزْقَ بَيْنَ عبادِهِ ابْتلاءً لَهُمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَصيرَ هَؤلاءِ الَّذينَ يَنْسَوْنَ الآخِرَةَ ولا يَعْمَلونَ لَها ، فَجَزاؤُهُمْ فيها جَهَنَّمُ يَدْخلونَها وِيُقاسونَ حَرَّها ، وَقَدْ طُرِدوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى وَهُمْ مَعَ العذابِ يُذَمُّوَن ويُلامُونَ زِيادَةً في تَعْذيبِهِمْ ، وإمْعاناً في إذْلالِهِمْ .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوابَ الآخِرَةِ وَنَعيمَها ، واجْتَهَدَ في الإكْثارِ مِنْ طاعَةِ اللهِ والعَمَلِ بِما يُرْضيهِ وكانَ مُؤْمِناً باللهِ مُصدِّقاً بما وَعَدَ بِهِ ، فأُولئِكَ يَقْبَلُ اللهُ تَعالى عَمَلَهُمْ ويَجْزيهُمْ عَلَيْهِ خَيْرَ الجَزاءِ .

أَمّا غَيْرُ المُؤْمِنِ إذا عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً في الدُّنْيا فإنَّهُ لا يُقْبَلُ مِنْهُ ولا يُجْزَى عَلَيْهِ شَيْئاً في الآخِرَةِ ، وَمِنْ عَدْلِ اللهِ تعالى أَنَّهُ يُعْطيهِ أجْراً على عَمَلِهِ الصَّالِحِ ويَكونُ هذا الأجْرُ وافِياً ولكنَّهُ أَجْرٌ في الدُّنْيا ، ولَيْسَ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ .

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

أيْ : كُلاً مِنَ الفَريقينِ ، الفَريقِ الَّذي سَعى لِلدُّنْيا وَعَمِلَ مِنْ أَجْلِها ، والفَريقِ الَّذي سَعى لِلآخِرَةِ ابْتِغاءَ ثَوابِها ، نَمُدُّهُما مِنْ فَضْلِنا وإحْسانِنا ، ونَرْزُقُهُما وَنُعْطيهِما ، ما نَشاءُ مِما تَقومُ بِهِ الحَياةُ ، ولا نَمْنَعُ عَطاءَنا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِنا ، ولَوْ كانَ كافِراً مُشْرِكاً ، فَكُلُّ واحِدٍ يَحْصُلُ على أَجْرِهِ ولا يُمْنَعُ مِنْهُ .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

انْظُرْ وتَأَمَّلْ في أَحْوالِ النَّاسِ ، كَيْفَ يَتفاوَتونَ في الدُّنْيا ، في الأَرْزاقِ والأَخْلاقِ ، والصِّفاتِ والعُقولِ ، وهذا التَّفاوُتُ في الدُّنْيا أَقَلُّ مِنْ تَفاوُتِهِمْ في الآخِرَةِ ، فإنَّ تفاوُتَ مَنازِلِ النّاسِ وَدَرَجاتِهِمْ في الآخِرَةِ أَكْبَرُ وأَعْظَمُ ، فإنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكونَ في الجَنَّةِ ونَعيمِها ، وفي الجَنَّةِ دَرجاتٌ كَثيرةٌ بَعْضُهُم فَوْقَ بَعْضٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكونُ في جَهَنَّمَ وجَحيمِها ، وفي النَّارِ دَرَكاتٌ مُتَفاوِتَةٌ مُتباعِدَةٌ .

والخِطابُ في الآيةِ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَلِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لِلْخِطاب مِنْ عُقلاءِ النّاسِ .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

هَذِهِ الآيَةُ الكَريمَةُ بِدايَةٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ الآياتِ احْتَوَتْ على عَدَدٍ مِنَ الأوامِرِ والوَصايا النَّافِعَةِ ، ونَهَتْ عَنْ عَدَدٍ مِنَ السلوكياتِ السَّيئَةِ ، وقَدْ بَدَأَتْ هذهِ الآياتُ بالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ وَخَتَمَتْ بِهِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ وذَلِكَ لِلتَّنْبيهِ إلى أَهَمِيةِ إِفْرادِ اللهِ تَعالى بالعِبادَةِ والطَّاعَةِ فهُوَ الأساسُ الَّذي يُبْنَى عَلَيْهِ العَمَلُ .

ومَعْنى الآيةِ : لا تَجْعَلْ أيُّها المُكَلَّفُ المُخاطَبُ بالقُرْآنِ مَعَ اللهِ شَريكاً ، ولا تَعْبُدْ إلَهاً سِواهُ ، فَيُصْبِحُ حالُكَ أَنْ تَقْعُدَ عاجِزاً حائِراً نادِماً على ما صَدَرَ مِنْكَ مِنْ إِشْراكٍ باللهِ ، وسَوْفَ يَلومُكَ المُؤْمِنونَ ويَذُمّونَكَ على تَرْكِ عِبادَةِ اللهِ ، ويَخْذُلُكَ اللهُ تَعالى فلا يُعينُكَ ولا يَنْصُرُكَ ، مَعَ شِدةِ حاجَتِكَ لِعَوْنِهِ وتَأْييدِهِ .

وفي التَّعْبيرِ بالقُعودِ تَصْويرٌ لِهَيْئَةِ المُشْرِكِ المَذْموم المَخْذولِ ، وإشارَةٌ إلى ضَعْفِهِ فإنَّ القُعودَ مِنْ أَضْعَفِ هَيئاتِ الإِنْسانِ وأَكْثَرِها عَجْزاً ، وإلى اسْتِمْرارِ حالِ النَّبْذِ والخُذْلانِ ، لأنَّ القُعودَ لا يُوحي بالحَرَكَةِ ولا بَتَغيُّرِ الوَضْعِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإِنْسانُ بِحاجَةٍ إلى السَّعْيِ لِتَحْصيلِ ما يُريدُ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ .

٢ـ لا يَحْرُمُ اللهُ تَعالى مِنْ عَطائِهِ مَنْ عَصاهُ وَكَفَرَ بِهِ .

٣ـ لا يَنالُ الإنْسانُ مِنَ الدُّنْيا إلاّ ما قَسَمَهُ اللهُ وقَدَّرَهُ لَهُ .

٤ـ الكافِرُ لا حَظَّ لَهُ في الآخِرَةِ ومَصيرُهُ النَّارُ .

٥ـ تَفاوُتُ دَرَجاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ودَرَكاتِ أَهْلِ النَّارِ .

٦ـ عِظَمُ جَريمَةِ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ دعُاءُ غَيْرِ اللهِ والاسْتِعانَةُ بِهِ .



أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الجَزاءُ لِمَنِ ابْتَغى بِعَمِلِهِ الحَياةَ الدُّنْيا ؟

٢ـ ما شَرْطُ قَبولِ عَمَلِ مَنْ قَصَدَ بِعَمِلِهِ الدَّارَ الآخِرَةَ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَفْضِيلِ بَعْضِ النَّاسِ على غَيْرِهِمْ في الدُّنْيا ، وفي الآخِرَةِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ التَّعْبيرِ عَنْ حالِ المُشْرِكِ بالقُعودِ ؟

٥ـ بَيِّن مَعنى ما يلي :

أـ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ .

ب ـ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ .

ج ـ فَتَقْعُدَ مَذْموماً مَخْذولاً .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّها اللهُ لِلْمُجاهِدينَ في سبيلِ اللهِ ، ما بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ فإنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ »[1] .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ، رقم الحديث ٢٦٣٧ .

الدَّرسُ الثَّامنُ والعِشرون

سورةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الخامِسُ

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قَضى : أَمَرَ .

أُفٍّ : كَلِمَةَ تَضَجُّرٍ .

لا تَنْهَرْهُما : لا تَزْجُرْهُما .

واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِ : أَلِنْ جانِبَكَ لَهُما رَحْمَةً وَتَذَلُّلاً .

لِلأَوّابينَ : الرَّاجِعينَ إلى اللهِ بالتَّوْبَةِ .

قَولاً مَيْسورا : قَوْلاً لَيّناً تَطيبُ بِهِ نُفوسُهُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ مَجْموعَةٌ مِنَ الوَصايا والأَوامِرِ تَبْدَأُ بالأَمْرِ بِطاعَةِ اللهِ تَعالى والإحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ وكَيْفِيَّةِ التَّعامُلِ مَعَهُما ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تعالى في الآيةِ السّابقَةِ عَنِ الإشْراكِ بِهِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بالأَمْرِ بِعِبادَتِهِ وَحْدَهُ ، وجاءَ الأَمْرُ بِلَفْظِ (قضى) زِيادَةً في التَّأْكيدِ ، أيْ : أَمَرَ أَمْراً جازِماً قاطِعاً أَنْ لا تَعْبُدوا إلاّ إيّاهُ ، لأنَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، والمُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ ، وغَيْرُهُ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ لِعَجْزِهِ عَنْ فِعْلِ أيِّ شَيْءٍ إلاّ بِأَمْرِ اللهِ ، فالأَمْرُ كُلُّهُ للهِ رَبِّ العالَمينَ .

وبَعْدَ أَنْ أَمَرَ سُبْحانَهُ بِعبادَتِهِ وَحْدَهُ عَطَفَ عَلَيْهِ الأَمْرَ بالإحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ ، وفي ذَلِكَ تَبْيينُ أَهَمِيَّةِ بِرِّ الوالِدَيْنِ وعَظيمِ مَنْزِلَتِهِ ، ثُمَّ فَصَّلَ سُبْحانَهُ في بَيانِ جَوانِبِ ومظاهِرِ الإحْسانِ إلى الوالِدَيْنِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إذا بَلَغَ أَحَدُهُما أوْ كِلاهُما سِنَّ الكِبَرِ والضَّعْفِ ، فلا تَقُلْ لَهُما أيَّ لَفْظٍ يَدُلُّ على التَّضَجُّرِ والاسْتِثْقالِ كَلَفْظِ أُفٍّ البالِغِ في القِلَّةِ والخِفَّةِ ، إلاّ أَنَّهُ يُحْدِثُ أَلَماً في نَفْسِ الوالدَيْنِ ، ولا تَقُلْ لَهُما أَيَّ عِبارَةٍ فيها زَجْرٌ أَوْ إيذاءٌ لَهُما ، وَقُلْ لَهُما بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ قَوْلاً كَريماً طَيِّباً مَمْزوجاً بِعباراتِ الاحْترامِ والعَطْفِ والأَدَبِ .

وخَصَّ اللهُ حالَةَ الكِبَرِ دُونَ غَيْرِها ، مَعَ أَنَّ الرِّعايَةَ لِلْوالِدَيْنِ واجِبَةٌ دائِماً ، لاحْتِياجِ الوالِدَيْنِ في هَذهِ السِّنِّ إلى الرِّعايَةِ والاعْتِناءِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ .

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

وَأَلِنْ جانِبَكَ مُتَذَلِّلاً لَهُما واجْعَلْ تعامُلَكَ مَعَهُما مَصْحوباً بالرَّحْمَةِ والتَّواضُعِ . والتَّعْبيرُ بِخَفْضِ الجَناحِ لِلتَّشْبيهِ بِحالِ الطّائِرِ ، فإنَّهُ إذا أرادَ ضَمَّ فِراخِهِ إلَيْها خَفَضَ لَها جَناحَهُ ، وإذا أرادَ النُّزولَ مِنْ طَيرانِهِ خَفَضَ جناحَهُ ، فَضَمُّ الجَناحِ كِنايَةٌ عَنْ حُسْنِ التَّعامُلِ وَلِينِ الجانِبِ والتَّواضُعِ والعَطْفِ .

وَقُلْ في دُعائِكَ لَهُما : يا ربِّ ارْحَمْهُما بِرَحْمَتِكَ الواسعةِ رَحْمَةً عَظيمةً كَما كانا رَحيمَيْنِ بي حينَ كُنْتُ صَغيراً ، فَأَنْتَ القادِرُ على مُكافَأَتِهِما ، وفي هَذا الدُّعاءِ إشارَةٌ إلى أَنَّ الوَلَدَ مَهْما أَحْسَنَ إلى والِدَيْهِ فإنَّهُ لا يَفيهِما حقَّهُما ، فَلِذَلِكَ يَدعو اللهَ تَعالى أَنْ يَرْحَمْهُما .

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنهُ الأَعْلَمُ بما في نُفوسِ خَلْقِهِ وَضَمائِرِهِمْ خَيْراً كانَ أَوْ شَرّاً ، بِرّاً بالآباءِ أَوْ عُقوقاً لَهُما ، فَمَنْ قَصَدَ الصَّلاحَ والبِرَّ بِهِما والتَّوْبَةَ مِمّا سَبَقَ مِنْ تَقْصيرٍ في حَقِّ والِدَيْهِ أو غيرِهما أو عُقوقِ لَهُما فإنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الرّاجِعينَ إليهِ ويَغْفِرُ ذُنوبَهُم بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ ، فَفي هذهِ الآيةِ وَعيْدٌ لِمَنْ قَصَّرَ في حَقِّ ذَنْبٍ ومَعْصِيَةٍ .

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ الأَمْرِ بطاعةِ اللهِ تَعالى والإحسْانِ إلى الوالِدَيْنِ أَمَرَ سُبْحانَهُ بالإحسْانِ إلى الأَقارِبِ بالبِرِّ والصِّلَةِ والمُعاوَنَةِ والمُساعَدَةِ ، وإلى المِسْكينِ وَهُوَ الَّذي لا يَمْلِكُ شَيْئاً أَوْ يَمْلِكُ ما لا يَسُدُّ حاجَتَهُ ، وإلى ابْنِ السَّبيلِ وَهُوَ المُسافِرُ الغَريبُ الَّذي انْقَطَعَ عَنْ مالِهِ وَبَلَدِهِ ، وَذَلِكَ بإعْطائِهِما حَقَّهُما مِنَ المالِ والمُساعَدَةِ والإعانَةِ .

وتَقْديمُ ذَوي القُرْبى عَلى غَيْرِهِمْ لأَنَّهُمْ أَوْلى بالْمَعْروفِ ولأَنَّ الإحْسانَ إلَيْهِم صِلَةُ رَحِمٍ وَصَدَقَةٌ .

ثُمَّ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ التَّبْذيرِ وَهُوَ إنْفاقُ الأَمْوالِ في غَيْرِ حَقِّها ، وتَفْريقُها في غَيْرِ ما يَنْبَغي ، وعَلَّلَ النَهْيَ عَنِ التَبْذيرِ بِقَوْلِهِ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ المُبَذِّرينَ يُشْبِهونَ الشَّياطينَ في صِفاتِهِمُ القَبيحةِ السَّيِّئَةِ ، فالشَّياطينُ لا يَشْكُرونَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِمْ ويَضَعونَ الشَّيْءَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ ويُفْسِدونَ في الأَرْضِ ويُضِلّونَ النَّاسَ وَكَذلِكَ يَكونَ حالُ المُبَذِّرينَ شَبيهاً بِهِمْ ، وفي هذا التَّشْبيهِ تَنْفيرٌ مِنَ التَّبْذيرِ وَحَضٌّ على تَرْكِهِ ، فإنَّ الإنْسانَ العاقِلَ لا يَرْضى أَنْ يَكونَ شَبيهاً لِلشَّيْطانِ .

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وُجوبَ الإحْسانِ إلى ذَوي القُرْبى والمَساكينِ وابْنِ السَّبيلِ لِلْقادِرِ على الإحْسانِ وتَقديمِ العَوْنِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِبَيانِ ما يَجِبُ فِعْلُهُ على مَنْ لا يَمْلِكُ ما يُقَدِّمُهُ لَهُمْ ، فَيُعْرِضُ عَنْهُم بِسَبَبِ إعْسارِهِ وَقِلّةِ مالِهِ ، وَهُوَ يَرْجو أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ تَعالى ما يُقدِّمُهُ لَهُمْ وَيُعينُهُمْ بِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَذِرَ مِنْهُم بِلُطْفٍ وَيَقولُ لَهُمْ قَوْلاً لَيِّناً حَسَناً يَدُلُّ على الاهْتِمامِ بِشَأْنِهِمْ ، وَيُدْخِلَ السُّرورَ إلى نُفوسِهِمْ .

وفي هذهِ الآيةِ إرْشادٌ وَتأْديبٌ لِلْمُؤْمنينَ ، إنْ فَقَدوا ما يُقَدِّمونَهُ لِلْمُحتاجينَ أَنْ يَتوجَّهوا إلى اللهِ بالدُّعاءِ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ ، وأَنْ يَعْزِموا على البَذْلِ حينَ يَحْصُلُ عِنْدَهُم ما يَبْذُلونَهُ ، وأَنْ لا يُعْرِضوا عَنْ ذَوي القُرْبَى والمَساكينِ وأَبْناءِ السَّبيلِ إلاّ في حالِ فَقْدِهِمْ ما يُقَدِّمونَهُ لَهُمْ ، وأَنْ يَلْتَزِموا في تَعامُلِهِمُ القَوْلَ الحَسَنَ الطَّيِّبَ والرَّدَّ الجَميلَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ بِرِّ الوالِديْنِ والتَّذَلُّلِ لَهُما ، والاعْتِناءِ بِشَأْنِهِما خاصّةً في مَرْحَلَةِ الكِبَرِ .

٢ـ عِظَمُ حَقِّ الوالديْنِ ، فالأَمْرُ بِرِعايَتِهِما يَأْتي بَعْدَ حَقِّ اللهِ تَعالى .

٣ـ مُراعاةُ الأَلْفاظِ الَّتي تَصْدُرُ مِنَ الابْنِ نَحْوَ والِديْهِ لِئلاّ تُؤْذِيهِما كَلِمَةٌ وَلَوْ لَمْ يَقْصُدْ ذَلِكَ .

٤ـ مِنْ بِرِّ الوالديْنِ الدُّعاءُ لَهُما في حَياتِهِما وَبَعْدَ مَوْتِهِما .

٥ـ الحَثُّ على التَّوْبَةِ والمُسارَعَةُ إليْها ، وَعَدَمُ إضْمارِ أيِّ سُوءٍ في النَّفْسِ .

٦ـ وُجوبُ إعْطاءِ ذَوي القُرْبى حُقوقَهُمْ مِنَ البِرِّ والصِّلَةِ ، وَكذا المَساكينَ وأبناءِ السَّبيلِ .

٧ـ حُرْمَةُ التَّبْذيرِ والتّنفيرُ مِنْهُ وتَشْبيهُ المُبَذِّرِ بالشَّيْطانِ .

٨ـ الوَعْدُ الحَسَنُ والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَقومُ مَقامَ الصَّدَقَةِ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ ما يَتَصدَّقُ بِهِ .

٩ـ أهميَّةُ اسْتِحضارِ نِيَّةِ الإنْفاقِ مِمَّا يُتوقَّعُ مِنْ رِزْقٍ وَخَيْرٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما دَلالَةُ عَطْفِ الأَمْرِ بِبِرِّ الوالديْنِ على الأَمْرِ بعبادَةِ اللهِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ النَّهْي عَنِ التَلفُّظِ بِكَلِمَةِ (أُفٍّ) لِلْوالِدَيْنِ أَوْ لأَحَدِهِما ؟

٣ـ ما الأُمورُ الَّتي يَجِبُ على الابْنِ فِعْلُها مَع والديْهِ كَما وَرَدَ في الآياتِ الكَريمَةِ ؟

٤ـ ما الحَقُّ الَّذي يَجِبُ تَقْديمُهُ لِكُلٍّ مِنْ : ذي القُرْبى ، المِسْكينِ ، ابنِ السبيلِ .

٥ـ أـ ما مَعْنَى التَّبْذيرُ ؟

ب ـ ما عِلّةُ النّهي عَنْهُ ؟

ج ـ ما أَوْجُهُ الشَّبَهِ بَيْنِ المُبَذِّرِ والشَيْطانِ ؟

٦ـ ماذا يَفْعَلُ مَنْ لَمْ يَجِدْ ما يُقَدِّمُهُ للسّائِلِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ عَدَمُ جَوازِ الإساءَةِ إلى الوالِدَيْنِ بأيٍّ لَفْظٍ أَوْ فِعْلٍ .

ب ـ وُجوبُ التَعامُلِ مَعَ الوالدَيْنِ بتَذلُّلٍ وَرَحْمَةٍ .

ج ـ عَدَمُ قُدْرَةِ الابْنِ على الوَفاءِ بحَقِّ والديْهِ مَهْما أَحْسَنَ إليْهِما .

د ـ يَغْفِرُ اللهُ تَعالى لِمَنْ عَزَمَ على عُقوقِ والدَيْهِ ثُمَّ تابَ عَنْهُ .

هـ ـ المُبَذِّرُ يُشْبِهُ الشَّيْطانَ في جَوانبَ مُتَعدِّدَةٍ .

و ـ القولُ الحَسَنُ والوَعْدُ بالخَيْرِ يَقومُ مقامَ التَّصَدُّقِ على السَّائِلِ .

ز ـ على المَرْءِ أَنْ يَسْتَصْحِبَ نِيَّةَ البَذْلِ والإنْفاقِ مِمّا يُتوقَّعُ مِنْ رِزْقِهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ حَديثاً نَبوياً يَأْمُرُ بِبرِّ الوالِدْين واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ الّتي بَيَّنَتْ دُعاءَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ لِوالِدَيْهِ .

٣ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً عَنْ برِّ الوالدَيْنِ في حَياتِهِما وبَعْدَ مَماتِهِما مُؤَيِّداً بالأَدِلَّةِ مِنَ الآياتِ والأَحاديثِ ، واقْرَأْهُ على طَلَبَةِ المَدْرَسَةِ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

الدَّرسُ التَّاسِعُ والعِشرونَ

سورةُ الإسراءِ - القِسْمُ السّادِسُ

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَغْلولَةً مُقَيَّدَةً بالأَغْلالِ ، كِنايةً عَنِ الشُّحِّ والبُخْلِ .

تَبْسُطْها تَفْتَحُها ، كِنايةً عَنِ الإسْرافِ .

مَحْسورا نادِماً .

يَقْدِرَ : يُضَيِّقُ .

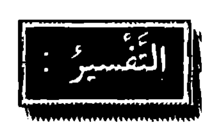
خَشْيَةَ إمْلاقٍ : خَوْفَ فَقْرٍ .

خِطأً إثْماً .

لِوَلِيِّه لِوارِثِه .

سُلْطاناً تَسَلُّطاً .

أَشُدَّهُ قُوَّتَهُ .



التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمةِ مَزيدٌ مِنَ الوَصايا الإلهيّةِ لِعبادِهِ كَيْ يُهَذِّبَ نُفوسَهُمْ ويَحْمِيَ مُجْتَمَعاتِهِمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُوءٍ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ التَّبْذيرِ ، أَرْشَدَ عِبادَهُ إلى أَفْضَلِ طُرُقِ الإنْفاقِ ، وَذَلِكَ بالتَوَسُّطِ والاعْتِدالِ فلا يَكونُ المَرْءُ بَخيلاً كَمَنْ قُيِّدَتْ يَدُهُ إلى عُنُقِهِ بالغُلِّ فلا يَسْتَطيعُ الإنْفاقَ ، ولا يَكونُ مُسْرِفاً كَمَنْ يَبْسُطُ يَدَهُ فلا يَبْقى بِكَفِّهِ شَيءٌ ، فإنَّ البُخْلَ والإسْرافَ يُؤَدِّيانِ إلى أَنْ يُلامَ فاعِلُهُما مِنَ اللهِ وَمِنَ النَّاسِ وَمِنَ النَّفْسِ ، فَكلاهُما سُلوكٌ مَذْمومٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عنهُ . ويُؤَدّي الإسْرافُ إلى أَنْ يَنْدَمَ فاعلُهُ بِسببِ تَضْييعِهِ ما يَمْلِكُ ، وانْقِطاعِهِ بِذَلِكَ عَنِ الإنْفاقِ وَفِعْلِ الخَيرِ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ تَوْسيعَ الرِّزْقِ وتَضْييقَهُ على العِبادِأمْرٌ تابعٌ لإرادَةِ اللهِ تَعالى وَحِكْمَتِهِ وَشُمولِ عِلْمِهِ سُبْحانَهُ بِعِبادِهِ ، فإنّهُ خَبيرٌ بِهِمْ بَصيرٌ بأَحْوالِهِمْ ، يَعْلَمُ مَنْ يُصْلِحُهُ سَعَةُ الرِّزْقِ والغِنى ويُفْسِدُهُ الفَقْرُ ، ويَعْلَمُ أَنَّ مِنْ عِبادِهِ مَنْ لا يُصْلِحُهُ إلاّ الفَقْرُ ، وَقَدْ تَكونُ السَّعَةُ أَوِ الضِّيقُ ابْتلاءً لِلْعبادِ واخْتِباراً لَهُمْ ، فَهُوَ سُبحانَهُ خَبيرٌ بِأَحْوالِ عِبادِهِ بَصيرٌ بِهِمْ .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِهِ نَهى عَمَّا كانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ مِنْ قَتْلِ أَوْلادِهِمْ ، وكانَ مُعْظَمُهُمْ يَخُصُّ البناتِ بالقَتْلِ خَوْفاً مِنَ الفَقْرِ والحاجَةِ المُتَوَقَّعَةِ مِنْ بقائِهِمْ ، فإنَّ رِزْقَ هَؤلاءِ الأَوْلادِ وَرِزْقَكُمْ وَرِزْقَ جَميعِ الخَلْقِ مَكفولٌ مِنَ اللهِ ؛ فَهُوَ الّذي يَرْزُقُهُمْ ويَرْزُقُكُمْ ويَرْزُقُ جَميعَ خَلْقِهِ ، لا تَنْفَدُ خَزائِنُهُ وَلاَ يَمْنَعُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَتْلُ الأَوْلادِ إِثْمٌ كَبيرٌ وَذَنْبٌ عَظيمٌ ، فإنَّ في ذَلِكَ قَتْلاً لِلنَّفْسِ وَتَجاوُزاً لِحدودِ اللهِ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

أيْ ولا تَدْنوا مِنَ الزِّنى ولا تُقاربوهُ وهذا النَّهْيِ أَبْلَغُ مِنْ عِبارةِ : لا تَزْنوا ، لأنَّه يُفيدُ النَّهْيَ عن مُقَدِّماتِ الزِّنى كالخَلْوَةِ والتَبرُّجِ والاخْتلاطِ والنَّظَرِ بِشَهْوةٍ . واللَّمْسُ والغَمْزُ وَنَحْوَها مِنَ الأُمورِ الّتي تَجرُّ إلى الزِّنىَ ، فالنَّهْيُ عَنِ القُرْبِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيَ عَنِ الفِعْلِ .

ثُمَّ عَلَّلَ سُبْحانَهُ هَذا النَّهْيَ بِقَوْلِهِ ﴿إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سَبيلا﴾ أيْ فِعْلاً قَبيحاً وأمْراً مُسْتَنْكراً وَسُلوكاً للطّريقِ السَّيّءِ المُفضي إلى عَذابِ اللهِ تَعالى وَغَضَبِهِ . والزِّنى يُؤَدّي إلى اخْتِلاطِ الأَنْسابِ وَفَسادِ المُجْتَمَعِ وانْتِشارِ الأَمْراضِ الخَبيثَةِ النّاتِجَةِ عَنْ هذا الفِعْلِ القَبيحِ .

وكانَ النَّهْيُ عَنْ هَذا الفِعْلِ السَّيْءِ بالنَّهْيِ عَنْ قُرْبانِهِ ، لأَنَّهُ مِنَ الأَفْعالِ الَّتي تَميلُ إليْها النُّفوسُ ، وتَدْفَعُ نَحْوَها الأَهواءُ ، وتَجُرُّ إليْها الشَّهْوَةُ ، فَلَزِمَ النَّهْيُ عَنِ القُرْبِ مِنَ الزِّنى المُتَضَمِّنِ النَهْيَ عَنْ فِعْلِهِ مِنْ بابِ أَوْلى .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

أيْ : وَلا تَعْتَدوا بالقَتْلِ على النَّفْسِ الإنسانِيَّةِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَها ، ما لَمْ تَرْتَكِبْ جُرْماً يَسْتَوْجِبُ قَتْلَها شَرْعاً كالرِّدَّةِ أَوِ القَتْلِ العَمْدِ ، فإنَّ القَتْلَ مِنْ أَعْظَمِ الجَرائِمِ وأَفْظَعِها .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِوَلِيِّ مَنْ قُتِلَ ظُلْماً بِغَيْرِ حَقٍّ سُلْطَةً على القاتِلِ بالاقْتِصاصِ مِنْهُ ، أَوْ أَخْذِ الدِّيَةِ مِنْهُ ، أَوْ العَفْوِ عَنْهُ والتَّنازُلِ عَنِ الدِّيَةِ ، فَلا يَجوزُ لِلوَلِيِّ أَنْ يَتجاوزَ ذَلِكَ الحَقَّ فَيَقْتُلَ غَيْرَ القاتِلِ ، أَوْ يَعْتَدِيَ فَيَقْتُلَ أَكْثَرَ مِنْ واحِدٍ بواحِدٍ ، أَوْ يُقْدِمَ على الاقْتِصاصِ مِنْ القاتِلِ بِنَفْسِهِ أَوْ أَنْ يُمَثِّلَ بِهِ ، فإنَّ إنْزالَ القِصاصِ بالقاتِلِ ، لا يُقيمُهُ إلاّ الحاكِمُ أَوْ مَنْ يَنوبُ عَنْهُ ، وحَسْبُ الوَلِيِّ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَرَهُ على خَصْمِهِ فَلْيَكُنْ عادِلاً في قِصاصِهِ ، والوَلِيُّ هُوَ مَنْ لَهُ حَقُّ المُطالَبَةِ بِدَمِ المَقْتولِ مِمَّنْ يَرِثُهُ كأبيهِ وابْنِهِ وأَخيهِ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فالحاكِمُ وَلِيُّهُ .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تَعالى عَنْ إِتْلافِ النُّفوسِ بالقَتْلِ ، أَتْبَعَهُ بالنَّهْيِ عَنْ إِتْلافِ الأَمْوالِ ، فإنَّها أَعَزُّ الأَشْياءِ بَعْدَ النُّفوسِ ، وأَوْلى الأَمْوالِ بالاعْتِناءِ والحِفْظِ مالُ اليَتيمِ لِصِغَرِهِ ، وضَعْفِهِ ، فَنَهى سُبْحانَهُ الأَوْصِياءَ عَنِ القُرْبِ مِنْ مالِ اليَتيمِ ، وفي ذَلِكَ مُبالَغَةٌ في النَهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُ ، إلاّ أَنْ يَكونَ التَّصَرُّفُ بِمالِ اليَتيمِ بالطَّريقَةِ الّتي هِيَ أَحْسَنُ ، كأَنْ يَعْمَلَ على إنْمائِهِ وتَكْثيرِهِ ويأْكُلَ مَعَهُ إذا احْتاجَ ، ويَأْخُذَ مِنْهِ شَيْئاً إنْ كانَ فَقيراً . ويَسْتَمِرُّ الوَصِيُّ بِحِفْظِ مالِ اليَتيمِ حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَيَصيرَ بالِغاً عاقِلاً راشِداً فَيُسَلِّمَهُ أَمْوالَهُ بأَمانَةٍ وَحُسْنِ أداءٍ .

ثُمَّ أَمَرَ سُبْحانَهُ بالوَفاءِ بالعَهْدِ ، وهُوَ كُلُّ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُراعى ويُحْفظَ ، والوَفاءُ بِالعَهْدِ هُوَ القِيامُ بِحَقِّهِ والمُحافَظَةِ عَلَيْهِ وإنْفاذِهِ دُونَ تَخاذُلٍ وَتَباطُؤٍ .

﴿إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْؤولا﴾ أيْ مَطْلوباً الوفاءُ بِهِ والمَحافَظَةُ عَلَيْهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عِبادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٢ـ بِرُّ الوالديْنِ والإحْسانُ إليْهما .

٣ـ إيتاءُ الأقاربِ حَقَّهُمْ وَرِعايَةُ المِسْكينِ وابْنِ السَّبيلِ .

٤ـ القَوْلُ الحَسَنُ عِنْدَما لا يَسْتطيعُ المَرءُ الإعانَةَ على الحاجَةِ .

٥ـ الإنْفاقُ باعْتِدالٍ مِنْ غَيْرِ تَقْتيرٍ ولا إسْرافٍ .

٦ـ اجتنابُ الزِّنا ، وَرِعايَةُ الأوْلادِ ، وَحُرْمَةُ قَتْلِهِمْ خَوْفاً مِنَ الفَقرِ .

٧ـ حُرْمَةُ قَتْلِ النَّفْسِ المَعصومَةِ .

٨ـ الحِفاظُ على أَمْوالِ الأيْتامِ وَحُرْمَةُ أَكْلِها ، والوَفاءُ بالعُهودِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكَريمةُ البَخيلَ ، وَبِماذا شَبَّهَتِ المُسْرِفَ ؟ وما نَتيجَةُ البُخْلِ والإسْرافِ .

٢ـ لماذا لا يُعَدُّ بَسْطُ الرِّزْقِ إكْراماً مِنَ اللهِ لِمَنْ بُسِطَ لَهُ في رِزْقِهِ ؟

٣ـ لماذا كانَ بَعْضُ الجاهِليينَ يَقْتُلونَ أَوْلادَهُمْ ؟

٤ـ لماذا كانَ النَّهْيُ عَنِ الزِّنا بِصيغَةِ (ولا تَقْرَبوا الزِّنا) ؟

٥ـ أـ اذْكُرْ ثلاثاً مِنْ مُقَدِّماتِ الزِّنا .

ب ـ اذْكُرْ ثلاثاً مِنْ مَساوِىءِ الزِّنا .

٦ـ ما المُرادُ بِوَلِيِّ القَتيلِ ؟ وما مَعْنى نَهْيِهِ عَنِ الإسْرافِ في القَتْلِ ؟

٧ـ ما الحالاتُ الَّتي يَجوزُ فيها التَّعامُلُ بِمالِ اليَتيمِ ؟

٨ـ إلى مَتى يَسْتَمِرُّ الوَصِيُّ في حِفْظِ مالِ اليَتيمِ ؟

٩ـ ما مَعْنى العَهْدِ ؟ وما مَعْنى الوَفاءِ بِهِ ؟

١٠ـ متَى تَكونُ النَّفْسُ مَعْصومَةً يَحْرُمُ قَتْلُها ؟

١١ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ يُؤَدِّي البُخْلُ إلى لَوْمِ النَّاسِ لِلْبَخيلِ على هَذا السُّلوكِ المَذْموم .

ب ـ تَضْييقُ الرِّزْقِ لا يَعْني غَضَبَ اللهِ وسَخَطَهُ على مَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ .

ج ـ كانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقْتُلونَ أَوْلادَهُمْ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

د ـ النَّهْيُ عَنِ القُرْبِ مِنَ المُحَرَّماتِ الَّتي قَدْ تَميلُ إلَيْها النُّفوسُ لِلمُبالَغَةِ في التَّحْذيرِ مِنْها .

هـ ـ يُقْتَلُ مَنْ قَتَل غَيْرَهُ عَمْداً دُونَ سَبَبٍ .

و ـ لا يَجوزُ لِوَلِيِّ القَتيلِ أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ القاتِلِ .

ز ـ لا يَجوزُ لِوَلِيِّ القَتيلِ أَنْ يَأْخُذَ ثَأْرَهُ بِيَدِهِ دُونَ إذْنِ الحاكِمِ أَوْ أَمْرِهِ .

ح ـ يَجوزُ لِلْوَصِيِّ الأَكْلُ مَعَ اليَتيمِ مِنْ مالِهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما وَصَفَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ في شَأْنِ الإنْفاقِ كما جاءَ في سورَةِ الفُرْقانِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَرَضَيْنِ خَبيثَيْنِ مُعْدِيَيْنِ انْتَشرا بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ الزِّنى والشُّذوذِ الجِنْسِيِّ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الأَضْرارُ النَّاجِمَةِ عَنِ انْتِشارِ عادَةِ الثَّأْرِ .

٤ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبَيِّنُ صِفاتِ المُنافِقينَ .

* * *

الدرس الثلاثون

سورة الإسراء - القسم السابع

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)﴾

معاني المُفْرَدات :

بالقِسْطاسِ المُسْتَقيم : بالميزانِ العَدْلِ .

تَأْويلا : عاقِبَةً .

لا تَقْفُ : لا تَتَّبِعْ .

مَرَحاً : مُخْتالاً مُتَكَبِّراً .

مَدْحوراً : مُبْعَداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

أَفَأَصْفاكُمْ : هَلْ خَصَّكُمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَتِمَّةُ الوَصايا الحَكيمَةِ الَّتي أَوْصى اللهُ تَعالى بِها عِبادَهُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى عِبادَهُ المُؤْمِنينَ أَنْ يُوفوا الكَيْلَ إذا كالوا لِغَيْرِهِمْ ، وأَنْ يَزِنوا بالميزانِ العادِلِ

لِغَيْرِهِمْ ، فلا يُنْقِصوا مِنَ الكَيْلِ ، ولا يُخْسِروا الميزانَ ، فإنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ يُرَغِّبُ النَّاسَ في التَّعامُلِ مَعَهُمْ ، وأَحْسَنُ عاقِبَةً ومآلاً في الآخِرَةِ لِما يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الأَجْرِ ، والثَّوابِ مِنَ اللهِ تَعالى .

وتَخْصيصُ الأَمْرِ بالوَفاءِ في الكَيْلِ ، والمِيزانِ إذا كانَ لِلْغَيْرِ ، لأَنَّهُ الحالُ الَّذي يَقَعُ فِيهِ التَّطْفيفُ ، بِخلافِ حالِ الاكْتِيالِ على النَّاسِ فلا يَحْصُلُ فيهِ تَطْفيفٌ ، لأنَّ الإنْسانَ حَريصٌ على نَفْسِهِ ولا يَتَهاوَنُ في أَخْذِ حَقِّهِ كامِلاً .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

أيْ : قِفْ عِنْدَ حَدِّ عِلْمِكَ ولا تتكَلَّمْ بما لا تَعْلَمُ ، ولا تَسِرْ وَراءَ الظُّنونِ والشُّبُهاتِ ، واعْلَمْ أَنَّكَ سَتُسْأَلُ يَوْمَ القيامةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ سَماعِ اللَّغْوِ والكَذِبِ والغَيْبَةِ وكَلامِ الزُّورِ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ رُؤْيَةِ المُنْكَراتِ والعَوْراتِ ، وَسَتُسْأَلُ عَنْ مَيْلِ قَلْبِكَ إلى المُحَرَّماتِ والشَّهَواتِ ، وَسَتُسْأَلُ أَعْضاؤُكَ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَقَلْبٍ وَغَيْرِها عَمّا اسْتَعْمَلْتَها فيهِ ، فَتَنْطِقُ بالحَقِّ وتَشْهَدُ لَكَ أَوْ علَيْكَ فَكُنْ على حَذَرٍ واتَّقِ اللهَ فيما تَفْعَلُ وتَتْرُكُ .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

أيْ : ولا تَمْشِ مُخْتالاً مُتَكَبِّراً مُسْرِفاً في فَرَحِكَ ، مُتَعالِياً بِقُوَّتِك أَوْ جاهِكَ أو مالِكَ أَوْ مَنْصِبِكَ ، وَكَيْفَ تَتَكَبَّرُ أَيُّها الإنْسانُ في الأَرْضِ وأَنْتَ لا تَقْدِرُ أَنْ تَنْقُبَها مِنْ شِدةِ وَطْئِك عَلَيْها بِقَدَمَيْكَ ؟ وكَيْفَ تَتطاوَلُ على النَّاسِ وأَنْتَ لا تَبْلُغُ مَدى الجِبالِ في الارْتِفاعِ مَهْما تَعالَيْتَ ؟ فأَنْتَ مَخلوقٌ ضَعيفٌ لا يَليقُ بِكَ التَكَبُّرُ ، فَتَواضَعْ في مَشْيِكَ وفي تَعامُلِكَ مَعَ غَيْرِكَ .

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أيْ : كُلُّ تِلْكَ الأَفْعالِ الّتي نَهى اللهُ تَعالى عَنْ عَمَلِها مَكْروهٌ عِنْدَ اللهِ فاجْتَنِبْها لِتَنالَ رِضى اللهِ .

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ .

الإشارةُ بـ (ذَلِكَ) إلى ما ذُكِرَ في هَذهِ الآياتِ مِنْ أَوامِرَ ونَواهٍ ، أَيْ : ذَلِكَ الَّذي أَمَرْناكَ بِهِ وَنَهَيْناكَ عَنْهُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ ، بَعْضُ ما أَوْحاهُ اللهُ إِلَيْكَ مِنْ كَلامِهِ المُحْكَمِ ، وَشَرْعِهِ السَّوِيِّ ، فَتَمَسَّكْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ واعْمَلْ بِما فيهِ مِنْ أَمْرٍ ، وَكُفَّ عَمَّا فيهِ مِنْ نَهْيٍ .

ثُمَّ نَهى سُبْحانَهُ عَنِ الشِّرْكِ بِهِ وبَيَّنَ أَنَّ جَزاءَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ أَنْ يُلْقَى في جَهَنَّمَ مَلوماً مِنْ نَفْسِهِ وَمِنَ الآخَرينَ ، وَمُبْعَداً مَطْروداً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى ، فَكانَ أَوَّلُ هذهِ الآياتِ وآخِرُها في النَّهْيِ

عَنِ الشِّرْكِ ، لِتَأْكِيدِ التَّوْحيدِ وتَقْريرِهِ ، وَلِلتَّنْبيهِ ، على أَنَّهُ مَبدأُ الأَمْرِ ومُنْتَهاهُ ، وَقَدْ خُتِمَتِ الآيَةُ الأُولى بِبَيانِ حالِ الشِّرْكِ في الحياةِ الدُّنْيا ، وخُتِمَتِ الآيَةُ الأُخْرى بِبَيانِ حالِهِ في الحَياةِ الآخِرَةِ .

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ نَهى اللهُ تَعالى عَنِ الشِّرْكِ ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بالذَّمِّ والتَّسْفيهِ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ زَعَموا أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ ، فقالَ لَهُمْ : هَلْ خَصَّكُمْ رَبُّكُمْ بالبنينِ وَهُمْ أَفْضَلُ الأولادِ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِكُمْ ، واخْتارَ لِذاتِهِ مِنَ الملائِكَةِ بناتٍ لَهُ ، وهُنَّ الصِّنْفُ الأَدْنى والأَقَلُّ شَأْناً مِنَ الأَوْلادِ كما تَزْعُمونَ ؟ فَكَيْفَ تَنْسُبونَ إِلَيْهِ الجِنْسَ الَّذي تَكْرَهونَهُ ، وتُفَضِّلونَ أَنْفُسَكُمْ عَلَيْهِ باخْتِيارِكُمُ البَنينَ ؟ إِنَّكُمْ بافْتِرائِكُمْ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللهِ تَقولونَ على اللهِ قَوْلاً مُنْكراً ، عَظيماً في الإِثْمِ ، فإِنَّهُ سُبْحانَهُ واحِدٌ أَحَدٌ لا والِدَ لَهُ ، ولا وَلَدَ ، تَعالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبيراً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ للالْتِزامِ بِأَمْرِ اللهِ تَعالى مَنافِعُ دُنيويَّةٌ زِيادَةً على الأَجْرِ العَظيمِ عِنْدَ اللهِ .

٢ـ وُجوبُ مُراعاةِ إيفاءِ الكَيْلِ والعَدْلِ في الوَزْنِ ، وحُرْمَةُ التَّطْفيفِ فيهِما .

٣ـ حُرْمَةُ القَوْلِ أَوِ العَمَلِ دُونَ عِلْمٍ .

٤ـ حُرْمَةُ التَكبُّرِ والاخْتِيالِ في المَشْيِ .

٥ـ مُناقَشَةُ المُشْرِكينَ في عَقيدَتِهِمُ الفاسِدَةِ ، وإثباتُ بُطلانِها وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ الوَفاءِ بالكَيْلِ والعَدْلِ في المِيزانِ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ النَّهْيِ عَنِ اتِّباعِ ما لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ ؟

٣ـ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تُسأَلُ الأَعْضاءُ يَوْمَ القيامَةِ ؟ وكَيْفَ تُجيبُ ؟

٤ـ ما وَجْهُ تَذْكيرِ المُتَكَبِّرِ بأَنَّهُ لَنْ يَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ يَبْلُغَ الجبالَ طُولاً .

٥ـ بماذا وَصفَ اللهُ سُبْحانَهُ ما في هذِهِ الآياتِ الكَريمَةِ مِنْ وَصايا ؟

٦ـ ما سَبَبُ إعادَةِ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ في آخِرِ هَذهِ الآياتِ ؟

٧ـ كَيْفَ أَبْطَلَ سُبْحانَهُ زَعْمَ المُشْرِكينَ أَنَّ المَلائِكَةَ بناتُ اللهِ ؟

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ »[1] .

نَشاطٌ :

١ـ بَيَّنَتْ سُورَةُ المُطَفِّفينَ صُورَةَ التَّطْفيفِ في الكَيْلِ والمِيزانِ ، اقْرَأَ الآياتِ الَّتي بَيَّنَتْ ذَلِكَ واكْتُبْ كَيْفَ يَكونَ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقرأ الآيَةَ مِنْ سورَةِ يس ، الّتي تُخْبِرُ أَنَّ الأَيْدي والأَرْجُلَ تَشْهَدُ على صاحِبِها يَوْمَ القِيامَةِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، رقم الحديث ٥٤٥٢ . ورواه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، ومعنى : مرجل جمته : مسرح رأسه ، والجمة الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين .

يتجلجل : يغوص في الأرض .

الدَّرسُ الحادي والثلاثونَ

سورةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثّامِنُ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

صَرَّفْنا : بيَّنَّا بِصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ .

لِيَذكَّروا : لِيَتَّعِظوا .

نُفورا : إعْراضاً .

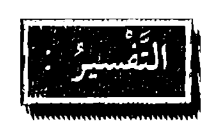
لابْتَغوْا : لَطَلَبوا .

لا تَفْقَهونَ : لا تَفْهَمونَ .

حِجاباً مَسْتوراً : ساتِراً مَعنوياً غَيْرَ مُشاهَدٍ .

أَكِنّةً : أغْطِيَةً .

وَقْراً : صَمَماً .



التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ إقامَةُ الدَّليلِ الواضِحِ على إبْطالِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ ، والإخْبارُ عَنْ تَسبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تَعالى ، وأنَّ المُشْرِكينَ لا يَنْتَفِعون مِنْ تِلاوَةِ القُرْآنِ الكريمِ لِقَساوَةِ قُلوبِهِمْ .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ بَيَّنّا وأكَّدْنا العِبَرَ والعِظاتِ والأحْكامَ في هَذا القُرْآنِ بِأساليبَ مُتَنَوِّعَةٍ وصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لِيَتَذَكَّرَ هؤلاءِ المُشْرِكونَ ويَتَّعِظوا ويَعْتَبروا ، فَيَهْتَدوا إلى الحَقِّ ويُؤْمِنوا باللهِ رَبِّهِمْ ، وَلَكِنَّ هَؤلاءِ الضَّالينَ المُكَذِّبينَ لا يُريدونَ هِدايَةً ولا رَشاداً ، فإنَّهُمْ مَعَ تَكْرارِ التَذْكيرِ وَتَأْكيدِ الدَّعْوَةِ إلى الخَيْرِ لا يَزْدادونَ إلاَّ بُعْداً عَنِ الحَقِّ وإصْراراً على الباطِلِ وإعْراضاً عَنِ التَدَبُّرِ والانْتِفاعِ بما في القُرْآنِ الكريمِ .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

قُلْ يا أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِهؤلاءِ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَزْعُمونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرى مِنَ الأَصْنامِ وَغَيْرِها : لَوْ صَحَّ ما تَزْعمونَهُ وَتَفْتَرونَهُ مِنْ وُجودِ آلِهَةٍ مَعَ اللهِ لَطَلَبَ هؤلاءِ الآلِهَةُ بِكُلِّ جُهْدِهِمْ وقُوَّتِهِمْ أَنْ يَسْلُكوا طَريقاً إلى اللهِ ذي السُّلْطانِ ، لِيُشارِكُوهُ الأَمْرَ وَيُنازِعُوهُ في مُلْكِهِ وَيَتَقاسَموهُ مَعَهُ ، كَما هُوَ شَأْنُ الشُّرَكاءِ ، وَعادَةِ الحُكَّامِ فيما بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لأَنَّ هذهِ الآلِهَةَ الَّتي تَزْعُمونَها عاجِزَةٌ لا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِها شَيْئاً فَضْلاً عَنْ أَنْ تَمْلِكَ أَمْرَ غَيْرِها .

وَمِثْلُ هذهِ الآيةِ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

تَنَزَّهَ اللهُ سُبْحانَهُ وَتعالى عُلُوّاً كَبيراً عمَّا يَقولُهُ المُشْرِكونَ في شَأْنِهِ مِنْ نِسْبَةِ الشَّريكِ والوَلَدِ لَهُ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ هُوَ الواحِدُ الأَحَدُ ، لا شَريكَ لَهُ ولا وَلَدَ .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

أيْ : تُنَزِّهُ اللهَ تَعالى وَتُقَدِّسُهُ وَتُمَجِّدُهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ مَخلوقاتٍ كَثيرةٍ مُتَنوِّعَةٍ ، والأَرْضُ وَمَنْ فيها مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَجَماداتٍ ونَباتاتٍ وَحيواناتٍ وغَيْرِها مِمَّا نَعْلَمُهُ ولا نَعْلَمُهُ ، فَكُلُّ

المَخْلوقاتِ تُسَبِّحُ اللهَ تَعالى وتُنَزِّهُهُ وتَحْمَدُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ أَيُّها البَشَرُ لا تَفْهمونَ تَسْبيحَهُمْ ، فإنَّهُ بِهَيْئَةٍ وَطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَعْلومَةٍ لَكُمْ ، وَبِلُغَةٍ تَخْتَلِفُ عَنْ لُغَتِكُمْ ، وَلَيْسَتْ في مُسْتوى إِدْراكِكُمْ .

وفي هذا الإخبارِ عَنْ تَسْبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تَعالى ، تَنْبيهٌ لِلْبَشَرِ أَنْ يُداوِموا على التَّسْبيحِ والحَمْدِ وطاعَةِ اللهِ تَعالى حَتَّى لا يَكونَ الإِنْسانُ الَّذي كَرَّمَهُ اللهُ وفَضَّلَهُ أَقَلَّ مِنْ غَيْرِهِ في طاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ وتَسْبيحِهِ وتَمْجيدِهِ ، وَلِذا كانَ خَتْمُ الآيَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿إنَّهُ كانَ حَليماً غَفوراً﴾ لِحَثِّ البَشَرِ على المُبادَرَةِ إلى التَّسْبيحِ والطَّاعَةِ ، فاللهُ حَليمٌ بِهِمْ ، لا يُعاجِلُ مُسيئَهُمْ بالعِقابِ بَلْ يُمْهِلُهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ ويَنْزَجِرُ ، وغَفورٌ لِمَنْ تابَ مِنْهُمْ وآمَنَ وانْتَظَمَ في سِلْكِ المُسَبِّحينَ الحامِدينَ للهِ رَبِّ العالَمينَ .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعالىٰ رَسولَهُ ﷺ أَنَّهُ إذا قَرَأَ القُرْآنَ على المُشْرِكينَ لِيَدْعوهُمْ بِهِ إلى اللهِ تَعالى لِيُؤْمِنوا بِهِ ويَعْبُدوهُ وَحْدَهُ ، جَعَلَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ حاجِزاً يَحولُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ فَهْمِ القُرْآنِ وإِدْراكِ ما فيهِ مِنَ الهِدايَةِ ، عُقوبَةً مِنَ اللهِ تَعالى لَهُمْ على كُفْرِهِمْ ، فَهُمْ يَسْمَعونَ الآياتِ وَلكِنَّهُم لا يَتَدبَّرونَ مَعناها ولا يَتأَثَّرونَ بِها ولا يَنْتَفِعونَ مِنْها .

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وَجَعَلْنا على قُلوبِ هَؤلاءِ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ أَغْطِيَةً تَسْتُرُها عَنْ فَهْمِ القُرْآنِ ، وجَعَلْنا في آذانِهِمْ صَمَماً يَمْنَعُهُمْ مِنْ سَماعِهِ والانْتِفاعِ بِهِ ، وإذا سَمِعَكَ هؤلاءِ المُشْركونَ تَقْرأُ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ وَتَدْعو إلى تَوْحيدِ اللهِ وَذَمِّ آلِهَتِهِمْ وأَصْنامِهِمْ ، انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وَرَجَعوا على أَعْقابِهِمْ مُعْرِضينَ عَنْ سَماعِ كلامِ اللهِ الدَّاعِي إلى تَوْحيدِهِ وتَمْجيدِهِ ، فَهُمْ يَسْمَعونَ الآياتِ ولَكنَّهُمْ لا يَنْتَفِعونَ فِيها ، ولا يَتَدبَّرونَ مَعْناها فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعوا شَيْئاً .

وإِسْنادُ الفِعْلِ إلى اللهِ تَعالى في قَوْلِهِ (جَعَلْنا) لِلدَّلالَةِ على أَنَّهُ أَمْرٌ ثابِتٌ فيهِمْ لا يَزولُ عَنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِيَّةُ التَّنْويعِ في أُسْلوبِ الدَّعْوَةِ لَعَلَّ في بَعْضِها مِنَ التَّأْثيرِ ما لا يُوجَدُ في غَيْرِها .

٢ـ جَوازُ الاسْتِدلالِ بالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ لإِحْقاقِ الحَقِّ وإِثْباتِهِ .

٣ـ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ تُسَبِّحُ اللهَ وتَحْمَدُهُ بِكَيْفِيَّةٍ غَيْرِ مَعْلومَةٍ لِلْبَشَرِ .

٤ـ الإنسانُ أَوْلى مِنْ غَيْرِهِ بالتَّسْبيحِ والتَّحْميدِ فَهُوَ المَخْلوقُ المُفَضَّلُ بالعَقْلِ على سائِرِ المَخلوقاتِ .

٥ـ كَمْ مِنْ سامِعٍ لِلْقُرآنِ غَيْرُ مُنْتَفِعٍ بِهِ ولا عامِلٍ بما فيهِ .

٦ـ وُجوبُ تَدبُّرِ مَعاني الآياتِ والإنْصاتِ لَها والعَمَلِ بِمُقْتَضاها لِئَلاّ يَكونَ المَرْءُ شَبيهاً بالمُشْرِكينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ تَصْريفِ الآياتِ وتَنْويعِ أُسْلوبِ التَّذْكيرِ في القُرآنِ الكَريمِ ؟

٢ـ كَيْفَ أَبْطَلَتِ الآيةُ الكَريمَةُ اعْتِقادَ المُشْرِكينَ وُجودَ آلِهَةٍ مَعَ اللهِ ؟

٣ـ ماذا يَسْتَفيدُ المَرءُ العاقِلُ مِنْ إعْلامِهِ بِتَسْبيحِ كُلِّ شَيْءٍ للهِ تَعالى ؟

٤ـ هل يُمْكِنُ للإنْسانِ مَعْرِفَةُ كَيْفيةِ تَسْبيحِ المَخْلوقاتِ الأُخْرَى ؟

٥ـ ما وَجْهُ خَتْمِ آيةِ الإخْبارِ عَنْ تَسْبيحِ المَخْلوقاتِ للهِ تَعالى بِقَوْلِهِ : ﴿إنَّهُ كانَ حَليماً غَفورا﴾ ؟

٦ـ ما مَعْنى : ﴿حِجاباً مَسْتورا﴾ ؟

٧ـ بَيِّنْ حالَ المُشْرِكينَ عِنْدَ اسْتِماعِهِمْ لِتِلاوَةِ القُرْآنِ الكَريمِ كَما بَيَّنَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ تُشيرُ إلى التَّصْريفِ لِلنَّاسِ في القُرْآنِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حديثاً يَذْكُرُ تَسْبيحَ الحَصى بَيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ الآياتِ الَّتي بَيَّنَتْ كَيْفَ كانَ قَوْمُهُ يَسْتَقْبِلونَ دَعْوَتَهُ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَجْوى : يَتحدَّثونَ سِرّاً .

رُفاتاً : حُطاماً ، فُتاتاً .

يَكْبُرُ : يَعْظُمُ .

فَطَرَكُمْ : خَلَقَكُمْ على غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ .

فَسَيُنْغِضونَ : يُحَرِّكونَ رُؤوسَهُمْ تَعَجُّباً .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ كَشْفُ أَسْرارِ المُشْرِكينَ الَّتي كانوا يَتَناجَوْنَ بِها ، والرَّدُّ عَلَيْهِم في إنْكارِهِمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ .

هذا إخْبارٌ بإحاطَةِ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ شَيْءٍ ، ومِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بحالِ المُشْرِكينَ وَهُمْ يَسْتَمِعونَ لِقراءَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ القُرآنَ فَتراهُمْ يَسْخَرونَ مِنْها وَيَسْتَهْزِئونَ بها وَيَلْغَوْنَ في أثنائِها ، وَعِلْمُهُ بحالِ المُشْرِكينَ وَهُمْ يَتَناجَوْنَ فيما بَيْنَهُمْ وَيُوصي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِعَدمِ اتِّباعِ رَسولِ اللهِ ﷺ فيما يَدْعوهُمْ إلَيْهِ ، واتِّهامِهِ بأَنَّهُ رَجُلٌ أَصابَهُ السِّحْرُ ، فَأَخْرَجَهُ عَنْ وَعْيِهِ وَصَوابِهِ .

والمَقْصودُ مِنْ كَشْفِ حالِ المُشْرِكينَ ، تَهديدُهُمْ ، وإِنْذارُهُمْ وتَسْلِيَةُ الرَّسولِ ﷺ .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ .

أيْ : انْظُرْ وتأَمَّلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مُتَعَجِّباً مِنْ سَفاهَتِهِمْ كَيْفَ تَطاوَلوا عَلَيْكَ وَزَعموا أنَّكَ مَسْحورٌ ، ووصَفوكَ مِنْ قَبْلُ بالجنونِ والكَهانَةِ وزَعموا أنَّكَ شاعِرٌ وَساحِرٌ ، فَضلّوا بِكَلامِهِمْ عَنِ الحَقِّ ، وتَحَيَّروا في أَمْرِهِمْ مَعَكَ ، ولَمْ يَهْتَدوا إلى طريقٍ يَنالُ مِنْكَ أَوْ يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْكَ .

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ إخْبارٌ عَنْ ضَلالٍ آخَرَ مِنْ ضلالاتِ المُشْرِكينَ وَهُوَ اسْتِبْعادُهُمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، فَقالوا مُنْكِرينَ ذَلِكَ الأَمْرَ غايَةَ الإنْكارِ : أئِذا مِتْنا وَصِرْنا عِظاماً باليةً ، وَحُطاماً مُفَتَّتاً أَنُبْعَثُ مِنْ قُبورِنا ، ونُخْلَقُ خَلْقاً جديداً ، فَرَدَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ بما يُؤَكِّدُ حُصولَ البَعْثِ :

﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أيْ قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِهؤلاءِ المُنْكِرينَ لِلْبَعْثِ : كُونوا إنْ اسْتَطَعْتُمْ حِجارةً كالَّتي تَعْبُدونَها مِنْ دونِ اللهِ أَوْ حديداً كالَّذي تَسْتَعْمِلونَهُ في شُؤونِ حياتِكُمْ .

﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ .

أَوْ كونوا خَلْقاً آخَرَ سِوى الحِجارَةِ والحَديدِ مِمَّا يَعْظُمُ وَيُسْتَبْعَدُ في ظَنِّكُمْ قَبولُهُ لِلْحَياةِ ، فإنَّ اللهَ لا يُعْجِزُهُ أَنْ يُعيدَكُمْ إلى الحياةِ مَرَّةً أُخْرى ، ويُحاسِبَكُمْ على أعْمالِكُمْ ويُجازيكُمْ عَلَيْها بما تَسْتَحِقّونَ .

فالمَقْصودُ مِنَ الجُمْلَةِ الكريمَةِ بَيانُ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ تَعالى لا يُعْجِزُها شَيْءٌ وأَنَّهُ سُبْحانَهُ قادرٌ على البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ مَهْما تَطاولَ الزَّمَنُ ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ أيْ فَسيقولُ لَكَ المُشْرِكونَ في اسْتِغْرابٍ واسْتِبْعادٍ : مَنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يُعيدَنا إلى الحَياةِ بَعْدَ أَنْ نَكونَ عِظاماً وحُطاماً أَوْ حِجارةً أَوْ

حديداً ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فقُلْ لَهُمْ أيّها الرّسولُ الكَريمُ : إنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ على غَيْرِ مِثالٍ سابقٍ قادرٌ على أنْ يُعيدَكُمْ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرى .

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ حينما يَسْمَعُ المُشْرِكونَ هذا الجَوابَ سَيُحَرِّكونَ رُؤوسَهُمْ مُسْتَنْكِرينَ وَمُسْتَغْرِبينَ ، قائِلينَ في دَهْشَةٍ وتَكْذيبٍ : مَتى يَكونُ ذَلِكَ اليومُ الَّذي نَعودُ فيهِ إلى الحَياةِ . ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فقُلْ لَهُمْ : سَيَكونُ هذا البَعْثُ قَريباً ، فإنَّ كُلَّ آتٍ قَريبٌ .

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ .

أيْ سَتُبْعَثونَ يَوْمَ يَدْعوكُمُ الدّاعِي إلى القِيامِ مِنَ القُبورِ فَتُلَبُّونَ نِداءَهُ بِسُرْعَةٍ وانْقِيادٍ وأَنْتُمْ تَحْمَدونَ اللهَ تَعالى على كمالِ قُدْرَتِهِ ، ناسِينَ ما كُنْتُمْ تَزْعُمونَهُ في الدُّنْيا مِنْ إنْكارِ البَعْثِ والنُّشورِ ، وتَحْسَبونَ أنَّكُمْ ما لَبِثْتُمْ في الأَرْضِ وفي القُبورِ إلاَّ زَمَناً قَليلاً لِهَوْلِ ما تَرَوْنَ مِنْ أحداثِ يَوْمِ القِيامَةِ .

والمُرادُ بالدَّعْوَةِ : النَّفْخَةُ الثّانِيَةُ في الصُّورِ ، كَما جاءَ في آياتٍ أُخْرَى ، مِنْها قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر : ٦٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إحاطَةُ عِلْمِ اللهِ تَعالى بِكُلِّ شَيْءٍ ، فلا تَخْفى عَلَيْهِ دَسائِسُ أَعْداءِ هذا الدِّينِ ومَكْرُهُمْ بِهِ وَكَيْدُهُمْ .

٢ـ عَدَمُ قُدْرَةِ المُشْرِكينَ على هَدْمِ هذا الدِّينِ والقَضاءِ عَلَيْهِ .

٣ـ تَبيينُ ما كانَ عَلَيْهِ المُشْرِكونَ مِنَ اسْتِبْعادِ البَعْثِ واسْتِنْكارِهِ .

٤ـ جَوازُ مُجاراةِ الخَصْمِ وافْتِراضِ مُسْتَحيلاتٍ مَعَهُ لإقْناعِهِ ومُحاوَرَتِهِ .

٥ـ المُحاوَرَةَ بالأُسلوبِ الهادِىءِ المُقْنِعِ .

٦ـ الأَهوالُ والأَحْداثُ العَظيمَةُ تُنْسي المَرْءَ ما قَبْلَها مِنْ سُرورٍ وَرَغَدِ حياةٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا كانَ المُشْرِكونَ يَفْعلونَ في أثْناءِ سَماعِهِمُ الآياتِ ؟ وماذا كانوا يَفْعَلُون بَعْدَ ذَلِك ؟

٢ـ لماذا اخْتَلَفَتْ أقوالُ المُشْركينَ في الرَّسول ﷺ ؟

٣ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ على المُشْرِكينَ في اسْتِبْعادِهِمُ البَعْثَ ؟

٤ـ لماذا يَحْسَبُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ أَنَّهمْ لَمْ يَعيشوا إلاَّ زَمناً قَليلاً ؟

٥ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعوَن بِهِ إذْ يَسْتَمِعوَنَ إليْكَ .

ب ـ انْظُرْ كَيْفَ ضَربوا لَكَ الأَمْثالَ فَضَلّوا .

ج ـ فلا يَسْتَطيعون سَبيلاً .

د ـ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ في صُدورِكُمْ .

هـ ـ فَسَيُنْغِضونَ إليْكَ رُؤوسَهُمْ .

و ـ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ .

ز ـ فَتَسْتَجيبونَ بِحَمْدِهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورَةِ يس الدَّالَّةَ على مَقولَةِ الكافِرينَ واسْتِغْرابِهِمْ أَمْرَ البَعْثِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ العاشِرُ

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَنْزَغُ بَيْنَهُم : يُفْسِدُ بَيْنَهُمْ .

وَكيلا : مُوَكَّلاً إليْكَ أَمْرُهُمْ .

زَبورا : كِتابا .

تَحْويلا : نَقْلَهُ إلى غَيْرِكُمْ .

الوَسيلَةَ : القُرْبَةَ بالطَّاعَةِ .

مَحْذوراً : جَديراً أنْ يُحْذَرَ .

مَسْطوراً : مَكْتوباً .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَوْجيهٌ لِلْمُسْلِمِ كَيْ يَحْذَرَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، وَإخْبارٌ بِشُمولِ عِلْمِ اللهِ

تَعالى ، وتَحْذيرُ المُشْركينَ مِنَ الهَلاكِ والتَّعْذيبِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾

أيْ : قُلْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُؤْمِنينَ الَّذين تَشرَّفوا بالانْتِسابِ إليَّ ، أنَّ يَقولوا فيما بَيْنَهُمْ وفي تَعامُلِهِمْ مَعَ غَيْرِهِمُ الكَلِمَةَ الحَسَنَةَ الطَيِّبَةَ ، وأنْ يَدعو إلى اللهِ بالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وأنْ يُقابلوا الإساءَةَ بالإحْسانِ ، فَيُبْطِلوا بذَلِكَ كَيْدَ الشَّيْطانِ الَّذي يُفْسِدُ بَيْنَ النَّاسِ وَيُثيرُ بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضاءَ وَيَبُثُّ بَيْنَهُمُ الأحْقادَ ، ويُغريهِمْ بِالكُفْرِ والآثامِ وَيُزَيِّنُ القَبيحَ ويَدْفَعُ إليْهِ ، ويُقَبِّحُ الحَسَنَ وَيُنَفِّرُ مِنْهُ ، فَهُوَ عَدوٌّ ظاهِرُ العَداوَةِ لِلإنْسانِ ، وَلِذا يَنْبَغي الحَذَرُ مِنْهُ واللُّجوءُ إلى اللهِ تَعالى لِدَفْعِ شرِّهِ وَرَدِّ كَيْدِهِ بالاسْتِعاذَةِ مِنْهُ .

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) ﴾

يُخْبِرُ سُبحانَهُ عِبادَهُ جَميعاً أنَّهُ أعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِم ، وأنَّهُ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ مِنْهُم ، أيْ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْهُم ، وَهُمُ المُهْتَدونَ الطَّائِعونَ ، والمُلْتَزِمونَ بِأَمْرِهِ في الحَذَرِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ، أيْ مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ وَهُمُ المُشْرِكونَ ، والمُسْتَجيبونَ لِنَزْغِ الشَّيْطانِ وإضْلالِهِ ، وإنَّ مُهِمَّتَكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ هِيَ التَّبْليغُ والدَّعْوَةُ إلى الإسْلامِ ، وَلَمْ يُوكَلْ إلَيْكَ أَمْرُ النَّاسِ في إجْبارِهِمْ وإكْراهِهِمْ على الدُّخولِ في الإسْلامِ .

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (٥٥) ﴾

ولا يَقْتَصِرُ عِلْمُ اللهِ تَعالى على البَشَرِ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ في السَّماواتِ والأَرْضِ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ فِيهِما ولا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأَرْضِ ، ولا أصْغَرُ مِنْها ولا أَكْبَرُ .

وَيَعْلَمُ الطَّائِعينَ مِنْ عبادِهِ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ الاصْطِفاءَ والاخْتيارَ ، فَيَخْتارُ مَنْ يَشاءُ مِنْهُم لِلنُّبوَّةِ ، وَهُمْ صَفْوَةُ البَشَرِ وَخيرَةُ الخَلْقِ ، وَهُمْ مُتفاوِتونَ فيما بَيْنَهُمْ ، فَقَدْ فَضَّلَ سُبْحانَهُ بَعْضَ النَّبِيِّينَ على بَعْضٍ ، فَمِنْهُمُ الكَليمُ ، والخَليلُ ، والمُؤَيَّدُ بِروحِ القُدُسِ .

﴿وآتَيْنا داودَ زَبورا﴾ أيْ وَفَضَّلْنا داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بإنْزالِ كِتابٍ عَلَيْهِ . وَوَجْهُ تَخْصيصِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ التَّنبيهُ إلى أنَّ فَضْلَهُ ومَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ تَكُنْ بِسببِ كَوْنِهِ مَلِكاً ، إنَّما كانَ ذَلِكَ بالنُّبوَّةِ وإنْزالِ الزَّبورِ عَلَيْهِ ، فالكُتُبُ المُنْزَلَةُ على الأَنْبياءِ شَهادَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى بِفَضْلِهِمْ .

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبدونَ غَيْرَ اللهِ ، ويَدَّعونَ كَذِباً أنَّها آلِهَةٌ ، قُلْ لَهُمْ على سَبيلِ التَّحَدِّي : اطْلبوا مِنْ آلِهَتِكُمْ الّتي تَعْبُدونَها أَنْ تَدْفَعَ عَنْكُم ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنْ ضُرٍّ كالمَرَضِ والقَحْطِ والفَقْرِ ، أَوْ أنْ تَنْقُلَهُ عَنْكُم إلى غَيْرِكُمْ فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ ، وَهِيَ لا تَسْتَطيعُ ، فاتْرُكوا عِبادَتَها ، وأَخْلِصوا العِبادَةَ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلى دَفْعِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَجَلْبِ الخَيْرِ لَكُمْ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحانَهُ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

سَببُ النُّزولِ : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ نَفَرٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبدونَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الجِنِّ ، واسْتَمْسَكَ الإنْسُ بِعبادَتِهِمْ ، فَنَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ[1] .

هذهِ الآيَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ بَعْضَ المَعبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ قَدْ يَكونونَ مِنَ المُؤْمِنينَ باللهِ ، كَهؤلاءِ النَّفَرِ مِنَ الجِنِّ ، وَعيسى بنِ مَرْيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وعُزَيْرٍ ، والملائكةِ ، وأنَّ هَؤلاءِ عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ دُونَ عِلْمِهِمْ أَوْ دُونَ رِضاهُمْ ، وأَنَّهُمْ يَتَقرَّبونَ إلى رَبِّهِمْ وخالِقِهِمْ بالطَّاعاتِ ، ويَتَنافَسونَ في التَقرُّبِ إلَيْهِ ، ويَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ويَخافَونَ مِنْ عذابِهِ ، وإنَّ عذابَ اللهِ لَجديرٌ أَنْ يُحْذَرَ مِنْهُ لِعَظَمَتِهِ وشِدَّتِهِ فإذا كانَ هؤلاءِ المُعْبودونَ يَطْلبونَ التَقرُّبَ مِنَ اللهِ ويَتَوسَّلونَ إليْهِ بالطَّاعَةِ والعِبادَةِ فَكَيْفَ تَعبدونَهُمْ ؟ وتَتْرُكونَ عِبادَةَ اللهِ ؟

وفي الآيةِ التّاليةِ تَهْديدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ إنِ اسْتَمَرّوا على كُفْرِهِمْ وَعِبادَةِ غَيْرِ اللهِ تَعالى فإنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى إهْلاكُ المُكَذِّبينَ .

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

أيْ : ما مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرى الكُفّارِ الظّالِمينَ إلاّ سَيُهْلِكُ اللهُ أَهْلَها بأنْ يُبيدَهُمْ جَميعاً كما حَصَلَ مَعَ قَوْمِ نُوحٍ وهُودٍ وصالِحٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ عَذاباً شَديداً دونَ الإهْلاكِ وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وخَطاياهُمْ ، وهذا الإهْلاكُ أَو التَّعذيبُ أَمْرٌ ثابتٌ مَكْتوبٌ في اللَّوحِ المَحْفوظِ .

وتَقْييدُ الإهْلاكِ بأنَّهُ (قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ) لأنَّ الإهْلاكَ يوْمَ القِيامةِ يَشْمَلُ جَميعَ القُرى ، وتَخْصيصُ الإهْلاكِ بِقُرَى الكُفَّارِ والظَّالِمينَ مَأْخوذٌ مِنْ آياتٍ أُخْرى كَقَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ

---

(١) رواه مسلم في كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون . . .﴾ رقم الحديث ٧٤٧١ .

يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [القصص : ٥٩] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أهميَّةُ الْتِزامِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَمُقابَلَةِ الإساءَةِ بالإحْسانِ .

٢ـ التَّحْذيرُ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وكَيْدِهِ ، وَعَدَمُ الوُقوعِ في إغْراءاتِهِ وَحَبائِلِه .

٣ـ البُعْدُ عَنْ رَمْيِ المُؤْمِنينَ بِما يُؤَجِّجُ نارَ الفِتَنِ والأَحْقادِ فيما بَيْنَهُمْ والانْشغالُ عَنْ ذَلِكَ بالدَّعْوَةِ .

٤ـ عِلْمُ اللهِ تَعالى شاملٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ .

٥ـ إقامَةُ الحُجَّةِ على المُشْرِكينَ بِعَدَمِ قُدْرَةِ مَعْبوديهِمْ على جَلْبِ النَّفْعِ لَهُمْ أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُم ، وأنَّ بَعْضَ مَنْ يَعْبُدونَهُمْ مُؤْمِنينَ باللهِ قائِمينَ بِطاعَتِهِ .

٦ـ اسْتِحْقاقُ الكُفَّارِ الهَلاكَ في الدُّنْيا والعَذابَ في الآخِرَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ عِبادَهُ أَنْ يَقولوا الَّتي هيَ أَحْسَنُ ؟

٢ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ كَما بَيَّنَتْها الآيةُ الكَريمَةُ ؟

٣ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالذِّكْرِ ؟

٤ـ على ماذا يَدُلُّ عَدَمَ اسْتطاعَةِ المَعْبودينَ كَشْفَ الضُّرِّ أَوْ تَحويلَهُ عَنْ عابِديهِمْ .

٥ـ ما القُرى المَقْصودَةُ بالإِهْلاكِ والتَّعْذيبِ ؟

٦ـ ما سَببُ نُزولِ الآيةِ (٥٧) ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ مُحاوَلَةُ الشَّيْطانِ الإفْسادَ بَيْنَ النَّاسِ .

ب ـ عَداوَةُ الشَّيْطانِ للإنْسانِ .

ج ـ عِلْمُ اللهِ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ العَذابَ .

د ـ تَفْضيلُ بَعْضِ النَّبِيّينَ على بَعْضٍ .

هـ ـ اسْمُ الكِتابِ المُنَزَّلِ على داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ : الزَّبورُ .

و ـ المَعْبودونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَسْتَطيعونَ إزالَةَ الضُّرِّ عَنْ عابديهِمْ .

ز ـ بَعْضُ المَعْبودينَ مِنْ دُونِ اللهِ يَتَقرَّبونَ إلى اللهِ بِطاعَتِهِ .

ح ـ الْمَعبودُ مِنْ دُونِ اللهِ لا يُؤاخَذُ على ذَلِكَ إنْ كانَ لا يَعْلَمُ بِهِ أَوْ لا يَرْضاهُ .

ط ـ الكُفْرُ بَعْدَ بُلوغِ الدَّعْوَةِ ومَعْرِفَةِ الحَقِّ سَبَبٌ للإِهْلاَكِ أَوِ التَّعذيبِ الشَّديدِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ فَضْلَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ .

٢ـ اكْتُبِ اسْمَ النَّبيِّ الَّذي خَصَّهُ اللهُ تَعالى بِكُلٍّ مِمّا يلي :

أـ خليلِ اللهِ .

ب ـ كليم اللهِ .

ج ـ أفْضَلِ الرُّسُلِ وخاتَمِهِمْ .

د ـ روحِ اللهِ .

* * *

الدرس الرابع والثلاثون

سورةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بالآياتِ	: بِالمُعْجزاتِ .
مُبْصِرَةً	: بَيِّنَةً واضِحَةً .
فَظَلَموا بِها	: فكَفروا بِها .
أحاطَ بالنَّاسِ	: شَمَلَهُم بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ .
الرُّؤْيا	: ما يَراهُ الإنْسانُ في مَنامِهِ .
الشَّجَرَةَ المَلْعونَةَ	: شَجَرَةُ الزَّقوم .
طُغْياناً	: مُجاوَزَةً لِلْحَدِّ .
أَرَأَيْتَكَ	: أَخْبِرْني .
لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ	: لأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ وأَقودَهُم .



التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ الإخْبارُ عَنْ تَكذيبِ الأَولينَ بالمُعْجزاتِ ، وَعَنْ قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قالَ : سَألَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفا ذَهباً وأَنْ يَنْحِّي الجِبالَ عَنْهُم لِيَزْرَعوا الأَرْضَ ، فَأَوْحى اللهُ تَعالى إلَيْهِ : إنْ شِئْتَ أَفْعَلُ ذَلِكَ لَهُمْ فإنْ تأَخَّروا عَنِ الإيمانِ عاجَلْتُهُمْ بالعُقوبَةِ ، وإنِ شِئْتَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِم عَسى أَنْ أَجْتَبي مِنْهُمْ مُؤْمِنينَ ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : بَلْ تَسْتَأْني بِهِمْ يا رَبُّ[1] .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذهِ الآيَةِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِما طَلَبَهُ المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الآياتِ والمُعْجزاتِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُكَذِّبونَ بها إذا جاءَتْهُمْ كَما كَذَّبَ بِأَمْثالِها الأُمَمُ السَّابِقَةُ ، فَيَسْتَحِقّونَ بِذَلِكَ الإِهْلاكَ كما أُهْلِكَ مَنْ قَبْلَهُمْ إنفاذاً لِسُنَّةِ اللهِ تَعالى في عِبادِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر : ٢٢] .

واللهُ تَعالى يُريدُ لِهذهِ الأمَّةِ أَنْ تُؤَخَّرَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، أَمَّا الأَقْوامُ السَّابِقونَ فَقَدْ كانوا يَطْلُبونَ الآياتِ فإذا جاءَتْ كما طَلَبوا وَلَمْ يُؤْمِنوا بها أُهْلِكوا كَما حَصَلَ مَعَ ثَمودَ قَوْمِ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَدْ آتاهُمُ اللهُ تَعالى النَّاقَةَ لِتَكونَ دَليلاً على صِدْقِ نَبِيِّهِمْ ، وآيَةً مُبْصِرَةً تُبَيِّنُ الحَقَّ ، لَكِنَّهُمْ كَفَروا بِها وَقَتَلوها ، فاسْتَحَقّوا العَذابَ فأَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى .

﴿وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلّا تَخْويفا﴾ وما نُنْزِلُ المُعْجزاتِ المُقْتَرَحَةَ إلاَّ لإِنذارِ الأُمَمِ وتَخْويفِهِمْ وَلِتَكونَ سَبَباً لِهِدايَتِهِمْ وإيمانِهِمْ ، فإذا أَصَرّوا على الكُفْرِ والتَّكْذيبِ اسْتَحقّوا الهَلاكَ والدَّمارَ .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

أيْ : واذْكُرْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ما أَخْبَرْناكَ بِهِ مِنْ إحاطَةِ عِلْمِ اللهِ تَعالى وَقُدْرَتِهِ بالنَّاسِ جَميعاً ، وفي هذا التَّذْكيرِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ مِمَّا كانَ يُلاقيهِ مِنْ تَكْذيبِ قَوْمِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ تَكْذيبُهُمْ إيَّاهُ فيما

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٥٨ رقم الحديث ٢٢١٧ . والحاكم ٢/ ٣٦٢ . والطبري ١٥/ ١٠٨ .

أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِمَّا رآهُ لَيلةَ الإسراءِ والمِعْراجِ مِنْ عَجائِبِ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ ، وما أَخْبَرَهُم بِهِ عَنِ الشَّجَرَةِ المَلْعونَةِ شَجَرَةِ الزَّقّومِ ، فكانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمُ ازْدادوا بِها تَكْذيباً واسْتِهْزاءً ، وارْتَدَّ بَعْضُ ضُعفاءِ الإيمانِ عَنْ دِينِهِمْ .

﴿ونُخَوِّفُهُم فما يَزيدُهُمْ إلاّ طُغياناً كَبيراً﴾ أي : ونُخوِّفُ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ بأنْواعِ العَذابِ وبالإِهْلاكِ ونُذَكِّرُهُمْ بِما أصابَ الأُمَمَ السَّابِقَةَ مِنْ دَمارٍ ، فما يَزيدُهُمْ تَخويفُنا إلاَّ تَمادِياً في الكُفْرِ وإمْعاناً في الضَّلالِ والطُّغْيانِ .

وسَمَّى اللهُ تَعالى ما رَآهُ النَّبيُّ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ رُؤيا وَهِيَ رُؤْيا يَقَظَةٍ لا مَنامٍ ، لِحُصولِها لَيْلاً وَبِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ كَأَنَّها رُؤيا مَنام .

وسَمَّى شَجَرَةَ الزَّقّوم : الشَّجَرَةَ المَلْعونَةَ ، لأنَّها تَخْرُجُ في أَصْلِ الجَحيمِ ، ولأَنَّها طَعامُ المَلْعونينَ ، ولأنَّ طَعامَها مُؤْذٍ ضارٌّ وَمَنْظَرُها كَريهٌ قَبيحٌ ، وَقَدِ اسْتَهْزَأَ أبو جَهْلٍ بِها قائِلاً : كَيْفَ تَنْبُتُ شَجَرَةٌ في النَّارِ الَّتي تَحْرِقُ الشَّجَرَ وَغَيْرَهُ ، قالَ ذَلِكَ جَهْلاً مِنْهُ بِقُدْرَةِ اللهِ الَّتي لا يُعْجِزُها شَيْءٌ ، وَقِياساً مِنْهُ لِنارِ الآخِرَةِ وَشَجَرِها على نارِ الدُّنْيا ، وَشَتَّانَ ما بَيْنَهُما .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعالى طُغْيانَ الكافِرينَ وَعَدَمَ انْتِفاعِهِمْ بالآياتِ عَقَّبَ بِذِكْرِ إبليسَ ورَفْضِهِ السُّجودَ لآدَمَ ، وَهُوَ إشارَةٌ إلى أَنَّ طُغْيانَ الإنْسانِ سَبَبُهُ إغْواءُ الشَّيْطانِ ، أيْ : واذْكُروا وَقْتَ أَنْ أَمَرْنا المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ ، سُجودَ تَحِيَّةٍ وتَكْريمٍ ، فَسَجدوا امْتِثالاً لأَمْرِنا لَكِنَّ إبْليسَ لَمْ يَسْجُدْ وأَعْلَنَ حَسَدَهُ لآدَمَ وتَكَبُّرَهُ عَلَيْهِ ، وأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ فَكَيْفَ يَسْجُدُ وَهُوَ المَخْلوقُ مِنْ نارٍ لِمَنْ خُلِقَ مِنْ طينٍ ؟ والاسْتِثْناءُ في الآيَةِ مُنْقَطِعٌ لأنَّ إبْليسَ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ وَدَخَلَ مَعَهُمْ بالأَمْرِ بالسُّجودِ لِمُلازَمَتِهِ إيَّاهُمْ وتَشَبُّهِهِ بِهِمْ حِينَها .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

قالَ إبْليسُ لِرَبِّهِ : أَخْبِرْني عَنْ هذا المَخْلوقِ الَّذي فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ ، لِماذا فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وأَمَرْتَني بالسُّجودِ لَهُ وأَنا أَفْضَلُ مِنْهُ ؟ لَئِنْ مَدَدْتَ في عُمُري إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَسْتَوْلِيَنَّ على ذُرِّيَّتِهِ وأقودَهُمْ إلى الفَسادِ والضَّلالِ ، إلاَّ عَدَداً قليلاً مِنْهُمْ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ عِبادُكَ المُخْلَصونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رَحْمَةُ اللهِ بِهذِهِ الأُمَّةِ وإرادَتُهُ عَدَمَ إهْلاكِها إهْلاكاً كُلِّياً عامّاً وتَأْخيرُها إلى يَوْمِ القِيامَةِ .

٢ـ حُصولُ بَعْضِ الظَّواهِرِ الكَوْنِيَّةِ لِتَخْويفِ العِبادِ وتَذْكيرِهِمْ باللهِ كالزَّلازِلِ والبَراكينِ والكُسوفِ والرَّعْدِ وغَيْرِها .

٣ـ تَكْذيبُ الكَفَرَةِ بِأَنْباءِ الغَيْبِ الَّتي أَخْبَرَ اللهُ وأخْبَرَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ اعْتِماداً على اسْتِبْعادِ عُقولِهِمْ لَها .

٤ـ ذَمُّ الغُرورِ والكِبْرِ ، والاعْتِدادِ بالنَّفْسِ وتأكيدُ أنَّها سَبَبٌ لِما يَتْلوها مِنَ المَعاصِي .

٥ـ إظْهارُ عَزْمِ إبْليسَ على إغْواءِ البَشَرِ وإضْلالِهِمْ لِلْحَذَرِ مِنْهُ وإفشالِ ما عَزمَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ الآيةِ (٥٩) ؟

٢ـ ما سَبَبُ عَدمِ اسْتجابَةِ اللهِ لِطَلَبِ المُشْرِكينَ حُصولَ مُعْجزاتٍ حِسيَّةٍ ؟

٣ـ ماذا رَأى رَسولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الإِسْراءِ والمِعراجِ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ رُؤْيَةِ الرَّسولِ ﷺ لِما رآهُ لَيْلَةَ الإِسْراءِ والمِعراجِ رُؤيا ؟

٥ـ ما الشَّجَرَةُ المَلْعونَةُ في القُرْآنِ ؟ وَلِماذا وُصِفَتْ بِالْمَلْعُونَةِ ؟

٦ـ ما سَبَبُ رَفْضِ إبْليسَ السُّجودَ لآدَمَ ؟

٧ـ لِماذا طَلَبَ إبْليسُ تَأْخيرَ وَفاتِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ؟

٨ـ مَنْ هِيَ الفِئَةُ القَليلَةُ الَّتي لا يَسْتَطيعُ الشَّيْطانُ السَّيْطَرَةَ عَلَيْها ؟

٩ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ وآتينا ثمودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فظَلَموا بِها .

ب ـ وإذْ قُلْنا لَكَ إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنَّاسِ .

ج ـ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قليلاً .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى قَوْمَ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ودَليلَ ذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ الكَريمِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ رَآها رَسولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ وأخْبَرَنا عَنْها .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ سُورةِ الكَهْفِ الَّتي تُبَيِّنَ أنَّ إبْليسَ مِنَ الجِنِّ ولَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الثّاني عشَرَ

قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَوْفوراً : كامِلاً .

واسْتَفْزِزْ : اسْتَخِفَّ وأَزْعِجْ .

أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ : صِحْ عَلَيْهِمْ .

بَخَيْلِكَ : بالرُّكْبانِ مِنْ جُنودِكَ .

غُروراً : باطِلاً .

سُلطانٍ : تَسَلُّط .

يُزْجي : يُجْري وَيَسوقُ بلُطْفٍ .

يَخْسِفَ بِكُمُ : يُغَيِّبَكُمْ تَحْتَ الأَرْضِ .

حاصِباً : ريحاً تَرْميكُمْ بالحَصْباءِ وَهِيَ الحِجارَةُ .

قاصِفاً : مُهْلكاً .

تَبيعا : طالِباً بالثَّأْرِ لَكُمْ مِنّا .



بَعْدَ أَنْ طَلَبَ إبْليسُ إمْهالَهُ إلى يَوْمِ الدِّينِ وأَظْهَرَ عَداوَتَهُ للإنْسانِ واجْتِهادَهُ في إضْلالِهِ، تَوَعَّدَهُ اللهُ تَعالى على ذَلِكَ، فقالَ سُبْحانَهُ:

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

قالَ اللهُ تَعالى لإبْليسَ مُتَوَعِّداً زاجِراً: امْضِ في طَريقِ إغْوائِكَ وإضْلالِكَ لِبني آدمَ، فَمَنْ أطاعَكَ مِنْهُمْ فَمَصيرُكَ وإياهُمْ جَهَنَّمُ تُجْزَوْنَ فيها جَزاءً كامِلاً تامّاً لا نَقْصَ فيهِ.

ويُفْهَمُ مِنْ هذهِ الآيةِ حُصولُ الاسْتِجابَةِ لِطَلَبِ إبْليسَ بِتَأْخيرِ مَوْتِهِ.

وَرَدَ في آياتٍ أُخْرى تَبْيينُ أَنَّ تَأْخيرَ مَوْتِهِ ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر: ٣٨] ولَيْسَ ﴿إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ﴾ [الحجر: ٣٦] كما طَلَبَ اللَّعينُ.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

أيْ: وابْذُلْ جُهْدَكَ في إغْواءِ بَني آدمَ وإضْلالِهِمْ واسْلُكْ في سَبيلِ ذَلِكَ جميعَ وسائِلِكَ وأساليبِكَ، فاسْتَخِفَّ بِمَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم، واخْدَعْهُم بِصَوْتِكَ الدّاعي إلى الفَسادِ والمَعْصِيَةِ، وَجَنِّدْ جُنْدَكَ بِمُخْتَلِفِ أَنْواعِهِمْ مِنْ فُرْسانٍ وَمُشاةٍ وَغَيْرِهِمْ، وَصِحْ بِهِمْ مُنادِياً إيّاهُمْ إلى المَعاصي والذُّنوبِ، واجْمَعْهُمْ واحْشُدْهُمْ لِتَسْتَعينَ بِهِمْ وَلِتُنَوِّعَ بِواسِطَتِهِمْ أساليبَ الإغْواءِ، وَشارِكْهُمْ بالأَمْوالِ بأَنْ تُزَيِّنَ لَهُمُ التَّعَلُّقَ بِها وجَمْعَها مِنَ الطُّرُقِ الحَرامِ، وإنْفاقَها في غَيْرِ وُجوهِها، وتَنْمِيَتَها بالرِّبا، وشارِكْهُمْ بالأَوْلادِ بِأَنْ تَدْفَعَهُمْ إلى تَنْشِئَةِ أَبْنائِهِمْ عَلى الكُفْرِ والضَّلالِ، واخْدَعْهُمْ بالمَواعيدِ الكاذِبَةِ مُزَيِّناً لَهُمُ الشَّرَّ مُقَبِّحاً لَهُمُ الخَيْرَ.

ثُمَّ حَذَّرَ سُبْحانَهُ عِبادَهُ مِنْ وُعودِ الشَّيْطانِ الكاذِبَةِ، فَهِيَ أَوْهامٌ خادِعَةٌ وَوُعودٌ باطِلَةٌ لا يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَنْ يَغْتَرَّ بِها أَوْ يُصَدِّقَها. والالْتِفاتُ في آخِرِ الآيةِ لِتَحْقيرِ شَأْنِ الشَّيْطانِ بالإعْراضِ عَنْ مُخاطَبَتِهِ.

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

أيْ: إنَّ عِبادِيَ الصّالِحينَ الَّذينَ الْتَزَموا بِأَمْري وأطاعوني لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ تَسَلُّطٌ بالإغْواءِ والإضْلالِ، وكَفى باللهِ تَعالى عاصِماً وحافِظاً لَهُمْ مِنْ مَكْرِكَ وَشَرِّكَ وَكَيْدِكَ.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَخبَرَ سُبْحانَهُ عَنْ فَضْلِهِ عَلَى عِبادِهِ بحمايَتِهِمْ مِنْ كَيْدِ إبْليسَ إذا اعْتَصَموا بِهِ ، أَخْبَرَ في هَذِهِ الآيةِ عَنْ فَضْلِهِ عَلَيهِمْ بِتَسْخيرِ السُّفُنِ لَهُمْ ، فَهِيَ تَجْري في البَحْرِ ناقِلَةً النَّاسَ وأَمْتِعَتَهُم وَتجارَتَهُمْ ، ويَسْتَخْدِمونَها في طَلَبِ رِزْقِ اللهِ والانْتِقالِ بَيْنَ البِلادِ واسْتِخْراجِ خَيْراتِ البِحارِ ، وهذا التَّسْخيرُ والتَّيْسيرُ مِنْ مَظاهِرِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبادِهِ .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ .

وإذا تَعَرَّضْتُمْ لأَخْطارِ البِحارِ مِنْ نَحْوِ اشْتِدادِ العَواصِفِ وَهَيَجانِ البَحْرِ وارْتِفاعِ أَمْواجِهِ ، وأَوْشَكْتُم على الغَرَقِ ، ذَهَبَ مِنْ أَذْهانِكُم كُلُّ مَعبودٍ سوى اللهِ ، وأَخْلَصْتُم لَهُ الدُّعاءَ لِيُنْجِيكُمْ وَيَكْشِفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ ، فَلَمَّا نَجّاكُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وأَوْصَلَكُمْ إلى البَرِّ سالِمينَ تَرَكْتُمْ دعاءَهُ والتَّضَرُّعَ إلَيْهِ ، ونَسيتُمْ شُكْرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ ، وكانَ الإنْسانُ جَحوداً لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وكانَ الإنْسانُ كَفورا﴾ الْتِفاتٌ مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبَةِ فكأَنَّهُ إعْراضٌ عَنْ خِطابِهِمْ لإعْراضِهِمْ عَنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ ، والمَقْصُودُ بالإنْسانِ جِنْسُهُ ، وفيهِ إشارَةٌ إلى أنَّ هذهِ طَبيعةُ مُعْظَمِ البَشَرِ وعامَّتِهِمْ .

﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴾ .

أيْ : عِنْدَما نَجَوْتُمْ مِنَ الغَرَقِ فَهَلْ آمَنْتُمْ أَنَّ اللهَ الَّذي أَنْقَذَكُمْ مِنْ أَهْوالِ البَحْرِ وَمَخاطِرِهِ قادرٌ على أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ بِزِلْزالٍ مُدَمِّرٍ أَوِ انهيارٍ مُرْعِبٍ أَوْ يَقْلِبَها بِكُمْ فَتُصْبِحونَ في باطِنِها ، أَوْ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ريحاً شَديداً تَرْميكُمْ بالحَصْباءِ الّتي تُهْلِكُكُمْ ، ولا تَجِدونَ حِينَئِذٍ مَنْ تَكِلونَ إلَيْهِ أُمورَكُمْ وتَحْتَمونَ بِهِ لِيَدْفَعَ عَنْكُمْ عَذابَ اللهِ تَعالى .

﴿ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ .

وهَلْ أَمِنْتُمْ أَيُّها النَّاسُ بَعْدَ نَجاتِكُمْ مِنَ البَحْرِ أَنْ يُعيدَكُمُ اللهُ تَعالى إلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى لِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبابِ الَّتي تَحْمِلُكُمْ على ذَلِكَ ، فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ رِيحاً مُدَمِّرَةً مُهْلِكَةً فَيُغْرِقَكُمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدوا لَكُمْ في هَذِهِ الحالِ أحداً يَنْصُرُكُمْ عَلَيْنا ، أَوْ مُتابِعاً لَنا يَطْلُبُ الثَّأْرَ لَكُمْ مِنَّا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَحْذيرُ مِنَ اتِّباعِ إبْليسَ فإنَّ جَزاءَهُ وَجَزاءَ مَنْ اتَّبَعَهُ جَهَنَّمُ .

٢ـ تَعَدُّدُ طُرُقِ الغِوايَةِ وأَساليبِها ، ومُحاولَةُ الشَّيْطانِ تَزْيينَها لِلإنْسانِ حَتَّى يَقودَهُ إلى الضَّلالِ والرَّدى .

٣ـ العاقِلُ المُؤْمِنُ لا يَغْتَرُّ بِوعودِ الشَّيْطانِ وأَكاذيبِهِ .

٤ـ في حالِ الشِّدَّةِ والضُّرِّ يَلْجَأُ جَميعُ النَّاسِ إلى اللهِ لِكَشْفِ الشِّدَّةِ والضُّرِّ عَنْهُم ، فإذا زالَتْ عادَ مُعْظَمُهُم إلى ما كانوا فيهِ مِنْ غَفْلَةٍ وَجُحودٍ .

٥ـ قُدْرَةُ اللهِ تَعالى على إهْلاكِ الكافِرينَ والانْتِقامِ مِنْهُم ، في البَحْرِ والبَرِّ بالإغْراقِ أَوْ بِالخَسْفِ أَوْ بالرِّيحِ أَو بِما يَشاءُ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ وسائِلَ الشَّيْطانِ في إغْواءِ الإنْسانِ وإضْلالِهِ .

٢ـ مَنِ النّاجونَ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ؟

٣ـ لماذا يَتْرُكُ الإنْسانُ دُعاءَ اللهِ تَعالى والاسْتِغاثَةَ بِهِ بَعْدَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ ؟

٤ـ هَلْ يَكونُ الإنْسانُ بِمَأْمَنٍ مِنْ عَذابِ اللهِ إذا وَصَلَ إلى البَرِّ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ .

ب ـ وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ .

ج ـ وشارِكْهُم في الأَمْوالِ والأَوْلادِ .

د ـ وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاَّ غُروراً .

هـ ـ يُزْجي لَكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ .

و ـ وكانَ الإنْسانُ كَفوراً .

ز ـ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً .

ح ـ ثُمَّ لا تَجِدوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبيعاً .

فائدةٌ :

قالَ مُجاهِدُ بنُ جبرِ المَكِيّ تِلميذُ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : « صَوْتُ الشّيْطانِ : الغِناءُ والمَزاميرُ واللّهْوُ »[1] .

نَشاطٌ :

١ـ بيَّنَ لَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ نَنْجو مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ، اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ أَهْلَكَ اللهُ تَعالى أَقْواماً وأَشْخاصاً بالخَسْفِ والحاصِبِ ، فَمَنْ هُمُ المُهْلَكونَ بِهذَيْنِ العَذابَيْنِ .

* * *

(١) الطبري ، جامع البيان ١١٨/١٥ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/١٠ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ الإِسْراءِ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بإمامِهِمْ : بِمَنْ كانوا يَأْتَمّونَ بِهِ .
فَتيلاً : الخَيْطُ في شِقِّ النَّواةِ ، والمُرادُ بِهِ المِقْدارُ البالِغُ الغايَةِ في الدِّقَّةِ .
لَيَفْتِنونَكَ : لَيَصْرِفونَكَ .
لِتَفْتَرِيَ : لِتَخْتَلِقَ .
تَرْكَنُ : تَميلُ .
ضِعْفَ الحياةِ : عَذاباً مُضاعَفاً فيها .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بِإِظْهارِ عَدَدٍ مِنْ صُوَرِ تَكْريمِ اللهِ تَعالى للإِنْسانِ وتَفْضيلِهِ على كَثيرٍ مِنَ المَخْلوقاتِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ عَنْ تَكريم بَني آدمَ جَميعاً ، وَمِنْ مَظاهِرِ هذا التَّكْريم : أنَّهُ مَيَّزَ الإنْسانَ بالعَقْلِ والنُّطْقِ ، وَجَعَلَهُ في أحْسَنِ تَقْويم ، مُنْتَصِبَ القامَةِ سَوِيَّ الخِلْقَةِ ، وسَخَّرَ لَهُ الكَثيرَ مِنَ المَخْلوقاتِ الأُخْرَى ، لِيَنْتَفِعَ مِنْها في أُمورِ مَعاشِهِ وَسَخَّرَ لَهُ في البَرِّ والبَحْرِ ما يَحْمِلُهُ ويَنْقُلُهُ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ ، وَرَزَقَهُ أَنْواعاً مُتَعَدِّدَةً مِنَ الطَّيِّباتِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُشْرَبُ وَيُلْبَسُ وَيُنْتَفَعُ بِهِ ، وفَضَّلَهُ على كَثيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضيلاً عَظيماً .

فَعلى الإنْسانِ أَنْ يَشْكُرَ هذهِ النِّعْمَةَ لِيُحافِظَ على هذا التَّكْريمِ والتَّفْضيل ، فإنَّ الكُفْرَ باللهِ تَعالى وَجُحودَ نِعَمِهِ يَنْزِلُ بالإنْسانِ ويَحُطُّ مِنْ قِيمَتِهِ ويَجْعَلُهُ شَرَّ الخلائِقِ وأَقَلَّها : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وهذا التَّفْضيلُ يَصْحَبُهُ تَكْليفٌ ، يَعْقُبُهُ يَوْمَ القِيامَةِ حِسابٌ ، وَلِذَلِكَ قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

انْتَقَلَتِ الآياتُ لِبيانِ أَحْوالِ البَشَرِ يَوْمَ القيامَةِ بَعْدَ بَيانِ تَكْريمِهِمْ وتَفْضيلِهِمْ في الدُّنْيا ، فَفي يَوْمِ القِيامَةِ يُدْعى كُلُّ أُناسٍ مَعَ إمامِهِمُ الَّذي كانوا يأْتَمّونَ بِهِ في الدُّنْيا ، لِيَقِفوا بَيْنَ يَدي اللهِ ويُحاسَبوا على أعْمالِهِمْ ، فَمَنْ أُعْطِيَ كِتابَ أعْمالِهِ بِيَدِهِ اليُمْنى كانَ ذَلِكَ علامةَ القَبولِ ، ويَقْرَأُ هُؤلاءِ كِتابَهُمْ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ ، ولا يُنْقَصونَ مِنْ ثَوابِ أَعْمالِهِمْ المَكْتوبَةَ في صَحائِفِهِمْ أَيَّ شَيْءٍ وَلَوْ كان بِقَدَرِ الفَتيلِ ـ خَيْطِ نَواةِ التَّمْرِ ـ الَّذي يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في الصِّغَرِ والقِلَّةِ .

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَمَنْ كانَ في هذه الحياةِ الدُّنْيا أَعْمى البَصيرةِ عَنْ حُجَجِ اللهِ وآياتِهِ بِسَبَبِ انْغِماسِهِ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، فَهُوَ في الآخِرَةِ أَشَدُّ عَمىً وأَضَلُّ عَمَّا كانَ عَلَيْهِ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ في الدُّنْيا كانَ يُمْكِنُهُ تَدارُكُ تَقْصيرِهِ ، والتَّوْبَةُ مِنْ فِعْلِهِ ، أَمَّا في الآخِرَةِ فَلا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ .

وهذا الفَريقُ هُوَ المُقابِلُ لِلْفَريقِ الأَوَّلِ ، فَهؤلاءِ يُعْطَوْنَ كِتابَهُمْ بِشِمالِهِمْ ، ويُعاقَبونَ على أَفْعالِهِمُ السَّيِّئَةِ ويُعَذَّبونَ بِسَبَبِها في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ وما بَعْدَها اجْتهادَ المُشرِكينَ في الكَيْدِ برَسولِ اللهِ ﷺ وَصَرْفِهِ عَنْ تَبْليغِ رِسالَةِ رَبِّهِ ، وأنَّ اللهَ تَعالى ثَبَّتَهُ وَحفِظَهُ مِنْ كَيْدِهِمْ .

فَقَدْ قاربَ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ بما بَذَلُوهُ مِنْ جُهْدٍ عَظيمٍ وما اقْتَرَحوهُ عَلَيْكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ تَنازُلاتٍ أَنْ يَصْرِفوكَ عَمَّا أَوْحينا إليْكَ مِنَ القُرْآنِ لِكَيْ تَخْتَلِقَ وتَفْتَرِيَ عَلَيْنا قَوْلاً غَيْرَهُ ، وَلَوِ اسْتَمَعْتَ إلَيْهِم وَوافَقْتَهُمْ على مُقْتَرَحاتِهِمُ الفاسِدَةِ لَقَرَّبوكَ مِنْهُمْ ، وَجَعَلوكَ صَديقاً لَهُمْ .

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

لَوْلا : حَرْفُ امْتِناعٍ لِوجودٍ ، أيْ : وَلَوْلا أَنْ عَصَمْناكَ وَحفِظناكَ مِنْهُمْ ، لَقارَبْتَ أَنْ تَميلَ إلَيْهِمْ مَيْلاً قَليلاً لِشِدَّةِ احْتيالِهِمْ عَلَيْكَ ، وخِداعِهِمْ لَكَ وَمَكْرِهِمْ بِكَ ، وَلَكِنَّ تَثْبيتَنا لَكَ واعْتِناءَنا بِكَ حالَ دُونَ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَمِلْ إلَيْهِمْ أَدْنى مَيْلٍ .

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

أيْ : لَوْ قارَبْتَ أَنْ تَميلَ إلَيْهِمْ لأَنْزَلْنا بِكَ عَذاباً مُضاعَفاً في الدُّنْيا ، وَعَذاباً مُضاعَفاً في الآخِرَةِ ، بِحَيْثُ يَكونُ عَذابُكَ ضِعْفَ عذابِ غَيْرِكَ لَوْ فَعَلَ مِثْلَ هذا الفِعْلِ ، لأنَّ الخَطَأَ يَعْظُمُ بِمِقْدارِ عَظَمَةِ صاحِبِهِ ، ثُمَّ لا تَجِدُ أَحَداً يَنْصُرُكَ وَيُعينُكَ ويَدْفَعُ عَنْكَ عَذابَ اللهِ ، إذْ لا سُلْطانَ لأَحَدٍ أَمامَ سُلْطانِ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَكْريمُ الإنْسانِ وَتَفْضيلهُ عَلى مُعْظَمِ المَخْلوقاتِ يَقْتَضِي شُكْرَ المُنْعِمِ المُكْرِمِ .

٢ـ التَّرْغيبُ في الاقْتِداءِ بالصَّالِحينَ ومُتابَعَتِهِمْ ، والتَّرْهيبُ مِنَ الاقْتِداءِ بِأَهْلِ الشَّرِّ والفَسادِ ومُتابَعَتِهِمْ ، حَيْثُ يُحْشَرُ المَرْءُ مَعَ مَنْ كان يَأْتَمُّ بِهِ في الدُّنْيا .

٣ـ الثَّباتُ على الحَقِّ وَعَدمُ الالْتِفاتِ إلى مُحاولاتِ التَّثْبيطِ والتَّوهينِ بالإغْراءِ أَوْ بالتَّهْديدِ مَهْما عَظُمَتْ هذهِ المُحاولاتُ وكَثُرَتْ .

٤ـ اللَّجُوءُ إلى اللهِ تَعالى ، وطَلَبُ التَّثْبيتِ مِنْهُ ، حَتَّى لا يَضْعُفَ المُسْلِمُ أَمامَ جُهودِ أَعْدائِهِ لإِفْسادِهِ .

٥ـ عِصْمَةُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ مُجاراةِ المُشْرِكينَ والرُّكونِ إليْهِمْ .

٦ـ كُلّما كانَ الإنسانُ أَعْلَمَ كانَ عِصْيانُهُ أَعْظَمَ .

٧ـ عِظَمُ جَريمَةِ الانْحرافِ عَنِ المَنْهَجِ الرَّبانِيِّ الإلهِيِّ القُرْآنِيِّ مَهْما قَلَّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِتكْريمِ بَني آدَمَ ؟

٢ـ لِماذا أَرادَ المُشْرِكونَ صَرْفَ النَّبيِّ ﷺ عَنْ تَبليغِ الرِّسالَةِ ؟

٣ـ هَلِ اسْتَجابَ الرَّسولُ ﷺ لِكَيْدِ المُشرِكينَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَشديدِ العُقوبَةِ لَهُ ﷺ لَوْ أنَّه اسْتَجابَ لِكَيْدِ المُشْرِكينَ ؟

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ ثَلاثَةَ دُروسٍ لِلدُّعاةِ السَّائِرينَ على مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ تُعينُهُمْ على الثَّباتِ في وَجْهِ كَيْدِ الأعداءِ ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ .

ب ـ يَوْمَ نَدْعو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ .

ج ـ ولا يُظْلَمونَ فَتيلا .

دـ وإذاً لاتَّخَذوكَ خَليلاً .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَحَدَ هَذهِ المَطالِبِ الَّتي طَلَبَتْها قُرَيْشٌ مِنَ الرَّسولِ ﷺ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والثَّلاثونَ

سورةُ الإسْراءِ - القِسْمُ الرَّابِعَ عشَرَ

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَيَسْتفزونَكَ : لَيُزْعِجونَكَ .

خِلافَكَ : بَعْدَكَ .

تَحويلاً : تَغْييراً .

لِدُلوكِ الشَّمْسِ : مَيْلِها عَنْ وَسَطِ السَّماءِ إلى جِهَةِ الغَرْبِ .

غَسَقِ اللَّيْلِ : ظُلْمتِهِ .

قُرْآنَ الفَجْرِ : صَلاةَ الصُّبْحِ وما يُقْرأُ فِيها مِنْ قُرآنٍ .

فَتهَجَّدْ : اسْتَيْقِظْ لَيْلاً لِلصَّلاةِ .

نافِلَةً : زائِدةً على الفَريضَةِ .

مَقاماً مَحْموداً : مَوْقِفاً تُحْمَدُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الشَّفاعَةُ العُظْمى .

زَهَقَ : زالَ .

خَسارا : هَلاكاً .



تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بالإِخْبارِ عَنْ مَكيدَةٍ أُخْرَى لِلْمُشرِكينَ ، إذْ هَمّوا بإِخْراجِ الرّسولِ ﷺ مِنْ مَكّةَ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

أيْ : قارَبَ المُشْرِكونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يُزْعِجوكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ بِعَداوَتِهِمْ وَشِدَّةِ إيذائِهِمْ ، ويُخْرِجوكَ مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ الأَرْضُ الَّتي وُلِدْتَ فِيها وبَقيتَ فيها ، وَلَوْ أَنَّهُمْ اسْتَفَزّوكَ وأَجْبَروكَ على الخُروجِ لَما بَقَوْا بَعْدَ خُروجِكَ إلاَّ وَقْتاً قَليلاً يَهْلَكونَ بَعْدَهُ جَميعاً . وَلَكِنَّ إرادَةَ اللهِ شاءَتْ أَنْ يَأْمُرَ نَبيَّهُ ﷺ بالخُروجِ مُهاجِراً إلى المَدينةِ قُبَيْلَ أَنْ يَتَمكَّنَ المُشرِكونَ مِنْ إخْراجِهِ تَمْكيناً لِلدَّعْوَةِ مِنَ المُضِيِّ في طَريقِها لأداءِ مُهِمَّتِها وَهِيَ هِدايَةُ النَّاسِ ، وَلِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ أَنَّ مِنْ هؤلاءِ المُشْرِكينَ وَمِنْ أَبْنائِهِمْ مَنْ سَيُسْلِمُ ويَكونُ مِنْ جُنْدِ الإِسْلامِ .

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

أيْ : هذا الَّذي أَخْبَرْناكَ بِهِ مِنْ إهْلاكِ الَّذينَ يُخْرِجونَ رَسولَهُمْ ، هُوَ ما حصَلَ مَعَ المُرْسَلينَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَهُوَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى الَّتي لا تتغيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ ، وَلَوْ أَنَّ قَوْمَكَ أَخْرَجوكَ لَهَلَكوا جَميعاً تَنْفيذاً لِهَذِهِ السُّنَّةِ الَّتي لا تَبْديلَ لَها ولا تَغْييرَ .

وبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحانَهُ مُحاوَلاتِ المُشْرِكينَ إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ والتآمُرَ لإِخْراجِهِ ، أَمَرَهُ بالصَّلاةِ الَّتي تُعينُهُ على الثَّباتِ والصَّبْرِ ومُواجَهَةِ كَيْدِ المُشْرِكينَ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

أيْ : أَدِّ الصَّلاةَ مُسْتَوْفِيَةً أَرْكانَها وشُروطَها ، مِنْ وَقْتِ زَوالِ الشَّمْسِ وَمَيَلانِها عَن وَسَطِ السّماءِ ، إلى وَقْتِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وسَوادِهِ ، وهَذا الوَقْتُ يَشْمَلُ صَلاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ والمَغْرِبِ والعِشاءِ ، وأَفْرَدَ سُبْحانَهُ صلاةَ الفَجْرِ بالذِّكْرِ ورَغَّبَ فِيها بقولِهِ : ﴿إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهودا﴾ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ ويَشْهَدُهُ الصّالِحونَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، ويَحْصُلُ فِيهِ تَبدُّلُ الحالِ مِنَ الظُّلْمَةِ إلى الضِّياءِ ومِنَ النّومِ إلى اليَقَظَةِ .

وسُمِّيَتْ صَلاةُ الصُّبحِ قُرْآناً لأنَّ القِراءَةَ فيها أَكْثَرُ مِنْ سائِرِ الصَّلَواتِ غالِباً ، وَهُوَ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ باسْمِ بَعْضِهِ ، وأُظْهِرَ (قُرْآنُ الفَجْرِ) في المَوْضِعِ الثَّاني بَدَلاً مِنْ إِضْمارِهِ للاعْتِناءِ بِشَأْنِهِ والاهْتِمامِ بِهِ .

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أيْ : قُمْ بَعْدَ نَوْمِكَ لأداءِ صَلاةٍ زائِدَةٍ عَنِ الصَّلواتِ المَفْروضَةِ لِيَبْعَثَكَ رَبُّكَ يَوْمَ القِيامَةِ ، ويُقيمَكَ مُقاماً يَحْمَدُكَ فيهِ الخلائِقُ جَميعاً ، وَذَلِكَ حينَ يَشْفَعُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ القِيامَةِ لِلْبَشَرِ جَميعاً حينَ يُنْقَلونَ مِنْ مَوْقِفِ الحَشْرِ إلى الحِسابِ ، بَعْدَ أَنْ يَعْتَذِرَ عَنْ تِلْكَ الشَّفاعَةِ غَيْرُهُ مِنَ الأَنْبِياءِ .

فَلَفْظُ (عَسى) في كَلامِ اللهِ يُفيدُ اليَقينَ والجَزْمَ لا التَّرَجِّي .

وفي الآيَةِ إِشارَةٌ إلى فَضْلِ التَّهَجُّدِ وَقِيامِ اللَّيْلِ وَعَظيمِ مَنْزِلَتِهِ ، وأَنَّهُ يُؤَدِّي إلى القُرْبِ مِنَ اللهِ وَنَيْلِ المَنازِلِ العالِيَةِ ، وَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تَعالى مَنْ يَقومونَ اللَّيْلَ في أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ مِنْها قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة : ١٦] وقولُه : ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران : ١٧] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ .

أيْ : وادْعُ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ رَبَّكَ قائِلاً : يا رَبِّ أَدْخِلْني إِدْخالاً مَرْضِيّاً صادِقاً في كُلِّ ما أَدْخُلُ فيهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ مَكانٍ ، وأَخْرِجْني إِخْراجاً مَرْضِيّاً صادِقاً مِنْ كُلِّ أَمْرٍ أَوْ مَكانٍ ، واجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ حُجَّةً تَنْصُرُني بِها عَلى مَنْ خالَفَني ، وَقُوَّةً تُؤَيِّدُني بِها لِنُصْرَةِ دِينِكَ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ عِنْدَما أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ بالهِجْرَةِ ، فَهِيَ وإِنْ كانَتْ عامَّةً في كُلِّ أَمْرٍ ، فأَوَّلُ ما يَدْخُلُ فِيها ، دُخولُ المَدينَةِ والخُروجُ مِنْ مَكَّةَ .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ على سَبيلِ الشُّكْرِ للهِ والاسْتِبْشارِ بِنَصْرِهِ : جاءَ الحَقُّ الواضِحُ الظّاهِرُ وَهُوَ الإِسْلامُ ، وَزالَ الباطِلُ واضْمَحَلَّ وُجودُهُ وَهَلَكَ الكُفْرُ والشِّرْكُ ، ﴿إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقاً﴾ أيْ : غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ ولا ثابِتٍ ولا بَقاءَ لَهُ وإِنْ طالَ بِهِ الزَّمَنُ وَكَثُرَ المُتَمَسِّكونَ بِهِ .

وفي هَذِهِ الآيَةُ الوَعْدُ بِنَصْرِ الإِسْلامِ وظُهورِهِ على الشِّرْكِ ، والتَّبْشيرُ بِزَوالِ الباطِلِ وانْتِهائِهِ وَعَدَمِ بَقائِهِ ، وَقَد تَلى الرَّسولُ ﷺ هذهِ الآيَةَ عِنْدَما كانَ الصَّحابَةُ يُطَهِّرونَ الكَعْبَةَ والمَسْجِدَ الحَرامَ مِنَ الأَصْنامِ بَعْدَ دُخولِهِمْ مَكَّةَ مُنْتَصِرينَ .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

أيْ : ونُنَزِّلُ مِنْ آياتِ القُرْآنِ الكريم ما يَشْفِي القُلوبَ مِنْ أَمْراضِ الجَهْلِ والضَّلالِ ، والرَّيْبِ والهَوى والشُّحِّ والحَسَدِ ، والنِّفاقِ والرِّياءِ ، وغَيْرِها ، وما هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ الَّذينَ يَعْمَلونَ بما فيهِ مِنْ أَوامِرَ تَقودُهُمْ إلى رَحْمَةِ اللهِ ، أَمَّا الظَّالِمونَ فإِنَّهُم كُلَّما سَمِعوا القُرْآن ازْدادوا ضَلالاً وَهلاكاً لأَنَّهُمْ لا يُصَدِّقونَ بِهِ ، وإِسْنادُ زِيادَةِ ضَلالِهِمْ وهَلاكِهِمْ إلى القُرْآنِ باعْتِبارِهِ سَبَباً لِذَلِكَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ التَّرْغيبُ في التَّهَجُّدِ ، وَبَيانُ فَضْلِ صَلاةِ الصُّبْحِ .

٢ـ الجَزْمُ بالمَقامِ المَحْمودِ لِنَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ ضَعْفُ الباطِلِ وَسُرْعَةُ انْهِزامِهِ إذا صارَعَ الحَقَّ وقاوَمَهُ .

٤ـ القرآنُ شِفاءٌ لأَمْراضِ القُلوبِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ أَمْرِ الرَّسولِ ﷺ بالهِجْرَةِ بَدَلَ أَنْ يُخْرِجَهُ المُشْرِكونَ ؟

٢ـ كَيْفَ يُمْكِنُ اسْتِخْراجُ مَواقيتِ الصَّلواتِ الخَمْسِ مِنَ الآية (٧٨) ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ صَلاةِ الصُّبْحِ قُرآناً ؟

٤ـ ما المُرادُ بالتَّهَجُّدِ ؟ والمَقامِ المَحْمودِ ؟

٥ـ ما المُرادُ بِمُدْخَلِ صِدْقٍ ، ومُخْرَجَ صِدْقٍ ؟

٦ـ هَلْ يُمْكِنُ لِلْباطِلِ مُواجَهَةُ الحَقِّ والانْتِصارُ عَلَيْهِ ؟ ما دَليلُ إجابَتِكَ مِنَ الآيةِ الكَريمَةِ ؟

٧ـ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ الآياتُ شِفاءً لِقَوْمٍ وخُسْراناً لآخَرينَ ؟

مِنَ الهَدْيِ النَّبويِّ :

١ـ عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ، قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ النِّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذهِ الدَّعوةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الوَسيلَةَ والفَضيلَةَ وابْعَثْهُ مَقاماً مَحْموداً الذي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفاعَتي يَوْمَ القيامَةِ »[١] .

٢ـ عَنْ حَفْصَةَ بنتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » فكانَ ـ أيْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ بَعْدَ ذلِكَ لا يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاّ قليلاً[٢] .

٣ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ : « فَضْلُ صلاةِ الجَميعِ على صَلاةِ الواحِدِ خَمْسٌ وعِشرونَ دَرَجَةً ، وتَجْتَمِعُ ملائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ في صلاةِ الصُّبْحِ » يَقولُ أَبو هُرَيْرَةَ : اقْرَؤوا إنْ شِئْتُم ﴿وقرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشهودا﴾[٣] والمُرادُ بِصَلاةِ الجَميعِ : صَلاةُ الجَماعَةِ .

٤ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مَكَّةَ ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتّونَ وَثَلاثُ مِئة نُصُبٍ[٤] ، فَجَعَلَ يَطْعَنُها بِعودٍ في يَدِهِ ويَقُولُ : ﴿جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقا﴾[٥] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَقْتَ بِدايةِ كُلٍّ مِنَ الصَّلَواتِ الخَمْسِ المَفْروضَةِ ونِهايتها .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فَضْلَ قِيامِ اللَّيلِ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، رقم الحديث ٥٨٩ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد ، باب فضل قيام الليل ، رقم الحديث ١٠٧٠ ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهماورقم الحديث ٢٤٧٩ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢٠٨ ، رقم الحديث ٤٤٤٠ .

(٤) النصب : الصنم .

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢١٠ ، رقم الحديث ٤٤٤٣ .

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نَأى بِجانِبِهِ : تَكَبَّرَ وَتباعَدَ .

يُؤوساً : شَديدَ اليَأْسِ .

شاكِلَتِهِ : مَذْهَبِهِ وَطَريقَتِهِ .

الرّوحُ : ما بِها تَكونُ حَياةُ الإنسانِ .

وَكيلا : ناصِراً وَمُعيناً .

ظَهيرا : مُعيناً .

التَّفْسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ بِتَبيينِ حالِ الإنْسانِ عِنْدَ اليُسْرِ والعُسْرِ ، والخَيْرِ والشَّرِّ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ .

أيْ : وإذا أَنْعَمْنا على الإنْسانِ بِأَنْواعِ النِّعَمِ المُتَعدِّدَةِ كالصِّحَّةِ والغِنى والأَمْنِ ، أَعْرَضَ عَنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَعَنْ تَذَكُّرِ المُنْعِمِ وابْتَعَدَ عَنْ طاعَةِ اللهِ تَعالى وَعِبادَتِهِ ، وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ أَوْ بَلاءٍ كانَ شَديدَ اليَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .

والمُرادُ بالإنْسانِ في الآيَةِ مُعْظَمُ النَّاسِ لا جَميعَهُمْ ، فإنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَيْسَ على مِثْلِ هَذِهِ الحالَةِ ، بَلْ تَجِدُهُ يَشْكُرُ نِعْمَةَ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ وَيَلْجأُ إليهِ سُبْحانَهُ عِنْدَ الحاجَةِ .

وفي الآيَةِ إسْنادُ النِّعْمَةِ إلى اللهِ تَعالى فَهُوَ المُنْعِمُ على خَلْقِهِ بِجَميعِ النِّعَمِ ، أَمَّا الشَّرُّ فلا يُنسَبُ إليْهِ سُبْحانَهُ تَأَدُّباً .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلنَّاسِ ، كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ يَعْمَلُ على مَنْهَجِهِ وَطَريقَتِهِ الَّتي تَتَناسَبُ مَعَ عَقيدَتِهِ وتَفْكيرِهِ ، فَرَبُّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى إلى طَريقِ الخَيْرِ وَبِمَنْ ضَلَّ عَنْهُ ، وسَيَجْزي كُلاًّ بِما يَسْتَحِقُّ ، وفي هذا تَبْشيرٌ لِلْمُؤْمِنينَ بِحُسْنِ الجَزاءِ والعاقِبَةِ ، وَوَعيدٌ لِلْكافِرينَ بِسُوءِ المَصيرِ والمآلِ .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهودِ أَعْطونا شَيْئاً نَسْأَلُ هذا الرَّجُلَ فَقالوا : سَلوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَسَأَلوهُ فأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ[1] .

وإنَّما طَلَبَ اليَهودُ مِنَ المُشْرِكينَ السُّؤالَ عَنِ الرّوحِ لِيَخْتَبِروا صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ ، فإنَّ الَّذي عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ أَنَّ الرُّوحَ مِمَّا انْفَرَدَ اللهُ تَعالى بِعِلْمِهِ ، فكانَ الجَوابُ مُطابِقاً لِما عِنْدَهُمْ وَدَليلاً على صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ ، والمَقْصودُ بالسُّؤالِ مَعْرِفَةُ حَقيقَةِ الرّوحِ وماهِيَّتِها ، وكَيْفِيَّةِ مُخالَطَتِها لِلأَجْسادِ ، وَخُروجِها مِنْها ، وكانَ الجَوابُ على السُّؤالِ بِرَدِّ العِلْمِ بِها إلى اللهِ تَعالى ، فَهِيَ شَيْءٌ لا يَعْلَمُهُ إلاّ اللهُ ، ولا يَنْبَغِي الخَوْضُ فِيها أَوْ البَحْثُ عَنْها بَلْ يُوكَلُ العِلْمُ بِحَقيقَتِها إلى خالِقِها والعالِمِ بِها ، فَهُوَ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّها البَشَرُ فإنَّ ما عِنْدَكُمْ مِنَ العِلْمِ قليلٌ بالنِّسْبَةِ إلى عِلْمِ اللهِ تَعالى .

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾

أيْ : لَوْ أَرَدْنا لَمَحَوْنا هذا القُرْآنَ الَّذي أَنْزَلْناهُ عَلَيْكَ مِنْ صَدْرِكَ وَمِنْ صُدورِ أَتْباعِكَ ، وَمَحَوْناهُ كَذلِكَ مِنَ المُصْحَفِ حَتّى لا يَبْقى لَهُ أَثَرٌ ، ثُمَّ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ إليْكَ بَعْدَ ذَهابِهِ .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير ، رقم الحديث ٣٠٦٥ ، وأحمد في المسند ١/ ٢٥٥ ، رقم الحديث ٢٠٩٥ .

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

لَكِنْ أَبْقيناهُ مَحفوظاً في صَدْرِكَ وَصُدورِ أَصْحابِكَ ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إنَّ فَضْلَ اللهِ تَعالى كانَ عَلَيْكَ أَيُّها الرَّسولُ فَضْلاً كَبيراً ، فَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ القُرْآنَ وأَبْقاهُ في صَدْرِكَ وَجَعَلَكَ خاتِمَ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وأَعْطاكَ المُقامَ المَحْمودَ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ .

أيْ : قُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنونَ بِكَ وَبِما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ ، ويَدَّعونَ أَنَّ هذا القُرآنَ مِنْ عِنْدِكَ ، قُلْ لَهُم : لَئِنِ اجْتَمَعَ الإنْسُ جَميعاً مِنْ مُخْتَلَفِ الأَماكِنِ والأَزْمِنَةِ ، واجْتَمَعَ مَعَهُمُ الجِنُّ كَذلكَ ، واتَّفَقوا على أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ الَّذي يُنْكِرونَ كَوْنَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لا يُمْكِنُهُم ذَلِكَ وَلَوْ أعانَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِمُخْتِلِفِ أَنْواعِ المَعونَةِ والمُساعَدَةِ الَّتي يَسْتَطيعونَها .

فَفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ إثْباتُ إعْجازِ القُرْآنِ الكَريمِ ، وَعَدَمِ قُدْرَةِ الإنْسِ والجِنِّ مُجْتَمِعينَ ومُتَعاوِنينَ على الإتْيانِ بِمِثْلِهِ وُهَو المُعْجِزَةُ الخالِدَةُ الباقِيَةُ إلى قِيامِ السَّاعَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

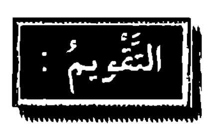
١ـ التَّحْذيرُ مِنْ كُفْرِ النِّعَمِ وَجُحودِها .

٢ـ البُعْدُ عَنِ الجِدالِ والمِراءِ بِرَدِّ العِلْمِ إلى اللهِ تَعالى .

٣ـ قُصورُ قُدُراتِ البَشَرِ ، عَنْ مَعْرِفَةِ حَقيقَةِ الرُّوحِ .

٤ـ فَضْلُ اللهِ تَعالى على رَسولِهِ وَعَلى المُؤْمِنينَ بِحِفْظِ القُرآنِ في صُدورِهِمْ وَصُحُفِهِمْ .

٥ـ عَجْزُ الإنْسِ والجِنِّ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ وَلَوْ أعانَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً على ذَلِكَ .



أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ يَتَصرَّفُ الإنْسانُ الجاحِدُ في كُلٍّ مِنْ حالَتي الخَيْرِ والشَّرِّ ؟

٢ـ ما وَجْهُ الوَعْدِ لِلْمُؤْمِنينَ والوَعيدِ لِلْكافِرينَ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبيلا﴾ ؟

٣ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ويَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ. . .﴾ ؟

٤ـ بِماذا أجابَ اللهُ تَعالى على سُؤالِ المُشْرِكينَ عَنِ الرُّوحِ ؟

٥ـ ما العلاقَةُ بَيْنَ عَدَمِ إجابَةِ السائِلينَ عَنْ ماهِيَّةِ الرُّوحِ وَحَقيقَتِها ، وَخَتْمِ الآيةِ بِقَوْلِهِ تَعالى : ﴿وما أُوتيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَليلا﴾ ؟

٦ـ على ماذا يَدُلُّ عَجْزُ الإنْسِ والجنِّ عَنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ ؟

٧ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ على كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ التَأَدُّبُ مَعَ اللهِ بِعَدمِ نِسْبَةِ الشَّرِّ إليْهِ .

ب ـ عَدَمُ قُدْرَةِ الإنْسانِ على اسْتيعابِ حَقيقَةِ الرُّوحِ .

ج ـ رَحْمَةُ اللهِ بِرَسولِهِ ﷺ وَبالمُؤْمِنينَ وَعَظيمُ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ بِعَدَمِ إذْهابِ القُرآنِ مِنْ صُدورِهِمْ وَصُحُفِهِمْ .

د ـ القُرآنُ كلامُ اللهِ المُعْجِزُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ سَيِّدُنا إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ المَرَضِ والشِّفاءِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ الإسراءِ - القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾



صَرَّفْنا : بيَّنَّا بِأَساليبَ مُتعدِّدَةٍ .

فأَبى : فرَفضَ .

كفورا : جُحوداً .

تَفْجُرَ : تَشُقَّ وتَفْتَحَ .

يَنْبوعا : عَيْنَ ماءٍ .

كِسَفاً : قِطَعاً .

قَبيلا : مُقابِلينَ لَنا .

زُخْرُفٍ : ذَهَبٍ .

تَرْقى : تَصْعَدُ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيةِ السَّابِقَةِ عَجْزَ الإِنْسِ والجِنِّ عَنِ الإِتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ ، بَيَّنَ في هَذِهِ الآياتِ اسْتِمْرارَ الكُفَّارِ على كُفْرِهِمْ ، وطَلَبَهُمْ عَدَداً مِنَ المُعْجِزاتِ والخَوارِقِ مِنَ الرَّسولِ ﷺ إمْعاناً مِنْهُم في الضَّلالِ والعِنادِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ بيَّنَّا الحَقَّ والهِدايَةَ والحُجَجَ والبَراهِينَ لِلنَّاسِ جَميعاً في هذا الكِتابِ بِأَساليبَ مُتَعدِّدَةٍ ، وَعِباراتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، إلاَّ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ رَفَضوا الإيمانَ بِهِ وَجَحدوا آياتِهِ وامْتَنَعوا عَنِ الاسْتِجابَةِ لِهَدْيِهِ وإِرْشادِهِ .

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ .

وقالَ المُشْرِكونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِلرَّسولِ ﷺ : لَنْ نُصَدِّقَكَ ونَسْتَجيبَ لِدَعْوَتِكَ حَتَّى تَشُقَّ لَنا مِنْ أَرْضِنا هَذهِ ؛ أَرْضِ مَكَّةَ المَشْهورَةَ بِقِلَّةِ المِياهِ ، عَيْنَ ماءٍ لا يَنْقَطِعُ ماؤُها .

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾ .

أَوْ يَكونَ لكَ بُستانٌ يَحْتَوي على أَشْجارِ النَّخيلِ والعِنَبِ ، وتَجْعَلَ الأَنْهارَ تَنْفَجِرُ فَتَسيرُ في وَسَطِها وَبَيْنَ أَشْجارِها بِغَزارَةٍ وَكَثافَةٍ .

وسَبَبُ تَخْصيصِهِمْ النَّخيلَ والأَعْنابَ بالذِّكْرِ أَنَّهما مِنْ أَهمِّ الثِّمارِ وأَشْهَرِها عِنْدَهُمْ ، وَلِما لَهُما مِنَ الفَوائِدِ الكَثيرَةِ المُتَنَوِّعَةِ .

﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾

أَوْ تَجْعَلَ السَّماءَ تَتساقَطُ عَلَيْنا قِطَعاً مُتَناثِرَةً كَما تَوَعَّدْتنا بِذَلِكَ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ تَأْتِيَ باللهِ سُبْحانَهُ فَنَراهُ عِياناً ، وَتَأْتِيَ بالمَلائِكَةِ بِحَيْثُ يَكونونَ مُقابِلينَ لَنا نُعايِنُهُمْ ونَراهُم .

﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

أَوْ يَكونَ لكَ قَصْرٌ عَظيمٌ مَشيدٌ مِنَ الذَّهَبِ وَلَيْسَ مِنَ الطِّينِ والحَجرِ ، أَوْ تَصْعَدَ إلى السَّماءِ وَلَنْ نُصَدِّقَ صُعودَكَ إلى السَّماءِ إنْ حَصَلَ حَتَّى تَعودَ مَعَكَ بِكتابٍ مُنَزَّلٍ مِنَ اللهِ نَقْرؤهُ ونَفْهَمُ ما فيهِ ، ويَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ رَسولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً ، فإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ صَدَّقناكَ وآمَنَّا بِكَ واتَّبَعْناكَ .

هَذه المَطالِبُ طَلَبَها المُشْرِكونَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ لِتكونَ دَليلاً على صِدْقِهِ وَصِدْقِ رِسالَتِهِ ، وَهِي تَدُلُّ دَلالَةً واضِحَةً على تَعنُّتِهِمْ وَعِنادِهِمْ في طَلَبِ أَشياءَ خارِقَةٍ ، ولِذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يُجيبَهُمْ بِما يُشيرُ إلى سَفاهَتِهِمْ في طَلَبِ هَذهِ الأَشْياءِ ، وَبِما يَتَضمَّنُ تَنْزيهَ اللهِ تَعالى أَنْ يَسْتَجيبَ إلى مَطالبِ المُشْرِكينَ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَجيبوا ويُؤْمِنوا لَوْ حَصَلَ ما طَلَبوهُ ، وَبِما يُبيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُخاطِبونَ بَشَراً مِثْلَهُمْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعالى إِلَيْهِمْ فَهُوَ لَيْسَ إِلَهاً حَتَّى يُحَقِّقَ لَهُمْ مِثْلَ هَذهِ الطَّلَباتِ المُتَعَنِّتَةِ .

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

المُرادُ بالنَّاسِ في هَذهِ الآيةِ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ ، وهُمُ المُشْرِكونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ شابَهَهُمْ في طَريقَةِ تَفْكيرِهِمْ ، فإِنَّ الَّذي صَرَفَهُمْ عَنِ الإيمانِ وَمَنَعَهُمْ مِنْهُ مَعَ وُجودِ الباعِثِ لَهُ ، وَهُوَ إِرْسالُ الرَّسولِ ﷺ فِيهِمْ ، ظَنُّهُمْ أَنَّ الرِّسالَةَ لا تَكونُ إلاَّ في المَلائِكَةِ ، وأَنَّهُ لا يُمْكِنُ لِلرَّسولِ أَنْ يَكونَ مِنَ البَشَرِ ، وَقَدْ صَرَّحوا بِظَنِّهِمْ هذا وَقالوهُ بأَلْسِنَتِهِمْ .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ على قَوْلِ المُشْرِكينَ المانِعَ لَهُمْ مِنَ الإيمانِ بِأَنَّهُ لَوْ كانَ أَهْلُ الأَرْضِ مَلائِكَةً يَمْشونَ عَلَيْها ساكِنينَ فيها باطْمِئْنانٍ واسْتِقْرارٍ لأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رَسولاً مِثْلَهُمْ مِنَ المَلائِكَةِ .

فإِنَّ الرَّسولَ يَنْبَغي أَنْ يَكونَ مِنْ جِنْسِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ لِيَتَمَكَّنوا مِنْ فَهْمِ مَقالِهِ وُمَخاطَبَتِهِ وُمحادَثَتِه والأُنْسِ بِهِ .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِهؤلاءِ المُكَذِّبينَ المُتَعَنِّتينَ : كَفى باللهِ تَعالى شاهِداً على صِدْقي وأَدائِي الرِّسالةَ كَما أَمَرَني ، فإِنَّهُ سُبْحانَهُ الخَبيرُ بأَحْوالِ عِبادِهِ جَميعاً ، البَصيرُ بما يَعْمَلونَ ، وفي هذا تَسْلِيَةٌ لِلرَّسولِ ﷺ عَمَّا أَصابَهُ مِنْ أَذَىً ، وتَهديدٌ لَهُمْ حَيْثُ آذَوْا رَسولَهُمُ الَّذي أُرْسِلَ لِهِدايَتِهِمْ وَسَعادَتِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَبْيينُ الأَمْرِ بأَكْثَرَ مِنْ وَجْهٍ بأَساليبَ عِدَّةٍ يُعينُ على فَهْمِهِ والإِقْناعِ بِهِ .

٢ـ تَعَنُّتُ المُشْركينَ وَعِنادُهم ، واختراعُهُمْ مَطالِبَ مُتَعدِّدَةٍ تَحولُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الإيمانِ .

٣ـ سُخْفُ عُقولِ المُشْركينَ الَّذينَ رَضوا أَنْ يكونَ الإِلَهُ حَجَراً ، وأَنْكَروا أَنْ يَكونَ الرَّسولُ بَشَراً .

٤ـ سُنَّةُ اللهِ إرْسالُ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ فإنَّهُ أَدْعى إلى التَّفاهُمِ والأُنْسِ والتَّجانُسِ بينَهُمْ وبَيْنَ المَدْعوّينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ تَصْريفِ الآياتِ ؟

٢ـ عَدِّدِ المَطالِبَ الَّتي طَلَبَها المُشْرِكونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ حتَّى يُصَدِّقوهُ .

٣ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَرُدَّ على مُقْتَرحاتِ المُشْرِكينَ ؟

٤ـ ما السَّبَبُ الدَّاعِي لإرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ البَشَرِ ، والمانِعُ مِنْ إرْسالِ الرُّسُلِ مِنَ المَلائِكَةِ ؟

٥ـ على أيِّ شَيْءٍ أُمِرَ الرَّسولُ ﷺ أَنْ يَكْتَفِيَ بِشهادَةِ اللهِ تَعالى ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعا .

ب ـ أَوْ تَأْتِيَ باللهِ والمَلائِكَةِ قَبيلا .

ج ـ أَوْ يَكونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ .

د ـ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسولا .

هـ ـ قُلْ كَفى باللهِ شَهيداً بَيْني وبَيْنَكُمْ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرِ الآيَةَ الكَريمَةَ مِنْ سُورَةِ سَبأ الَّتي يُخْبِرُ فيها سُبْحانَهُ عَنْ قُدْرَتِهِ إنْ شاءَ عَلى إسْقاطِ السَّماءِ كِسَفاً .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَمْراً واحِداً مِمّا طَلَبَهُ اليَهودُ مِنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وأمْراً واحِداً مِمَّا طَلَبَهُ النَّصارى مِنْ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

الدَّرسُ الأربعونَ

سورةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ السَّابعَ عشَرَ

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَوْلياءُ : نُصَراءُ .

خبَتْ : سَكَنَ لَهيبُها .

سَعيرا : تَوَقُّداً .

رُفاتا : حُطاماً ، فُتاتاً .

أجَلا : وَقْتاً لِلْبَعْثِ .

قَتورا : مُبالِغاً في البُخْلِ .

التَّفْسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ مَصيرَ الكافِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وتُقيمُ الدَّليلَ على إمْكانِ البَعْثِ ، وتُخْبِرُ عَنْ بُخْلِ الإنْسانِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

أيْ : وَمَنْ يُوَفِّقْهُ اللهُ تَعالى للإيمان والعَمَلِ الصَّالحِ بِسَبَبِ حُسْنِ عَمَلِهِ وإخْلاصِهِ فيهِ فَهُوَ المُهْتَدِي ، وَمَنْ يُضْلِلْهُمُ اللهُ ويَخْذُلُهُمْ عَنِ الحَقِّ بِسَبَبِ سُوءِ أَعْمالِهِمْ وَعَدَمِ رَغْبَتِهِمْ في الاهْتِداءِ ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نُصَراءَ يَنْصرونَهُمْ وَيُنْقِذونَهُمْ مِن عَذابِ اللهِ ، ويُحْشَرونَ يَوْمَ القِيامَةِ في وَضْعٍ مُهينٍ ، حَيْثُ يَمْشُونَ على وُجوهِهِمْ ، وَقَدْ فَقدوا القُدْرَةَ على البَصَرِ والسَّمْعِ والكَلام ، ثُمَّ تُعادُ إلَيْهِمْ هذهِ الحَواسُّ مَرَّةً أُخرى عِنْدَما تَسْحَبُهُمُ المَلائِكَةُ على وُجوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ الَّتي هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ وَمقامُهُمْ ، يُصْلَوْنَ فيها العَذابَ الدائِمَ الشَّديدَ ، وَكُلَّما ضَعُفَتْ نارُها وَسَكَنَ لَهيبُها زادَها اللهُ تَوَقُّداً واشْتِعالاً .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾

ذَلِكَ العَذابُ الشَّديدُ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بآياتِنا الدَّاعِيَةِ إلى الإيمانِ والدَّالَّةِ على وَحْدانِيَّتِنا وَعَظَمَتِنا وَبِسَبَبِ إنْكارِهِمُ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ ، وقَوْلُهُمْ : أئِذا مِتْنا وأَصْبَحنا عِظاماً بالِيَةً وقِطعاً مُتناثِرَةً ، أَيَصِحُّ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ نُبْعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ خَلْقاً جَديداً تَدُبُّ فيهِ الحياةُ ؟

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ .

أجابَ اللهُ تَعالى على سُؤالِ مُنْكِري البَعْثِ بما يُقْنِعُ كُلَّ ذي عَقْلٍ سَليمٍ ويُزيلُ شُبْهَتَهُمُ الَّتي تَعَلَّقوا بِها ، فَقَدْ عَلِموا أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ وَهُما أَعْظَمُ مِنَ البَشَرِ ، وأقَرّوا بِذَلِكَ ، فَكَيْفَ يُقِرّونَ بِقُدْرَةِ اللهِ على خَلْقِ هذهِ الأَجْرامِ العَظيمَةِ ويُنْكِرونَ قُدْرَتَهُ على إعادَةِ خَلْقِهِمْ ، وَهُوَ أَمْرٌ أَيْسَرُ وأَهْوَنُ بالنِّسْبَةِ لِلْبَشَرِ ، وَجَعَلَ اللهُ وَقْتاً مُحَدَّداً لِبَعْثِ النَّاسِ أحياءً لِلْحِساب والجَزاءِ وَهُوَ يَوْمُ القِيامَةِ ، إلاَّ أَنَّ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ بالكُفْرِ ، وَعَدمِ الإيمانِ بالبَعْثِ لَمْ يُؤْمِنوا بِذَلِكَ وأَصَرّوا على الكُفْرِ وإنْكارِ البَعْثِ مَعَ وُضوحِ الدَّليلِ وظُهورِ الحُجَّةِ .

وَقَوْلُهُ تَعالى (مِثْلَهُمْ) أَيْ إيّاهُمْ ، فإنَّ مِثْلَ الشَيءِ مُساوٍ لَهُ ، فَجازَ التَّعْبيرُ بِهِ عَنِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِمْ : مِثْلُكَ لا يَفْعَلُ هذا ؛ أيْ : أَنْتَ لا تَفْعَلُهُ .

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِهؤلاءِ الَّذينَ طَلَبوا مِنْكَ أَنْ تُفَجِّرَ لَهُمُ الأَنْهارَ ، وَتُشَقِّقَ لَهُمْ عُيونَ الماءِ ، وَسائِرَ الطَّلَباتِ المُتَعنِّتَةِ : لَوْ أَنَّكُم أَيُّها الكافِرونَ تَمْلِكونَ التَّصَرُّفَ في خَزائِنِ أَرْزاقِ اللهِ ، التَّي لا تَنْفَدُ

ولا تَنْتَهِي لأَمْسَكْتُمْ عَنِ الإِنْفاقِ ولَمَنَعْتُمْ وُصولَها إلى الخَلْقِ خَوْفاً مِنَ الفقْرِ ، فإنَّ الطَّمَعَ والبُخْلَ مِنْ طَبيعةِ الإنْسانِ الَّذي لَمْ يُهَذِّبْ نَفْسَهُ ولَمْ يَنْزَعِ الشُّحَّ مِنْها بالإيمانِ باللهِ الرَّازِقِ الكَريمِ .

وفي الآيَةِ الكَريمَةِ تَبيينُ شِدّةِ البُخْلِ عِنْدَ الإنْسانِ بِأَبْلَغِ بَيانٍ ، حَيْثُ أَفادَتْ أَنَّ النَّاسَ لَوْ مَلَكوا خَزائِنَ رَحْمَةِ اللهِ الَّتي لا تَتَناهَى ، وانْفَرَدوا بِمُلْكِها مِنْ غَيْرِ مُنازِعٍ لأَمْسَكوا عَنِ النَّفَقَةِ مِنْ غَيْرِ داعٍ إلاَّ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الهُدَى والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

٢ـ عَذابُ جَهَنَّمَ دائِمٌ مُسْتَمِرٌّ ، لا تَخْبو نارُها ولا يَنْقَطِعُ عَذابُها وَهِيَ مَأوىً لِلْكافِرينَ .

٣ـ إقامَةُ الدَّليلِ على البَعْثِ بالخَلْقِ ، فَمَنْ كانَ قادِراً على الخَلْقِ كانَ على إعادَتِهِ أَقْدَرَ .

٤ـ الشُّحُّ والبُخْلُ مِنْ طَمْعِ الإنْسانِ الَّذي لَمْ يُهَذِّبْ نَفْسَهُ بالإيمانِ والتَّقْوى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ صِفْ حالَ الضَّالِّينَ وَقْتَ الحَشْرِ كما بَيَّنَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ ؟

٢ـ لماذا يُزادُ في إيقادِ النَّارِ ، وإشْعالِها كُلَّما سَكَنَ لَهيبُها ؟

٣ـ ما الدَّليلُ الَّذي ذَكَرَتْهُ الآيَةُ الكَريمَةُ لإِثْباتِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٤ـ ماذا يَفْعَلُ الإنْسانُ لَوْ مَلَكَ خزائِنَ رَحْمَةِ اللهِ ؟

٥ـ بَيَّنَتِ الآيَةِ الكَريمَةُ شِدَّةَ البُخْلِ عِنْدَ الإنْسانِ مِنْ وُجوهٍ عِدّةٍ ، اذْكُرْها .

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ على كُلٍّ مِمَّا يلي :

أـ الهُدَى والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

ب ـ يُحْشَرُ الظَّالِمونَ يَوْمَ القِيامَةِ على وُجوهِهِمْ .

ج ـ لا تَضْعُفُ نارُ جَهَنَّمَ ولا تَخْبو .

د ـ جَزاءُ مُنْكري البَعْثِ العذابُ في جَهَنَّمَ .

هـ ـ اللهُ الَّذي خَلَقَ السّماواتِ والأَرْضَ قادِرٌ على إعادَةِ الخَلْقِ .

و ـ مِنْ طَبْعِ الإِنْسانِ البُخْلُ والإِمْساكُ خَشْيَةَ الفَقْرِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ قَتادةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قالَ : يا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكافِرُ على وَجْهِهِ ؟ قالَ : أَلَيْسَ الَّذي أَمْشاهُ عَلى الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيا قادِراً على أَنْ يُمْشِيَهُ على وَجْهِهِ يَوْمَ القيامةِ ؟ قالَ قَتادَةُ : بَلى وَعِزَّةِ رَبِّنا[1] .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً كَريمةً وحديثاً شَريفاً يُبَيِّنانِ أَنَّ الكُفَّارَ يُحْشَرونَ ويُكَبُّونَ في جَهَنَّمَ على وُجوهِهِمْ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف الحشر ، رقم الحديث ٦١٥٨ .

الدَّرسُ الحادي والأربعونَ

سورةُ الإسْراءِ ـ القِسْمُ الثامِنَ عَشَرَ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

آياتٍ بيِّناتٍ : مُعْجزاتٍ واضِحاتٍ .

بَصائرَ : حُججاً تَهْدِي إلى الحَقِّ وتُبَصِّرُ بِهِ .

مَثْبورا : هالِكاً .

يَسْتَفِزَهُمْ : يُزْعِجُهُمْ .

لَفيفاً : مُجْتَمِعينَ .

التَّفْسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَبيينٌ أنَّ الخوارِقَ والمُعْجزاتِ يُمْكِنُ أنْ تَحْصُلَ لِلنَّبِيِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يُؤْمِنُ قَوْمُه بها وَيَسْتَمِرّونَ في كُفْرِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، وهذا ما حَصَلَ مَعَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ عِنْدما رَأَوْا آياتِ اللهِ الباهِرَةِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ أَعْطَيْنا نَبيَّنا مُوسى عَلَيْهِ السلامُ تِسْعَ مُعْجِزاتٍ واضِحاتٍ تَدُلُّ على صِدْقِهِ ، وَمِنْ هَذهِ المُعْجِزاتِ العصا واليَدُ .

وهذهِ المُعْجِزاتُ شاهَدَها فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ولَمْ يُؤْمِنوا بها فَكانَتْ حُجَّةً عليْهِمْ .

ثُمَّ تَوَجَّهَ الخِطابُ في الآيَةِ إلى النَّبيِّ ﷺ لِيَسْأَلَ بَني إسْرائِيلَ عَنْ تِلْكَ المُعْجِزاتِ ، فإنَّهُمْ يَعْلَمونَها لأنَّها ذُكِرَتْ في التَّوْراةِ . والهَدَفُ مِنَ السُّؤالِ أَنْ يَظْهَرَ لِعامَّةِ بَني إسْرائِيلَ وَعُلَمائِهِمْ وَلِلْمُشْرِكينَ صِدْقَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وَقَدْ قابَلَ فِرْعَونُ هذهِ المُعْجِزات بالتَّكْذيبِ ، واتِّهامِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ بأَنَّهُ مَسْحورٌ ، قَدْ سَحَرَهُ السَّحَرَةُ فأَفْسَدوا عَقْلَهُ ، وأَصْبَحَ يَتَكَلَّمُ بالباطِلِ وبالكَلامِ غَيْرِ السَوِيِّ ، يُريدُ بِذَلِكَ صَرْفَ النَّاسِ عَنْهُ والتَّهْوينَ مِنْ شَأْنِهِ .

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِفِرْعَوْنَ رَدّاً عَلى افترائِهِ عَلَيْهِ وتَكْذيبِهِ لِلْمُعْجِزاتِ وَزَعْمِهِ أَنَّها مِنَ السِّحْرِ : لَقَدْ عَلِمْتَ يا فِرْعَوْنُ أَنَّ هذهِ المُعْجِزاتِ ما أَنْزَلَها إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ لِتكونَ شاهِدَةً على صِدْقي وحُجَجاً تَهْدي إلى الحَقِّ ، ولكنَّكَ مُكابِرٌ مُعانِدٌ ، وإنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ يا فِرْعَوْنُ هالِكٌ بِسَبَبِ كُفْرِكَ وَجُحودِكَ الحَقَّ .

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

فأرادَ فِرْعَوْنُ بَعْدَ أَنْ هَدَّدَهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ وَوَبَّخَهُ على تَكْذيبِهِ بالآياتِ والمُعْجِزاتِ ، أَنْ يَطْرُدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ الَّتي يُقيمونَ مَعَهُ فِيها وأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ ، وكانَتِ النَّتيجَةُ انْقلابَ الأَمْرِ عَلَيْهِ حَيْثُ أَغْرَقَهُ اللهُ تَعالى وَجُنْدَهُ الَّذينَ كانوا مَعَهُ جَميعاً ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُم أَحَدٌ .

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

وَقُلْنا مِنْ بَعْدِ إغْراقِ فِرْعَوْنَ لِبني إسْرائِيلَ عَلى لِسانِ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلامُ : اسْكُنوا الأَرْضَ ، فإذا جاءَ يَوْمُ القِيامَةِ جِئْنا بِكُمْ مِنْ قُبورِكُمْ إلى المَحْشَرِ مُجْتَمِعينَ ، فيكُمُ المُؤْمِنُ والكافِرُ والبَرُّ والفاجِرُ ، ثُمَّ نَحْكُمْ بَيْنَكُمْ ونُمَيِّزُ سُعَداءَكُمْ مِنْ أَشْقيائِكُمْ .

والمُرادُ بالأَرْضِ في الآيَتيْنِ الأَرْضُ عامَّةً ، أَمَّا الأَرْضُ الَّتي أرادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ جُزْءٍ مِنْها ، وَهِيَ أَرْضُ مِصْرَ ، فَأَسْكَنَهُمْ اللهُ أَرْضاً خَيْراً مِنْها وَهِيَ أَرْضُ فِلَسْطِينَ .

وَبَعْدَ انْتِهاءِ الحَديثِ عَمَّا حَصَلَ بَيْنَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ وَفِرْعَوْنَ وما انْتَهى الأَمْرُ إِلَيْهِ مِنْ إِهْلاكِ فِرْعَوْنَ ، عادتِ الآياتُ لِلْحَديثِ عَنِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ هذا القُرْآنَ نَزَلَ مُلْتَبِسا بالحَقِّ ، مُشْتَمِلاً على كُلِّ ما هُوَ حَقٌّ مِنْ عَقائِدَ وَعِباداتٍ وَقَصَصٍ وَغَيْرِها ، وما أَرْسلناكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ إلاَّ مُبَشِّراً لِمَنْ آمَنَ بِكَ وأَطاعَكَ وَمُنْذِراً لِمَنْ عَصاكَ وكَذَّبَكَ ، فَهذِهِ مُهِمَّتُكَ النَّبيلَةُ وَيَكْفيكَ شَرَفاً وَفَخْراً أَنْ تَكونَ المُبَلِّغَ عَنِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُعْجِزاتُ وَحْدَها لا تَكْفي لِهِدايَةِ الإنْسانِ ، ولابُدَّ مِنَ التَّوْفيقِ الإلهِيِّ للهِدايَةِ .

٢ـ تأْكيدُ المَعْلومَةِ وتَثْبيتُها مِنَ الخَصْمِ لإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

٣ـ مَنْطِقُ الطُّغاةِ حينَ يَكْشِفُ الحَقُّ عَنْ ضَلالِهِمْ وكَذِبِهِمْ ، هُوَ الاتِّهامُ والافْتِراءُ .

٤ـ إرادةُ اللهِ تَعالى هِيَ الغالِبَةُ ، وإرادَةُ العَبْدِ تابِعَةٌ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الهَدَفُ مِنْ سُؤالِ بَني إسْرائيلَ عَنْ مُعْجزاتِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ما مَوْقِفُ فِرْعَونَ مِنَ المُعْجِزاتِ الَّتي أَيَّدَ اللهُ تَعالى بِها مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بماذا رَدَّ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ على فِرْعَونَ ؟

٤ـ ماذا أرادَ فِرْعونُ أَنْ يَفْعَلَ بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ ؟ وَلِماذا لَمْ يَفْعَلْ ما عَزَمَ عَلَيْهِ ؟

٥ـ ما مُهِمَّةُ الرَّسولِ ﷺ ؟

٦ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أـ فَقالَ لَهُ فِرْعونُ إنِّي لأظَنُّك يا مُوسى مَسْحورا .

ب ـ فأرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ .

ج ـ وقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إسْرائِيلَ اسْكُنوا الأَرْضَ .

دـ وبالحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ باقي المُعْجِزات الّتي أتاها اللهُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ قارِنْ بَيْنَ مُوقِفِ فِرْعَونَ وَقَوْمِهِ مِنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَمَوْقِفِ مُشْرِكي قُرَيْشٍ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ مِنْ خِلالِ هَذهِ الآياتِ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والأَربعونَ

سورةُ الإسراءِ - القِسْمُ التَّاسِعَ عشَرَ

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَرَقْناهُ : بَيَّنَّاهُ وَفصَّلْناهُ .

على مُكْثٍ : على مَهْلٍ .

يَخِرّونَ لِلأَذْقانِ : يَسْقطونَ في وُجوهِهِمْ .

التَّفْسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ التَنْويهُ بِشَأْنِ القُرْآنِ العَظيم ، والثَّناءُ على المُؤْمِنينَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ تَأَثَّروا عِنْدَ سَماعِهِ ، والأَمْرُ بِحَمْدِ اللهِ وَتَكْبيرِه ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيَةِ السَّابِقَةِ نُزولَ القُرْآنِ بالحَقِّ ، بَيَّنَ في هَذهِ الآيَةِ أَنَّهُ أَنْزَلَ القُرْآنَ لِيَكونَ فارِقاً بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، والإيمانِ والكُفْرِ ، والخَيْرِ والشَّرِّ ، الحلالِ والحَرامِ ، وتَفْصيلِ الأَحْكامِ

والأَمْثالِ ، وأنَّهُ أَنْزَلَهُ مُفرَّقاً مُنجَّماً لِيَقْرَأَهُ الرَّسولُ ﷺ على النَّاسِ على مَهْلٍ وتُؤَدَةٍ حَتَّى يَتَيَسَّرَ لَهُم حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ ، وحَتَّى يَتَمكنَّوا مِنْ تَطبيقِ أحْكامِهِ وتَشْريعاتِهِ عَلَى الوَجْهِ الأَحْسَنِ والأَمْثَلِ .

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

هَذهِ الآيَةُ تَهديدٌ وَوَعيدٌ لِلمُشْرِكينَ الَّذينَ سَمِعوا القُرْآنَ وَلَمْ يُؤْمِنوا بِهِ ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لَهُمْ : آمِنوا بِهذا القُرْآنِ أَوْ لا تُؤْمِنوا بِهِ ، فإنَّ إيمانَكُمْ بِهِ لا يَزيدُهُ كَمالاً كما أَنَّ كُفرَكُمْ بِهِ لا يُنْقِصُ مِنْ شَأْنِهِ شَيْئاً ، وإنَّ عُلماءَ أَهْلِ الكِتابِ الَّذينَ قَرأوا الكُتُبَ المُنَزَّلَةَ قَبْلَ القُرْآنِ وتَبيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ، إذا قُرِىءَ عَلَيْهِمْ القُرْآنُ يَسْقُطونَ على وُجُوهِهِمْ ساجِدينَ للهِ تَعالى ، تَعْظيماً لأَمْرِهِ وَشُكْراً لَهُ لإنْجازِ ما وَعَدَ بِهِ في الكُتُبِ السَّابِقَةِ مِنْ إرْسالِ مُحمَّدٍ ﷺ وإنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ .

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

ويقولونَ في سُجودِهِمْ : تَنَزَّهَ رَبُّنا عَنْ كُلِّ ما يَقولُهُ الكافِرونَ الجاهِلونَ بِشَأْنِهِ ، وَتَنَزَّهَ رَبُّنا أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ بإرْسالِ النَّبيِّ المُبَشَّرِ بِهِ ، إنَّ وَعْدَ رَبِّنا كائِنٌ لا مَحالَةَ .

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

وَيَسْقُطونَ ساجِدينَ عَلى وُجوهِهِمْ باكِينَ عِنْدَ اسْتِماعِ القُرْآنِ ، وَيَزيدُهُمُ القُرْآنُ تَذَلُّلاً وَخُضوعاً للهِ ، كَما يَزيدُهُمْ عِلْماً وإيماناً .

وإعادَةُ ذِكْرِ السُّجودِ في هذهِ الآيَةِ لاخْتِلافِ سَبَبِ كُلٍّ مِنْهُما ، فالسُّجودُ الأَوَّلُ كانَ لِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللهِ وَشُكْرِهِ على إنْجازِ وَعْدِهِ ، والسُّجودُ الثَّاني لِتَأَثُّرِهِمْ بآياتِ القُرْآنِ الكريمِ .

وَذُكِرَتِ الأَذْقانُ في المَرَّتَيْنِ لِلدِّلالَةِ على تَمْكينِهِمُ الوُجوهَ كُلَّها مِنَ الأَرْضِ لِقُوَّةِ الرَّغْبَةِ في السُّجودِ .

وفي هذهِ الآيَةِ ذِكْرُ البُكاءِ المُصاحِبِ لِلسُّجودِ ، وَهُوَ البُكاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالى ، وَذِكْرَ الخُشوعُ الَّذي يَنْبَغي أَنْ تُزَيَّنَ بِهِ جَميعُ العِباداتِ .

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ إذا صَلَّى بِأَصْحابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بالقُرْآنِ ، فإذا سَمِعَهُ المُشْركونَ سَبُّوا القُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جاءَ بِهِ ، فَقالَ اللهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أيْ بِقِراءَتِكَ فَيَسْمَعَكَ المُشْرِكونَ فَيَسُبّوا القُرْآنَ ﴿ولا تُخافِتْ

بِها﴾ عَنْ أَصْحابِكَ فلا تُسْمِعُهُمْ ﴿وابْتَغِ بَيْنَ ذَلكَ سَبيلا﴾[1] .

يَأْمُرُ اللهُ تعالى نَبيَّهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لأَتْباعِهِ جَميعاً : اللهُ هُوَ الرَّحْمَنُ فإنَّكُمْ إِنْ دَعَوْتُمُ اللهُ أَوْ دَعَوْتُمُ الرَّحْمنَ فَقَدْ أَصَبْتُم فإنَّهُ سُبْحانَهُ لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنى الدَّالَّةُ على غايَةِ الكَمالِ ، وما تَوهَّمَهُ الجاهِلَونَ مِنْ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ تبَعاً لِتعَدُّدِ الأَسْماءِ حِينَ سَمِعوكَ تَقولُ في دُعائِكَ : يا اللهُ ، يا رحْمنُ ، إنّما هو جَهْلٌ فاضِحٌ مِنْهُمْ يَدُلُّ على عَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بالخالِقِ العَظيمِ وأَسْمائِهِ الحُسْنى .

ولا تَجْهَرْ أَيُّها النَّبيُّ في قراءَتِكَ في أثناءِ الصَّلاةِ فَيَسْمَعَكَ المُشْرِكونَ فَيَسُبّوا القرآنَ ، ولا تُخْفِضْ صَوْتَكَ كثيراً بالقِراءَةِ فلا يَسْمَعُكَ مَنْ يَكونُ خَلْفَكَ ، بَلِ اسْلُكْ في ذَلِكَ طَريقاً وَسطاً ، واجْعَلْ قِراءَتَكَ بَيْنَ الجَهْرِ والمُخافَتَةِ .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ .

وقُلْ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ : الحَمْدُ الكامِلُ والثناءُ المُطْلَقُ للهِ وَحْدَهُ ، الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً لاسْتِغْنائِهِ عَنْهُ ، وَعَدَمِ حاجَتِهِ إليْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلْكِ فَهُوَ مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُبْحانَهُ ناصِرٌ يَنْصُرُهُ ويَحْميهِ مِنَ الذُّلِّ فَهُوَ المُعِزُّ ومالِكُ المُلْكِ ، وَكَبِّرْ رَبَّكَ تَكْبيراً وَعَظِّمْهُ تَعْظيماً بَليغاً يَليقُ بِجَلالِ وَجْهِهِ وعَظيمِ سُلْطانِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحبابُ التَّأَنِّي في تِلاوَةِ القُرْآنِ وَفِي تَعَلُّمِهِ وتَعْليمِهِ .

٢ـ اسْتِحبابُ أَنْ يُرافِقَ السُّجودَ للهِ تَعالى البُكاءُ مِنْ خَشْيَتِهِ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ دُعاءِ اللهِ تَعالى بِأَسْمائِهِ الحُسْنى وَمُناداتِهِ بِها .

٤ـ التَّوْجيهُ إلى عَدَمِ رَفْعِ الصَّوْتِ أَكْثَرَ مِنْ الحاجَةِ ، وَعَدَمُ خَفْضِهِ بِحَيْثُ يُسْمِعُ مَنْ حَوْلَهُ .

٥ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تَعالى والثّناءِ عَلَيْهِ وتَنْزيهِهِ عَنْ كُلِّ عَجْزٍ وَنَقْصٍ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب رقم ٢١٢ رقم الحديث ٢٤٤٥ ، ورواه مسلم في كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية رقم الحديث ١٠٠٠ .



أجبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ نُزولِ القُرْآنِ الكَريمِ مُفَرَّقاً ؟

٢ـ بماذا وَصفَتِ الآياتُ الَّذين أُوتوا العِلْمَ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ؟

٣ـ زادتِ الآيةُ الكَريمَةُ في وَصْفِ السُّجودِ الثَّاني أُموراً ، ما هِيَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخافِتْ بِها وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبيلا﴾ ؟

٥ـ ما سَبَبُ عَدمِ اتِّخاذِ الله تَعالى وَلَداً ؟

٦ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يَلِي :

أ ـ لِتَقْرَأَهُ على النَّاسِ على مُكْثٍ .

ب ـ قُلْ آمِنوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنوا .

ج ـ يَخِرّونَ لِلأَذْقانِ سُجَّداً .

د ـ قُلِ ادْعو اللهَ أَوِ ادْعو الرَّحْمَنَ أَيّاً ما تَدْعو فَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى .

هـ ـ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنَّ للهِ تِسعةً وَتِسْعينَ اسْماً ، مائةً إلاَّ واحداً ، مَنْ أَحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ »[1] .

نَشاطٌ :

ـ اكتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبَيِّنُ فَضْلَ السُّجودِ وَقُرْبَ السّاجِدِ مِنْ رَبِّهِ .

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط باب رقم ١٨ رقم الحديث ٢٥٨٥ ، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى رقم الحديث ٢٦٧٧ .